

إِتِّخَافُ أَعْلَامِ النَّاسِ بِجَمَالِ أَخْبَارِ حَاضِرَةِ مَكْنَسِ

تأليف

ابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد السَّجَّامِاسِي

تحقيق

الدكتور علي عمر

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد السجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



الطبعة الاولى

٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

٢٥٩٣٦٢٧٧ / فاكس: ٢٥٩٣٨٤١١ - ٢٥٩٢٢٦٢٠

E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العالمة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ٢
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: على عمر
- ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨

٥ مج : ٢٤ سم

تكمك : X ٣٩٠ ٣٤١ ٩٧١

١- الفقهاء - معاجم

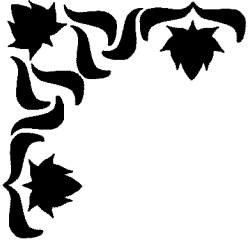
١- عمر ، على (محقق)

ب- العنوان

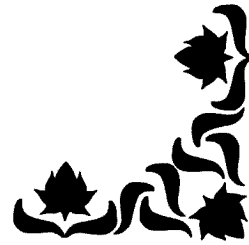
ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الابداع : ٢٠٠٨ / ٧٦٦٧





إتخاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس
لابن زيحان



هوله ظهور الجزء الأول^(١) (من هذا التاريخ)

لقد كان لظهور الجزء الأول من هذا التاريخ الحفيل فى عالم المطبوعات رنة استحسان وصدى تقدير ودوى قوى فى سائر النوادى العلمية والأدبية والتاريخية، وما بزغت شمسهُ حتى تخلل صيته الآفاق، واشربأت إليه الأعناق، وأحدقت به الأحداق، وتناقل صحيح حديثه الرفاق، وتصفحته نقاد العلماء والكتاب والأدباء من أقطار المغرب الثلاث إلى مصر والشام وأوروبا على اختلاف الملل والنحل وكتبت فى شأنه المجلات العلمية والصحف الأدبية شرقية وغربية عربية وعجمية وتهاطل على سماحة مؤلفه من رسائل التقريظ والثناء والتحييد من سائر المقامات ما سينشر عند انتهاء الكتاب إن شاء الله تعالى.

أما الآن فسيتوج هذا الجزء الثانى بالظهير الشريف الذى أصدرته جلالة مولانا السلطان أعزه الله تقريظاً للكتاب وجواباً للمؤلف عن إهدائه إياه لجنابه الكريم.

وإن المؤلف ليشكر المحتفلين بكتابه على اعتنائهم والناقدين على ملاحظاتهم التى أبدوها عن إخلاص وصفاء. كما أنه يلتمس الأعذار للذين قدم لهم الجزء الأول هدية ودية، لمكانتهم العلمية وسمعتهم الأدبية فلم يتنازلوا - وقليل ما هم - حتى لرد السلام.

وإليك رسم الظهير السلطانى الشريف متلوًا بالجواب المقيمى اللطيف.

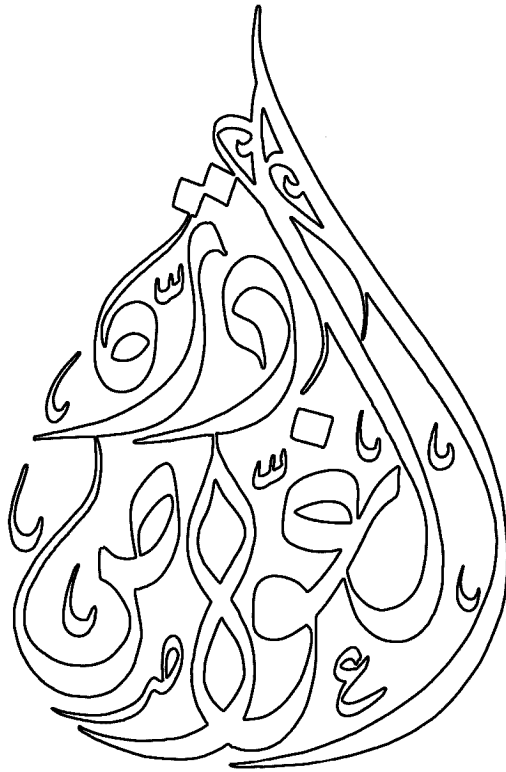
(١) نص ما جاء فى صدر الجزء الثانى من إتخاف أعلام الناس.

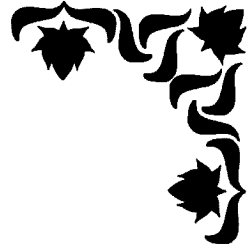
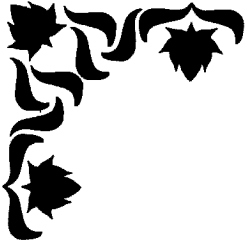
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين



الحمد لله الذي جعل هذا العلم منيرة لهدى العباد في طريقهم إلى الله
 عز وجل من أجل أن الله وسلام عليه ومنه العلم الذي هو نور وطريقنا إلى
 ما فرغته لنا من كتابه الكريم من أجل أن العلم منيرة منيرة من العلم الأول
 من تاليفه في الحجاب وأعلام الناصر بحاله أخبارها هم في كتابه من وصال
 غير أكملنا عليه ووجده في طريق السلك عبره المنطق الذي انفرارنا أيضا
 لنا لسلفنا الكريم من المشايخ والفقهاء أيضا بقائده عواصمنا التي انبثرت عليها القرائن
 من غير ما ذكرنا من الأثر في العلم والاعمال والأخبار فمما سببنا
 نضارتهما وقت ابتكار مختارنها حاجتنا من تفرغنا الفصل جزالة الأغلب
 وهي التي في الحكماء وأعزبه أعلامه ومن صنعنا التسمية وهو في التنوير المجلد
 من مائة من التواريخ من تراجمنا جمعنا وعلمنا على من يسهل في هذا العلم
 له من القبول والامتنان فتناوله في مستودعنا في تفسيره في هذا العلم
 وصنائه بلله انوارنا من نورنا ونسبنا العلم من هذا الكتاب في كل جوامع تاليفنا
 لتبضع الحج الأول بلانوارنا أصلنا في العدد من صنعنا وأماننا والتلخيص 272
 بحمد الله والحمد لله رب العالمين

ظهر جلاله السلطان سيدي محمد بن يوسف للمؤلف

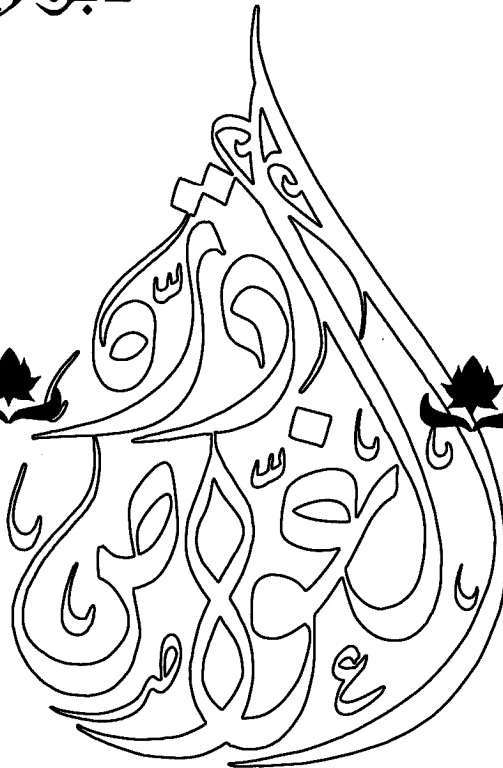
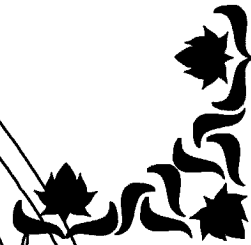




إتخاف أعلام الناس

بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيجان



٨٧- إدریس الأكبر بن عبد الله الكامل (١)

أحد رجال صحيح البخارى ذكره فى سنده مرة واحدة فى أواخره - ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب، ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول. بنت أجل نبى وأفضل رسول صلى الله عليه وعلى آله وحزبه. حاله: ماذا عسى أن أقول فىمن كان جبريل لجدته خديما، والله صلى عليه وملائكته، وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم تسليما، واختاره على وحيه أمينا، وقرن طاعته بطاعته وجعل حبه ذخرا ثمينا. وماذا عسى يحبر اليراع. فى محامد من طبقت مفاخره البقاع. ولو حاول المثنى عليه أقصى ما يحاول. فأين الثريا من يد المتناول. وبأى لسان أعرب. عن فضائل من محا آية الشرك من لوح المغرب. وأزاح ظلام الكفر والطغيان. بنور الهدى والإيمان. . . ورضع عباب العلم غضا طريا. وجعل إمامه الكتاب والسنة ولم يأت شيئا فريا. وجاهد فى الله حق جهاده. وصير كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله العليا وذلك أقصى مراده. وأبوه ذنية ديباجة بنى هاشم ورءوس قريش على سيادته فىهم شدت منهم الحيازم. وجده الحسن روى عنه إمامنا مالك. طائر الصيت فى سائر المسالك. وقال: إنه ممن يقتدى بفعله. اعترافا منه بورعه وفضله. وأخرج له البخارى فى الصحيح. ووثقه الأئمة المرجوع إليهم فى التعديل والتجريح. ورث ولده المترجم المجد لا عن كلاله. وتردى برداء الوقار والجلالة. تهيأت له الخلافة العظمى. إذ رأت مكانته أفخم وأسمى. فأمهرها القبول. ونهج فيها نهج جده خير رسول. كان فى علم الكتاب والسنة من البحور الزواخر. لا تكدره المواخر بلغ مرتبة أهل الاجتهاد. وعلم جلالته ومكانته فى العلم كل من ساد فى أقطار البلاد.

(١) من مصادر ترجمته: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠٨/١ وما بعدها.

حاضرها والباد. كان لا يتقيد بمذهب شأن السلف الصالح ذوى السعى الرابع.
عاصر مالكا وغيره من صدور الأمة. المهتدى بهديهم فى كل مدلهمة.

فر بنفسه فى وقعة فَنَحَّ التى كانت فى أيام موسى الهادى بن محمد المهدى
العباسى على ما قاله غير واحد من أعلام هذا الشأن، وصححه الحلبي فى دره.
وَفَنَحَّ بفتح الفاء وتشديد الخاء - وقد وهم من أبدل الخاء جيما، وكانت هذه الوقعة
الشنعاء يوم السبت وصادفت يوم التروية سنة تسع وستين ومائة، وكان هذا الإمام
العظيم المقدار ممن حضرها هو وشقيقاه سليمان ويحيى فى جملة أبناء عمه
وغيرهم.

ولما قتل فيها من قتل منهم ومن جملتهم شقيقه سليمان كما فى «تاريخ ابن
جرير» و«مروج الذهب» للمسعودى و«الدر السنى» للقادرى وفر من فر، كان
صاحب الترجمة ممن فر ناجيا بنفسه وفى معيته مولاه راشد فتوجهها من مكة شرفها
الله إلى مصر ثم إلى إفريقية فأقاما بالقيروان مدة ثم سارا إلى تلمسان واستراحا
بها أياما، ثم ارتحلا عنها قاصدين طنجة فعبرا فى طريقهما وادى ملوية، ودخلا
بلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى وتجولا فى جبل درن إلى أن وصلا مدينة
طنجة، ثم رحلا عنها إلى مدينة وكيلي، ونزلا على أميرها الأوربى إسحاق بن
محمد بن عبد المجيد، وذلك غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة باتفاق.
قال علامة الآفاق ابن غازى فى رجزه الذى ذكره فى «تكميله»:

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| وعقدت راياته فى القصب | وجاءنا إدريس عام [قعب] |
| إلى وليلى المغرب القصى | إذ قام صنوه على المهدى |
| ويعد ما سم سما النجل الأبي | واختلط فاسنا لعام [قضب] |

وما وقع فى «الدر البهية» من أن ذلك كان سنة سبعين وهم.

وقد كان الأوربي على مذهب الاعتزال، فرغب عنه رغبة في التمدد
بمذهب هذا الإمام العظيم الشأن الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة، فتمذهب
به، قال الحلبي: صرح بذلك جمع من المؤرخين.

ثم جمع إخوانه وقبائل البربر فعرفهم بحسب ونسب هذا البضعة النبوية
الطرية وما حوته من الأوصاف الحميدة وقرباتها من رسول الله، وأشار عليهم
بيعته فأجابوا بالسمع والطاعة، وكان ممن أسرع لبيعته غمارة وزواغة ولواتة
وصدراتة ومكناسة ونفزة وغياثة وفي مقدمتهم قبائل أوربة أهل القوة والشوكة
لذلك العهد، وكافة البرابر المخالفين لبرغواطة، فبايعوه على السمع والطاعة ولم
يتخلف أحد منهم عن بيعته.

وقد اتفقوا على أن بيعته كانت سنة قدومه وهي سنة اثنتين وسبعين ومائة،
واختلفوا في شهر ويوم بيعته منها.

فقبل فاتح ربيع الأول، وعليه جرى ابن أبي زرع في «الأنيس» وابن القاضي
في «الجدوة» كلاهما في ترجمة الحسن ابن قاسم آخر ملوك الأدراسة.

وقيل عند دخول رمضان وعليه اقتصر البكري، والجزنائي، والحلبي.

وقيل رابع عشر منه، وعليه جرى أولا ابن أبي زرع، وابن القاضي.

ثم بعد مبايعة الناس له قام خطيبا فقال: أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى
غيرنا، فإن الذي تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا^(١).

ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر وبايعوه على المنشط
والمكره، فتمكن سلطانه وقوى أمره، ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات وقصد
إليه الناس من كل صوب وصقع.

ثم حشد الجيوش وخرج غازيا إلى بلاد تامسنا، ففتح أولا مدينة شالة ثم
بعد سائر بلاد تامسنا، ثم سار إلى بلاد تادلا، وقد كان أكثر أهلها على دين

(١) الاستقصا ١/ ٢١١.

النصرانية واليهودية والمجوسية، وكان قد بقى منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعه، فلم يزل يستزلهم ويقفو أثرهم حتى اعتنقوا الإسلام بالطوع والكره، وأباد من بقى منهم متعصبا بعد أن فتح مدائنهم ومعاقلهم.

ولما امتد نفوذه بتلك الأصقاع رجع لمدينة ولى فدخلها فى النصف الآخر من جمادى الثانية سنة ثلاث وسبعين ومائة، فأقام بقية الشهر بها، والنصف الأول من رجب.

ثم ظعن برسم غزو تلمسان، ولما وصل إليها أقام بظاهاها حتى أتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوى الخزرى وطلب منه الأمان فأمنه وبايعه هو ومن معه بتلمسان من قبائل زناتة وغيرهم، فدخل المدينة صلحا، وأمن أهلها وبني مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبراً، وكتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وعنا به.

فتم له الأمر ودانت له رقاب أهل المغرب، ونشر الإسلام فيه على يده، ولم يتفق هذا الفتح الباهر الباهض قبله لأحد حتى لعظماء القياصرة ذوى العدة والعدد والقوة والبأس الشديد، ورجع إلى ولى وقد امتدت إمارته ما بين نهر شلف إلى وادى نفيس. وقد وفد هذا الإمام للقطر الإفريقى الوافر العمران المتعدد الشعوب والقبائل واختلاف ألسنتها وأديانها وأهوائها وآرائها وتمنعها وعصبيتها، وهم أكثر من أن يحصوا، قال ابن خلدون: وكلهم بادية وأهل عصابات وعشائر، وكلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة.

والحال أن مولانا إدريس فى هذا الوطن غريب (ناء عن الأهل صفر الكف منفردا) لا زاد ولا مال، ولا استعداد ولا عشيرة، ولا تقدم له معرفة بأحوال البلاد ولا يعلم لهم لسانا، ولا يعرف منهم إنسانا، ودولة بنى العباس فى عنفوان شبابها ذات سطوة قاهرة، وأساطيل متكاثرة وجيوش ذات قوة وبأس شديد، وكلمة نافذة

مسموعة، سوت بين الأحرار والعبيد، ولم تأل جهدا في اقتفاء أثره والرغبة في إلقاء القبض عليه، والبطش به حيثما وجد، وبالغت طاقتها في الإغراء حتى سموه في مسموم مسموم كما هو معلوم، فلم تقدر عليه، حماية وعناية من الله له، وأتاح له سبحانه من النصر والتمكين ما لم يعهد نظيره لأحد في غابر الأزمان، فاستولى على كثير من بقاع المغرب، وبدل لغة أهلها من البربرية إلى العربية ودياناتهم العديدة إلى التوحيد الحق، فأشرقت أنوار الإيمان بأرجاء قلوبهم، وفتح به في أقرب مدة أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلغا، وهدى به الملايين من الخلق وأنقذهم من ظلام الإلحاد والإشراك، إلى ضياء الحق، وآثروه على أنفسهم وأبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشائرتهم.

وقد غزاهم قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فلم يأخذهم رواؤه، ولا نجح فبهم دواؤه، إذ قد عاد وأبعده للثورة والردة حتى قال ابن خلدون نقلا عن ابن أبي زيد: ارتدت البرابر بالمغرب اثنتي عشر مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده.

ويعجبني هنا قول صديقنا العلامة الحافظ الشريف السيد المدني بن الحسنى الرباطى من قصيدة^(١) في عظماء المغرب مما أملى في حفلة مدرسية عام ١٣٤١هـ.

(١) فى هامش المطبوع مطلعها .

| | | |
|---------------------------|-----------------------------|--------------------------|
| بنى قومي أفيقوا من منام | وجدوا فى المعالى باهتمام | فما نيل المعالى بالتوانى |
| ولكن بالعزيمة والنظام | لقد كنا وكان العرب قدما | هداة الخلق من سام وحم |
| أناروا الكون والأقطار طرا | بهدى لاح فجرنا فى ظلام | وكنا حائزى قصبات سبق |
| بميدان المكارم فى الزحام | لقد سادوا وساسوا الملك دهرا | بمصر والعراق مع الشام |
| وأندلس ومغربنا وصين | وسودان وهند باعترام | فسل فاسا وقرطبة ومصر |
| تنيك أو فسل دار السلام | وسل غرناطة الحمرا وشاما | وتونس حيث تونس بالمرام |
| وفاز الغرب . . إلخ . | | |

إذا استبق الجميع إلى السهام
بحد سنانه وظبا الحسام
بفضل من مآثره الجسام
تضوع نشره بعد الرجاء
أساطيل العباد على الدوام
بنشر العدل فينا والسلام
بدا فينا كتاج فوق هام
على أبناء مغربنا العظام
وأعطته البرابر بالزممام
بميزان لهم بعد الحمام
لإرغام العداة على الرغام
ينير لنا دياجير الظلام
ومد عبابه كالبحر طام
كنبراس يضىء لذي اعتصام
فخار لا كفخر بالوسام
متابعة كتلو للإمام
لشيخ أو لكهل أو غلام
بنى التاميز من فرط الغرام
علوم الكون من دون انتقام

وفاز (الغرب) بالقدح المعلى
ف (طارق) قد بدا علما تسامى
قد اعترفت شعوب الأرض طرا
وحاز لسان صدق فى البرايا
ألت تراه يعرض كل حين
و(موسى) قد تسامى فى سماء
وأحيا دارسا (إدريس) لما
له فضل عظيم ليس يحصى
به الإسلام قر فى قراه
وأتباع الهداة على هداهم
وسل سليله (إدريس) سيفا
بنى (فاسا) فكان العلم فيها
فكم حبر وكم بحر تسامى
وإن (الجامع القروى) فينا
به للمغربى على سواه
جميع مدارس الدنيا تبدت
وقد ضربت له آباط إبل
ومن آفاق (أوروبا) خصوصا
وراهب (رومة) قد رام فيه

أقر بذات الجحود وليس يخفى (هلال) (١) الأفق من تحت القتام
 وإن الحق ما شهدت عداه أقر الخصم من بعد الخصام (٢)
 انتهى الغرض .

(١) فى هامش المطبوع: «جاء فى مجلة (الهلال) المصرية منذ ثلث قرن بتاريخ عام ١٣١٥ آخر المجلد الأول (٥٠٨) أن «أقدم مدرسة كلية فى العالم أنشئت ليست فى أوروبا كما كان يظن بل فى إفريقيا فى مدينة (فاس) عاصمة بلاد المغرب سابقا إذ تحققت بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعى (كلية القيروان) وأسست فى الجيل التاسع للميلاد وعليه فهى ليست فقط أقدم كليات العالم بل هى الكلية الوحيدة التى كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية فى تلك الأزمنة حيث لم يكن سكان باريز وأكسفورد وبارو وبولونيا يعرفون من الكليات إلا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد إلى كلية القيروان من أنحاء أوروبا وإنكليز فضلا عن بلاد الغرب الواسعة للانخراط فى سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم. ومن جملة من تلقى علومه فى هذه الكلية من الأوروبيين (غربنا) والبابا (سلفستر) وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن أتقنها جيدا فى الكلية المذكورة كما يظهر من رسالته إلى الإمبراطور أتون مساعده التى أتى فيها على ذكر الصفر بقوله إنى أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة التى يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى عن يساره ثم أبدى أسفه على حالتها الحاضرة ووصفه لما هى عليه الآن. أما قول العلامة الأستاذ فريد وجدى فى كنز العلوم واللغة (٥٣٢) أن «الأزهر هو أقدم مدرسة فى العالم، بعد مدرسة بولونيا بإيطاليا» فهو خلاف الواقع كما ترى من الكلام السابق. وهو مجد سامق (والفضل للمتقدم) فإن القرويين بفاس بنته القائنة الصالحة أم البنين السيد فاطمة بنت محمد الفهرى القيروانى يوم السبت فاتح رمضان سنة (٢٤٥) لما قدمت مع أبيها وإخوتها فى وفد القيروان على مولانا إدريس بنى فاس وأن الأزهر بمصر بناه القائد جوهر يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ فالقرويين أقدم من الأزهر بمائة سنة وأربعة عشر سنة.

(٢) تمامها:

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| و(يوسف) صاحب الحمرا تبدي | بأندلس إلى رعى الذمام |
| أجاز إلى الجزيرة إذ دعته | طوائفها فأحيا كالغمام |
| و(يعقوب) ذو رباط الفتح لها | تمادى المعتدون فى الانتقام = |

= فكان جوابه ما قد رأوه
وقد سالت بطاح الأرض طرا
وصب على الأعادي في البادي
ومد (أبو عنان) عنان عزم
وفي وادي المخازن قد تراءى
و(إسماعيل) كم أبدى وأسدى
فطنجة والعرائش في ثغور
وما علمائنا إلا معين
ففي الحمراء عياض حفيد
كذا القاضي أبو بكر بفاس
وعباس بن فرناس تسامى
وإن الجوهري سما بريش
فكونوا خلفهم خلفا حميدا
وكونوا مثلهم فضلا ومجدا
«فليس تزال طائفة بغرب»
كما جاء الحديث بذا صريحا
فمسلم في الصحيح روى فأضحى
وكونوا في خلافتكم كروض
وقد بعث النبي لنا إماما
وفي شعب الإيمان غناء
وإن حياءنا منها فكونوا
وإن قواعد الإسلام منها
فكونوا حافظين لها دواما
تحلوا من خصال الخير طرا
وإنصاف وحلم ثم صفح
وإغضاء وصبر مع وفاء
محبة كل ذي دين وعلم

من البطش القوى المستدام
بنبال وسياف ورام
سيطا من عذاب كالضرام
إلى العلياء مرفوع المقام
لنا (المنصور) يزار كالهمام
وأهدى من مفاخره الفخام
بدت تفتّر منه بابتسام
معين نافع لكل ظامى
سهيلهم بدور في تمام
ترأى لنا بعيّدا عن ملام
وحلق في الفضاء بلا مسامى
إلى العلياء معتدل القوام
يجدد ما تناثر من نظام
فينجو الكل من موت زؤام
بفضل الله قائمة السنم
عن المختار مولانا التهامى
صحيحا عندنا دون اتهام
تأرج من غرار أو بشام
لتتميم المكارم بالتمام
لمن يغنى بحل عن حرام
كعذراء الخدور من احتشام
كأركان البنا دون انهدام
وإلا فالجميع إلى انعدام
بأخلاق حسان كالوثام
ونصح خالص بذل السلام
وإقلال الشراب مع الطعام
ومعرفة وهجران الطغام

ولا يعزب عن علمك أن مولانا إدريس ممن جاء بعد ابن نصير وأنه وجد قبائله أى المغرب ذات عقائد زائغة، وبدع فاشية، وأن استقرار الإسلام فيهم إلى الحين الحالى إنما هو على يد هذا الفاتح الأعظم، الذى هو أول قادم من آل البيت المطهرين من الرجس تطهيرا لقطرنا المغربى، وذلك فضل عظيم يعظم به مجده، ويطول به باعه، والمرء فى ميزانه اتباعه.

وهو من تابعى التابعين على الصحيح وقيل من التابعين وعليه جرى بعض قدماء العلماء الذين مدحوه حيث قال:

زرهون أشرف ما فى الأرض من بقع إذ فيه قبر عظيم من ذوى الكرم
وذاك قبر الإمام التابعى الذى من آل بيت الرسول سيد الأمم
إدريس أفضل خلق الله فيه إذا وهو الإمام لهم فى الحشر والعلم

وضرب السكة بتدغة عام أربعة وسبعين ومائة نقش فى وسط وجه منها لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وبدأثرته باسم الله ضرب هذا الدرهم بتدغة سنة

لتربية لنا قبل الفطام
وأخلاق قباح من لئام
وبهتان وإكثار كلام
وتطبيع الزمان من المنام
فإن لم تقطع جاء بالفصام
ولا يبقى جديدا كل عام
فقيمته به بين الأنام
ولا ضجر كفعل المستهام
وليس ينال إلا لذى دوام
توافينا على طرف الثمام
وتوفيقا إلى حسن الختام

= وير الوالدين لكم أكيد
ذروا كل القبائح والدنايا
ككبر أو كعجب أو ككذب
وحقد غيبة حسد وهجر
فإن الوقت فينا سيف قطع
دعوا فخرا بما يفنى ويلى
فليس الفخر إلا لذى علوم
فجدوا فى العلوم بلا توان
وليس العلم سهلا دون كد
وإنا نسأل المولى حظوظا
ونسأله السلامة كل حين

١٧٤، ونقش في وجه صورة هلال، ثم محمد رسول الله ﷺ، وتحت ذلك على
ثم مما أمر به إدريس بن عبد الله: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا
انتهى.

رأيت هذه السكة من فضة وزنها أكرمان اثنان وتسع وستون ٢، ٦٩- وعلى
ذكر هذه السكة الإدريسية أذكر كلاما لصاحب «الدوحة المستكة في أحكام دار
السكة» ونص الغرض منه:

الفصل الأول في أول من ضرب الدينار والدرهم قبل الإسلام وبعده وأول
خليفة كتب اسم الله تبارك وتعالى وعين الأماكن لضربها وشدد في تخليصها.
قال القاضي أبو الحسن بن لبال في شرحه «لمقامات الحريري»: إن الناس في أول
الزمان كانوا يتبايعون بالعروض فيما بينهم كالحنطة والشعير والحبوب والفواكه وما
أشبه ذلك، فشكوا إلى ملكهم ما ساءهم من ذلك وما يخافون من إتلاف أموالهم
إن بقوا على هذه الحالة، فأمرهم أن يختاروا ما لا يفسد على مكث الزمان،
فاختاروا حجر الذهب الذي هو أبقى جواهر الأرض، وكلما بقى تحت الأرض
صلح وطاب، وكلما دخل الناز تخلص وحسن، وأمر بضرب الدنانير وطبعها
بطابع الملك، ونهى أن تفسد وأن يكسر طابعها، وأن من فعل ذلك تقطع يده يريد
على سنتهم، وأخبروه أيضا أنهم يحتاجون إلى ما لا يفى ثمنه بقيمة الدينار بأقل
منه أو من أجزائه مما لا بد لهم من مصلحة أنفسهم من شراء الحوائج، فأمرهم
باختيار حجر آخر دون الذهب يكون قيمة الدينار منه عشرة دراهم، فاختاروا
الفضة وضرب منها الدرهم، وطبعه بطابع الملك فكانت قيمة العشرين دينارا مائتي
درهم.

ولم تزل الروم تستعمل الدنانير والفرس تستعمل الدراهم حتى جاء الإسلام
فكان الناس يستعملون ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فضرب الدنانير
والدراهم وكتب على الدنانير: الله أحد، وكانت قبل ذلك لا كتب عليها، وكتب
على الدراهم كذلك.

وكانت الدراهم فى أيام الفرس مختلفة على ثلاثة أوزان، منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطا، ودرهم على وزن عشرة قيراط، فلما جاء الإسلام واحتيج إلى تقدير الزكاة أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهى اثنان وأربعون قيراطا، فاتفقوا على أن يكون الدرهم على وزن أربعة عشر قيراطا من قيراط المثقال، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط من ثلاث حبات، وأربعة وعشرون فى ثلاثة، اثنان وسبعون فهو من اثنين وسبعين حبة.

ومن البرى لوتيمة بسنده عن ابن عباس، قال: إن أول سكة وضعت فى الأرض الدنانير والدراهم وضعها ثمود بن كنعان، وكان الناس يتبايعون قبل ذلك بالثبر من الذهب والفضة، فلما ضربت الدراهم والدنانير نخر إبليس نخرة وقبض عليها فى يده وقبلها، وقال: استمسكت من بنى آدم، بكما يقطعون الأرحام ويسفكون الدماء ويظلم بعضهم بعضا.

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم نظر إلى أغلب ما يتعامل الناس فيه من أعلاها وأدناها، فجعل منها اثنى عشر دانقا، وأخذ نصفها فكانت ستة دوانق، فمتى زدت على الدرهم ثلاثة أسباعه كان مثقالا، ومتى نقصت من المثقال ثلاثة أسباعه كان درهماً.

وكان الفرس عند فساد أمورهم قد فسدت نقودهم، والنقد هو الخالص من الذهب والفضة، فاتسع فيه حين جعل المعجل من كل مدفوع نقداً من كل شىء فميز المغشوش من الخالص.

وقد اختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقيل: عبد الملك بن مروان وكانت حيثذ الدنانير من ضرب الروم، والدراهم من ضرب الفرس كسرى وحمير، وكانت قليلة فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بضربها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل خمس وسبعين، وكتب عليها: الله أحد الله الصمد.

ثم ولى ابن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت، وشدد فى تجويدها، ثم ضربها بعده يوسف بن عمر فأفرط فى تجويدها فكانت الهيرية والخالدية واليوسفية أجود دراهم بنى أمية، وكان المنصور لا يأخذ فى الخراج غيرها.

وقيل: إن أول من ضربها مصعب بن الزبير عن أمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكَاسرة، وعليها بركة من جانب والله من جانب، ثم غيرها الحَجَّاج وكتب عليها بسم الله فى وجهه، وفى وجه الحَجَّاج. انتهى.

وقال: أول من ضرب السكة المركنة أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة، فأمر المهدي وعهد إلى خليفته عبد المؤمن أن تكون دراهمه مركنة فكانت كذلك إلى أن قال: وكان بمدينتي فاس القرويين والأندلسيين دار سكة فنقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور الموحدى إلى دار أعدها بقصبتها حين بناها سنة ستمائة، وأعد بها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها وغالبا ما كان يسبك به الذهب.

تنبيه: ما قدمته من أن مولانا إدريس هو أول آل البيت دخولا للمغرب به صرح غير واحد وأطلق، ولا إشكال فى كونه كذلك بالنسبة للمغرب الأقصى، وأما غيره فقد وقع فى «حجة المنذرين» أنه سبقه إلى دخول المغرب الأدنى أخوه سليمان هـ.

أقول: ويرده قول ابن خلدون: وأما سليمان أخو إدريس الأكبر فإنه فر إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس. انتهى.

وقال قبل هذا ولحق به - يعنى الإمام إدريس الأكبر - من إخوته سليمان، ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها، ونذكر خبره فيما بعد. انتهى.

يشير إلى ما قدمنا بعضه عنه أنفا ونحوه لابن أبي زرع، وهو صريح في أن دخول مولاى سليمان للمغرب متأخر عن دخول شقيقه المترجم، لكن ينافى ذلك ما أسلفناه عن ابن جرير والمسعودى وغيرهما من كون المولى سليمان كان من جملة قتلى فَخّ، ومثله نقله الحلبي عن سبط ابن الجوزى، ويوافقه ما نقله الحلبي أيضا عن ابن حزم ومصعب، من أن الذى أتى تلمسان هو ابن سليمان محمد لا أبوه سليمان، وكذا ما نقله عن «بحر الأنساب» من أن محمد بن سليمان هو الذى خرج مع عمه المترجم إلى تلمسان. فدخول سليمان إلى المغرب مختلف فيه، قال الحلبي: والصحيح دخوله إياه لاتفاق مؤرخى المغرب عليه كالتنسى، وابن خلدون، وابن أبي زرع، وصاحب المسالك، ونقل عن النوفلى ذلك أيضا وهو محقق فى التاريخ. انتهى.

قلت: أما ابن خلدون وابن أبي زرع فكلاهما صريح فى أن دخول سليمان للمغرب متأخر عن دخول أخيه الإمام إدريس، فلا شاهد فيه لمن ادعى الأولية لسليمان وإن كان شاهداً لأصل الدخول، وأما كلام المسالك فقد وقفنا عليه فى أصله فوجدناه صريحا فيما قصده الحلبي من أصل الدخول محتملا للتأخر والتقدم، وهو فى الأول أظهر واعتماده فى ذلك على كلام النوفلى لنقله له واقتضاره عليه فى ترجمة مدينة فاس، ومن جملة ما اقتصر عليه فى هذه الترجمة أن سليمان نزل مدينة تلمسان مع أنه فيما قدمه فى ترجمة تلمسان اقتصر على قوله: نزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن. انتهى. فاقصر على أن النازل بها هو ولده محمد وبه يسقط احتجاج «الدر النفيس» بما فى المسالك.

وفى «العرف العاطر» لأبى محمد عبد السلام القادري جد صاحب «النشر» ما نصه: بويج له - أى لسليمان - بتلمسان فيما قيل، ثم قال: وقال مصعب: إن سليمان المذكور قتل بفخّ، قال: وكان ولده محمد خرج إلى المغرب، ومصعب أعرف بهذا الشأن من غيره إذ كان معاصراً له ومن أهل أرضه وبلاده ونحوه لابن حزم والأزورقانى. انتهى.

ويطرته بخط صاحب النشر ما صورته ما حكاه بقيل من أن سليمان بن عبد الله دخل المغرب ونزل بتلمسان هو الذى عند التنسى فى نظم الدر والعقيان، وابن خلدون فى كتاب العبر، وابن أبى زرع فى الأنيس وأبى عبيد البكرى فى المسالك.

قلت: التنسى تابع لابن خلدون، فإن كل ما فى كتابه مأخوذ منه إلا أنه لا يسميه، وابن خلدون تابع لصاحب الأنيس فكثيراً ما ينقل عنه ويصرح به ويعتمده، وصاحب الأنيس تابع لصاحب المسالك فكثيراً أيضاً ما يعتمده وينقل عنه، وصاحب المسالك نقله عن النوفلى عن عيسى بن حيون قاضى أرقشوق ولم نعر على من قال إن هذا كان من الحفاظ فالصحيح المعتمد أن الداخل للمغرب هو محمد بن سليمان كما قاله الحفاظ الثلاثة النسابون: مصعب الزبيرى، وابن حزم، والأزورقانى. انتهى، من خط عم والدنا. انتهى، ما وجدته بخط صاحب النشر طرة المحل المذكور من كتابه المذكور.

وقد رام فى «حجة المنذرين» الجمع بين الخلاف فى هذا المقام فقال: إن دخول مولاى سليمان المغرب كان صدر القرن الثانى فراراً من أبى جعفر المنصور، ثم استخلف ولده فى عين الحوت ورجع للحجاز لأخذ الثأر زمن الهادى العباسى فاستشهد فى وقعة فخ، ومن قال: إن مولانا إدريس أول داخل للمغرب يعنى المغرب الداخلى الأوسط فلا ينافى تقدم دخول عمه إلى المغرب الأدنى. انتهى. وعليه ملاحظات:

الأولى: أن هذا الجمع لا يتأتى على قول ابن خلدون ومن وافقه إن دخوله للمغرب متأخر عن دخول شقيقه الإمام إدريس، ولا على قول مصعب وابن حزم، وابن جرير، والمسعودى ومن وافقهم أنه لم يدخله أصلاً.
الثانية: أن قوله تقدم دخول عمه سهو وصوابه أخيه.

الثالثة: أن جعله تلمسان وما حوله من المغرب الأدنى خطأ بل ذلك عندهم من المغرب الأوسط، بل تلمسان هي قاعدته كما في «جنى زهر الآس» و«الدر النفيس» وأصله لابن خلدون وغيره، وقد قدمنا ما بين ابن خلدون وغيره من الخلاف في تفسير المغارب.

وفاته: اختلفوا في سنة وفاته، ف قيل: سنة خمس وسبعين ومائة، وعليه جرى النوفلى، وابن خلدون، والبكرى، والتنسى، والجزنائى، وابن قنفذ وهو المرقوم فى المشهد الإدريسى، وقيل: سنة ست وسبعين ومائة وبه صدر فى «الجدوة» ولم نره لغيره، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة وعليه اقتصر ابن أبى زرع والحلبى وغيرهما.

واختلفوا أيضا فى شهر ويوم وفاته فقيل: فاتح ربيع الأول وعليه اقتصر فى «الدر النفيس» ولم نره لغيره، وقيل: منسلخه وعليه اقتصر فى «الجدوة» وقيل مفتتح ربيع الثانى وعليه اقتصر ابن أبى زرع ونحوه للكلبى فى «الأنور» وقيل منسلخه وعليه اقتصر البكرى والجزنائى.

وعلى ذلك انبنى قدر مدة الخلافة لهذا الإمام فعلى أن البيعة فى سابع ربيع الأول والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى من عام سبعة وسبعين، وهذا أقصى الأقاويل المتقدمة تكون مدة الخلافة خمس سنين وأربعا وخمسين يوما.

وعلى أن البيعة فى أول رمضان، والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة رابع عشر رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أو ستة عشر يوما، فالأول على كمال شهر البيعة، والثانى على نقصانه.

وعلى أن البيعة سابع ربيع الأول والوفاء منسلخ ربيع الثاني سنة خمس وسبعين تكون المدة ثلاث سنين وشهرين اثنين عدا ستة أيام.

وعلى أن الوفاة فى متم ربيع الأول من سنة خمس وسبعين والبيعة سابع ربيع الأول، تكون المدة ثلاث سنين عدا خمسة أو ستة أيام.

وعلى أن البيعة فاتح رمضان والوفاء منسلخ ربيع الثاني عام خمسة وسبعين، تكون المدة ستين اثنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاء فاتح ربيع الثاني سنة خمس وسبعين، تكون المدة ستين اثنين وسبعة أشهر ويوما واحداً، وإن كانت البيعة فاتح رمضان والوفاء منسلخ ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة ستين اثنين وسبعة أشهر لا غير.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاء فاتح ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة ستين اثنين وستة أشهر ويوما واحداً.

وعلى أن البيعة فى رابع عشر رمضان والوفاء فى منسلخ ربيع الثاني سنة خمس وسبعين، تكون المدة ستين وسبعة أشهر، وستة أو سبعة عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الثاني والموضوع بحاله كانت المدة ستين اثنين وستة أشهر وسبعة أو ثمانية عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فى منسلخ ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة ستين اثنين وستة أشهر وستة أو سبعة عشر يوماً.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة ستين اثنين وخمسة أشهر وثمانية أو سبعة عشر يوماً.

فهذه تفاصيل المدة التى انبتت على الخلاف فى تاريخى البيعة والوفاء وقد علمت أن أقصاها خمس سنين وأربعة وخمسون يوماً، ومنه يعلم أن ما وقع فى «الجدوة» و«الدر النفيس» من أن المدة خمس سنين وسبعة أشهر، إنما هو غلط

محض مخالف للأقوال كلها، وقد نبه على غلطهما في «سلوة الأنفاس» وإن لم يستوعب ما فصلناه.

٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور والأزهر والتاج والمثنى.

باني فاس ودفينها رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: كان إماما راوية عارفا بأحكام السنة والكتاب، واقفا عند حدهما مؤتمرا بأوامرها، منزجرا بزواجها، قائما بحدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم، غضبه في الله ولله ورضاه كذلك، أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر، ورعا جوادا كريما شهما صنيديدا، سياسيا ماهرا مقتدرا، فصيحاً بليغاً، ناظماً ناثراً ذا عقل راجح وحلم واسع، وإقدام فى مهمات الأمور وحزم وصرامة، يياشر الحروب بنفسه، ويلى البلاء الحسن، مع ثبات جنان ورسوخ قدم، وطلاقة وجه وبشر وارتياح عند لقاء العدو وفى ميادين القتال وخصوصا إذا حمى الوطيس.

بويغ له وهو ابن إحدى عشرة سنة، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومائة، وقيل سابع ربيع الأول. قيل الذى أخذ له البيعة هو راشد مولى والده وكافله ومربيه، وقيل: مات راشد قبل أخذ البيعة له، والذى أخذ له البيعة هو أبو خالد يزيد بن إياس العبدى.

ولما بويغ له صعد المنبر وخطب الناس، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف للمحسنين فيه الأجر وللمسئء الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا،

٨٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٦٠.

فإن ما تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا، ثم دعا الناس إلى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته، فتعجب الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه، ثم نزل فسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب، من زناتة وأوروبة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وتوطد له الملك وقويت جنوده وعظم سلطانه وأشياعه، وصارت الوفود تنسل إليه من كل حذب، وقصد الناس إليه من كل مكان من بلاد إفريقية والأندلس، فسر بذلك سرورا زائداً وأكرم وفادتهم واصطفاهم وقربهم إليه، وركن إليهم.

فمن الوافدين عليه: عمير بن مصعب، وعامر بن محمد بن سعيد القيسي الفقيه الورع وأبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي، وداود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب استوزر الأول واستقضى الثاني واستكتب الثالث وقرب الرابع من دسته وخالطه بنفسه واصطفاه لأنسه.

ثم لما تبحر استعمار الوافدين عليه من المشارق والمغرب وضاعت بهم مدينة ولىلى اشترى مواضع أرض فاس من ملاكها بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك، وشرع فى بناء المدينة يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومائة، قيل: كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب. أسس أولا عدوة الأندلس وسورها، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين، ولما فرغ من بناء المدينة انتقل إليها واستوطنها واتخذها دار ملكه ومقر كرسى إمارته.

وفى سنة سبع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد ومحو آثار دعوة الخوارج من الصفرية ومذهب الواصلية الذى كان سائداً ومنتشرا، فوصل إلى سوس واحتل مدينة نفيس ودخل فى حزبه قبائل المصامدة وحارب قبائل برغواطة أهل تامسنا، ثم عقد معهم الصلح ورجع لفاس.

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد الشرقية فدخل تلمسان،
وخضع لإمامته ملوك بني خزرج من مغراوة واعترفوا بإمامته، وأقام بتلمسان ثلاثة
أعوام فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيها منبراً، ثم رجع إلى
مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفى.

مشيخته: أخذ عن مولاة راشد، وعامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه
الصالح الورع، سمع من مالك، وسفيان الثوري، وروى عنهما كثيراً أخذ عنه
موطأ مالك وأخذ عن غيرهما.

شعره: من ذلك قوله رضى الله عنه فيما رواه عنه أبو هاشم داود بن قاسم
الجعفرى:

لو مد صبرى بصبر الناس كلهم
بأن الأحبة فاستبدلت بعدهم
كأننى حين يجرى الهم ذكرهم
تاوى همومى إذا حركت ذكرهم
لكل فى روعتى أو ضل فى جزعى
هماً مقيماً وشملاً غير مجتمع
على ضميرى مجبول على الفزع
إلى جوانح جسم دائم الهلع
وقوله:

أبهلول^(١) قد شممت نفسك خطة
أضلك إبراهيم من بعد داره
كأنك لم تسمع بكيد ابن أغلب
ومن دون ما متك نفسك خالياً
تبدلت منها عولة^(٢) برشاد
فأصبحت منقاداً بغير قياد
غداً آخذاً بالسيف كل بلاد
ومناك إبراهيم شوك قتاد

(١) فى هامش المطبوع: «بهلول هذا هو داعية الخوارج وعالمهم كان ممن بايع مولاى إدريس
والد المترجم».

(٢) فى هامش المطبوع: «أى جوراً وميلاً عن الحق».

ولادته: ولد بمدينة ويليى يوم الاثنين ثالث رجب الفرد سنة سبع وسبعين -
بتقديم الموعدة على العين فيهما - ومائة وقيل سنة خمس وسبعين والخلاف فى
ولادته مبنى على الخلاف السابق فى وفاة أبيه إذ لا خلاف أن أباه تركه حملا وأن
مدة حملة لم تتجاوز القدر المعتاد.

وفاته: توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وقيل
توفى ليلة اثنى عشر من جمادى الأخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وسنه ثمان
وثلاثون سنة وسبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ودفن حيث
قبره الآن من الحضرة الفاسية.

٨٩ - إدريس بن السلطان العادل المولى سليمان بن السلطان سيدى محمد
ابن السلطان المولى عبد الله بن فخر ملوك سلاطين المغرب المولى
إسماعيل.

حاله: فقيه علامة عامل مطلع له فى الحديث القدم الراسخ، وفيه وفى غيره
من سائر الفنون اليد الطولى، ناسك ذاكر، ذو هيبة ووقار، وجلالة فى أعين
الخواص والعوام، ذو أخلاق جميلة، وأفعال حميدة، وسجايا كريمة، واسطة عقد
الصدور كثير التلاوة والأذكار. وكان يدرس العلوم بداره ومن عادته أنه يحضر
أوانى الأتاي^(١) وقت درسه وإذا رأى من الطلبة مللا أو سوء فهم أمر خادمه
بمناولتهم كتوس الأتاي حتى تتشحد أذهانهم ويتنقى مللهم، ثم يعود للدرس وكان
يطيل دروسه.

مشيخته: أخذ عن والده «الورد الناصرى» و«دلائل الخيرات» بما معه من
الأحزاب، وهو أخذ عن والده السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمكناسة الزيتون
عام ستة وتسعين ومائة وألف، وناوله إياه بالمسجد الأزهر المعروف اليوم بجامع
(١) فى تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٧/ ٢٤٤٣ ترجمة: محمد بن عبد الله العلوى ت سنة
١٢٠٤هـ: «وفى أيامه أظهر الله بالمغرب عُسْبَةَ الأتاي المشروب بسائر أقطاره، وهو من
خصائص صاحب الترجمة وأثره...».

الأروى كما رواه عن غيره، وأخذ عن شيوخ العلم الذين كانوا بالحضرة المكناسية في الدولة السليمانية لا تحضرني الآن أسماؤهم.

الآخذون عنه: منهم الفقيه العدل السيد أحمد المدعو قرورو بن إدريس أجانا المترجم بعد صاحب الترجمة، والحاج محمد زغبوش، رحم الله الجميع بفضله.

وفاته: حدثني بعض العدول المبرزين العلماء الموثوق بأمانتهم أنه حدثه الولي الصلح، سيدى العربى بن السائح، بأنه كانت بينه وبين المترجم وصلة وصالح أخوة ومحبة زائدة، حتى إنه كان لا يمر عليهما يوم لا يجتمعان فيه ولو بباب دار المترجم يتذكرون في المسائل العلمية والمعارف الذوقية، وأنه كان ظهر يوم خميس جالسا مع صاحب الترجمة بباب داره يتحدثان فيما حل بأهل مكناس من كثرة الموت ويأسفان على كثرة من أصيب بذلك الحادث الجلل، وإذا بالمترجم التفت إليه وقال: لعلى يا سيدى العربى من زمام من يصاب بهذا الواقع، غير أننى أسأل الله أن أكون سبب الفرج عن أهل البلد واللفظ بهم، قال: ثم بقينا بعد ذلك نتحدث حتى حان وقت العصر فودعته وذهبت لدارى.

ومن غده بلغنى بعد صلاة الجمعة نعيه فرعبت وفزعت لداره لأتيقن الخبر فوجدت أهله فى تجهيز جنازته، ولما سألت عن كيفية الواقع أخبرت أنه بعد فراقنا دخل لداره وتوضأ وصلى العصر ثم توجه بصحبة ولده المولى سرور لزيارة الشيخ محمد بن عيسى الفهدى، وبعد الزيارة طلب من مقدم الضريح إحضار أعيان أولاد الشيخ إليه، فلما حضروا واجتمعوا جميعا بداخل قبة الضريح طلب منهم موضعا لإقباره داخل الضريح فأجابوه بعد تردد جميعا لذلك، ولما تم الأمر بينهم وجه ولده المذكور للإتيان له بالثمن الذى وقع التراضى عليه فأتاه به وسلمه لهم، وعين المحل الذى اختاره لنفسه قرب الدريوز على يمين الداخلى لقبة الضريح المذكور، ثم رجع لداره قرب المغرب وبعد صلاة العشاء الأخيرة نزل به ذلك

الحادث، ولم يزل الأمر يشتد إلى أن ختمت أنفاسه عند أذان المؤذن الأول زوال يوم الجمعة أوائل شعبان عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

قال سيدى العربى رضى الله عنه: فازددنا يقينا بأنه ممن له عند الله منزلة كاملة، وأنه كوشف بما يحل به وقد حقق الله رجاءه فى اللطف بعباده، فكان رحمه الله خاتمة المصابين بذلك الحادث.

٩٠ - إدريس بن العلامة السيد التهامى أجانا.

حاله: فقيه علامة خاشع متواضع زاهد ناسك ورع، كان يدرس فى المسجد والقضيب بيده، ولا يدرس التوحيد إلا فى محل خاص مستترا عن العوام، وتخرج على يديه طلبة كثيرون، وكان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعالى، ورحل إلى الحج راجلا على ما أخبرنى به من وثقت بخبره من أهل العدل، ودخل مصر وقرأ بها.

وكان يذهب كل يوم أربعاء وخميس لسجن بلاده المكناسية ومرستانها يخدم المساجين والمعتمدين ويقضى حوائجهم بنفسه، ويقول: لى فى ذلك فائدتان: وعظ نفسى، وتعريفها بنعم الله عليها ومعافاتها مما ابتلى به كثير من الخلق من السجن والقيود والأغلال وغير ذلك كى تنزجر وترتدع وتقبل بكليتها على شكر المنعم وحمده.

جعل كفته بصدر بيته يشاهده ويعتبر ويتذكر به كلما دخل وخرج.

وله أحوال كثيرة من هذا النوع، وكان يخييط أكفان الموتى ويباشر غسلهم ويحترف بتفسير الكتب وإصلاح المتور منها ويبيعها ويتعيش بثمرها.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه الوزير الفقيه السيد موسى بن أحمد، وأخوه السيد عبد الله عامل فاس وزرّهون، والسيد عبد السلام بن محمد بن الحاج

التهامى بن عبود، والسيد أحمد بن عمر الصوفى المتقدم الذكر، والفقير العدل السيد محمد بن سميه فرموج، والفقير السيد أحمد بصرى المترجم قبل ومن فى طبقتهم.

شعره: من ذلك قوله ومن خطه نقلت: جمع كاتبه سامحه الله بمنه كتب صحيح البخارى على ترتيبهم بصورة المخاطبة لغيره وأمره بما تضمنته معانيها فى هذه الأبيات وهى:

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| إذا رمت يا ذا الفضل عزا وأن ترى | أخا شرف فى الناس للحق مبصرا |
| تحل بإيمان وعلم تسد به | وكن بوضوء واغتسال مطهرا |
| ولا تقرب الخيض الخسيس فإنه | أذى وتيمم للصلاة مبادرا |
| لدى وقت أد جمعة ثم عجلن | وصل صلاة العيد والوتر أخرا |
| ومد للاستسقا يدي متذلل | وكن فى كسوف للركوع مكررا |
| وإياك أن تلغى سجود تلاوة | وفى السفر المرضى صلاتك قصرا |
| وعند هجوع الناس كن متهجدا | وعجل سجود السهو إن صرت ذاكرا |
| ومهما مررت بالجناز فاعتبر | وأد زكاة المال والفطر صابرا |
| وإن كنت مسطاعا فبادر بحجة | ورد عمرة واحلل إذا كنت محصرا |
| ولا تؤذين صيدا إذا كنت محرما | وأد جزاء إن فعلت لتطهرا |
| وكن عارفا فضل المدينة واجتهد | بصوم فإن الصوم للنفس قاهرا |
| وفى شهره قم للتراويح واطلبن | بآخر ذاك ليلة القدر ساهرا |
| ولا تك فيه لاعتكافك تاركا | وإياك عند البيع تفعل محظرا |
| وإن كنت مسلما وإن كنت شافعا | لشخص فكن بالحق للحق ناصرا |

وكن للأجير فى الإجارة مرضيا
 وإياك والتوكيل فى الحرث واشربن
 ودع عنك يا ذا الفضل كل خصومة
 ولا تقربن نحو المظالم والزمن
 وإن حزت رهنا كنت فيه مخصصا
 وفى هبة اشهد وصالح بشرطه
 وجاهد عدو الله حق جهاده
 وكن بجميع الأنبياء مصدقا
 هم حضروا معه المغازى وقد شروا
 وواظب على التفسير للذكر واعرفن
 ونفسك هذب بالنكاح وجانبن
 وأطعم صديقا من عقيقتك التى
 ومن طيب الأموال قرب ضحية
 ومهما مرضت فانبد الطب لابسا
 وذا البيت فاستأذن ولا تك ملغيا
 وبالقدر المقدور ويحك صدقن
 وكفر يمينا إن حثت وصححن
 وإذ ما حدود قد أقيمت فسلمن
 وعن سبب الديات نفسك باعدن
 ولا تلزمه بالحوالة مجبرا
 زلالا والاستقراض عجله للورى
 ملازمة والقط إذا كن مشهرا
 لدى شركة حكما لها قد تقررا
 وعجل بعق للرقاب محررا
 وأوص بخير المال إن صرت محضرا
 وفى بدء هذا الخلق كن متفكرا
 وصحب رسول الله فضل على الورى
 نفوسهم لله حقا بلا امترا
 فضائله إن كنت للرشد مبصرا
 طلاقا وللإنفاق للأهل كثرا
 ذبحت وكن للصيد بالحل عاقرا
 ولا تشربن يوما نبذا مغيرا
 حلى أدب واضرع لمولاك صابرا
 دعاء وخوف بالزمان وذكررا
 ولا تك للأيمان والنذر مكثرا
 فرائض وأقسمها بعلم وحررا
 ولا تك يوما للمحارب ناصرا
 وذا ردة إن تاب بالفوز بشرا

ولا تکرهن شخصا على فعل زلة
وعن فتن کن قاعدا متقاعدا
ولا تکثرن قول التمنى وصدقن
ومعتصما کن بالکتاب وسنة
وکثر على خیر الأنام محمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وآله طرا والصحابة کلهم
قلت: قد أبدع رحمه الله فى الصنيع، وبرهن على أنه لا معرفة له بعلم
القافية والکمال لله .

وفاته: توفى أوائل دولة سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن هشام على ما
أخبرنى به بعضهم، وقد كان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف حيا يرزق،
وضريحه بروضة سبعين حية بين ضريحى المولى عبد الله بن حمد والسيد أحمد
الحرثى، برد الله ثراه بمنه .

٩١ - إدريس بن الطيب بن محمد بن حم بن إدريس بن أحمد بن عبد
الواحد - يدعى وحوود - بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن على
منون الشريف الحسنى .

شيخ الجماعة بالحضرة المكناسية .

حاله: علامة مشارک متفنن نقاد، مقررئ أستاذ مجود، له اليد الطولى
والمهارة الكاملة فى علم الأوقاف وسر الحرف، كان يؤدب الصبيان على عهد
والده، ثم تصدر للشهادة بسماط عدول العاصمة، وقفت على عقد إشهاد له بخط
يده بتاريخ سابع عشرى ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائتين وألف .

ثم انتخب للإمامة بمسجد القصبة الإمامية المعروف اليوم بجامع القصبة فكان الإمام الراتب به، ثم أخرج عنها، وولى مكانه سيدنا الجد المولى على بن محمد بن عبد الملك بن زيدان، وسبب ذلك أن السلطان العادل مولانا سليمان جاء يوماً للمسجد المذكور بقصد أداء فرضه جماعة فيه، فاتفق أن الإمام الراتب تخلف لعذر وكان الجد المذكور من الملازمين المواطنين على الجماعة، فأمر مولانا سليمان بإقامة الصلاة على الجد وأمره بالتقدم فامتلأ وأم، ومن ذلك الوقت صيره الإمام الراتب به، ثم لما علم المترجم بالواقع أبدى أعذاراً مقبولة أباحت له التخلف، فعين إماماً راتباً بالضريح الإسماعيلي، رحم الله الجميع بمنه.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن العباس آتى الترجمة في المحمدين في جماعة، ولم أقف على وفاته.

٩٢ - إدريس بن الطيب بن اليماني بن أحمد بو عشرين.

حاله: من بيت علم وديانة وفضل وصيانة، قال في «خمائل الورد والنسرين»: إن بني العشرين من الخلف الصالح الأنصاري الذين ظهرُوا بأرض المغرب وشاع فضلهم وظهرت آثارهم من الخير والصلاح وشعائر الدين ونشر العلوم الشرعية، قال: والذي تحقق عندنا في أول استقرارهم بالديار المغربية أن انتقلهم لهذه العدو كان من عدوة الأندلس، وأن أولهم الذي خرج من الأندلس هو أبو الحجاج يوسف البياسي، وكان من سادات زمانه علماً وديناً وضخامة قدر وجمالة جاء، قال: والذي روينا عن بعض الأثبات الثقات المعمرين الأخباريين من أهل مكناسة وذكرته للشيخ العلامة الكاتب سيدي اليماني رحمه الله في حكاية ذكرتها في «الجيش العرمم» فلما عرضت عليه ذلك الذي نذكره الآن أقره وصدق الذي حكاه لي، والذي حدث به ذلك المحدث المذكور، هو أن انتقلهم كان من تونس إلى تلمسان، ثم إلى فاس، ثم إلى سلا، ثم إلى جبال الزيب، ثم إلى مكناس، فلما ذكرت ذلك للفقير المرحوم سيدي اليماني، قال: ذلك صحيح، إلا

أن الذى أعرفه أن الانتقال من تونس إنما كان إلى فاس لا إلى تلمسان ثم إلى فاس. انتهى. وقد زيف ما يخالف هذا مما قاله صاحب وفيات الأعيان فى ترجمة البياسى.

وكان المترجم فقيها أديبا كاتباً مجيداً وجيهاً استوزره السلطان سيدى محمد ابن عبد الرحمن بعد وفاة والده السيد الطيب صبيحة يوم السبت تاسع عشر شعبان عام ست وثمانين ومائتين وألف وذلك بالحضرة المراكشية، فقام بأعباء الوزارة أتم قيام مع الجدد والحزم والنصح فى الأعمال والإخلاص لجانب الأمير والمأمور.

وقد كان رحل إلى الحج قيد حياة والده، وذلك عام تسع - بتقديم التاء على السين وسبعين بتقديم السين على الموحدة - ومائتين وألف فأدى فريضة الحج وزار قبر خير الأنام، وتاقت نفسه للجوار فاشترى داره الشهيرة بالمدينة المنورة، ثم آب للديار المغربية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج فاتح عام أربعة وتسعين بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فاتح عام سبعة وتسعين، وفيه رحل لطيبة الطيبة بقصد الجوار فطاب له بها المثوى والقرار.

وفى فاتح اثنين وثلاثمائة وألف دخل مصر والآستانة العظمى لمعالجة ألمِّ ألمِّ به فلقى من السلطان عبد الحميد ورجال دولته تكريمة وإجلالاً، ثم عاد إلى المدينة.

ثم فى فاتح سنة ثلاث وثلاثمائة وألف رجع إلى الديار المغربية لصلة رحم قرابته وقضاء بعض مهماته، فوجد السلطان بالثغر الرباطى فأجله واعتنى بشأنه ورافق جنابه العلى إلى الحضرة المكناسية، فراوده وألح عليه فى المقام على وظيفه فاعتذر واستعفى وأبى إلا العود لجوار المصطفى، فساعده الإسعاد بالمساعدة وعاد لمدينة خير رسول معرضاً عن كل ما يشبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

شعره: من ذلك قوله مؤرخًا تمام بناء روضة الأنيق بالمدينة المنورة

بالله والجار طه حل الهنا والتداني
والفوز دنيا وأخرى بنجل ابن اليماني
إذ تم الله قصدا له بأسنى مكان
تاريخه فى حروف (أبشربه بأمان)

ولادته: ولد بمكناس فاتح عام ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين
وألف كما أفادنى بذلك ولده الفقيه الحبي الأديب السيد الحاج محمد خليفة عامل
فاس فى العصر الحاضر.

وفاته: توفى بالمدينة يوم الأربعاء خامس رجب سنة خمس وثلاثمائة وألف
وصلى عليه بعد فريضة الظهر من يومه بالروضة الشريفة ودفن ببيقاع الغرقد بين
مشهد سيدنا إبراهيم بن خير العالمين ومشهد إمامنا مالك رضى الله عن الجميع.

٩٣ - إدريس بن أحمد بن التهامى مسامح.

حاله: كان فقيها أستاذا مقرئا علامة متقنا له مشاركة حسنة فى الفقه
والأصول والحديث والنحو والبيان والمنطق والقراءات وكان يؤدب الصبيان إلى أن
اصطفاه وزير وقته السيد محمد بن العربى الجامعى لتأديب أولاده، فصار يظعن
بظعنه ويقيم بإقامته فى التنقلات السلطانية كلها إلى أن اخترمته المنية بالحضرة
الفاسية.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح السيد المختار الأجرأوى وهو عمدته وعن
المفضلين السوسى، وابن عزوز، وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

٩٤- إدريس بن أحمد الخطابي الزرهوني.

حاله: كان فقيها عدلا رضا، تولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية عن قاضى مكناسة ونواحيها السيد أحمد بن سودة المرى، إلى أن ألقى لعجزه وكبر سنه، وأقيم مقامه ولده المترجم أنفا، وقفت على رسم بخطابه مؤرخ بسبع وتسعين ومائتين وألف.

وفاته: توفى ليلة الخميس مهل قعدة الحرام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور بمقبرة خير من الزاوية.

٩٥- إدريس بن أحمد بن محمد البخارى المدعو البرنوصى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه حيسوبى، جليل القدر نبه، له مهارة كبيرة فى الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس.

تولى الأمانة على دفع مؤن الجيوش السلطانية إلى أن مات عنها وحضر مع السلطان المولى الحسن فى وقعة فاس الشهيرة الآتية الشرح والتوضيح بعد بحول الله، وهو الذى تولى رمى منار مدرسة الطالعة من فاس، ثم لما مرض بفاس واشتد به المرض طلب التوجه لأهله وذويه بمكناس، فأذن له فاخرمته المنية قبل وصوله.

وفاته: توفى يوم الأربعاء ثامن عشرى محرم الحرام فاتح عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف بأرض سايس، ودفن من الغد بضريح الولى الكامل سيدى محمد ابن عيسى المعروف بالشيخ الكامل يمين الداخل للضريح من باب المعراض.

٩٦- إدريس بن المكى البخارى.

حاله: كان متوليا رياسة الجيوش المخزنية، وقورا مهابا مهما، حل بالبساط

الملوكى، يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش ولم يكن ذلك لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر، وكان جوادا كريما شجاعا مقداما فصيح اللسان، قوى الجنان، ثبتا فى سائر شئونه، عارفا بالسياسة ونواميس المخزن وضوابطه، له مهارة كاملة فى الحساب والأوقاف واستخدام الجبان، يتقن رواية ورش وقالون والبصرى إتقاننا جيدا، خيرا ديننا، ذا حزم وعزم، لا تكاد تجده فى وقت من الأوقات على غير طهارة مهما حدث إلا وأسرع للوضوء حضرا وسفرا، تقى نقى، ذاكر ناسك.

أخبر عنه بعض خواصه أنه كان يصبح تحت وسادته كل يوم مائة مثقال فيدفعها للقيم بصائر داره فيصرفها بتمامها ولا يدع منها شيئا، وأنه كان يغلق عليه بيته فى بعض الأحيان ويأمر أهله بالتنجى عنه وعدم الوصول إليه إلا بعد إذنه لهم بالدخول عليه، فيسمعون كلام الغير معه، فإذا قضى أربه صفق إذ كان ذلك علامة على الإذن لهم فى الدخول عليه، فإذا دخلوا عليه وجدوه وحده مستقبلا القبلة وسبحته بيده وقد تواتر هذا وأمثاله عنه.

وكان لا يهاب لا رئيسا ولا مرءوسا، ومن عادته التى لا تتخلف إذا أمره السلطان بالدخول عليه أدخل يده تحت ثيابه وحل السراويل فإذا قام أوهم الرائين أن السراويل حل واشتغل بشده هنية قليلة، ثم يدخل على السلطان فلا يواجهه بما يكره ولو وشى له به، وربما صرح السلطان بأنه مهما رام مشافهته بسوء خرس لسانه بمجرد وقوع بصره عليه.

وفاته: توفى بمكناسة عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف ودفن بالزاوية الناصرية.

٩٧- إدريس بن الحاج حفيد برادة الفاسى.

حاله: كان شابا نجيبا، حيا أريبا، فقيها نبيها، ذا سمت حسن، استخدم أمينا على الصائر على الدار السلطانية بالحضرة المكناسية، ودرس بجامعها الأعظم

«الخلاصة» و«الأجرومية» وختمها ثم أعفى ورجع لمسقط رأسه فاس، ثم نقل لرباط الفتح وامتحن رحمه الله بالسجن، وبرباط الفتح كانت منيته.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن الجيلاني ولازمه في «المختصر الخليلي» وغيره، وكان القارئ لديه أيام حضوري دروس الشيخ المذكور زمن رحلتى فى طلب العلم بالحضرة الفاسية.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى زَرْهُون الحالى ابن عمنا سيدى محمد بن إدريس، والفيهان العدلان المبرزان: السيد عبد الله المدعو جمعان، والسيد محمد ابن سميه التراب ومن فى طبقتهم.

٩٨- إدريس بن القائد محمد بن أحمد الفيضى الأصل المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه ميقاتى ماهر متضلع حيسوبى متقن مطلع.

وفاته: توفى بعد التاسعة من هذا القرن.

٩٩- إدريس بن شيخ الجماعة القراء فى وقته الأستاذ البركة السيد البيزید.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا مقرئا مجودا، حسن الصورة، حسن الصوت، حلو التلاوة، تأتى الناس لاستماع قراءته من الحومات البعيدة، يحفظ السبع حفظا متقنا، فاق أقرانه بل شيوخته، فكان حامل لواء القراء فى زمانه.

وكان أول أمره لا يحفظ شيئا، بعيد الإدراك والفهم يسخر منه صغار الولدان، ولما ضاق ذرعا من ذلك رحل إلى الجبل وأظنه جبل العلم فمكث ثمَّ زمانا طويلا يتعاطى التعليم بقريحة وقادة وجهد واجتهاد حتى وقع له شبه اختلال وأنف من الاجتماع بالناس، فصار يذهب بلوحيه لغابة قرب جبل العلم حيث لا يصل إليه أحد، ودام على ذلك مدة حتى لقي بعض الأخيار ولقنه قراءة بعض

السور القرآنية، فذهب ما به وفتح له وذللت له الصعاب وحصل على حظ وافر من المعلومات.

ثم رجع لمكناس بعد وفاة والده حافظا ضابطا متقنا، واشتغل بالإقراء والتدوير والتدريس، وأقر له بالتفوق الفقهاء والقراء المرءوس منهم والرئيس، درس «درس الشاطبية» و«تصوير الهمز» وغير ذلك مما لم يتصدر لتدريسه غيره، ويقال إنه من آل البيت الأطهار حسنى إدريسى والله أعلم، وكان يحترف ببيع الدقيق ولسانه رطب بالتلاوة.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول بن عزوز وغيره من علماء الجبل وأساتيده، وعن السيد العربي بن شمسى.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشى، وقاضى الأحواز أبو العباس الناصرى، والعربى بادو، وجماعة.

وفاته: توفى مطعونا فى ثالث رمضان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، وهو يصلى التراويح، يقرأ بحرف حمزة فى قوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وذلك بمسجد ضريح ولى الله سيدى أحمد بن خضراء.

١٠٠- إدريس الوزير بن محمد بن إدريس العمراوى بن محمد بن إدريس ابن محمد بن إدريس.

ثلاث مرات.

يرفع نسبهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، كان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بنى عمر منهم من عهد قيام مغراوة على الأدراسة واختفاء الأدراسة فى أغمار القبائل كذا فى «الجيش العرمم».

حاله: كريم السجايا، طويل النجاد، صادق اللهجة، حازم ضابط فقيه، نبيه

أديب لبيب، من أبرع الكتاب وأنبههم، آية فى الترسيل وقرض الشعر، صاحب أخلاق حسنة، وأفعال مرضية مستحسنة، سعاء فى قضاء حوائج العباد، هين لين مقتصد بشوش.

وجهه مستوزره السلطان سيدى محمد سفيراً لفرنسا فى ثالث عشر قعدة الحرام عام ستة وسبعين ومائتين وألف، وكان وصوله لباريز عشية يوم الأربعاء متم الشهر، وأقام بباريز اثنين وأربعين يوماً، وقد ألف فى رحلته هذه رحلة سماها «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز» وصف فيها ما شاهده فى سفره من المنتزهات ودور الآثار والسكك والسلاح والسياسة والنظام والمدن التى دخلها والعوائد والأخلاق التى رآها وصفا كاشفاً.

وقال: إن من جملة ما خاطبنا به وزير خارجية فرنسا منذ مقابله لنا إن جميع مملكة فرنسا ممنونة ومتشكرة بإحسان مولانا السلطان مولانا محمد بإنعامه بهذه السفارة، وهى مبدأ كل خير بيننا فأجبناه بما يطابق كلامه وكلنا له بالمدّ الذى كَالَنَا بِهِ.

واتفق أن وجد فى سفارته هذه عم السلطان فى احتضار، وفى يوم الأحد سادس يوم من يوم الدفن صدر الإذن لهم بمقابلة السلطان بعد الزوال بساعة ونصف، ولما مثلوا بين يديه خاطبه السفير بقوله: بعد أن نهدي أيها السلطان العظيم لمقامكم الرفيع التحية التى تناسب حضرة عظماء الملوك، نعلم جنابكم المعظم أن سيدنا ولى نعمتنا سلطان المغرب أيده الله وأعزه، وجهنى إليكم سفيراً لنسلم عليكم فى اسمه الشريف، ونجدد العهد بدولتكم الفخيمة، ونهنيكم بلسانه العزيز على ما منحكم الله من السلامة ويسر لكم من الجلوس على كرسى ملك أسلافكم العظام، وجمع كلمة الجنس وزوال ما فيها، ونبين لكم ما عنده من السرور نصره الله بذلك على عادة الملوك المتحابين لا سيما مثل سلطنتكم التى لأسلاف سيدنا معها المحبة القديمة والمواصلة الأكيدة، ونقرر لكم ما عنده أعزه

الله من المحبة التي ورثها عن أسلافه والحرص على المحافظة على العهود والمواثيق التي تدوم بها وتتصل وتزيد المواصله، وهذا كتابه العزيز نشرف بمناولته لمقامكم متضمن لما ذكرناه، ونحن نرجو من الله أن تكون سفارتنا هذه ووصولنا إليكم زائداً في عقد المحبة وتوثيقها وتعليق بنائها، وأن لا تزال في المستقبل تتجدد وتنمو وتعظم حتى يكثر نفعها ويعم خيرها على الرعيتين، كما أنا نشكر لحضرتكم هذه المقابلة التي قابلتنا بها الدولة وولاتها منذ خرجنا من بلادنا إلى أن وصلنا لحضرتكم، والبرور تلقونا به، ونذكره دائماً، وذلك صدر عن أمركم وعليه نجازيكم بالخير الكثير.

وكلما قرأت فصلا وقفت حتى يقرأ الترجمان عليه ترجمته حتى وصلت ذكر كتاب مولانا نصره الله فأخرجته وناولته إياه فقرب مني حتى قبضه بيده هنيئة وناوله للوزير المذكور خلفه.

ثم أجاهه السلطان بقوله: إنه لما بلغنا وفاة مولانا عبد الرحمن رحمه الله تأسفنا عليه غاية كما فرحنا بجلوس مولانا ابنه على التخت، لأن الشيء وقع في محله.

وأما المحبة والمودة فهي عندي أعز من أن يضع ملك يده في يدي أو أضع يدي في يده ولعل سفارتكم تكون سبب الخير بين الدولتين، وكمال الاتصال بين الإيالتين.

وأما ما قابلتكم به رعيتنا من البرور والإكرام فأنا الذي أمرتهم بذلك، وهو واجب علينا في حق كل رجل معتبر يأتي من عند دولة كبيرة سيما دولتكم التي هي أحب الدول عندنا، ولا يأتي تشويش بين الدولتين إلا من عدم المحافظة على الحدود.

وأما المطالب فلا أقصر في قضائها على أكمل وجه، وسناذن للوزير في استماعها منكم والمفاوضة فيها معكم.

قال فأجبت به بأن مولانا نصره الله غير مقصر في أمر الحدود، وحريص على إجراء الأمر فيها على القانون المعهود، وإن وقع شيء من رعاك الجيران وسفهاء الناس فعن غير رضا منه أيده الله ولا موافقة له، ولا يزال يسعى في زجر من يسعى في إفساد ما بين الإيالتين بغاية إمكانه، وحيث يسر الله في ثبوت المحبة والمودة فمباشرة أمر ذلك تسهل بحول الله.

فأجاب بأن ذلك هو الظن وهو غاية ما نحب.

قال ثم لما تم الكلام وسكت وسكتنا استأذناه في الانصراف فأذن لنا فانصرفنا.

ثم وجه سفيرا للإصبان وكانت له حظوة ومكانة مكينة، ولا غرابة، فبيتهم من البيوت العريقة في المجد وعن تقدمت لهم خدمات مخزنية، وستأتى ترجمة والده في المحمدين بحول الله.

(شعره) من ذلك قوله

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| رأيت غزالا يباب أسير | يصيد القلوب بلحظ كسير |
| رمانى بسهم من أجفانه | فغادر قلبى لديه أسير |
| فيا أيها الركب قولوا له | إذا ضاع قلبى بماذا أسير |
| وقوله: | |

| | |
|--------------------|------------------|
| يا راحة القلب مالى | عن حسن وجهك راحه |
| وكيف أبغى سلوا | وأنت للقلب راحه |
| فلا تردى محبا | إن مد نحوك راحه |
| تخذت وجهك روضى | وروح قلبى وراحه |

بالهجر كلمت قلبي داوى بوصل جراحه
وطال بالصبر شجنى فلتطلقين سراحه
فالبعد عنك عذاب والقرب منك إراحة

وقوله فى رجب سنة ١٢٤٤ لما عزم مخدومه السلطان سيدى محمد على
السفر للغرب:

ما لذ لى العيش مذ فارقت حضرتكم كلا ولا طاب لى كأس ولا وتر
بانث حياتى مذ بانث ركائبكم وحال حال فلا عين ولا أثر
أفديه من قمر بالقلب مطلعته والقلب منزلة يحتلها القمر
ركبت بحر الهوى فى حبه خطرا وفى محاسنه يستحسن الخطر
كم ليلة هاج أشواقى تذكره واعتادنى المؤمن الفكر والسهر
تبارك الله ما أحلى شمائله ما العنبر الشحر ما الريحان ما الزهر

وقوله متشوقا لمراكشة الحمراء وأهلها:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بمراكش بين الأحبة ثاويا
وهل أعبرن أم الربيع وأتركن مهامه تامسنا هواء ورائيا
وهل أردن من واد صبرة منهلا ويبدو منار الكتبيين أماميا
وقوله:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بمراكش حيث الغريب عزيز
وهل أردن من واد صبرة منهلا وهل ييدون لى رمرم وجليز

وقوله:

أنزلت رحلى بيبابك
أوى لظل جنابك

يا سيد الرسل إنى
وهل يخيب عبيد

وقوله:

يقول إذا عز الشفيح أنا لها
جدير بأمداحى له أن أنالها

شفاعة خير الرسل أرجو غدا ومن
شفاعته يرجو المسئء وإننى

وقوله:

فهذا زمان السعد قد أظهر البشرى
وهذى بشارات السعود أتت تترا
وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
غزال بليل الشعر قد أطلعت فجرا
وزارت على بعد الديار لنا بدرا
وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا
حمائم حلى آذنت باللقا جهرا
وتسقيك من سلسال ريقتها خمرا
وكفل رداح ثقله أنحل الخصر
له فى سويدا قلب سامعه مسرا

هنيئا أبا عبد الإله لك البشرى
وهذى رياض الأنس تزهو أريضة
فرد من زلال الود غير مكدر
فقد وصلت من بعد طول تشوق
سرت وظلام الليل أرخى سدوله
عجبت لشمس زارت البدر فى الدجى
حكى ظبية الوعساء جيدا وناظرا
يشوق منها القرط صوت خلاخل
وقد غردت من فوق غصن قوامها
تريك عقود الدر عند ابتسامها
ولا عيب فيها غير سقم جفونها
وغير حديث قد حكى السحر رقة

ذرى المجد والعلياء مرتديا فخرا
تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
بأرجائه من دمع ديمته درا
فأعبقت الأرجاء من طيها نشرا
«هنيئا أبا عبد الإله لك البشرى»

وقوله من قصيدة فى مدح الشريف مولاى المأمون أخ السلطان مخدومه:

وفتورهن على الغرام معين
بفتور الحاظ وسحر جفون
من سكرهن وهائم محزون
فى حبهن سوى عيون عيون
لما اكتوى فطلبته بضمين
شرطى فهلا تركن مطل ديون
قد طال شوقى نحوها وحنينى
من فوق كتبان سمت وغصون
من تحت ليل ذوائب وقرون
أسلاكه والطلع فى العرجون
لشفاها كالأرى^(١) والزرّجون^(٢)

فواصل بها وصل السرور ودم على
وخذها كما شاء الوداد خريده
ودونكها كالروض قد نثر الحيا
ففتق من صون الكمام أزاهرا
ونادت طيور الشكر فوق غصونها

عذر المقيم فى عيون العين
كم من شهيد بين أرجاء الحمى
ومسهد من نومهن ومتمش
لم ألف فى زمر الأحبة مسعدا
وخشيت من قلبى التقلب فى الهوى
دينى عليهن الوصال وقد وفا
يا عاذلى كن عاذرى فى حب من
لو أبصرت عيناك أقمار البها
ورأيت طعن خناصر بمحاجر
وشهدت برق مباسم كالدرفى
وشممت عرق مواسم بمباسم

(١) الأرى: العسل - والندى يسقط على الشجر.

(٢) الزرجون: قُضْبَان الكَرْم - والخمر.

ولدت في شرع الهوى بالهون
مدح الخليفة سيدي المأمون
وعلا بتسليم وحسن يقين
لم يرض قبل صعودها بالدون
فأبان عن سفسافه الموهون
فإن رهبة حكمه في اللين
عن نيل مظلمة وكشف ظنون
وشمائل كالروض غب هتون
بعطاء لا نزر ولا ممنون
مغن عن التوضيح والتلقين
متأهبا للخير غير ضنين
لعلا العساكر أو أمور الدين
دمع السلاح المتقى المتقون

لعذرت من ملك الجمال قياده
وعلمت أن لا شيء يفضله سوى
علم تسربل في العلا حلل الرضا
وسما به الظن الجميل لرتبة
عرفت به هم سمت من زخرف
وأتى الرعية حظها من رفقه
عف الضمائر والجوارح فيهم
خلق كأخلاق النسيم لطيفة
ومواهب تحكى السحائب عفوها
مغناه مغنى للمبيت ولفظه
لم تلقه إلا مشمر ذيله
أسنى الدخائر عنده ما يقنتي
والذ شيء عنده عرض الجيا

وقوله يرثى العلامة سيدي حمدون بن الحاج لما توفى وذلك عشية يوم
الاثنين سابع ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف:

وكل الوري للورد منها نواهل
وكل قضاء الله لا شك واصل
كما وردتها في القديم الأوائل
ولا بد من يوم تشد الرواحل

حياض المنايا للبرايا مناهل
قضاء من الرحمن حتما على الوري
فلا بد للأحياء من ورد حوضها
وما هذه الدنيا سوى دار رحلة

تزود من الدنيا فإنك راحل
فكل سوى الله المهيمن باطل
وباطنها للعارفين رذائل
وتسبق في الميدان منا الأفاضل
لها كل يوم غارة وجحافل
كأن لها ثارا عليه تقاتل
وتلقى رداها الذرا والكواهل^(١)
أما رداها عنا العلا والفواضل
إمام العلا من فى الفضائل كامل
من الوجد والأحزان ما أنا قائل
لقد ثكلتنا عند ذاك الثواكل
وغالته من دون الأنام الغوائل
وبدر العلا والمجد والعلم آفل
بفقدانه أرض القلوب الزلازل
وعاد رياض النظم والشر ذابل
وعادت طريق المتقنين مجاهل
وفقدانه خطب لعمري هائل
هلال بآفاق السيادة كامل

فيا أيها المغرور والأمل البقا
ولا تغترر منها بحسن زخارف
فظاهرها للجاهلين محاسن
وما نحن إلا كالجياذ بمضمر
رأيت المنايا تتقى كل سيد
وتردى صميم المجد من فتكاتها
(تحامى الرزايا كل خف ومنسم
أما وجدت عنا الخطوب معرجا
لقد هد ركن الصبر يوم نعوا لنا
وقلت لا والله ما كنت داريا
أحقا عباد الله حمدون قد قضى
نعم قد قضى شيخ الجماعة والتقى
لقد كورت شمس السيادة بعده
وهـد سماء الجود والمجد واعتري
وغاضت بحور العلم بعد طفوحها
وسدت طريق السالكين إلى العلا
رزيتــــه أزرت بكل رزية
لئن كان شمسا قد هوى فوراءه

(١) فى هامش المطبوع: «البيت الأول لأبى العلاء المعرى ضمنه المترجم وأجاد»..

كما هب ريح عطرته الخمائيل
ونظم ونثر للمحاسن شامل
بقدر جليل الخطب تعطى الجلائل
مصاب عظيم هاج منه البلايل
إذا قصرت عن فهمهن الأفاضل
فتشرق نورا من ذكاه المسائل
بعضب لسان للجهاالة قاتل
عليها من السحر الحلال دلائل
فيلقاهم بشر لديك ونائل
إذا ما عرثهم من زمان نوازل
وبدرا بأفاق الهدى متكامل
فها جیده من بعد بعدك عاطل
إذا عدت في العالمين الوسائل
وقد عدت تلك العلا والفضائل
خوال ونور العز بعدك حائل
وقد كدرت للواردين المناهل
على الرغم في الأحشا الظبا والعوامل
وسحب الدموع في الخدود هوامل
ولا في الحياة بعد فقدك طائل

وذكر سرى بين البرية طيب
وأوضاع علم يستضاء بنورها
فصبرا أبا عبد الإله فإنما
وإن مصاب المسلمين بفقده
أحمدون من للمشكلات يبينها
ومن لعلوم الدين يتقن درسها
ومن للمعانى والبيان يبينه
ومن لامتداح المصطفى بمدائح
ومن لذوى المعروف إن عن حادث
لقد كنت غوثا للأنام ومنهلاً
وكنت دليل السائرين إلى العلا
وكنت لهذا الدهر زينا وحلية
وكنت لذى الحاجات خير وسيلة
فأصبحت مقصى فى ديار جنیة
وأضحت ربوع العلم وهى كثیة
وأصبحت الطلاب بعدك فى ظما
وعائت جيوش الحزن فيهم وحكمت
ونار الجوى بين الجوانح أججت
فما عيشهم من بعد بعدك صالح

فلو كنت تفدى بالنفوس تسابقوا
ولكن قضاء الله حم فما امرؤ
لقد صرت للبدرين قبلك ثالثا
كان لم ترى شيئا لفضلك فى الورى
ثلاثة أقمار ثوين بروضه
جبال علوم راسيات لى العلا
سقى ترب ذاك الروض شؤبوب رحمة
وبوأ من قد حله الله جنة
بجاءه إمام المرسلين وآله
عليهم صلاة الله ما ذر شارق
وستأتى بعض قصائده الرائقة فى ترجمة السلطان مولاي الحسن إن شاء الله .

وفاته: توفى بالوباء برباط الفتح صبيحة يوم الخميس رابع عشر جمادى
الثانية عام ستة وتسعين ومائتين وألف ولا زال عقبه بمكناس إلى الآن .
١٠١- إدريس بن الحاج بوعزة الميسورى .

حاله: فقيه أستاذ مجود متقن ذو صوت حسن حلو التلاوة يحفظ القراءات
السبع حفظا جيدا، عارفا بمخارج الحروف، رشح لتعليم بعض أفراد أبناء العائلة
السلطانية بالدار المولوية المحنشة من الحضرة المكناسية، ثم رحل لفاس بصفة كونه
مؤدبا لصنو مولانا المنصور بالله البركة الفاضل الداكر المجتهد مولاي محمد فتحا
نجل السلطان المقدس المولى الحسن وذلك بعد العشرين من هذا القرن، ومكث به
مدة ثم رجع لمسقط رأسه مكناسة ولم يزل بها إلى أن لقي ربه .

١٠١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٨٦٥ فى موسوعة أعلام المغرب .

مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة المقرئين السيد العربي بن شمسى، والسيد فضول السوسى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وغيرهم.

وفاته: توفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرة سيدى الحريشى من هذه الحضرة المكناسية.

١٠٢- إدريس الأمرانى بن عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد الله بن الظاهر بن محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز بن على بن يوسف بن على الشريف بن الحسن الصغير بن محمد بن الحسن القادم من ينبع النخيل إلى تافيلالت رحم الله الجميع بفضله وكرمه.

وأمه الدرة المصونة السيدة نفيسة بنت السلطان الأفخم مولانا عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقيه أديب نبه لا تكاد تمشى عليه الحيل فى أخذ ما بيده، راوية محاضر، أريحي مهذب عالى الهمة، فخور وقور، يحب الفخر والتفرد بالمعالى ونفائس الأمور، آية فى الإنشاء والترسيل، نشأ نشأة حسنة بين أبويه فتأدب وتهذب، وقرأ القرآن المجيد وجوده بحضرة مكناس وحفظ أمهات الفنون وأشعار العرب ووقائعها، وأكب على تلقى العلوم بجهد واجتهاد حتى نبغ وبرع وفاق أقرانه، ثم بعد أن فتحت له النجاة بابها رحل لفاس ولازم مجالس دروس عظماء أعلامها مدة وشارك فى فنون، ثم رجع لبلاده مملوء الوطاب واشتغل بالفلاحة وصرف كل وجهته إليها ولكنه لم ينس نصيبه من المطالعة.

أصله من شرفاء زاوية الأمرانى بسجلماسة، تلك الزاوية المباركة الشهيرة ذات الحرمة العظيمة، خرج جد المترجم السابع وهو المولى عبد الواحد من

١٠٢ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٤٥.

سجلماسة مع السلطان المولى الرشيد، زمن فراره من أخيه المولى محمد، فنزل بالزاوية الدلائية بعد ما استقل مولاي الرشيد بالملك، وأخذ العلم بها عن أهله ثم نزل بأفران من بلادزيان واستوطنها، وبها توفي، وضريحه هنالك مشهور.

وقد كان لبنيه من بعده جاه ووجاهة عند بنى عمهم الملوك العلويين، ولا زال عقبهم محل تجملة وإكرام إلى وقتنا هذا.

صاهر المترجم السلطان المولى عبد الحفيظ بأخته السيدة حفصة، ورشحه لإخماد نيران فتن البربر التي ثارت عليه، وشقت عصا الطاعة، وتمردت وعاثت في السبل، وخيمنت بحللها برأس الماء قرب فاس، وقطعت المواصلات بين فاس ومكناس بل سائر الجهات، ومدت يد النهب والسلب في المارة وبالأخص بسايس.

وقد كانت فاتحة أعمالهم بنهب شيخنا العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله ابن عم الوزير أحمد بن موسى السابق الترجمة وخلفه في الوزارة، وستأتي ترجمته بحول الله.

وكان ترشيح السلطان المذكور لصاحب الترجمة لهذه المهمة بإشارة من بعض من له في المترجم شهوة وغرض، وأفرغ ذلك للسلطان في قالب أن القبائل البربرية خدمة للشرفاء الأمرانيين لا يرفعون أمامهم رأسا ولا يردون عليهم كلاما ولا يعصون لهم أمرا، وأن للمترجم ووالده وجده وسلفه من الحرمة والمكانة ما يقضى عليهم بالانقياد والرضوخ للطاعة.

ولما استقر ذلك في ذهن السلطان أمر وزيره الصدر الأعظم حينه السيد المدني بن محمد الأجلوى بأن يأمر صاحب الترجمة بالتوجه لهذه المهمة، فوجه عليه وبلغه الأمر المولوى فتعلل واعتذر ولم يأل جهدا في التنصل، وذلك بعد أن كان السلطان وجه لهم القائد عبد المالك المتوكى أحد أعيان دولته، وكبار عمال



مولای ادریس الأمرانی

والده، وصنوه السلطان مولاي عبد العزيز من قبله، وذلك بصفة كونه بربريا وله مع بعض زعمائهم يدٌ، وسابقة معروفة، واجتمع بذوى رأيهم قرب دار دبيغ، وراحت بينه وبينهم المخابرة في الرجوع عن البغي والتمرد والرجوع لطاعة السلطان، وتحمل لهم بكل ما يرومونه من السلطان، ولم تحصل من تلك المخابرة أدنى نتيجة سوى تحصيل الفئة الباغية على تسريح أساراهم الذين كانوا بسجون فاس.

ولما سرحوا تهادوا، وحاولوا تشتيت محلة السلطان التي كانت مخيمة بمصلى باب الساكمة، أحد أبواب فاس الشهيرة، وعين قادوس، والاستيلاء على ذخائرها وعدتها وعددها واقتحام فاس، وصمموا على ذلك فكانوا كل يوم يهجمون على تلك المحال ذات العدة والعدد، ويشدد القتال بين الفريقين وتبقى الجثث مبعثرة طعمة للكلاب والغربان.

ولما لم تقبل من المترجم معذرة ورأى أن لا مناص أخذ على الوزير المذكور العهد والميثاق على أن لا تخفر له ولا لهم ذمة إن هم أجابوه للرجوع للطاعة، وتكفل له بذلك قنصل الدولة الفرنسية إذ ذاك بفاس المسيو كيار.

فعند ذلك وجه بعض أصحابه لمن له بهم معرفة من أعيان البرابر يستأذنيهم في الخروج إليهم فأجابوه لذلك، فخرج إليهم لرأس الماء وفي معيته أخوه العدل الرضى مولاي سعيد، فتلقوه بالترحيب والإجلال، وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما لم يخطر له ببال، وأمسكوا في ذلك اليوم عن الهجوم على المحلة احتراماً له وتعظيماً، وظل يومه يعظ ويذكر ويحذر وينذر ويعد ويمنى زعماء أولئك الأوباش الأنجاس كي يردهم عن طغيانهم.

فتصدى للكلام معه من رؤساء فنتتهم القائد حم الحسين المطيرى البورزونى والقائد عق المطيرى البويدمانى والقائد محمد بوزومة الأغواطى، والقائد محمد

بو كرين المطيرى وغيرهم من أركان البغى والعتو، وبعد أخذ ورد تحلموا له بتشتيت تلك الجموع وتفريق كلمتها بكيفية لطيفة معينة على نقض ما أبرموه وتحالفوا عليه، وجعلوا معه على ذلك جعلاً يؤديه لهم نقداً معجلاً يفرقونه على رءوس تلك القبائل وذوى الرأى منهم، فالتزم لهم بذلك، وأخذ منهم عمامة وأخذوا منهم برنوساً على العادة البربرية فى التحالف على عدم التخالف.

وطير الإعلام للسلطان بالنتيجة فأجابه بواسطة وزيره المذكور بالمساعدة التامة على إمضاء ما أبرمه.

وكانت مدة مقامه بين ظهرانيهم يومين بلياليهما فما راعه إلا ورقاص متأبط لكتاب لعق وبوزمة المذكورين من بعض رؤساء المحلة من خاصة حاشية السلطان يأمرهما برفض مطالب المترجم رفضاً كلياً، وأن يعيراه أذناً صماء ويردانه خاسثاً، وحذرهما من صدور هذه المزية على يده، فقبلوا عليه ظهر المجن، وأظهروا له من النفور والجفاء ما صيره فى حيص بيص، يتوقع الإيقاع به واحتجوا عليه، ثم بعد محاججة ومراجعة، منهم من رجع إلى الانقياد ومنهم من تمادى على النفور والشرود، ومنهم من أظهر الطاعة وأصر على المخالفة والشقاق كالمكتوب لهما بالتحذير من إسعاف رغبة المترجم.

وكان آخر اتفاق وقع بينهم وبين صاحب الترجمة أنهم وقت ما أمكنهم تفريق كلمة تلك الجموع يطرون الإعلام إليه ليأتيهم بالدرهم المتفق عليها، وبظهير سلطانى بالعفو عما جنوه والقبض على صاحب الكتاب الساعى فى دوام توقد نيران الفتن وتوليته خليفة عليهم واسطة بينهم وبين السلطان.

وبعد تحمله لهم بما ذكر رجع لفاس وتلاقى مع الجلالة السلطانية وقرر له جميع ما راج من المبدأ إلى المنتهى، فأجابه بجميع ما اشترطوا إلا القبض على صاحب الكتاب، وأمر الوزير الصدر بكتب الظهير بما ذكر وتنفيذ ثمانية آلاف

ريال - أربعين ألف فرنك - ، وتمكين صاحب الترجمة من الجميع وإلزامه الرجوع إليهم من حينه وعدم سماع كل عذر يبيده في التخلف، فلم يسعه إلا الامتثال مع تحققة سوء المنقلب فوجه رسولا إليهم يخبرهم برجوعه لطرفهم .

ولما وصل إليهم الرسول وقص على الأصدقاء منهم القصص، أخفوه عن أعين رؤساء العتو المظهرين خلاف ما يبطنون، ورجعوه إلى مرسله المترجم، وحذروه من الخروج ولا سيما قبل القبض على من اشترط القبض عليه، وعرفوه بأنه إن خرج إليهم قبل إذنتهم له ووقع في محذور فإنهم لا يغنون عنه شيئا، وربما كانوا عليه، هذا والأوامر المخزنية تتجدد وتتوارد على صاحب الترجمة بالإزعاج للخروج، حتى أتاه كاتب الصدارة الأول أبو العباس أحمد الزمورى بأمر بات، فلم يسعه إلا الامتثال فخرج فى التاسعة صباحا وحمل ما يحتاج إليه من أخبية ومثونة، إذ كان فى عزمه التخيم بين أظهرهم حتى تنحسم مادة البغى والعتو .

ولما وصل لنزلة فرجى الشهيرة خارج باب فاس وفى معيته أخوه المولى سعيد المذكور آنفا، وكاتبه الفقيه العدل السيد محمد بنونة ناظر الصغرى الآن بمكناس، وجدوا الوطيس أمامهم قد حمى ومدافع المحلة تصب قنابلها صبا، فتقدم المترجم إليهم وأشار للفريقين بالإمساك عن القتال فأمسكوا، ثم تقدم للفتة الباغية فحياء حملة راياتها وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما سرَّ به وتيقن نجاح مقصده .

ولما لحقت به أوعيته وأثقاله بالنزلة المذكورة وجهها مع أخيه المذكور فى خفارة بعض بنى مطير، ورجع هو بقصد الملاقاة مع السلطان والمفاوضة معه، فتعرضت له شرذمة من خيل الفساد وهجموا عليه وأنزلوه عن فرسه بغاية العنف والقساوة، بعد أن قطعوا حزام سرجه وجرحوه هو بمدية فى رجله وجردوه من ثيابه بكيفية شنيعة كاد أن يموت بها خنقاً، ولم يتركوا عليه غير قفاز وسراويل،

ولولا أن رجلا من قبيلة مجاط رق لحاله وأركبه فرسا وألبسه برنسا على وجه العرية لهلك، ولم يأل جهدا في المدافعة عنه.

ثم قصد المترجم خبَاء كَبِيرِ المحلة المخزنية، وهو إذ ذاك الطالب أحمد بن مبارك الشاوى الحاجب فى ذلك الحين فلم يجده، وإنما وجد الطالب إدريس بن منو السوسى نزيل سطات فى الحين الحالى، ورد الفرس والبرنس لصاحبه شاكرًا فضله وجزيل إحسانه.

وبعد أن استراح واطمأنت نفسه دخل فاسا على حالة يرثى لها، وقص على السلطان القصص، وذهب لداره يتقلب فى أليم الألم، وما قاساه من التنكيل والهوان، ولم يزل يقاسى من ذلك شدة بضعة أيام، والوزير فى كل يوم يوجه له عن الأمر السلطانى مرات بترجيع الدراهم التى كان أخذ بقصد إنفاقها فى سبيل الإصلاح طبق ما أوضحناه رغماً عن نهبها له فى جملة ما نهب من حوائجه وبهائمه.

وأما أخوه المولى السعيد والكاتب والأثقال، فإن البرابر التفت بهم وقصدت بهم رأس الماء، وبينما هم فى أثناء الطريق إذ وجدوا الرسول الذى قدمه المترجم للمتمردين أمامه، فأشار إليهم بخسر المسعى ووخيم العقبى، فلم يجدوا مناصا لحصولهم فى شبكة إخوان الشياطين المتمردين المحدقين بهم، فصاروا يضربون الأخماس فى الأسداس، ولات حين مناص، وزمر البرابر تلتحق بهم رجالا وركبانا إلى أن أشرفوا على رأس الماء محل تعشيش فسادهم، فوجدوا البقية الباقية فى انتظارهم حول الخيام فالتحقوا بإخوانهم المفسدين، ومدوا يد النهب والسلب والضرب، ولما استولوا على جميع ما كان معهم من مال وتمول تركوهم حفاة عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم، غير المولى سعيد فإنهم أبقوا عليه بعض ما يستر عورته، وتفرقوا فى رأس الماء شذر مذر، بين خيام البغاة المعتدين، بعد أن

سَمِسروا سلبهم أمامهم وهموا بإحراقهم وجمعوا الحطب لذلك فعلا، ولكن الله سلم، وباتوا شرميت لم يلتق واحد منهم بصاحبه ولم يدر ما فعل به .

ومن الغد اجتمعوا ودخلوا فاسا فى حالة تعساء، يقف لسان القلم عن وصفها والتعبير عن شرحها، ولما حل المترجم بفاس ومثل مولاي سعيد بين يدى السلطان، رق لحاله وأعطاه كسوة من ملبوسه .

وأما العتاة فقد ازداد عيْثهم وتكلبهم على النهب والقتل، وتمادوا على الهجوم على المحال المخزنية فى كل بكرة وعشى، وأجلبت بخيلها ورجلها وضيقت بالعاصمة الفاسية، وقطعت عنها السبل وحاصرتها ونازلتها بين أسوارها، حتى فنيت صناديد رجال المخزن، وعمدت أمواله، وأصبحت المدينة وأهلها فى خطر عظيم، وصار الكور والرصاص ينزل أمام السلطان بقعو داره، وأحزاب العتو والفساد فى هيجان حتى صارت تشتترط على السلطان الشروط وتهدهه وتأمره بالرجوع للجدادة فى زعمهم وإبعاد بطانة السوء عنه، وحصروها فى أفراد من حاشية بساطه وعظماء دولته، سموهم له وإعطائه كفيلا لهم يرضونه يلتزم بالوفاء بجميع ما شرطوه .

فعند ذلك اضطر السلطان إلى الإرسال لدولة فرنسا يستنجد بها، فلبت طلبته ووصلت جنودها لفاس، ومزقت جموح أحزاب الفئة الباغية كل ممزق وانتشرت أعلام السلم .

ثم بعد ذلك قام العسكر المنظم ضد البعثة العسكرية المكلفة بتنظيم الجنديّة المغربية، وامتنع من قبول النظام والقوانين حتى وقعت مذبحه إبريل المشثومة على البلاد والعباد فلقد هم الجنرال موانى قائد الجيش الفرنسى بإطلاق أفواه المدافع على فاس، وتقويض أركانه، ولولا وجود سفير الدولة الفرنسية المعروف بالرزانة والثبات والعقل والسياسة رينو، ووقوفه أمام تيار غضب الجنرال المذكور وإقناعه

بالحجة بأن أهل فاس برآء مضروب على أيديهم لا دخل لهم فى الواقعة لهدت صوامع ومساجد.

ومع هذا فقد كانت النتيجة إعلان الأحكام العرفية بالبلاذ، وانتزعت الأسلحة من الأهالى وقبض على كل من وقع الاشتباه فيه بمدخلة فى القضية، وقتل كثير منهم صبراً وخذل بعضهم فى السجون، ولا زال البعض إلى الحين الحالى.

وقد تقدمت له خدمات مخزنية، منها الترشيح لعمالة الدار البيضاء بعد وفاة عمه الذى كان خليفة بها سيدى محمد، وذلك عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ثم أعفى بطلب منه، ودونك نص ظهير إعفائه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى الفخيم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره، أنه لما كان ابن عمنا ونخبة أصهار أسلافنا الكرام، مولاي إدريس بن المرحوم مولانا عبد السلام الأمرانى مطوقا ولاية عمالة الدار البيضاء بكمال واستحقاق، وقام بالواجب فى تلك الولاية قياما يشهد له بحسن السيرة على الإطلاق، وتمشى فيما أنيط به من أمورها على النهج القويم، والصراط المستقيم، ثم حدث له الآن من شئون عائلته وعائلة والده وعميه المتفرقات بفاس ومكناس، مع عدم من يعتمد فيها عليه، ما خشى معه صدور إخلال منه بالقيام بوظيفه المذكور، ومن أجل ذلك طلب من جانبنا الشريف كفاية مشقة تلك العائلات أو إعفائه من ذلك الوظيفة، فاخترنا له الوجه الثانى وهو الإعفاء من الوظيفة المذكور نظراً لمصلحة العائلات التى هى فى نفس الأمر عائلتنا، ليتفرغ لمقابلة ضرورياتهم كالنائب فى ذلك عن شريف جانبنا، وقد أعفينا من الولاية المذكورة ملاحظة لما ذكر، راضين عنه رضاء يتكفل له بزيادة الحرمة والوقار، والتميز والاعتبار، وينيله

فى سائر المحافل الرسمية والهيآت المخزنية كمال العز والافتخار، فهو عند جنابنا العالى بالله اليوم كما كان بالأمس سواء بسواء، إذ على قدر العمل يكون الجزاء، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف أمرنا أن يعلمه ويعمل بما فيه ولا ينافيه، والسلام، فى ثالث عشر محرم الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

قد سجل هذا الظهير بالوزارة الكبرى بتاريخ يوم كتبه صح به محمد الجباص وفقه الله» ومحمد الجباص هو الصدر الأعظم إذ ذاك.

مشيخته: أخذ عن عمه المولى الكامل، وعن المفضلين ابن عزوز، والسوسى، والتهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، وقاضى مكناسة أبى العباس بن سودة وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وأبى مروان عبد المالك الضرير، وأبى عبد الله محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القادرى، وأبى العباس أحمد بن الخياط الزكارى وغيرهم.

ولادته: ولد أواخر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف على ما كتب لى بخطه.

وفاته: توفى رحمه الله فى الساعة الحادية عشرة وثلث قبل زوال يوم الخميس رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن من يومه بالضريح الإسماعيلى أمام المحراب بالمباح الشرقى من الصحن الكبير لصق الجدار الشرقى منه رحمه الله وبرد ثراه.

١٠٣ - الأمين: العطار دفين جبل زرهون.

حاله: ولى كامل صالح فالح واصل، ظهرت له كرامات وخوارق عادات، وله مكاشفات صحيحة، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق فيمن لقى.

مشيخته: ينتسب لسيدى عبد القادر الجيلانى، وأبى يعزى صاحب تاغيا، يقال إنه رآهما فى المنام فأمداه، وكان عقد مع الله أن كل نافلة يعملها فثوابها لهما، فرآهما بعد ذلك وهو عند قبر أبى يعزى فأعطياه.

الآخذون عنه: منهم العارف العالم العامل السيد أحمد بن عيسى البرنوصى الفاسى المعروف بزروق المتوفى ليلة الأحد ثامن عشرى صفر عام تسعة وتسعين بتقديم التاء فيهما وثمانمائة وناهيك به.

وفاته: توفى سنة ستين وثمانمائة.

١٠٤ - إسماعيل: أبو النصر بن الشريف بن على الينبوعى السجلماسى الحسنى السلطان.

الذائع الصيت فى المشارق والمغارب، فخر ملوك المغرب الأقصى.

حاله: رجل السيف والثبات، له فى اجتثاث ما يسخط الله تعالى وثباتٌ، وطنى غيور، حر الضمير، صلب فى دينه، متمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة، كل من ظهرت منه مخالفة فى الشعائر الإسلامية، أو مروق من الدين.

قال مؤرخ فرنسا (سان الون) سفير لوزير الرابع عشر ملك فرنسا للمترجم فى رسالة وجهها للملك المذكور يصف له أخلاق صاحب الترجمة:

«أما أخص أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ فى الدين، لا تأخذه فى الدين لومة لائم، مستحضر لآى القرآن فى كثير من أحواله، ومضحيا نفسه فى سبيل نشر الدين وعلو كلمته، وبالجملة فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون، مطلع على العلوم الدينية، متفقه مستحضر لمسائلها الأصلية، يتمذهب بمذهب مالك، يصوم زيادة على رمضان شهرين فى

١٠٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ٥ / ١٩٩٦ ..



فخر الملوك وأعظم السلاطين
مولانا إسماعيل بن الشريف بن علي الحسنی
دفين مكناسة الزيتون - رحمه الله

العام، وما شرب قط مسكراً في عمره، ويعتمد على الله في سائر أحواله، وإذا دخل في صلاة توجه بكلية إلى ربه، ويتجرد من نخوة الملك وحلته، ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب.

وقد أقام سنة صلاة الاستسقاء في سنة الجذب التي كانت سنة ١٦٨٠ فخرج بنفسه في اليوم السابع عشر من مارس حاسر الرأس حافي القدمين في بذلة خلقة مصحوبا بسائر حاشية ملكه، والجلم الغفير من رعيته.

ويعد إقامة الصلاة بذلك الجمع زار سائر مساجد المدينة واستغرق ذلك يوماً كاملاً، ولما رجع إلى قصره أصدر أمره لسائر المسيحيين الذين بإيالته بتكيس سائر الأصنام التي بكنائسهم ومحال عبادتهم، ويعظم أرباب الزوايا وأهل الصلاح المشهورين بالاستقامة، ويدعو المسيحيين للدخول في دين الإسلام.

صدرت منه مكاتب بذلك لجل دول أوروبا، أشهرها كتابه للويز ١٤ يذكره بكتاب النبي إلى هرقل عظيم الروم، ويدعوه إلى الإسلام، ويدعو الرهبان الموجودين بإيالته لحضرته، ويأمرهم في الدين ويأمرهم بإحضار ما لديهم من الكتب والحجج والدلائل على معتقداتهم، ويتناول ذلك بالنقد والبحث، معتمداً على التأليف الإسلامية التي كان يحضرها في المجلس.

وله اهتمام كبير ببناء مكناس - عاصمة ملكه - وتعميرها وزخرفتها وتزيينها، كأنه يريد أن يحدث لأمة آية من آيات ملكه تكون عجباً لقومه، وآية لمن يأتي من بعده.

قال: «وكان من مزيد اهتمامه تجاوز حد المهندسين الفنانين في أعماله، يهتم في هذا الأمر بجليله وحقيقه، فيصدر الأوامر للبنائين بنفسه، ويراقب أعمال العملة بشخصه، ولا يترفع عن تناول المسحاة - الفاس - أو أى آلة من آلات البناء

بيده، ويختبر الجير والتراب وغيره خشية أن يكون فيه غش، كما يختبر أيضا استقامة الجدران حتى لا يكون فيها ميل أو عيب من العيوب، ويهتم أيضا بنقل الأشجار وغيرها من الأمور اللطيفة حتى لا يقع فيها كسر، وبالجملة فإنه لا يفوته شيء ولو كان لا أهمية له.

وقال: «إن سائر ما فى مكناس من العظمة والضخامة راجع فضله للمولى إسماعيل، وكان يحبها حبه لإحدى بناته، وكان يفاضل بينها وبين فاس، ويفضلها عليها، والظروف السياسية والاقتصادية تطابق فكره فى انتخابه لها عاصمة». انتهى.
الغرض من الرسالة.

وقال فى حقه صاحب الكتاب الموسوم بأهم مراحل تاريخ المغرب المطبوع بباريز سنة ١٩٢١ صحيفة ٦٧:

«إن مولاي إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن يشبه بأعظم ملوك تاريخ فرنسا».

وقال فى حقه مؤرخ فرنسا الشهير الكنت دو كاسترى فى الصحائف ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ من كتابه المعنون بـ «مولاي إسماعيل وذاك الثانى»: بعد أن سرد ما وصفه به بعض مؤرخى أوروبا وبالأخص رؤساء الدين منهم من الشدة والقساوة ما ترجمته:

«إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تتناقلها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النصارى عند مولاي إسماعيل من الشدة، مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة، وإننا لم نجد ما يعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون فى تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيد جدا عن الصحة، فإنهم كتبوا ذلك بدون ترو، إنما قصدهم إغراء القراء وإيغار صدورهم

وتهيج الأفكار لمقاومة هذا الملك لأن مؤرخى العرب لم يتعرض واحد منهم لشرح هذه القساوة».

ثم قال: «فمن وصف مولاي إسماعيل بالإفراط فى القساوة (بوسنو) و(الأب فرانسيكو) فتلقى منهم ذلك المسيو (بلانطى) و (كاستيلانوس) بدون ترو».

ومن رفض ذلك واعتبره من باب الخرافات المسيو (الامارتينلان) وأقربهم إلى الحقيقة المسيو (بودجيت ميكين) حيث قال: إن قساوة مولاي إسماعيل هى نتيجة أحوال زمانه الذى يعيش فيه، ولئن فاق الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة، وبسبب جهل المؤلفين للزمان والمكان فإنهم أغفلوا التحفظ عند تتبعهم الأعمال الدموية التى قام بها مولاي إسماعيل، ومن أجل ذلك حكموا عليه بصرامة خالية عن كل إنصاف.

ثم بعد أن وصف مولاي إسماعيل بالقوة الكاملة فى الباءة التى أوجبت له تعدد الأزواج المباح له فى شريعته السمحة وما علقه الأوروبيون على ذلك، قال: فإننا نرى مولاي إسماعيل يطوف فى مملكته وتمر عليه الأربعة والعشرون سنة وهو على رأس جيوشه يحارب ويقطع الرؤوس ويأخذ الجبايات ويستقبل سفراء دول النصرارى ويناظر (الآباء دولا مرسى) مناظرة علامة موحد، ويخطب فى المساجد، ويدير أمور مملكته، ويقابل بنفسه بناء قصوره العظيمة، وينظم حرسه الأسود الشهيرة، ويكتب لجاك الثانى، ويحاجج فى دين المسيح.

وحياة مملوءة بأعمال كهذه لا تترك وقتا للشهوات، وذلك قاض بالاعتراف بأنه لم يكن منهمكا فيها».

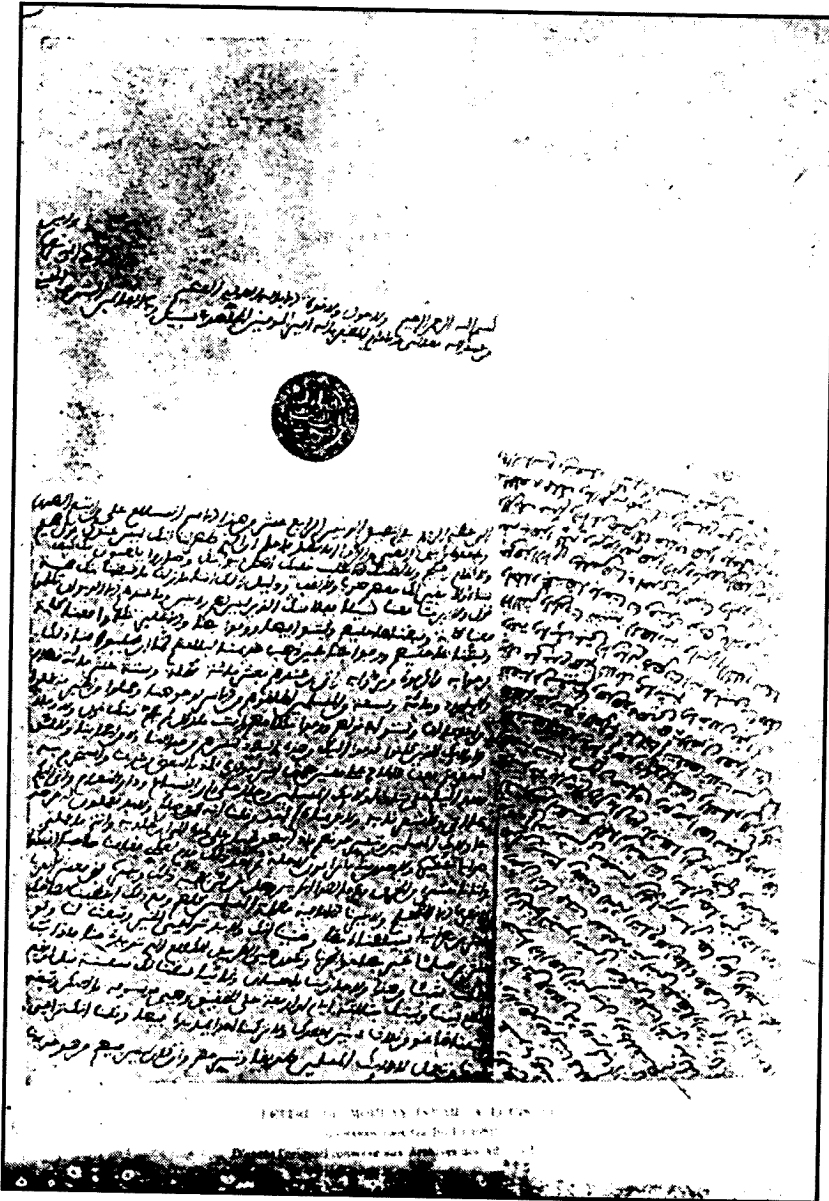
ومن أكبر البراهين وأوضح الأدلة على ما كان بينه وبين عظماء ملوك أوروبا

من العلاقات السياسية ما وقفت عليه فى عدة مكاتب ومخابرات صدرت بينه وبينهم، ألم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكنت دو كاسترى فى عدة من كتبه، وإليك نصوص بعضها وصورها الفوتوغرافية، وقد خاطب فيها لويس الرابع عشر ملك فرنسا وجامس ملك الإنجليز ودرنكرلوس ملك إصيانيا.

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله تعالى الإمام المظفر بالله أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى، أيدته الله ونصره، ثم الطابع بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، والله وليه وبدائرتة العز والإقبال.

«إلى عظيم الروم بفرانصيص لويس الرابع عشر من هذا الاسم، السلام على من اتبع الهدى، وباعد طريق الغى والردى.

أما بعد: فاعلم أن الذى ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح، ولا كلام رجيح، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك، وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا ولا بقى لك معهم ضرب ولا لقب، ودليل ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا، ففلا منك الذين ليس لهم رئيس وما عندهم إلا الديوان تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم، وثبتوا فيها ووفوا بها، والإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم ووفوا بها، فحين ذهب خديمتنا لبلادهم لما أن طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموه وبروا به، وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة، وستة عشر مائة قنطارا من البارود ومائة وسبعة من المسلمين، أطلقوهم من الأسر لوجوهنا، وعملوا من الخير ما عملوا مراعاة لنا، وثبتوا فى قولهم ووفوا بكلامهم، وأنت لازال لم يصح منك قول ولا وفاء وأولئك الذين كانوا قدموا إليك من هذه البلاد، ليس هم من خدامنا ولا من أصحابنا ولا ممن له معرفة



ظهیر مولای اسماعیل للویز الرابع عشر ملك فرنسا

معنا، فالحاج على معنين حيث أسر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به،
وقدم إليكم على شأن أولئك المسلمين، وجاز على دار السباع ودار النعام، وأتى
إليكم بما أتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم أخذ، وقلنا: إنه إن وصلكم ولا بد
تعملون له غرضه في أولئك المسلمين، وتسرحونهم، فإذا به هو تحيل على ولده
إلى أن جاء به وأنتم ما عملتم صوابا في غيره، ولا صدر منكم ما تراعون لأجله.

ثم بعد ذلك قدم لعلى مقامنا صاحبكم انبشدر وانا بشيء من الخرق مع
فالصوا الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره؟ فنحن معشر العرب لا نعرف
إلا الصحيح، ولا يسرنا إلا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم، ومع ذلك أعطينا
لصاحبك عشرين نصرانيا سيفطناها بها، وظننا أنك ولا بد تراعى الخير وتبعث لنا
ولو عشرين مسلما تجبر بها خواطرننا، وتكون هي الطريق للكلام الذى تريده منا،
فإذا بك ما عملت شيئا من هذا، ولا جازيت بإحسان.

وثانيا قبضنا لك سفينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة أيام أو أربعة
على التحقيق، وهى موسوقة بالسكر وتبغة وثقفناها نحواً من ثلاث سنين
بقصدك، ولا تركنا أحداً يمد يده فيها، وقلنا إنك تراعى خيرنا، وتعمل لأولئك
المسلمين طريقاً وتسرحهم، وإن كانوا ليس فيهم من هو خديمننا ولا من هو
محسوب من جيشنا، ولا من هو معرفتنا، فما هم إلا من لا خلاق لهم، ولا
يركب البحر عندنا إلا أهل التمرين، ولو أطلقتمهم وإن كانوا ليسوا بشيء فتكون
عملت الخير بذلك، وتقول إنك عملت مسألة تراعى عليها، وأعظم من ذلك كله
هو أن رئيساً من بلادنا اسمه التاج كان أعطاه صاحبك الذى آتانا خط يده على أنه
يشترى سفينة من الجزائر يسافر بها قرصان وما عليه فيمن لقيه من فرانصيص،
فلما أن اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة موسوقة بالرخام والريال مع ما فيها من
الحرير وغيره وبعثها مع أصحابه ستة وعشرين مسلماً، وتعرضوا لها سفنكم
وأخذوها وثقفتها أنت أياماً، ثم بعد ذلك مزقتها والمسلمون الذين كانوا معها
خدمتهم فى الغراب، فلماذا لم تردّها وثقفتها ثلاث سنين كما ثقفنا نحن

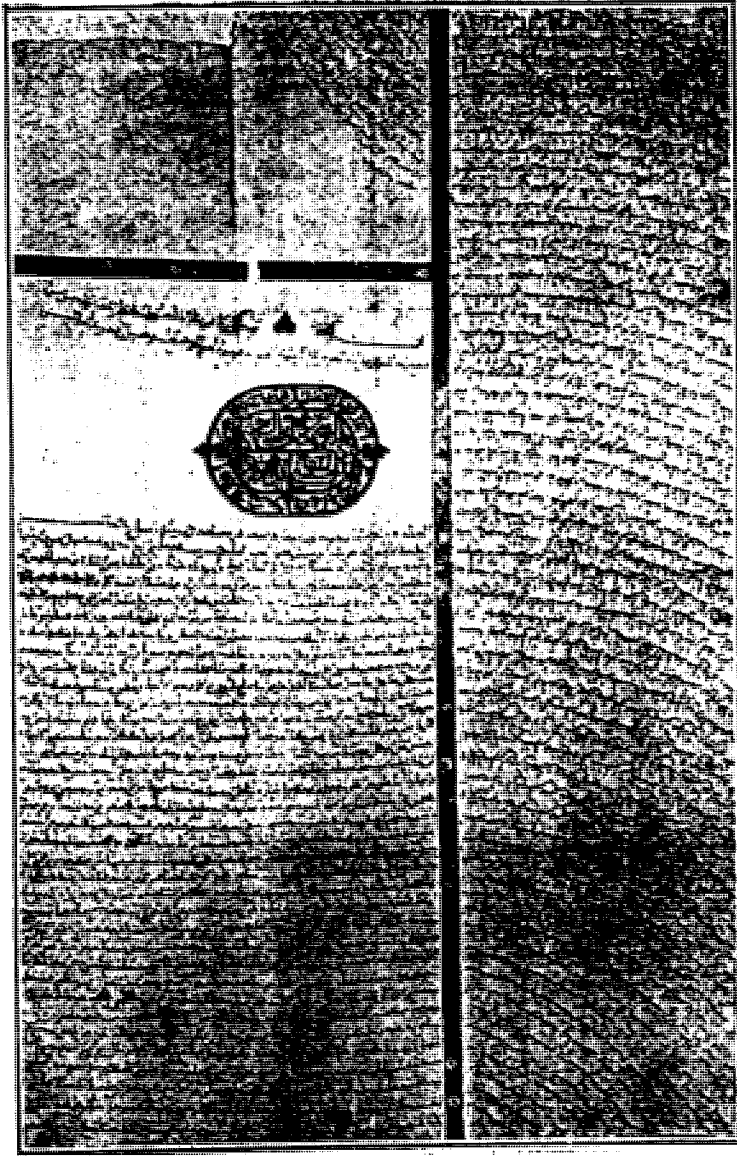
سفيتتكم؟ وهل هذه هي صحة القول؟ فهذا مما يدل على عدم صحة كلامك ومما يثبت الإخلال بقولك، وقلة وفائك.

فحتى الآن، فالذى ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر، وإذا أردت تثبيت المهادنة وإبرام الكلام فيها وإمضاء حجتها، فابعث لنا من عندك قونصو بالتفويض على الأمر، ويجلس هنا فى إحدى مراسينا ويكون الأمانة معه فى هذا كله، ونبرم معه هذا الأمر ويكون من أهل الحل والربط عندكم، وإلا فإن ظهر لكم خلاف ذلك فأعلمنا، وعرفنا بما عليه عملك، وما أضمرته طويتك والسلام على من اتبع الهدى وفى التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف.

وذكر المؤرخ الكنت المذكور فى كتاب له طبع بباريز سنة ١٩٠٣: أن المترجم كتب لسطان الإنجليز بما نصه: الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا رب غيره، ولا معبود سواه، ثم الطابع السلطاني بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، وبدائرتة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، أيدى الله بعزیز نصره وأمده بمعونته ويسره وخلصه فى الصالحات شريف مناقبه، وجميل ذكره، آمين يارب العالمين:

«إلى طاغية الإنجليز القاطن ببلاد الفرانصيص يعقوب المسمى بلسانهم جامس، سلام على من اتبع الهدى، وتجنب سبيل الغى والردى، وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى.

أما بعد: فلإنا كتبناه إليك وأوردناه عليك وأوصلناك بهذا الكتاب. واعتنينا لك بهذا الخطاب لمسألتين اثنتين إحداهما دينية والأخرى سياسية دنيوية، وموجب إيرادهما عليك التنبيه لك والإيقاظ والنصح والإرشاد، وذلك أن أخاك الذى كان ملكا على الإنجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف، وتقرر عنده من لدنا ما لهذا الدين الشريف على غيره من الشفوف والشرف، فكان من أجل ذلك يطلب منها المهادنة على طنجة، فبعث لمقامنا العلى بالله من أصحابه وخدامه المرة



ظهیر مولای اسماعیل نجیمس الخامس ملك الإنجلیز

الأولى والثانية من بعث إنافة بمحلنا وتنويها بشريف مكاننا وكانت المواصلة بين الملوك والمراسلة مستتنة ومشروعة وإن اختلفت اللسان وتباينت الأديان .

فجازيناه على فعله . وكافيناه على شغله . ووجهنا له من خدامنا أنبأشا دورا وصل إليه . وقدم عليه . كما شاهدته ورأيته ففرح بسفيرنا وأكرمه إكراما كثيرا ، وسر به وبمقدمه سرورا كبيرا . ورجع من عنده مغبوطا مسرورا .

فلم نزل نراعى لهم ذلك ، ووفينا له فى جميع ما كنا عملنا معه فى طنجة ولم نرد البال إلى شىء مما كان يعمل به حين أراد الرحيل عنها ، وكان ينقل خزائنها ومدافعها وسكانها ، وأهل جوارها من المسلمين يرون ذلك وينهونه إلينا ويقصون ما يشاهدونه علينا وما ألقينا إليه فى ذلك البال . ولا التفتنا إليه بحال من الأحوال . وما ذلك إلا مكافأة له على صنيعه مع سفيرنا ، ووفاء بالقول الذى كان طلبه منا ، ووددنا أن لو كان أخوك بقى حيا إلى أن يشاهد صنع الله الذى صنعه لنا فى فتح العرايش من يد لصبنيول ، ويرى محاصرة سبته اليوم وما كان أهلها يصرفونه عليها من الأموال ، وما كان يلزمهم فى مؤنتها من ملايين الريال ، لتحقق وفاؤنا له ، وغضضنا الطرف عنه وعلم أن القول والعهد الذى أعطيناه لم ننقص شيئا منه ، فالصواب الذى كان من أخيك والحق الذى كان يعرفه لنا هو سبب الكتب إليك مكافأة على صنيعه ، وهو الذى أوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيها الأمرين المذكورين أول الكتاب ، فأما الدينية منهما ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك إن وفقك الله تعالى .

وذلك أن تعلم أن الله سبحانه جل جلاله ، وتقدمت صفاته وأسمائه ، إنما خلق هذا الخلق ليعبدوه ويوحده ولا يشركوا به شيئا ، قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [سورة الذاريات] .

وهذه العبادة التي أوجب الله على خلقه لابد لها من وسائط يبلغون عن الله خلقه ما أمرهم به، ومن رحمته بخلقهم ورأفته بهم أن جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم، أرسلهم إليهم من أنفسهم واختارهم من أنفسهم، فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده، فأمن بهم من أراد الله سعادته، وكفر بهم من كتب شقاوته.

وختمهم بخاتم أنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين، وجعل دينه خير الأديان، وشريعته أفضل الشرائع، وملته خير الملل.

ولقد بشر به وببعثه عيسى، كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، ونبينا عليه السلام وإن كان آخر الأنبياء بعثا فهو أولهم خلقا.

وما يجب اعتقاده أن الانبياء كلهم يجب الإيمان بهم فلا نفرق بين أحد منهم، وأن المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون، ولا إطراء مما تطرون، قال الله تعالى في حق أمه الصديقة: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم]: وقال تعالى في حقه: ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]: وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ لَنْ يَسْتَكْفِ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء].

ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله إليه، وأن اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما

صلبوه ولكن شبه لهم، وأنه ينزل بين يدي الساعة فيجد المهدي من هذه الأمة من ولد فاطمة ابنة النبي ﷺ يقاتل الدجال، ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يا نبي الله أو يا روح الله، فيقول له عليه السلام عليك أقيمت فيصلى خلف رجل من أمة نبينا ﷺ ويحكم بشريعته، ويقتل الدجال فينكره النصارى، ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر، ويقول يا بنى الله هذا يهودى ورائى فاقتله.

وقد أخبرنا بهذا كله نبينا ﷺ بقوله والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل إلا الإسلام.

وهو معدود فى أصحاب نبينا ﷺ وقد عرف هذا جماعة من أعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشى ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا ﷺ يوم مات وهو بأرض الحبشة، وهو أحد من خاطبه النبي ﷺ ودعاه إلى الإسلام، كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذى لجأت إليه وأنت مقيم لديه، ولقد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده، سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته وما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهى عنه فقال إنه النبى المنتظر الذى بشر به عيسى، وسيملك موضع قدمى هاتين وشاور أرباب دولته وأهل ملته فى اتباعه فضجوا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فساعفهم وساعدهم بخلا بملكه وحين بلغ خبره نبينا ﷺ قال: ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت فى قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان لكنه لم يسمح بملكه.

وبكل حال من الأحوال فهذا الدين الحنيفى هو الذى اختاره الله دينا، وارتضى له نبيا آمينا، وجعله أفضل الأديان، قال الله سبحانه فى محكم القرآن: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ (١٦) . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ

يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [سورة آل عمران]. فمن أمعن النظر واستعمل الفكر ووزن الأديان بميزان الحق والعقل عرف أن دين الإسلام هو الدين، وأن غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذي ختم به الأنبياء، وتقرر لديه أنها كلها باطلة وأهلها للنار.

وقد وقع اختبار الأديان وأيهم أفضل لبعض عقلاء النصارى، وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود فأراد أن يختبرهم من جهة المعقول، فأتى نصرانيا وقال له أى الأديان أفضل؟ دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصراني دين النصارى أفضل، فقال له وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصراني: دين المسلمين.

فأتى اليهودى وقال له أى الأديان أفضل دين المسلمين أو دين النصارى أو دين اليهود؟ فقال له: دين اليهود، فقال له: وأيها أحسن أدين النصارى أم دين المسلمين؟ فقال له: دين المسلمين.

فأتى المسلم وقال له: أى الأديان أفضل؟ فقال له دين المسلمين فقال له: وأي الدينين أفضل دين اليهود أو دين النصارى؟ فقال له: لا خير فيهما معا.

فالدين القويم هو دين المسلمين، فعرف هذا النصراني المذكور بعقله أن الدين هو دين الإسلام وأن ما سواه محض ضلال، وأن اليهود والنصارى ليسوا على شيء وقد وقع معنى هذا فى كتابنا قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ...﴾ ﴿١١٣﴾ [سورة البقرة].

وها نحن قد أملينا عليك نبذة من الآي القرآنية والأحاديث النبوية والدلائل المعقولة المطبقة على أفضلية هذا الدين القويم، وغيره كله إنما هو فى سواء

الجحيم، وأنت إن خممت مع رأسك وفكرت فى نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار، فأنت عرفت سبيلهما، فاتبع هذا الدين الحنيفى وانطق بالشهادتين فإن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو قالها مرة فى عمره، ويدخلها بشفاعته النبى ﷺ فإن له فى أهل الكبائر والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شفاعة عظمى خصه بها ربه فى الموقف العظيم، والله إن أنت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقت الله إليه وعلمت ما عمله قيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به فى نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومآلا إن شاء الله .

فهذه المسألة الدينية التى نصحناك بها والمسألة الدنيوية هى إذا أنت أحببت الإبقاء على دين الكفر فدين قومك الإنجليز أخف وأيسر عليك من عبادة الصليب، ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم، وأى شىء رأيت فى تغريبك عن وطنك وبعذك عن بلدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك بدين غير دين قومك، وإن كان الجميع على ضلال فدينكم أنتم معشر اليريكس أيسر من أولئك المتوغلين فى الكفر، وحتى امرأتك الفرنسية التى كانت تحوزك على التعبد بدينها، هأنت الآن افتقرت معها، فعلى ماذا أنت باق فى جوار الفرنسيس تارك ملتك وادع ملك أبيك وأخيك لغيرك بالفلامك يتملك على جنسك وأنت بالحياة، فوالله ما أحببنا لداركم ولا لمملكتمك يتولى رياستها الفلامك أو غيره، فالغ عنك ما تقدم بينك وبين قومك فإن الصواب معهم فى الإنكار عليك بسبب الدين الذى اختلفت معهم فيه، واعتذر لهم وعادهم وراجعهم، والله لولا أنا أناس عرب لا معرفة لنا بالبحر، أو كان عندنا من يحسن معرفته، أو نستوثق به فى الجيش ونطلقه فى يده حتى نكاتب الإنجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك .

ولكن مسألة واحدة نعرفك إياها فحاول حتى تتصل من بلاد الفرنسيس،

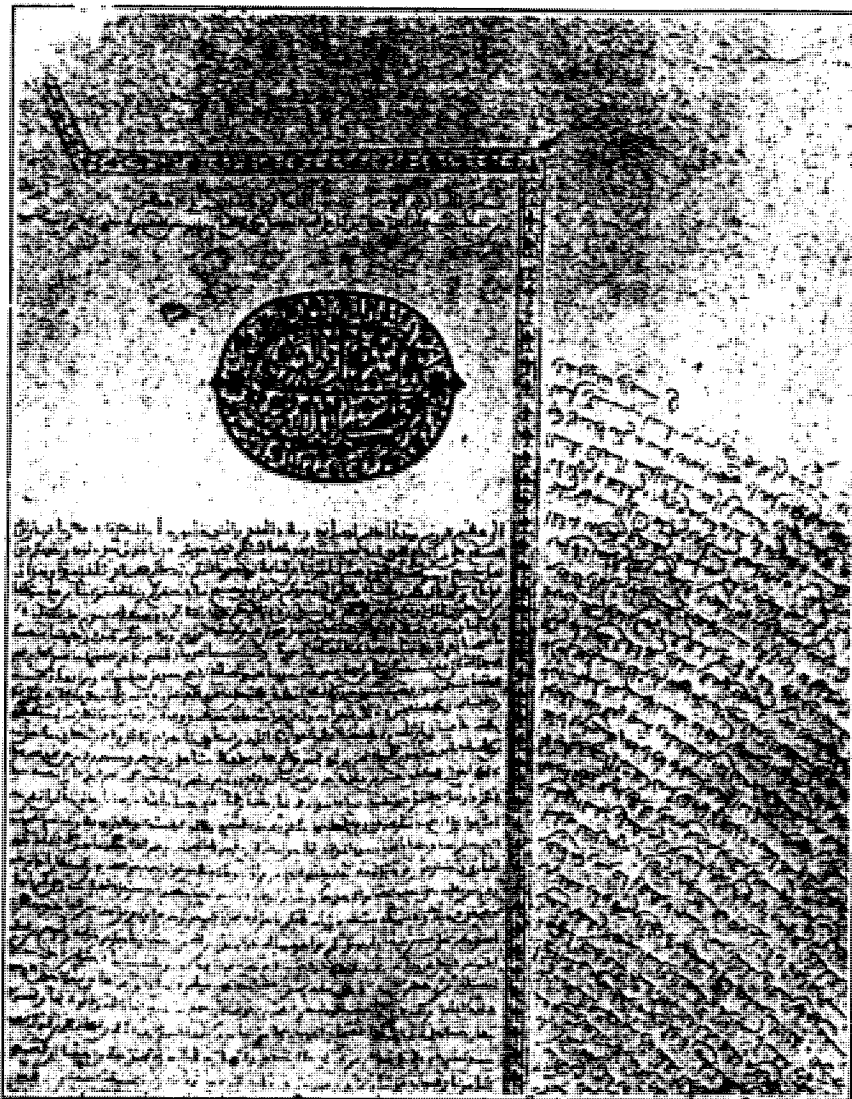
واقصد لجوبة بلاد البرتقال وها زوجة أخيك البرتقالية اليوم هنالك، ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك، وتسهل عليك مناولة الكلام معهم، لكن بحيث لا يكون للفرنسييس بك شعور، وأما إذا عرفوا منك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسألتين: إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قومك، والثانية يخافون أنك إذا راجعت قومك ربما تعاديهم وتحاربهم لا سيما حيث عرفتهم وعرفت عزة بلادهم، والملوك دائما تحذر من مثل هذا، وقد نصحنك وأريناك ما يليق بك في دينك وديناك ووالله ما نكره لك الهداية والرشاد.

وقد بلغنا أنك تروم الوصول إلى رومة، فإياك وأن تحدث نفسك بشيء من ذلك، فإنك إذا دخلتها تحتل بها ولا تطمع في الخروج منها ولا فى ملك بعدها أبدا، فعلى كل حال إن أنت راجعت قومك ودينك نجدد معك ما كان بيننا وبين أخيك، ووالله ما زال خديمنا الذى كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما أوجب مكاتبتنا لك بنصحننا، وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فستتفع بها على كل حال إن شاء الله، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب فى النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة وألف.

ومن ذلك ما وقفت عليه خطابا لملك الإصيان وإليك لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أموره إلى الله، أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى أيدى الله أمين، ثم الطابع الملوكى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى أيدى الله ونصره وبدائرتة: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا:



ظهیر مولای اسماعیل ملک الإسبان فی افتکاک بعض الأساری
وانتقاء بعض الكتب

«إلى عظيم الروم وملك أقاليم إصبانية وبلاد الهند والمتولى أمورها والمتصرف فى أقطارها (دون كراوس) السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم (دون منويل بيردلون) وخديمكم (دون ايبيل مسيح) وهو الكتاب الذى وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذى أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلى قبل هذا وبعد أن قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم (دون ايبيل مسيح) ما فى خاطركم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع الكلام قبل هذا، ردنا إليكم جواب كتابكم، ووجهناه مع خدم دارنا العلية بالله كاتبنا ومتولى الخط الأقرب من بساطنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا، وأذا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبى الحسن القائد على بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشره له ومرافقا، وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الإسلام المظفر بالله على نصارى العرايش وفى علمه وعلى باله ما كان فى ذلك من الكلام والأسباب، وكيفية الخبر فى ذلك.

فثقوا به وتعرفوا منه فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساطنا العلى بالله فى سائر أوقاته، ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح، ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الأنساب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك، فمنهم من كان ينادى بلفظ مينا على رءوسهم، ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك لذلك القول وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم، وبعضهم ركب لجج البحر فارا بنفسه حتى أدرك وقتل على الموج، وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وأئمة ديننا بأن قالوا لنا: إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذ ووقع الغلب والظفر،

ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق فلا وجه لسراحهم فى الشريعة
رأسا.

وكنا فى أثناء هذه المدة كلها نتراد الكلام مع هؤلاء العلماء حفظهم الله،
وقالوا لنا: هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه، كيف وقد أخذوا
العرايش من أول وهلة بلا موجب، بل أضغطوا الشيخ ابن السلطان الذهبى
وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم
العرايش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقى فى ذلك.

وذكرونا فى مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على
الأربعين ألفا بعد تعدد الشروط على ستين شرطا، ولم يوفوا لهم بواحد منها إلى
غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس فى كل بلد
وقرية بعد بلد وقرية، فالفيناهم ما تكلموا إلا بالحق، وبقينا فى حيرة من أجل هذه
المسألة من وجهين: الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التى هى أساس ديننا، والوجه
الثانى ذلك القول الذى سمعه فى تلك المائة أحببنا الوفاء به، وأنفت نفوسنا أن
يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفى بها، ولولا معاوضة العلماء لنا بهذا
الاحتجاج القوى لكنا شرحنا هذه المائة مع الفرائلى وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا
مسرحين، فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا فى هذه النازلة لابد منه ولا محيد
عنه، وأحببنا أن تسمع الناس أنا وفينا فى قولنا ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة
ولا كثرة اعتراض ولم يلزم فيه من حجة الشرع إثم، فأردنا كم تعملون لنا وجه
خلاص هذه المائة بالوجه الذى عملناه لكم وأعطيناكم فسحة فيه، وإلا فالمائة
المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم.

وذلك أن تعطونا فى الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب مائة
كتاب عن كل نصرانى من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة فى خزائنهم

بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمتنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة أسير من المسلمين فى الخمسين الأخرى عشرة أسارى لكل نصرانى، وإن لم توجد الكتب التى هى مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين وأعطوهم لنا من الأسارى الذين فى الأغرية وغيرهم، وقبلنا منكم فى العدد المذكور الرجل والمرأة والصبى والصغير أو الكبير والشيخ المسن من إيالتنا وغيرها، إذ ما لنا قصد إلا فى الأجر والثواب فى فكك أسرى المسلمين كيفما كانوا، ومن أى بلاد كانوا.

وإلا فالاعتناء الكلى إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصد بفكاهم وجه الله تعالى، فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملكم إلا الخير فى أرواحكم وفى إخوانكم، وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدرُوا عليه فأرجعوا خديمتنا الكاتب الذى وجهناه إليكم فى أمان الله كما أتاكم والمائة من النصرارى نصيرهم من جملة الأسارى إخوانهم يخدمون مثلهم.

وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد فى ابتغاء مرضاتنا وأنجزتم بأرواحكم فى هذه المسألة فلا ترون منا إلا ما يعجبكم وحتى باقى نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرايش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام فى سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم إن عملتم الواجب الذى لنا عليكم، وتعرفهم الصواب الذى تعين عليكم كما ذكرتم فى كتابكم، ويرجع خديمتنا حامله بما ذكرناه فى هذه المسألة لتلقاه هذه المائة نصرانى لسبته ويكون ملتقى الجميع فيها ولا عندنا معكم فى هذا إلا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى.

وكتب لسادس عشر ذى الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف.

وهداياهم للمترجم من الشائع الذائع الذى لا نحتاج معه لإقامة دليل ولا

برهان لوروده فى غير ما تاريخ من التواريخ الأروبية المهمة كتواريخ الكنت المذكور وكتب مويت الأسير وغير ذلك .

ومن الآثار الباقية من تلك الهدايا الملكية لحد الآن المشاهدة بالعيان البقية الباقية من آثار العربة التى وجه بها للمترجم الأمير العظيم الطائر الصيت لوز الرابع عشر .

ومن ذلك هدية ملك الإسبان التى بعثها لمولاي إسماعيل وهى تشتمل على مائة وخمسين ألف (أبياسطر) عينا وفتاة تركية معها عدد من الفتيات الجميلات، وديين، وأربعة كلاب من أرفع جنس، وأربعة من الغزلان الجبلية كما نقلت ذلك مجلة (سبريس) عن تاريخ دوكاسترى .

ومما ذكرته المجلة المذكورة سنة ١٩٢٨ : أن الجزء الثالث فى تاريخ العلويين من عيون التاريخ للمستعرب الكونت دوكاسترى الفرنسى الذى هو الجزء ١٥ من المجموعة كلها يحتوى على السنين الست التى ابتداءها من ثانى شتنبر ١٦٨٦ وآخرها ١٢ إبريل ١٦٩٣ .

وأن هناك مخابرة كانت بين المغرب وفرنسا وقد تسببت هذه المخابرة بين دولة المغرب ودولة فرنسا على نقض الصلح المنعقد بينهما سنة ١٦٨٢ .

وسبب نقض هذا الصلح هو استفحال أمر القرصنة بسلا - أولا فقد كان عدد الأسرى من الفرنسيين وحدهم فى ذلك الحين بالمغرب ما ينيف على ٤٠٠ - وثانيا ما حدث من سوء التفاهم فى المخابرة بين على بن عبد الله باشا طنجة وبين الدولة الفرنسية، لأن قنصل فرنسا وبعض قناصل الدول الأخرى لم يستطيعوا أن يخابروا المولى إسماعيل رأسا سنة ١٦٨٦ لأنه كان غازيا بالسوس الأقصى إلى أن نشأ عن سوء التفاهم المذكور توجيه أسطول صغير لشواطئ المغرب تحت رئاسة



العربة التي أهداها نويز الرابع عشر لولاي إسماعيل

(مونت مار) ينتظم الأسطول من قطع ٧ فهبت عليه عاصفة فرقت شمله ولم ينجح، وأخفق سعيه في الكرة ثانيا لمصادفة الحال اشتغال ملك فرنسا في حروب داخلية مع فئة (أو كسبور).

ثم أصدر لويز ١٤ أمره سنة ٨٧ بقطع الوصلة التجارية بينه وبين المغرب لأنه كان لا يمكنه أن يحمل التجار الفرنسيين المتعاطين للتجارة بالمغرب على مبارحته وإخلائه لقضاء مصالحهم عليهم بالبقاء به، ورغم ذلك فإن التجارة بقيت مستمرة مع ضعف، ونجح تجار الإسبان والإنجليز في ذلك الوقت، وفي عام ٨٨ ألزمهم مولاي إسماعيل بأداء غرامات باهضة اضطر بسببها لويز ١٤ للإرجاع في منع التجارة التي كان حجز بينه وبين الدولة المغربية، وذلك إثر رجوع مولاي إسماعيل من حركة السوس وعادت المواصلات لما كانت عليه، وأصدر مولاي إسماعيل أمره بجمع الأسرى الذين بالمغرب وتوجيههم لمكناس وجعلهم تحت نظره، وهذا أول حجارة وضعت في بناء أساس المودة بين لويز ١٤ وبين السلطان.

ولما حل الأسارى بمكناس بالغ السلطان في إكرامهم وأجزل لهم العطاء وغمرهم في البر، وأسقط عنهم كل كلفة كان يتحملها أسارى غيرهم من الأجناس.

ومع ذلك تأخر عقد المعاهدة في تلك السنة لاشتغال مولاي إسماعيل بمحاصرة العرايش وحرب باي الجزائر.

ثم لم يلبث مولاي إسماعيل أن تكدر جو السياسة بينه وبين فرنسا بسبب حادثة غريبة، وهي أن أحد أشرف المسلمين كان قد أسر ولبث زمنا طويلا بفرنسا إلى أن افتداه مولاي إسماعيل مع جمع من الأسرى، فلما ورد مكناس وردها مجذوم الأنف أصلم الأذنين، فاستاء مولاي إسماعيل مما عومل به ذلك الشريف

ولم يسكن غضبه حتى قرر له سفير فرنسا أن الأسير المذكور استوجب ذلك عقابا لاغتياله بعض الناس بفرنسا .

ثم اشتغل مولاي إسماعيل بقضية العرايش وافتداء أسراها مع الإصبان وأذعن الإصبان لأن يفتدى كل أسير من أسراها بعشرة من المسلمين، مع أن المفادات مع فرنسا كانت رأسا برأس، وأشار فى هذا الجزء لقضية فتح العرايش بأمته بيان، فليرجع إليه من أراد الاستقصاء .

وبعد افتتاح العرايش تفرغ مولاي إسماعيل لإبرام المعاهدة مع سفير فرنسا فتحت فى ١٢ إبريل عام ١٦٩٣ .

وتجد أيضا فى الجزء نفسه من الحوادث الداخلية التى وقعت فى المغرب فى السنين المذكورة كأخذه لترودانت من يد مولاي الحسن وغزوه للسوس واستيلائه ومحاصرته للعرايش إلى أن وقعت فى يده ومحاربة باى الجزائر .

قال: ولا ننس فضل دوكاسترى على تاريخ المغرب فى تحقيقه لهذه المسائل ومن أراد مزيد البيان بمراجعة وصف هذه الحروب فليراجع ما كتبه الأتراك فى التأليف المسمى دفتر التشريفات الذى نشره (ديفل) سنة ١٦٥٢ وقد أعاد الكنت دوكاسترى طبعه باللسان التركى الذى كتب به مع الترجمة الفرنسية بقلم ديפל المذكور الناشر الأول، وترجمة أخرى بقلم دوكاستر الناشر الثانى مصححة معلقة عليها .

هذا وقد وصف مولاي إسماعيل غير واحد من درس حياته بأنه آية فى الدهاء والسياسة والنباهة وصدق اللهجة، نشأ فى حرز وصون وعفاف، وكان ذا جد واجتهاد وحزم وعزم ونجدة وشهامة وشجاعة ومروءة وقناعة ومتانة دين .

قال فى تاريخ انقلاب دول الغرب (لابريط ويت) الانجليزى صحيفة ٥ :



مولای اسماعیل خارجا وسط جیشه من مکناس

«إن مولاي إسماعيل كان غير أكول قنوعا من كل شيء غير النساء محافظا على أمور ديانتته محافظة تامة» .

وقد كان عارفا بفلسفة التاريخ وأيام العرب وأنسابها وأحوال الأمم ووقائعها، إماما مرجوعا إليه في السيرة النبوية وضبطها.

استخلفه أخوه المولى الرشيد بفاس ومكناس فحسنت سيرته، ثم بويع له بالخلافة العامة بعد وفاة أخيه المذكور سنة اثنتين وثمانين وألف وهو إذ ذاك بمكناسة الزيتون كما في الترجمان المغرب، فوفد عليه علماء فاس وأعيانها وأهل القوة والبأس منها ببيعتهم، ثم تابعت وفود القبائل المغربية على أعتابه ببيعتهم.

فنهض بأعباء الخلافة وأقام للعدل قسطاسا، ورتب أمور المملكة ودوخ البلاد سهلها والجبل، واستنزل العصاة من صياصبيهم وقام في وجه الثوار الأقارب من إخوانه وبنى عمه وأولاده وغيرهم من الأباعد، وكان النصر حليفه.

وفتح من الثغور: المهديّة والعرايش وأصيلة وطنجة، وضبط الأمور وبنى الدور والقصور والمساجد والرباطات والقلع في الغور والنجد من وجدة إلى وادي نون، وعمرها بالجنود السود لحراسة السبل وتأمينها ونزع السلاح والخيل من القبائل، ولم يترك شيئا من ذلك إلا لأهل الريف وآيت يمور من البربر والودايا وعرب المعقل وجيش العبيد، ومن نتج له فرس يكون للحكومة، وأمرهم بالاشتغال بالفلاحة والقيام على الماشية والاشتغال بما يعينهم من صناعة وتجارة، فعظمت ثروة البلاد وكثر الروجان الذي لم يتقدم له نظير، وجمع أهل الذعائر من كل قبيلة وأودعهم سجونهم فكانوا يخدمون في البناء مع أسارى الكفار ويبيتون في الدهاليس، فساد الأمن في دولته حتى كانت المرأة والذمي يسافران، المدة لطويلة في البلاد القفرة فلا يتعرض لهما أحد بسوء، بل ولا يسألها من أين ولا إلى أين إلا ما كان من الحرس المكلف بتأمين السبل وحيطة المارة.

ونفقت في أيامه الزاهرة سلع العلم والأدب، وتوالى الخصب وعم الرخاء،
وإلى ذلك أشار أبو القاسم الزياني في ألفية السلوك بقوله:

في عام جفش^{١٠٨٣} تم بدره وصال
وقال للسلح والخيال اغربي
وجمع الذعار في الدهالس
وجمع العبيد من كل بلد
وصارت الغنم والذياب
أيامه غزيرة الأمطار
الزرع والإدام والمواشى
وطهر الثغور من أهل الصليب
حتى أتاه القدر المحتوم
ومهد المغرب سهلا وجبال^(١)
من كل حى عجمى أو عربى
وغيرهم من أرباب المناحس
جند كل السود لم يترك أحد
ترعى بسرح ما لها أنياب
كثيرة الخيرات والثمار
رخيصة وكل شىء فاش
وعمر الحصون وفق ما يجب
في شقط^{١١٣٩}ل فحلت الهموم

ولا يخفى ما في هذا النظم من الكسر والركاكة^(٢) وإنما سقناه لفائدته
التاريخية وشهرة صاحبه.

وكان المترجم يرشح مهرة الطلبة العارفين بنسخ الكتب وضبطها وإتقانها
أصحاب الخط البارع من فاس ومكناس وغيرهما من العواصم المغربية لنسخ كتب
الأحاجى والروايات كألف ليلة وليلة، والعترية سيرة عترة بن شداد وغير ذلك،
ويعدد النسخ منه ويفرقها في جيشه وكبراء عسكره ويلزمهم مطالعتها ومزاولتها

(١) في هامش المطبوع: «لم يراع الكسر وإلا فيبعته كانت في متم عام ١٠٨٢ دون نزاع.
انتهى. مؤلف».

(٢) أبقيناه كما هو لرغبة المؤلف.

حتى تصير لديهم من الضروريات، وقصده بذلك صيروتهم على بال مما جمعته من مكاييد الحروب والكر والفر وتدبير نزول الجيوش والأخذ بالأحوط في ذلك، وكيفية الهجوم وافتتاح المحاربة، وعقد الصلح والمهادنة، وترتيب الشروط، وتعلم الإقدام والمخاطرة، وإدراك المراتب بالمزايا زيادة على ما في ذلك من إعانة العسكر على السهر للحراسة وغير ذلك.

ومن المقرر المعلوم أن المحاجات والأسئلة والأجوبة تمدّ الذهن وتذكي العقل وتعلم الصغار التحيل في الكلام واختيار ما يأتي وما يذر. وحكايات مجالس الحكام والوزراء لها أثر كبير في ردع رؤساء الدولة واحتياطهم في أحكامهم وتأنيهم في قضاياهم خشية أن ينقل عنهم ما يشين فيفتضح غرضهم، وهذا أمر محسوس في الأدب والتربية، ومن لم يكن يحفظ فصولا عدة من تلك الأحاجي والروايات لا يعد من عبيد البخارى الأحرار.

استطراد: أما مدينة المهديّة فهي من جملة مدائن يفرن في القديم، انتزعها من يدهم أمراء برغواطة وعمّروا ساحتها ببنى حسن الذين هم بها لهذا العهد بالضمنة اليسرى من وادي سبو، وخربوها فيما خربوه من المدائن.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة جدد بناءها جوهر الصقلي، ولما أنزل يعقوب المنصور الموحدى العرب من رباح الهلالين ببلاد الهبط أنزل بنى مالك منهم على الضفة اليمنى من النهر المذكور، وجدد بناءها وجعلها مركزاً لرياسة العرب الهلالين، فأعاروها جانباً من البداوة وبقيت على حالها إلى أن هدمها أسطول صاحب برشلونة سنة ثلاث وستين وستمائة، وبقيت على خرابها إلى أن نزل بها البرتغاليون سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فشرعوا في تحصينها، وبعد ثلاث سنين أخرجهم منها أبو عبد الله الوطاسي.

ثم في سنة ثلاث وثلاثين وألف استولى عليها الإصبان وحصنوها وعمروها

إلى أن أخرجهم منها صاحب الترجمة سنة ثنتين وتسعين وألف، وأنزل بها جيش العبيد وأوزاعا من عرب الناحية وهى على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة العرايش: فهى مدينة قديمة تعرف بـ «سفدد» بباء فسين ففاء فدالين، كان صاحبها من بقية الأدراسة أحمد بن القاسم جنون تحت طاعة محمد الناصر صاحب قرطبة سنة ٣٣٧، ثم أخرجها منها جوهر قائد جيش الفاطميين، ثم صارت تابعة لعمال المرابطين ومن أتى بعدهم إلى أن أنزل بها يعقوب المنصور الموحدى العرب الهلاليين فجعلوها قاعدة رياستهم وأطلقوا عليها اسم العرايش، فصارت إلى البداوة أقرب، سيما وقد هدمها أسطول الإفرنج سنة ٦٦٨ وبقيت على خرابها إلى سنة ٩١٠، فنزلها البرتغاليون وبنوها وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدى سنة ٩٨٦، فاعتنى بها وحصنها وبنى قصبتها، ثم فى سنة ١٠١٩ ساعد محمد الشيخ الإصبان بتسليمها لهم وبقوا بها إلى أن أخرجهم منها المترجم سنة ١١٠١ وهى على ذلك إلى الحين الحالى.

وأما أصيلة: فكانت ساحتها تقام بها سوق أوائل القرن الثالث يقصدها الناس من الأمصار بأنواع المتاجر وتكاثر البناء بها إلى أن صارت قرية أهلة، ثم قدم إليها القاسم بن إدريس عندما أخرجته أخوه محمد من البصرة فنزلها وزهد فى الملك، وبنى مسجدها على ضفة البحر وسورها وبنى قصرها، ثم تولاه ابنه إبراهيم ولم تزل بيد بنيه إلى أن صارت للحسن الحجام، ثم لموسى بن العافية سنة ٣١١ إلى أن نزل عليها أسطول بنى العزفى وأهل سبتة سنة ٦٦٣، فهدأ أبو القاسم منهم قصبتها وخربها، وفى عام ٨٧٦ قام بها أبو عبد الله محمد الشيخ ابن أبى زكرياء الوطاسى مؤسس دولة بنى وطاس واتخذها عاصمة.

وفى السنة نفسها نزل عليها أسطول البرتقال واحتلها فى غيبة أبى عبد الله، وظفر بيت ماله وأسر ولده محمد فبقى فى أسره سبع سنين ورجع، فكان يدعى بمحمد البرتقالى.

وحصنها البرتقاليون وجددوا بناءها وأقاموا بها إلى أن فتحها صاحب الترجمة سنة ثنتين ومائة وألف، وعمرها أهل الناحية فهي على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة طنجة = بفتح فسكون = فهي بشاطئ البحر المحيط بمدخل الزقاق الفاصل بين قارتى إفريقية وأوروبا مقابلة للجزيرة الخضراء، أسس بناءها القرطاجنيون وكانت من أعظم مدائنهم بإفريقية، حازت من الضخامة وعلو الشأن ما لا يدرك شأوه، ثم طغى عليها البحر وبقي طرف منها لهذا العهد يعرف بطنجة القديمة جاء الفتح الإسلامى وخرائب هذه المدينة العتيقة قائمة للعيان.

قال أبو عبيد البكرى فى المسالك عند ذكر طنجة وليلى الحادثة وطنجة البيضاء القديمة المذكورة فى التاريخ فيها آثار للأول كثيرة من قصور وأفناء وغيران وماء مجلوب فى قناو رخام كثير وصخر منجور وتحتفر خزائنها فيوجد فيها أصناف الجواهر فى قبور أولية وغيرها من المواضع وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها انظر تمام كلامه فيه^(١).

ثم عندما دخل المسلمون قارة إفريقية فتحت طنجة على يد عقبة بن نافع الفهري سنة ثنتين وستين من الهجرة، وولى عليها من قبله وعقد الصلح من يوليان صاحب سبتة، وأعمال غمارة على الجزيرة وبقيت طنجة تعلقو وتسفل مع الزمان إلى أن استولى عليها البرتقاليون سنة تسع وستين وثمانمائة، فأقاموا بها إلى أن اندمج البرتقاليون تحت حكم دولة الإصبان، ثم تنازلت عنها لدولة انكلترا وبقيت تحت ولايتهم إلى أن كانت سنة خمس وتسعين وألف، فحاصرها أبو الحسن على بن عبد الله الريفى فى جيوش أهل الريف بإذن سيدنا الجدد السلطان صاحب الترجمة، ولما اشتد الحصار عليها عمد من بها من الإنجليز إلى تخريبها وهدم حصونها وركبوا سفنهم وتركوها، فدخلتها الجنود الإسماعيلية من

(١) المسالك والممالك للبكرى ٢ / ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٨.

غير قتال، وجدد ما تهدم منها، وأسس مسجد قصبته وغيرها وهي على ذلك لهذا العهد.

هذا وقد أفردت ترجمة هذا الإمام المترجم بمؤلف وسميته بـ «المنزح اللطيف، في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف» ورتبته على أربعة وعشرين بابا:

- الباب الأول في التعريف به .
- الثاني في سيرته .
- الثالث في شفقتة على الرعية وحنانه .
- الرابع في شغفه بالعلم ورفع منار أهله .
- الخامس في صدق فراسته .
- السادس في سيره في جيوشه .
- السابع في فتوحاته .
- الثامن في علاقته السياسية مع الدول الإسلامية والأوروبية .
- التاسع في اهتمامه بتحقيق أحساب وأنساب سكان عاصمة ملكه مكناسة الزيتون وأمره بتدوين ذلك .
- العاشر في قضااته .
- الحادي عشر في خلفائه من أولاده .
- الثاني عشر في وزرائه .
- الثالث عشر في نسائه .
- الرابع عشر في عماله وولاة أمره من أمناء ونظار وحجاب .

- الخامس عشر فى سفرائه إلى الدول .
 - السادس عشر فى أطبائه .
 - السابع عشر فى شعراء دولته .
 - الثامن عشر فى بناءاته .
 - التاسع عشر فيما غرسه من الجنات والبساتين .
 - العشرون فى عدد ما خلفه من الأولاد .
 - الواحد والعشرون فيما خلفه فى سجونته من الأسارى وأرباب الجرائم .
 - الثانى والعشرون فى إخلاص رعيته فى محبته .
 - الثالث والعشرون فيما قيل فيه من الأمداح .
 - الرابع والعشرون فى وفاته، وكل باب يحتوى على فصول وفوائد تاريخية مهمة تسر الناظرين .
- مشيخته: أخذ عن وزيره الیحمدي حسبما صرح بذلك عن نفسه كما أخذ عن غيره من الأعلام .
- ولادته: ولد بالسوس عام ستة وخمسين وألف هكذا فى بعض التواريخ والشائع عند جميع أشرف تافيلالت على ما شافهنى به الشريف العدل البركة الضابط مولای عبد السلام بن محمد بن الشريف بن على بن عبد الرحمن بن الحران بن محمد بن على الصغیر دفين باب إيلان من مراكش قائلا: إنه تلقى من أعيان كبراء الأشراف وأعلامهم الأثبات أن المترجم ولد بتافيلالت بالقصر المعروف بامجار، وأن القبة التى ولد بها لا زالت معروفة محترمة، عند الخاصة والعامة إلى الآن وحتى الآن لا يلحقهم فى ذلك أدنى شك ولا تردد وعند الله علم الحقيقة .

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وثلاثين ومائة وألف وقبره مزارة شهيرة عليه صيب الرحمات.

١٠٥- أيوبس: بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو وسكون الياء والسين المهملة كذا ضبطه في الأزهار الندية قال وهذا من الأسماء التي يتعذر بيان معناها.

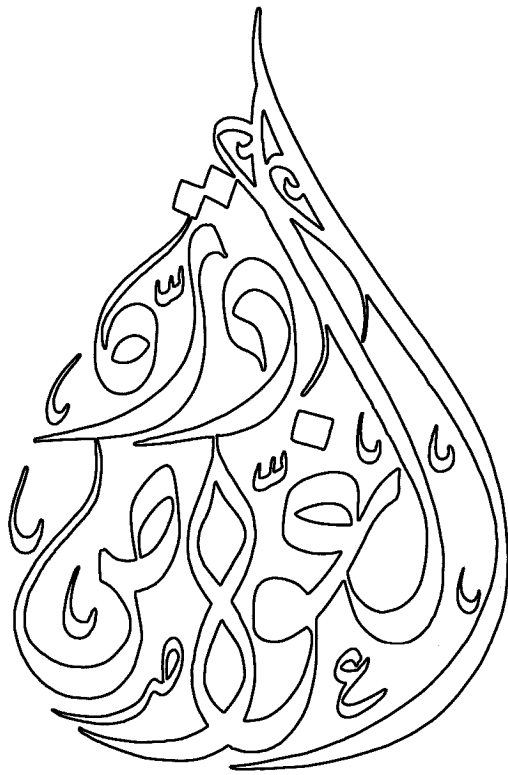
حاله: فقيه علامة مفتى نوازلى ورد على فاس بعد العشرة السادسة ولازم الأخذ عن الشيوخ حتى برع فى الفقه المالكى، ولازم أبا على بن رحال بمكناسة الزيتون مدة، ثم رحل لفاس وكان يذهب لباديتها ويحضر أسواقهم ويستفتونه ويأتونه بالهدايا، وربما أفتى بغير المشهور.

مشيخته: أخذ عن أبى على بن رحال ومن فى طبقتة.

وفاته: توفي بفاس عام سبعين ومائة وألف.



١٠٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة اعلام المغرب ٦/٢٢٨٧.



(حرف الباء)

١٠٦- بوسلهام بن على بن المؤذن الخلطى البوجنونى الأصل المكناسى
النشأة والدار والإقبار، من أولاد المؤذن، إحدى فرق قبيلة الخلط
المشهوره.

حاله: فقيه أستاذ حيسوبى ميقاتى كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة
على علماء الميقات فى زمنه عند السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وكان من
الملازمين لحضرتة السلطانية ظعنا وإقامة، وكان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف
حمزة وهو منصت له، وكلما ختم ختمة بالحرف المذكور أفاض عليه سجال عطاياه
الملوكية وغمره ببره وإحسانه، فيجمع الأساتذة ويهيم لهم أنواع الأطعمة الفاخرة
ويبسط لهم موائد البر والإكرام إظهاراً لما هو مغمور فيه من النعم السلطانية، ولم
يزل على ذلك إلى أن لقي ربه.

وكان السبب فى تصديه للقراءة هو أن السلطان المولى عبد الرحمن لما وقع
بينه وبين الأودية ما وقع من المخالفة والشقاق، والحال أن سائر الوظائف المخزنية
الداخلية والخارجية بأيديهم لا يشاركون فيها غيرهم إلا نادراً، أمر عند مقدمه
لمكناسة الزيتون باشاها القائد محمد بن العواد الخلطى البوجنونى بانتخاب عشرة
من طلبة الجيش البخارى لتعلم التوقييت والحساب، فكان المترجم من جملة
المنتخبين وكلف السلطان بإقراءتهم العلامة المتضلع النقاد السيد عبد الرحمن بن
محمد بصرى فبذل المجهود فى التعليم، وأكب المرشحون على ما رشحوا له بجد
واجتهاد حتى نبغ منهم أربعة وأحرزوا قصب السبق فى التبريز فى فنون شتى منها
ما ذكر، وكان المترجم أنجب الأربعة وأمهرهم واستخدم الكل بالحضرة السلطانية
ولازم الباب العالى حضراً وسفراً.

وفاته: توفي عام خمسة وستين ومائتين وألف ودفن بروضة الشيخ الكامل السيد محمد بن عيسى من ناحية باب البراذعيين أحد أبواب مدينة مكناسة الزيتون، وقبره ثمَّ معروف.

١٠٧- بوعزة بن العربي بن بوعزة المدعو الفشار، السفيناني الأصل، المكناسي النشأة والدار والقرار والإقبار.

حاله: فقيه أستاذ حيسوبي ماهر خاشع ناسك متواضع، شديد الحب في آل بيت الرسول، منعزل عن الناس لا يحضر الولائم، ولا يأكل طعام أحد، ما شرب الأتاي قط، ذاكر تال لكتاب الله عز وجل مواظب على قراءة دلائل الخيرات، يقوم الليل ويصوم الدهر، لا يفطر في غير الجمع والأعياد، ولا يركب دابة إلا نادراً في المواكب الرسمية، يركب فرسا سرجه مغشى بكتان ولا يلبس من الثياب إلا ما خشن.

استخدمه السلطان المولى عبد الرحمن في حنطة فراشه وكان ملازماً لصلاة الخمس مع السلطان المذكور، وقراءة الحزب في كل بكرة وعشى، ولما أنس السلطان رشده كلف به من يقرئه الحساب، ولما حصل على الغاية القصوى فيما أريد منه وظهرت نجابته وصلاحه رشحه للأمانة فجعله أميناً كبيراً على جيوشه المظفرة في حركته للقطر السوسى.

ثم في عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف استخدمه أميناً كبيراً على رواتب الجيوش بالحضرة المكناسية، وأميناً على داره الكريمة ورئيساً على أمناء صائرها يأتمرون بأوامره ويتهون بنواهيته، مفوضاً إليه في تنفيذ كل ما يحدث من زيادة أو نقص فى المؤن والرواتب الشهرية بالدار السلطانية بالحضرة المكناسية، وتقييد ضحية النحر الموجهة لها، والوقوف عليها حتى تحل محلها والخليع اللازم لها، ودفعه فى وقته بجميع ما يلزم من ضرورياته مع تنفيذ ما عهد لها من عوائد المواسم والليالى

الفاضلة، ولمن فى حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدار وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات داره وما هو منضاف إليها .

ولا يقبل زمام صائر الأمانة على الدار العلية إلا بعد اطلاعه عليه وتسليمه له بإمضائه عليه بخط يده .

وأنا به السلطان عنه فى تولى قبض مفتاحه على بيت مال المسلمين وفتحه عند إرادة الإدخال إليه أو الإخراج منه فى ظعن السلطان وإقامته، وذلك زيادة على المفتاح الذى بيده بصفة كونه أميناً، إذ لبيت المال هذا مفاتيح أربعة، والعادة فيها أن يكون أحدها بيد الجلالة السلطانية، وثانيها عند عامل البلد، وثالثها عند أمانة الصائر، ورابعها عند أمين الدار السلطانية الذى هو أكبر الأمانة لا يمكن فتحه إلا بالمفاتيح الأربع، وذلك كله أخذاً بالحزم والأحوط .

وأقره على جميع ما ذكر السلطان سيدى محمد ونجله المولى الحسن، ولم يزل على تلك الوظائف العالية محبوباً مبجلًا عند أولئك السلاطين العظام إلى أن توفى .

وكان الوصى على سائر أبناء العائلة الملوكية، وكذا أبناء الجيش البخارى، ومن عجيب أمره فى ذلك أنه كان لا يضيف مال أحد لمال آخر قل أو جل، يبقى كلا على انفراده، ولا يضيف سكة إلى أخرى مع كثرة الموصى عليهم ووفور أموالهم ومستفاداتهم وتنوع السكك، ومن ورعه أنه لا يأخذ على ذلك أجراً .

مشيخته: أخذ عن الفقيه البركة السيد محمد بن عبد الله من نسب المترجم وعمن عاصره من الشيوخ .

وفاته: توفى رحمه الله يوم الأحد الثانى عشر من ذى الحجة عام ثلاثمائة وألف، ودفن بجامع الأقواس المعروف اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة بين العراصى من الحضرة المكناسية .

١٠٨ - بلقاسم بصرى وهو ابن محمد بن بلقاسم بن محمد الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبى سرحان بن محمد بن محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمران الولهاصى.

حاله: فقيه نبيه من بيت علم وفضل وصلاح ووجاهة، حسبما بيدهم من ظهائر عظماء ملوكنا العلويين، كمولانا الجد الأكبر المولى إسماعيل، برد الله ثراه مما سيمر بك بعضه فى تراجم بعض أسلاف المترجم فترقب.

عدل رضى مبرز موثق ذاكر عابد متعهد ناسك خطيب مصقع، مبدل عند العامة والخاصة، محبوب عند الكبير والصغير يلقن الورد التجانى بل إمام الطريقة ومقدمها شديد المحافظة على صلاة الجماعة.

رحل فى طلب العلم للحضرة الفاسية بعد أن حصل ما قسم له من المعلومات بمسقط رأسه الحضرة المكناسية، وتصدر للخطبة بالمسجد الأعظم بعد وفاة والده، وولى خطة العدالة بالأحباس الكبرى من الحضرة المكناسية فى رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وثلاثين وتسعين ومائتين وألف.

مشيخته: منهم العلامة العامل السيد العربى بن السائح العمرى، والسيد العباس بن كيران، والسيد الحاج مبارك السجلماسى، والسيد المهدي ابن الحاج السلمى، والحاج محمد جنون مختصر الرهونى، والسيد أحمد بنانى المدعو كلاً، ومن فى طبقة هؤلاء الأئمة الجللة.

ولادته: وجد بخط ولده أن والدته أخبرته أنها كانت تسمع من والده أنه سمع من والدته أن جده السيد بلقاسم توفى ليلة سابع ولادة المترجم، وذلك يوم

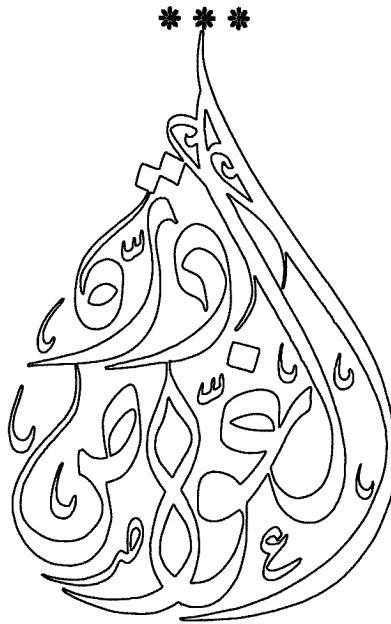
١٠٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ١/٨ - ٢٩٠.

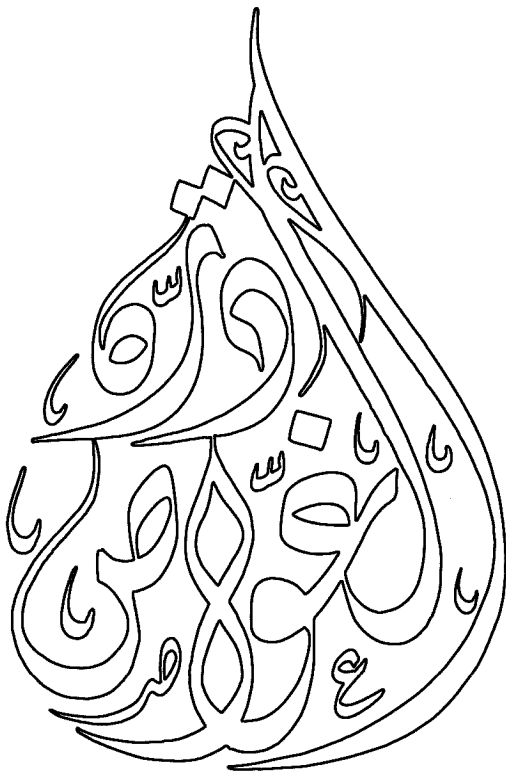
الجمعة تاسع عشرى جمادى الأولى عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف، فتكون
ولادة صاحب الترجمة يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى عام ثلاثة وخمسين
ومائتين وألف.

وفاته: توفى بعد غروب يوم الأربعاء تاسع عشرى محرم الحرام فاتح سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة جده الشهيرة بالحضرة المكناسية سيدي
بصرى رضى الله عنه، ورحم الجميع بمه.

١٠٩- بوبكر المراكشى الأصل.

حاله: فقيه جليل نبهه كامل متفنن مدرس نوازلى مفت تولى رئاسة الفتوى
بحضرة مكناسة حسبما وقفت على ذلك برسم يتضمن الإشهاد على جملة من
فحول الأعلام بصحة نسب فرقة من الأشراف الحسينيين الإدريسيين من أولئك
الأعلام المترجم محلى فيه بالأوصاف المذكورة وذلك بتاريخ ثالث عشرى ربيع
الأول عام عشرين ومائة وألف مكتوب ذلك العقد فى رق غزال مزخرف الجوانب
الأربع بالخطوط الذهبية الغربية الصنع العجيبة الشكل.





(حرف التاء)

١١٠- التهامى بن عبد العزيز المرى.

حاله: فقيه جليل عالم فاضل مبجل، تولى النيابة عن قاضى مكناسة السيد محمد الطيب بن محمد بصرى ووقفت على رسم مسجل عليه محلى فيه بالشرىف وبالأوصاف المذكورة بتاريخ منتصف شوال عام مائتين وألف.

١١١- التهامى الغياثى.

حاله: علامة مدرس نفاع، لم أقف له على ترجمة غير أنه كان بقيد الحياة فى جمادى الأولى عام تسعة وأربعين ومائة وألف من جملة مدرسى الأعظم كما بقائمة المرتب الشهرى للعلماء المدرسين فى ذلك العصر.

١١٢- التهامى أبو الفتح بن المرابط البركة السيد حمادى بن عبد الواحد المطيرى الحمادى المكناسى.

حاله: علامة مشارك مطلع نحرير، أديب أريب، نقاد محدث متقن متضلع، تولى خطة القضاء أولاً بمكناس ثم مراكش، وقفت على رسم مسجل عليه مدة توليته بمكناس بتاريخ ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، محلى فيه بالعالم الناسك البركة الخطيب البليغ القدوة المدرس المحقق الحجة، ونص شكله التهامى ابن محمد المطيرى الحمادى.

وكان شىخ الحديث فى مجلس السلطان المولى عبد الرحمن، ثم اصطفاه للقراءة معه سفرًا وحضرًا يظعن بظعنه ويقيم بإقامته، ثم وجهه بين يديه لفاس فعاجلته المنية.

١١٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٢٠.

وأصله من بنى مطير القبيلة البربرية المشهورة من فخذ يقال لهم آيت حمادى، منازلهم الآن قرب فاس.

مشيخته: أخذ عن العلامة إدريس بن زين العابدين العراقى، والشيخ الطيب ابن كيران وأجازاه عامة ودونك نصوص إجازتيهما له ومن خطوطهما نقلت:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. الحمد لله الذى جعل جبل الإسناد. من أوثق الصلة بين الله والعباد. والصلاة والسلام على أجل واسطة. وأتم رابطة. مولانا محمد المختار. وعلى آله وأصحابه الأخيار.

أما بعد: فإن المتمسك بهذا الاستدعاء الفقيه الألعى النبيه. الأديب الأريب النزيه. السالك الإدراك المثبت أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن المرابط البركة السيد حمادى ألهمه الله رشده، ممن لزم الجثو بين أيدينا فى مجالس العلوم. واقتنص فى إشراك فهمه من إملاتنا شوارد الفهوم. برهة واسعة من الزمان. كان فيها المجلى عن الأقران. حتى حصل بحمد الله على علم وافر. ويمن فى حسن الملكة ظاهر.

ثم لما أراد الرجوع إلى مسقط رأسه. الذى هو مناط لمثمر غرسه. وكان الإسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء، طلب من هذا العبيد الظلوم لنفسه أن يجيزه. وينصف بعامل الانتساب إبريزه. وإنى وإن لم أكن لذلك بأهل. ولا ممن أحرز فى مجاله الخصل. لكن مقابلة الرغبة بالإسعاف. كما قيل من شيم الأشراف.

فأقول: قد أجزت السيد المذكور. وفقنا الله وإياه للسعى المشكور. فيما قرأه على وفى غيره من كل ما تصح لى روايته عن أشياخى المعتبرين من منقول ومعقول ومنظوم ومثور إجازة تامة. مطلقة عامة. بالشرط المعتبر. عند أئمة

الحديث والأثر. وعليه بشكر الله على ما أولاه من العلم، لأن الشكر مناط الزيادة وليتق الله في السر والعلانية، لأن العمل ثمرة العلم والله ولى الهداية. فى المبدأ والنهاية.

وكتب أفقر العبيد لرحمة رب العالمين. إدريس بن على زين العابدين. حلاه الله بصفات اليقين. العراقي الحسينى أحسن الله حاله. وجعل إلى الفردوس مآله».

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. حمداً لمن رفع الذين أتوا العلم درجات. وجعل نفوسهم تسرح من رياضه فى حدائق نضرات. وأذاقهم حلاوة التحقيق فهاموا طرباً بما حصرت فيه اللذة الدنيوية من العلوم والإدراكات. وصلاة وسلاماً تامين على سيدنا محمد أعلم من أسند عنه الحكماء والرواة. وعلى آله الأمجاد السراة. وصحابته الأنجاد الهداة.

وبعد: فإنه لما تقرر لدى أولى الحجاً. واشتهر اشتهاؤ الزبرقان فى الدجى. أن أنفس ما تنفق فيه نفائس الأعمار. وأبهج ما تلهج فيه الألسنة وتعمل فيه عوامل الأفكار هو إنشاء حقائق العلوم. والارتقاء إلى دقائق الفهوم.

العلم نور مبين به اللبيب تجلى فقل لمن فى سواه
غلا وعنه تخلى شتان ما بين ليل داج وصبح تجلى
العلم نور مبين يستضاء به وخطة ما لها فى الحسن من مثل
فاملاً جرابك منه غير مكثر بما يراه أخو كبر وذو خجل
ولما من المولى الكريم. من فضله العميم. على كاتبه العبد الضعيف بصرف
آونة من عنفوان الشباب الوريق الوريق. إلى اقتطاف نبذة من أزهاره. واستطلاع

شيء من أنواره. وورود مورد عذب من موارده. واقتناص بعض من شواذه وشوارده. جرتنى الأقدار إلى إملاء بعض الدروس. إسعافا لطلاب عطشى الأكباد غرثى النفوس. فتصدت لا عن أهلية منى لذلك المنصب الوسيم. ولكن إذا اقشعرت البلاد وصوح نبتها رعى الهشيم.

ثم إن المستدعى فى الأوراق قبله الطالب الأرشد. الأنجب الأسعد. أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن محمد الحمادى. بلغه الله أمله وأسبغ عليه جلائل الأيادى. كان ممن لزمنى مدة. وأعد للأخذ عنى عدة. فحضرنى فى مجالس منقول ومعقول. وفروع وأصول. وآلات ومقاصد. ومباحث وفوائد. وحصل بتوفيق الله على ما يسر له من فهم وعلم. وظفر بما أتيج له من حفظ وقسم. وبدت آثار رشده وهدايته ولاحت معالم تحصيله ونجابته. ولذلك أسعفته فيما التمس من الإجازة تبركا بطريق السلف وإيثارا للاتباع. وإن كنت أقول المدار اليوم على إظهار ما وصل إليه الباع. فهو الشاهد لك أو عليك. والحجة القاطعة لديك فأقول: قد أجزت الطالب المذكور فيما رويت أو دريت إجازة تامة. مطلقة شاملة عامة. بشرط التثبت والتحرى. وأن يقول فيما لا يدرىه لا أدرى. فإنها مما يكمل وليست مما يزرى. ولقد أجاد من قال:

ومن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدرى أصيبت مقاتله

وذكر ابن عبد البر فى مقدمة التمهيد أن الإمام مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنين وثلاثين لا أدرى، واشتهر عنه فى كتب الأصول أنه سئل عن أربعين فقال فى ست وثلاثين لا أدرى والله يرشدنا وإياه إلى سواء السبيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم. وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكتب عبيد ربه سبحانه وتعالى محمد الطيب بن عبد المجيد شهر بابن
كيران. لطف الله به وعامله في الدارين بجزيل الإحسان».

وقد أخبرني من وثقت بخبره من أهل العلم أنه أخذ عن السيد أحمد بن
التاودي بن سودة ومن في طبقة والله أعلم.

الآخذون عنه: منهم أبو المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسي الفهري
المتوفى بالطاعون ثامن عشرى رمضان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف،
والقاضي أبو زيد عبد الرحمن البريرى الكبير الرباطى المتوفى عاشر شوال عام
ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، والأخوان القاضي الأعدل أبو عيسى المهدي بن
سودة المرى وأبو حفص عمر المتوفى فى متم ربيع الأول سنة خمس وثمانين
ومائتين وألف، والمحدث الأشهر سيدى الوليد العراقى المولود سنة تسع بتقديم
المثناة ومائتين وألف كما وجد بخط يده المتوفى فى ربيع الثانى عام خمسة وستين
ومئتين وألف، والعلامة السيد محمد بن عبد القادر الكرودى، وأخو المترجم
السيد محمد، ومحشى ميارة السيد الطالب بن حمدون بن الحاج، وأجاز عامة
للثلاثة الأخيرين باستدعاء منهم له وقفت على نص ذلك الاستدعاء ودونك لفظه:

«حمدا لمن أطلع فى سماء العلم للرواية والدراية شموسا وأقمارا، وعينهم
لافتضاض الأبرار من غوانى الأفكار حتى أجرى من ينابيع حكمهم بحورا
وأنهارا، وأهلنا للارتشاف من خلاصة رضابهم المغنى عن أحلى الضرب، حتى
أسعدوه بالإرشاد نحو لمحة من فنون علمهم المزرية بشذور الذهب، وصلاة وسلاما
على يتيمة الدهر، الجامع لأشتات الفضائل والفخر، المصطفى المختار، المجيز من
استجازه دون إنكار، وعلى آله الأتقياء الأبرار، وأصحابه الأجلة الأخيار، وبعد:
فالمطلوب من إحسان شيخنا قاضى القضاة ومن إليه المرجع فى حل المشكلات الثقة
الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن

النعمة والسمت، العلامة الإدراكية المشارك، الذي لم يعقبه عن دائرة التحقيق متدارك، الإمام الذي به في كل فن يقتدى، النجم الذي هو ضياء في مشكلات العلوم وهدى، العلم الفرد الذي قصرت عن إدراك شأوه الجموع. العالم الذي انتصبت له في الخافقين أعلام الثناء المرفوع. إمام الفصحاء. وحامل راية البلغاء.

هو البحر لا بل دون ما علم البحر هو البدر لا بل دون طلعتة البدر

هو النجم لا بل دونه النجم رتبة هو الدر لا بل دون منطقه الدر

هو الكامل الأوصاف في العلم والتقوى فطاب به في كل ما قطر الذكر

ذى الخلال التي تكل عن الحصر. والخصال التي يعترف له بها نبهاء العصر.

الجامع لأوصاف الجمال وجمال الأوصاف. الحائز لأصناف المحاسن ومحاسن

الأصناف. ذى السر الواضح السامى. أبى الفتح سيدى محمد التهامى بن العارف

الأكبر. الولي الأشهر. الذى يحدو بمحاسنه الحاضر والبادى أبى المواهب سيدى

حمادى الحمادى.

مذ أبصرت عينى محاسنه وشاهدت منه الجمال الجميل

حملت قلبى من محبته ما لم يكن يحمل قبل جميل

كيف لا وهو الفصيح الذى إن تكلم أجزل وأوجز، وأسكت ابن السكيت

وابن العميد ببلاغته وأعجز، وأحمد نباهة قتيبة وابن قتيبة فى علم اللغة والغريب.

وأما السنة والكتاب، فقد أبدى فيهما ملكة مالك وابن شهاب. ولم يشك

سامع أنه ابن القاسم أو ابن إدريس. إن توجه لعلوم الفقه بالفتوى والتدريس. بيد

أنه هذب بتبنيهاه الحسان كل مختلطة من مقدمات المهرة الأعيان، وإذا تعرض

للتصريف. أو انتحى للنحو الجليل. خلته معاذا الهراء العفيف. وابن أحمد

الخليل. يتصرف فى بديع الإنشاء. بما يشاء.

إن هز أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمي هز عامله
غير أن كلامه في الألباء يسرى مسرى كتوس الصهباء لو قرطت بيواقيته آذان
ابن عبد الحميد أصبح في صناعته غير حميد، والحريرى وابن خاقان لما اهتديا إلى
جمع المقامات وقلائد العقيان، ما برز في موطن بحث إلا برز على الأقران، ولا
أجرى جياذ علومه إلى غاية إلا كانت مطلقة العنان. إيه وفيه جرى. كل الصيد
في جوف الفرا. ضم إلى علمه العمل ووصل مما أراد إلى أقصى أمل، فهو
الرئيس الذى به المفاخر محمد كعبة المجد والوفا والسخا والدين والحلم والفخار
المؤيد جرت في بحر محاسنه سفن الأذهان، فلم تدرك قراره، وعجز النظراء
والبلغاء أن يخوضوا آثاره.

سما في أهله طفلا وكهلا وأحرز كل مكرمة حقيقة
فبالإكرام وإلا كبار حقا ترى أبدا سيادته حقيقة
ولكن لا يستغرب من التبر الذهب، ومن معانها الدرر، والسبط لا بد أن
يقفو الأثر.

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتفرس إلا فى منابتها النخل
أن يمن بالإجازة على المتمسكين بأذيالكم والمتردددين صباحا ومساء على
مجالسكم والمقبلين ثرى نعلكم وأقدامكم المسندين لحماكم المنيع واللائذين بجنايبكم
الأعز الرفيع محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالى الحسنى الشهير بالكردودى،
والفقيهين الأجلين أخيكم سيدى محمد وسيدى محمد الطالب بن العلامة سيدى
حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى المرداسى، ونحن وإن لم نكن لذلك
أهلا فاقبلوا ذلك منّا منكم وفضلا، عسى أن يهب علينا من نفحاتكم العظمى ما
نستوجب به من الله مزيد الرحمى.

ولسنا لذا أهلا ولكن فضلكم به نرتقى والمرء يسمو بكم قدرا
وتكون تلك الإجازة من سيدنا محققة مصرحة القرينة مطلقة على الشرط
المعتبر في الأداء عند أهل الأثر، شاملة للمعقول والمنقول في كل حكم محصل أو
معدول، جامعة للأصول والفروع في نوع المفردات والجموع، ليحصل لنا الدخول
في حماكم العظيم، والتشبيث بجانبكم الأعز الكريم، ونظفر بالمنى والنجاح ونشبهه
وإن لم نكن مثلهم فالتشبهه بالكرام رباح، وإن رشحت ذلك بذكر من تحملت عنه
العلم من الأئمة الأكابر الذين افتخرت بهم على الأوائل والأواخر، كان ذلك تمام
الأمنية وإنما الأعمال بالنية، وحاشاك أن تمد إليك الأيدي فتردها خلواً، وأنت
الحائز لكل الفضائل والفواضل، أخوا صنوا أو يقرع فضلك فلا تفتح بابك، ولا
تسدل على المعتقين أطنابك وغير مستغرب إقبالكم على أمثالنا وإعطاء من لاذ بكم
البغية والمنى:

ولا غرو أن يعطى المنى لائذ بكم ويلقاه وجه السعد متضح البشر
وفضلكم يغشى المطيع وغيره كما تمطر الأمطار بالترب والصخر
ويعلم الله أن النفس لا تسمح بهذا الأمر لسواكم ولا تبوح بمرامها إلا
لعلاكم:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً.

شعره: من ذلك قوله مادحا شيخه سيدي إدريس بن زين العابدين العراقي
كما بنص استدعائه الإجازة منه:

ولا الذى يخرق العادات تأسيسا
فكم ترى من وضى فاق إبليس
ويدعى أنه بجهله عيسى
على أحظى بمن ما حام تدليسا
فذاك أشبه بالعنقاء إن قيسا
كسا الليالى ترصيعا وتجنيسا
به المعالى العراقى الحبر إدريسا
وزاده الله تأيدا وتقديسا

وقوله مادحا شيخه ابن كيران وموريا باسمه فى استدعائه الإجازة منه :

ومفردا فاق إجمالا وتفصيلا
ينال فخرا وتأيدا وتبجيلا
فدام فى مفرق الأيام إكليلا

وقوله مادحا العلامة أبا العباس أحمد بن التاودى بن سودى بمناسبة ختمه

المختصر الخليلي عام ثمانية عشر ومائتين وألف بفاس القروين :

بطلعة سلمى أو بجارتها سعدى
فما منحت إلا التارق والصداء
يصافحنا مما به أخجل الورداء
فأبدت ذكاء فى دجى جمعت ضدا
بناعم خوط يغضب السمر والأسدا

ما كل ربة ملك جل بلقيسا
لا تحسبن الهدى بحسن بادية
وكم حكيم ولكن ليس ذا حكم
وكم أجوب بشوق كاد ينشرنى
فما ظفرت وهب أنى سمعت به
حتى تبسمت الآمال عن شنب
فإذ أنا بابن زيان الذى شرفت
دامت لنا طلعة النحرير فى وهج

أكرم به لوذعيا عز تمثيلا
لا عيب فيه سوى من قد ألم به
قد طيب الدهر من طيب اسمه كرما

حنانيك نبه غائبا يرقب السعداء
وما زال يستشفى الغرام بطيفها
فها عرفها ناجى الفؤاد ولم بين
وكنت أخال الحلم حتى تبينت
وحورا وريعا والقواضب والقنا

ولكن ليبدى حسنه أيما وردا
أزج فحيم يرهب العادى الورد
طعان جفون دون أسياها قدا
ثلاث يغشى متنها رائقا جعدا
حديث خدام فى خداه لها رادا
بوجتته حتى انثت خلتي رشدا
بصب رهين فى جمالك لم يفدا
من الشوق صحصاح الفلا الغور والنجدا
ولولا صبيب الغور أنضجت الجلددا
طلاق الحسام العضب يوم الوغى غمدا
إلى نحو عرف العطف منك فهل أبدا
فما خلت إلا أنها نثرت عقدا
ودونك بعد البين من وصلنا ودا
فأونة صهبا وأونة شهدا
وثير كما بالخير قد وشحت بردا
رنين جمال أو سوار علت زندا
تمثل دمعى راد بينونة الغيدا
بأى نظام خلته الجوهر الفرددا
ورثنا الذى أبدى الشر ود له فقدا

وجيد منصى لا لتزداد بهجة
وطرف كحيل فاتر دون حاجب
ومن عجب طعن الجفون وهل سرى
وفرع أثيث حالك بذوائب
عجبت له يغرى مسامع قرطها
وبالغرة الغرا تردى تولهى
فقلت لها رحماك يا روح مهجتى
وكم جاب من فرط الجوى ولواعج
وكم لعجت منه الحوائج والحشا
وكم طلق الغمض الثلاث جفونه
وكاد الهوى العذرى ينحو بعطفه
فقال فآبدت منه أنفس جوهر
هنيئا وطب نفسا بدانى احتفالنا
رشفنا كئوسا من معين رضابها
ولا عيب فيها غير أن إزارها
ومما أثار للفؤاد أنينه
وقد خضبت رخص البنان بعندم
وأعجب منه ظنها فتبسمت
بذات أقاح كان طى لنشرها

فأعزز بها من منحه بين بضة
ولا عاذل واش ينم بولينا
كأنا وأفنان الرياض وزهرها
كأن الربى إذ خدد النهر خدها
أكف علاها الوشم أو طرس بارع
كأن الغضا والبان فى حركاتها
ولما تلت أوتارنا آية الهنا
وشى بالذى نلنا بالبلابل غبطة
فسل لذاك الصبح صلت جبينه
كأن سنه طلعة الخبر أحمد بـ
ولاحت على وجه الخوافق فانشى
كما بدت الغراء للدين غرة
فأعشى عيون الملحدن شعاعها
وأصبح هذا الدهر يزهو مطاولا
وحق له بالجهبذ المرى الذى
ومن بان فى أفق المكارم مذ نشا
ومن لم يزل متن الثريا نعاله
ومن عز بعض من حسان خلاله
ولا عجب من نقطة اليم والحيا

رداح وبين جنة قد حوت خلدا
عدا الأعطرين المسك إذ ذاك والندا
همام يحلى جنده الدر والنقدا
بعذب فرات ناظر طيب الوردنا
يسجله أو أرقم رائد بيـدا
بأيدي الصبا صب يمس بها وجدا
وباحت بتحليل العناق ولا حدا
فصاحت على الأدواح تلتمس الرصدنا
وأفضت إليها الشمس من رمضا جندا
من سودة فى أفق العلا صافحت سعدا
صقيل الردى من بعد عمته السودا
فبان ذكاء لا كئار علت طودا
وأمت ممضاة الجفون به رمدا
على صدره إذ حله فاقد ندا
أشاد سنام المجد من بعد ما هدا
هلالا ولكن لا أفول ولا أردا
وما فوقها الجوزاء من تحته مهـدا
فعز فأضحى فى براعته فردا
ولا سيما إن كان صيبه جودا

يرى حصر أوصاف السميذع والحداء
ومن لى برد المزن أو حصرها عدا
بك الفكر فى آياته الألف والأحدا
سوى مائن أو من يرى الطعن واللحدا
ن فخر سرى أسس الفخر والمجدا
وبحر يموج بالعلوم وبالأسدا
وطود الهدى ما أنفك رائده يهدا
وكان بأمر الله منصلتا جلدا
ومن قد تولى فيهم الحل والعقدا
ومصقعهم من فاخر الفخر والسعدا
ولا زال يسمو ما سما ووفى جدا
بدا مثله أو فائق أثره سردا
ولا زلتم فيهم مثقفة ملدا
سما سحاب تمطر العلم والأجدا
حيا علمه الويل الذى لم يزل رغدا
نضيرا وعض العطف يحكى لنا الجدا
منضدة فى سلك لفظ له أندى
وما الطير فى أفنانه ينشد الرصدا

وما ذاك إلا من عذول معنف
ولم يدر إن أريت على المزن والحصا
وهب حصرها ما كان ضرك لو سرى
وهل يجحد الشمس المنيرة نورها
رويدك هل ما قد كفاك فإنه اب
وكعبة سؤدد وذروة عزة
ويدر سبيل الدين والحق والتقى
وأفضل ذى حلم وصفح ورأفة
وخير إمام قلد العدل فى الورى
حلال من بالأرض شرقا ومغربا
له ضِيْضِيٌّ^(١) قد طاب فرعا ومحتدا
بدور سماء كلما انقض واحد
فدمتم سراة الناس يا آل مرة
ولا زال نجل التاودى محمد
لعمرك قد أحيا موات قلوبنا
فعاد غشاها من صداء جهالة
وقلد أجياد العقول فرائدا
فما الغانيات ما الرحيق معتقا

(١) الضُّضِيُّ: الأصل.

إلى أن قال:

عشيرتنا قد تمم الدهر ودنا
فظلنا وهذا اليمن والسعد خادم
فمن منح ما أسلف الدهر مثلها
جزى بجزيل الجود والطول والولا
حماة حريم الدين من جنف الهوى
أراحهم فى رحب خير جنانه
عليه صلاة الله ما قال منشد
وقوله:

هم بالذى سكن الوجود بسره
وأقم على النفس الحدود فإن أبت
وقوله:

أطمع فى الحياة بغير موت
وأقبح ما ترى من ذا وذاك
إذا ما البخل أصبح عند قوم
ويعجبك الثناء وفيه داء
غرام ليس يتبعه سخاء
فقد أمسى بأرضهم البلاء^(١)

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخه سيدى إدريس بن زين
العابدين العراقى المذكور:

«الحمد لله الذى زان نوع البشر بإجازة أفراس فكره فى مجال المعانى.

(١) فى هامش المطبوع: «البيت للإمام الشافعى».

وأكمل مزاياه من بين سائر جنسه بترجمان البيان وعنوان المباني . فلم ينفك مقتنصا
ظباء الفرائد . ومعربا عن عرب العين الخرائد . إلى أن يدت رافلة فى حلل
الطروس وحلى السطور . شاهدة ببراعة القدرة وبداعة المقدور .

وأشهد أنه الله الذى جل ثناؤه . وكمل سنه وسناؤه ، وعمت رحمته
والآؤه . وعذب لأولياته لأواؤه .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المحلى بحلى الفضائل والفواضل . والموشح
بوسيم الوسائل . وسرى المسائل . الصادع بأحكام الأحكام المعنوية والحسية .
والمفسر حديث أسرار الحضرة القدسية . أعظم الحائزين قصبات السبق فى ميادين
الكمالات . وأفخم الفائزين بروائع الخلال وجوامع المقالات صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه الذين حملوا لنا راية الفروع والأصول . وظفروا بقصارى
الأدب ونهاية الوصول . صلاة وسلاما دائمين صادقين بلا مين .

وبعد: فإن أنفس ما تنافست فيه نفائس الأفكار . واصطفته على حسان حور
الأبكار . وماست به طربا . وهويته منى واربا . واستطابته شذى وريا ، وفاخرت به
طلعة الثريا ، وفيه عذب رشف كثوس المنية . وبه تمت الخلال السنية . وتحققت
الحقائق . وكشفت البراقع عن وجوه الدقائق . وشيدت أركان المراقى . وميز بين
السافل والراقى . وفى فضله تقاعست الألسنة . واستحوذ عليها فتور وسنة . فنون
العلم التى ناهيك فى علو شأنها . وعزة قدرها وسلطانها . أن منها ما عرف إحياء .
وما كان أنحاء . وما تفنن عن ذى الأصول الجليلة . وما هو إلى الكل وسيلة . بيد
أن بعض القلوب جبل على الغبطة . وذلك أفلح مطلوب وأنجح خطة . وكيف لا
وقد قرن الله تعالى شهادته بشهادة أهله . وجعل سبحانه البينونة بين إدراكه
وجعله . كما جاء أنهما فى غاية المباينة . وليس الخير كالمعاينة . وبعض الأفتدة طبع
عليه بطابع الحسد . وأفصح بذلك عنوان الجسد . فعمل بموجبه ومقتضاه . وآثر

للشيطان هواه ومرتضاه. غير مكترث بأنه من أعظم السيئات. وإن ما قدره سبحانه لا بُدَّ آت. فما أخسر متجره ونصيبه. وما أعظمها عليه من مصيبة. ولقد ابتليت بقوم عميت عليهم الأنبياء. وحملوا من الأضغان والإحن الأعباء. فهم عن غرر المحاسن لا يتساءلون. ولا بطلعتها يتفاءلون. وإنما يبحثون عن الأدون والمساوي. دون الأرجح والمساوي. ومهما عاينوا تحبيري في فن من الفنون. خاب رجاؤهم وساءت الظنون. وكادت تعاجلهم المنون. يودون حينى. واندثار رسمى وأينى. ومع هذا فهم كما قيل:

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب
إلى أن قال إثر شعره المتقدم:

«ثم هأنا أقترح من أنامل قرائح الجنان. وأستوهب من سحائب البنان. أن تسمح بإجازة رافلة في معرض الإتقان. على بهجة تخر لها الأذقان. ما نسج بارع على منوالها، ولا ظفر طامع بأحوالها. تزرى بكل أنيس مطرب، ويغبط فى روائعها المشرق والمغرب» وهو أطول من هذا وأطنب فيه وأطاب وأبدع ما شاء.

وفاته: توفى فجأة برباط الفتح يوم الأربعاء حادى عشر صفر الخير سنة تسع وأربعين ومائتين وألف، ودفن بدويرة بالزاوية الناصرية بحومة أبى القرون.

١١٣- التهامى: ابن المهدي المزوار المكناسى النشأة والدار.

حاله: نابغة أديب أريب، وجيه لبيب، ناظم نائر، واعظ فصيح اللسان عدل رضى مبرز.

تولى الوعظ بالضريح العلمى وبكرسى عنزة المسجد الأعظم وخطبة العدالة بالحضرة المكناسية وتصدر للشهادة وكان يتعاطاها لتاريخ شعبان عام اثنين وتسعين

ومائتين وألف وقبل ذلك وبعده ثم استكتب بالديوان السلطاني مدة ثم أخرج عنه مدة ثم أعيد إليه فصار يظعن بظعن الجناب الملوكي ويقيم بإقامته .

له شعر رقيق يفرغه في قالب رشيق حلاه عصره السيد أحمد بن الحاج الفاسي في بعض مؤلفاته بما لفظه: الفقيه الأديب الماهر الحائز قصبة السبق في الفصاحة والبلاغة الناظم النائر الهمام الذي لا يقاوم والماجد الذي لا يزاحم، من سما في سماء التوثيق بدرا، وارتفع في سلم العلوم سرا وجهرا العدل سيدي التهامي المزوار المكناسي . انتهى . وكان معدودا من شعراء الدولة الحسينية وأعيان كتابها لو جمع شعره لجا في مجلد ضخيم لكن مع الأسف ضاع جله إن لم نقل كله .

مشيخته: أخذ عن خاتمة المحققين الفقيه القاضي سيدي الحاج المهدي بن سودة والعلامة القاضي سيدي العباس بن كيران ووالده سيدي محمد المهدي وغيرهم .

شعره: من ذلك قوله وهي قصيدة تسمى بالسحر الحلال في الذب عن أهل الكمال أو تشنيف المسامع بتوبيخ البديء بأفطع المقارع أو نصرة الأماجد بقمع

| | |
|---------------------------------|--------------------------|
| الأبايح: عنك أهل الجحد والأهواء | وانبذ بشيع كلامهم بورا |
| لاموك من حيث ارتضيت أخاهم | لجناب عرك حارسا بفناء |
| إيلام من لأخيه أصبح حاسدا | في فعله ومقوله لسواء |
| ما ذاك إلا من اليم العجز عن | إدراك هذا الشأو دون مرء |
| مع أن ذا شرف لهم بأخيهم | إذ صار يحرس منزل العظماء |
| لكنه قد فاقهم بالقرب من | حبر شريف من بني الصلحاء |
| ذاك الشريف المرتضى مشواه من | مشواه طال كواكب الجوزاء |

والندا والفضل والآلاء
ووجودهم بسعادة شماء
قد سمت من قوق كل سماء
من شرحه لأبى الضياء ضياء
تثبيته فى الليلة الليلاء
يشفيك فى الأنقال والأنباء
من رتبة ومزية ودهاء
وكرامة مصحوبة ببقاء
فى الدهر مثل الغرة الغراء
فى عزة مسموكة علياء
آثارهم بدفاتر العلماء
أعلام فى فهم وحسن وذكاء
فى حلة التقريب والإقصاء
درا تبتت عن سنى سناء
يرمى بها ذى الصخرة الصماء
فى سائر الأعداء والرقباء
جلت مفاخرها عن الإحصاء
ويغار فى الإصباح والإمساء
لة سيد الإرسال والإنباء

من معشر أهل السيادة والسعادة
من معشر حظى الزمان بعلمهم
من معشر لهم المآثر والمفاخر
سل عنهم الخطاب فى كم موضع
وسل ابن رحال مع الفاسى فى
وسل التتائى والمحشى تلق ما
وسل الزمان وأهله عما حووا
ومجادة وزهادة ونزاهة
ناهيك من شرف فخيم قد غدا
ناهيك من مجد تأثل واعتلى
من ذا يطاول سادة قد خلدت
من ذا يطاول شبلهم علامة ال
من ذا يضاهى مجده وكماله
يا سيدا أهدي لنا من يمه
لا تنزعج مما عراك فمن عوى
هذا وعن قرب ترى ما تشتهى
فلأنتم من نسبة مبرورة
لا شك أن الله يحمى جاهكم
أوما درى القالى بأنك من سلا

الرضى الحامى من الأسواء
غطاك منه بعطفه الوضاء
السادة الحجاب والوزراء
بعناية ومببرة وولاء
قد رامكم يرمى بسهم بلاء
وأهله وأئمة كبراء
محفوفة بسوابغ النعماء
فى سائر الأقطار كالأنواء
رب العباد بسيرة حسناء
لم يعرفن أحكامه بوفاء
أبدى من العذل الشديد الداء
حيث القياس على كلاب الشاء
ومقرر فى الشرع دون خفاء
فى صحبة الأخيار والنبلاء
ومزية عظمى وحسن ثناء
كلب الرضى مثواه دون خفاء
قد زخرت بالحجة العمياء
أسراره كالشمس دون غطاء
يتعرضن لعداوة الفضلاء

وبأن بدرك فى حمى مولاي إدريس
وبأن مولانا أمين الله قد
أو ما درى ببنى الشهيد المرتضى
أن قد أحلوكم حمى أكنافهم
وحموك من أهل العناد فكل من
أعظم بهم من ماجدين وسادة
سادوا وأسدوا للأنام معاليا
عمت مكارمهم فأصبح جودهم
أحيوا مآثر قد تلافها بهم
أيلوم مثلك فى اتخاذ الكلب من
لو كان مطلعاً لما أبدى الذى
فالشرع نص على اتخاذ الكلبين
ومن الغباوة نكر ما هو ظاهر
فى كلب أهل الكهف منه كفاية
بالقرب منهم نال فضلا شامخا
فلأجل ذا نال المزايا كلها
فلم التمشدق بالأباطيل التى
لا سيما فى جنب بحر زاخر
هلا ارتدى برداء تسليم ولم

فالصمت منجاة من الأدواء
بإذابة الأشراف والفقهاء
مسمومة تدعو لكل عناء
من غير تنقيص ولا إزراء
لاقوا من الكمال والنبهاء
بالذى فيهم من البلواء
متلونين تلون الحبراء
وكذا يكون معاشر اللؤماء
وعداوة فى غاية الإخفاء
وطلاقة وتودد وحباء
مملوءة بمكايد البغضاء
الجهال والأوغاد والبخلاء
نخشى مع الأحباب والأبناء
أقطاب والأبدال والنقباء
مثواه راح بنصرة الشعراء

ومن ذلك قوله فى ختم السلطان الأفخم أبى على مولانا الحسن صحيح

البخارى :

فاهنا بعز شامخ المقدار
بسعادة الإيراد والإصدار

ياليته غطى بصمت جهله
ماذا من الأسواء جر لنفسه
ولحوم أهل العلم يعلم أنها
فالكاملون يرون كلا كاملا
والناقصون يرون بالنقصان من
وجميع أهل النقص ليس لهم شعور
فتراهم أبدا على طول المدى
فكذا يكون الناقصون من الورى
ملئت بواطنهم بحقد كامن
يلقون من لاقاهم ببشاشة
وقلوبهم من أجله محشوة
فالله يكفينا ويكفيكم أذى
والله يكفينا جميعا كل ما
بالمصطفى والآل والأصحاب وال
صلى الإله وسلمن عليه ما

حياك ما أملت من أوطار
وبشير سعدى قد أتاك مبشرا

فلذكرها فيه ارتياح القلب وال
 ما ذاك إلا أنها قد أحرزت
 خير الوجود وحصنه وأمانه
 فهو الشفيع المرتضى يوم القضا
 فبجأه لله كن متوسلا
 وكن المتيم دائما بحديثه
 واحضر مجالسه الشريفة تدركن
 أوما رأينا الحاضرين لها غدوا
 وانظر إلى الدنيا تاللاً نورها
 وانظر إلى الرحمات بين قبابه
 وتجر من طرب ذيول دلالتها
 وتقول يالأكرمين تمتعوا
 وردوا حياض علومه وتنعموا
 هذى نجوم الأرض دائرة به
 بسكينة وتواضع وتخشع
 ختم شريف قد تحلى عصرنا
 فى حضرة الملك الهمام المرتدى
 المالك البر الذى حاشاه أن
 المالك المولى الشريف السيد ال

أرواح والأشباح والأفكار
 شرفا بحب المصطفى المختار
 من سائر الأسواء والأغيار
 فى المذنبين لدى التهاب النار
 تبلغ جميع السول والأوطار
 فى حالة الإقصار والإمرار
 ما شئت من فضل الإله البارى
 بالروح والخير العميم الجارى
 فرحاً به وبختمه المعطار
 تسعى لدا الأصال والأبكار
 فكأنها ثملت بصرف عقار
 بحضوركم لمحافل الأخيار
 برياضه المتنوع الأزهار
 فكأنها الهالات بالأقمار
 وتأدب وتنسك ووقار
 بوروده وعلا على الأعصار
 بردا الندى والجود والإيثار
 يلقى له فى المعلوات مجار
 حسن الشمائل طيب الآثار

فد التقى فى الجهر والإسرار
والصفح والإغضا عن الأوزار
سعد الوجود ونال كل فخار
إحسانها كالوابل المدرار
وقيامه فى ليله ونهار
ومحبة العلماء والأبرار
أعدا وتسكنهم بدار بوار
كفوا عن الطغيان والإصرار
وافى ليقطع هامة الفجار
تردى جميع كبارهم وصغار
وطن ولا مصر من الأمصار
وعزيز سطوته بلا إنكار
لسفاهة الأوغاد والأشرار
فعموا وصموا عن نداء الإنذار
هذا الختام المشرق الأنوار
ورفعت ذكر صحيحه بمنار
عيدا سعيدا نيط بالأسرار
أزرت بجود البحر والأمطار
بر سجيل فضة ونضار

فرد المفاخر من ذؤابه هاشم
ماوى الديانة والسماحة والدها
رحمى الإله ومن بغرة مجده
النعمة العظمى التى عم الورى
لله نهضته وفيه سكونه
ما همه إلا اكتساب محامد
همم لعزته الشريفة تجمع ال
قل للذين عن الطريق تحرفوا
هذا خليفة ربنا المنصور قد
بشر عداه بأخذه سموية
هيهات لا وزر يقيهم لا ولا
هذى أسود الغاب تخشى بأسه
فلم التحصن بعد هذا إنه
لكن عذاب الله حق عليهم
فليهن سيدنا ومولانا الرضا
أديت حقا للبخارى وافيا
وجعلت يا نجل الرسول ختامه
وأفضت فيه من المواهب أبحرا
ناهيك ما أوليت من نعم ومن

فالله يبقى نصرك الممدود فى
والله يبقى الملك فيك مخلدا
والفتح والتمكين والتأييد لا
وبقيت منصورا بقاء الدهر يا
بالمصطفى وبآله وصحابه
أزكى الصلاة مع السلام عليه ما
عز وعافية مع استمرار
ما هبت الأرواح فى الأسحار
ينفك طوع يمينكم ويسار
كهف الأنام وقرة الإبصار
والتابعين وسائر الأنصار
حياك ما أملت من أوطار

وقوله فى ميلادية أنشأها عام ثمانية وتسعين ومائتين وألف وأنشدت بين
يدى الجلالة السلطانية الحسينية بحضرته الفاسية :

هذى السعادة قد مدت إليك يدا
أم هذه نفحة الأحباب قد وفدت
أهدت لنا طربا أهدت لنا إربا
قد طال ما كنت أرها وأرقبها
حتى غدوت بها فى كل آونة
هيهات لى كيف أسلو عن هواها وهل
لا يسلىنى أبدا عنها سوى شغفى
خير الورى وشفيع الخلق قاطبة
أعلى الخلائق جاها عند خالقه
أصل الوجود ومن لولاه ما خلقت
فهو البشير النذير المستغاث به
والوصل أنجز عزما ما به وعدا
من نحو ليلى وهذا عطفها وفدا
أهدت لنا قريبا لا تنتهى أبدا
قدما وأطلب منها الوصل والرغدا
أهفو وألهج لا أخشى بها أحدا
أقوى وهل أستطيع الصبر والجلدا
بمولد المصطفى أجل من ولدا
يوم الزحام إذ الإحجام عنها بدا
وخير من يرتجى يوم القيام غدا
أرض ولا كان كون لا ولا وجدا
وهو الذى رحم المولى به وهدى

كم نعمة بهرت من دان أو بعدا
تكسو الجميع على مر المدى بردا
عظفا وهيئ له من أمره رشدا
عن أن يحيط بها من رامها عددا
بر الذي صهوة الإحسان قد صعدا
أخلاقه وعلت في المعلوات يدا
هذا الذي قد غدا في الحلم منفردا
هذا الغنى للذي أبوابه قصدا
فضلا ومنا فلم يترك به أودا
كهفا منيفا وحصنا لم يزل سندا
هذا الذي بعلاه الخلق قد سعدا
غراء حرزا بها نستدفع الكمدا
من المصطفى ليلة خصت بكل ندى
خصت بمرتبة قعسا وكل هدى
نلنا بها الربح والأوطار والرشدا
مر الدهور فما ترضاه قد وجدا
هذا الجناب الذي أروى الورى مددا
مع السلامة إصدارا وإن وردا
فراح والعطف قد أولى إليه يدا

كم آية ظهرت في آن مولده
يا سيد الرسل داركنا بمرحمة
وأسدل على نجلك الميمون سيدنا
هذا الإمام الذي جلت مآثره
هذا الإمام الشريف الطيب الحسن ال
هذا ابن فاطمة الزهراء من شرفت
هذا هو ابن رسول الله كعبتنا
هذا الذي هو مأوى الخير أجمعه
هذا الذي أسعد الله الوجود به
هذا الذي أصبحت فينا سيادته
هذا المؤيد والميمون طالعه
فجر الملوك ومن صارت مناقبه ال
فليهن عليك يا تاج الملوك ويا اب
خصت بمكرمة خصت بمرحمة
نلنا بها من بها عليك كل منى
دم سيدى لابسا ثوب السرور على
لازال نصر وفتح يخدمان معا
واليمن والسعد والإسعاد يتبعه
ما أم ركب أمين الله رحمته

وقوله فى مىلادىة عام واحد وثلاثمائة وألف ومن خطه نقلت :

نور السعود بدا أم نور تجديد
أم هذه نفحة جاء البشير بها
سقىا لها أذكرتنا جيرة رحلوا
قد غادروا الصب فى شوق وفى قلق
يا لىتهم رحلوا بالقلب إذ رحلوا
حتى إذا ما رأوا تلقاء كاظمة
ألقوه فىها فىها كل منيته
من خصه الله بالقرآن معجزة
فهو الشفيع الرضا والمستغاث به
أعلى البرىة عند الله منزلة
كم آية ظهرت فى حين مولده
فى لىلة أكرم الله الوجود بها
من أجل ذلك مولانا وسيدنا
يحيى سوائعها فى كل ما سنة
سنت سيادته عيدا لمقدمها
يحيى مواهبها يعلى دعائمها
يأتى حجيج الورى بادی الضجيج إلى
فىنظرون جمالا جل عن مثل
عم البلاد بعز منه ممدود
من نحو لىلى بوصل غير محدود
يقفون بالعزم مغناها بتجريد
لا يستطيع حراكا حلف تسهيد
فى حين يضرب بطن البىد بالبىد
أنوار طىبة مأوى الخىر والجدود
فىها أجل شفيع خىر مولود
بقى فلا تنقضى بقاء تخلىد
إن أحجم الشفعاء يوم موعود
ومن أتانا بإيمان وتوحىد
مىمون من غير تكىيف وتحدىد
علت على القدر قدرا دون تفنىد
ىجدد الخىر فىها أى تجدىد
تبدو بمدح وتحمىد وتمجىد
ناهىك من شىم ناهىك من عىد
ىشىد أعلامها وأى تشىىد
نادى نداء بوفد غير معدود
وىشهدون بعلم لا بتقلىد

على الوجود عطاء غير محدود
بالباب خادمة من غير ترديد
إفضاله الجم عم كل موجود
هداة للخلق من بيض ومن سود
ساس العباد بتوفيق وتسديد
أعد للبر باباً غير مسدود
أنباء والحسن الأسماء إذا نودى
ار العظام مصدوق المواعيد
عز وفتح ومن نصر وتعصيد
حيث يسعد وإسعاد ومقصود
سانا غدا يمه محمود مورود
دعائم ترتضى من بعد تأويد
واحا بأذكى من النسرين والعود
حفظ وعافية تكسى بتأييد
فى الأرض من صالح من غير تقييد
أنوار سعد لمولانا بتمهيد

وقوله مادحا الشريف الأصيل المولى المهدي بن عبد الملك الإسماعيلي:

فتهلى بدرى برؤية حالك
ناهيك من در نضيد سالك

وينظرون بحار الفضل فائضة
وينظرون رياح النصر واقفة
فى حضرة الملك الأسمى الهمام ومن
خليفة الله رحماه ونعمته المد
روح الوجود وبضعة الرسول ومن
ذاك ابن فاطمة الزهرا الشريف ومن
المالك الحسن الأخلاق والحسن الـ
ماضى العزائم موفور المكارم غفـ
مولاي يهنك ما أولاك ربك من
وليهن عزك غراء الليالى التى
فيها أفضت أدام الله نصرك إحـ
شيدت للدين أعلما أقت له
مع نفحة نفحت من عطف عزك أر
دامت مفاخرك العليا الشريفة فى
بالمصطفى وبآل والصحاب وما
دامت عليه صلاة الله ما طلعت

أمن البدور الغر نير حالك
وتمنطقت أيد بدر خطابها

ما كان ميتا من رميم حاسك
كنت السمير بها فهل من تارك
ما لت حبي فى هواها الفاتك
أما القلب فإنه فى عارك
حتى تصير لنا وحيد ممالك
صب لها لو باللسان الماسك
قولى فهل من عودة لهالك
أسعى أقول وكيف لى بخيالك
حتى يقول ليس ذا بالتارك
إلا وقد ظفرت بلثم نعالك
إلا بذوق من سنا إعطائك
شوقى يسألها بقوله مالك
فأجابها إذ قال إنى نارك
حاشاك تبديه لصب جارك
سكرى فلا يدرون ذا من ذلك
دمع من الشوق المذيب الضانك
لا تستريح سوى بوصل المالك
ن الناسك بن الناسك بن الناسك
بدر الهنا نجل بن عبد المالك

لما شمت نسيما أحيانا بنا
يا عاذلى فى حبها لو حمتها
أولو نظرت أحنى لطيف خيالها
جاءت تزور فقلت ها نفسى فدا
قالت فإنى لا أبقي لحظة
واها عليها ليتها جاءت على
إذ من لسان أطرب الأحشا بها
حتى إذا استشعرت قطع وصالها
لا يطلع البدر المنير بليله
كلا ولا شرقت شمس فى الهوى
والصبح ما أهدى وحاز ضياءه
حل السقام بمهجتي فأتى لها
قالت له هذا اللهب أضربى
لا تسدلى هجرا بزائر منظر
منك استمد العاشقون فأصبحوا
حتى غدت أجفانهم مألئى بما
أبدانهم مزوجة بسقامها
الناسك بن الناسك بن الناسك بـ
أعنى الشريف اللوذعى المتقى

شمسا عيون تقشعر بنورها
إن رمت ساحته يخاطب جهرة
مجدا أصيلا حازه بوراثة
مكناسة بعلائه ونواله
منه ازدهت منه اقتنت كل الولا
وافى كصبح ناسخ بضياته
وافى بآداب بحر ذيوله
هد المظالم أسس التقوى بما
من طيبه الأذكى كذاك بخلقه
فاله يحفظه ويكلاه بما
ما أعذو ذبت شمس العشى بلونها
ما سبح الأطياف فوق غصونها
إلا وتهدينى شميم نداكم

وقوله مادحا الباشا عبد الله بن أحمد:

ما ترتجيه من الإقبال والإرب
والوصل دان وشمل الود مجتمع
هذا أوان اللقا هذا أوان الرضا
وهذه نفحات الخير لائحة
واعلم بأنك قد حللت ساحة من
وافاك مرتقيا فى أبهج الرتب
والسعد ينبثنا بأنفس القرب
هذا أوان الهنا فانهض إلى الطرب
فقر عينا وطب نفسا وطب وطب
سادت مآثره بالعلم والأدب

وقد أنخت بباب من مناقبه
وقد أتيت إلى من نور طلعته
عبد الإله الذى تنجى محبته
إلى أن قال:

بالأنجم الزهر قد حفت مجالسه
ناهيك من شرف حازت ومن ظرف
فليهن فاس حلول الألعى بها
كما به أمنت مكناسة وسمت
يا سيداً شرفت أخلاقه وزكت
ها وفد مكناسة قد جاء مرتجيا
فامنحهم منك ما شاءوا وما طلبوا
لازلت فى عزة تسمو وعافية
وقوله فيه أيضا:

بدرية سلبت حشى وقلوبا
جاءت تيس من الدلال فصاحة
إلى أن قال:

شمس الأئمة والذى آلاؤه
عبد الإله وحجة الله الذى
بدر البدر وجنة الدنيا التى

قد طرزت بحلاها سائر الكتب
فيه الهدى والندى يصب كالسحب
من حادث الدهر والأسواء والنوب

والخيرين وأهل العلم والنسب
ضمت ومن كرم ضخم ومن حسب
فالآن قد أمنت حقا من العطب
وبلغت كل ما ترجوه من طلب
أفعاله من بالإقبال واستجب
منك الرضا ولذاك خير مرتقب
وجد بعطف سريع منك منسكب
فى النفس والأهل والإخوان والعقب

بيديعها وأنالت المرغوبا
من حسنها راح الفؤاد سليبا

قد عمرت للقاصدين جيوبا
شرفت مآثره وفاحت طيبا
عمت بخير قاصيا وقريبا

والنعمه العظمى التى قد حبيت
ما من أديب قد تأثل مجده
فإذا أردت مديحه لاقاك إسـ
وإذا أتاه الطالبون لحاجة
كل القلوب تحبه وتحب أن
يا من بعزته وعطفة مجده
وصلت هديتك السنية بالذى
لننا بها آمالنا فى محفل
جمع المكارم والدهاء فلا ترى
جمع الأئمة والنجوم وكلهم
وسراجنا من بيننا العلامة الـ
فتراه فى أحيانه متفرغا
وترى مجالسه على طول المدى
أرواح سيرته الحميدة كل آ
لا زال مجدكم ومجد علاكم
فى النفس والأولاد والإخـوا

فى المكرمات وأهلها تحببها
إلا ومن نعماه كان أديبا
عاد يكون ملبيا ومجيبا
نظروا الغنا والسعد والترحيبا
تلقى محياه الرضى المحبوبا
لننا الأمانى مشهدا ومغيبا
سلا وطيب نفسنا تطيبا
قد ربت أقماره ترتيبا
إلا إماما فاضلا وأريبا
يحلو بأسرار العلوم كروبا
مختار إكليل ينير قلوبا
للمكرمات مبادرا منسوبا
مثل الثريا صوبت تصويبا
ن بالوداد لنا تهب هبـوبا
بسلامة وسعادة مصحبوبا
ن والأزواج مع من أحرز التقريبا

وقوله مادحا قاضى الحضرة المكناسية أبا العباس بن سودة المترجم آنفا:

فى ابتهاج أبقى الإله وجوده
عمت الكون غوره ونجوده

جاء وصل الرضى ووفى وعوده
واستبان فواتح من سعوده

الْبِسْتَنَا مِنَ السَّرُورِ بِرُودَا يَا هِنَاءَ الَّذِي كَسْتَهُ بِرُودِهِ
مِثْلَ مَا قَدْ كَسَا حَبُورَ قَدُومِ لِلْهِمَامِ الرُّضَى الْأَجَلَ ابْنَ سُوْدِهِ
بِحَرِّ عِلْمٍ يَمُوجُ فِهِمَا وَحِفْظَا وَذَكَاءِ يَبْدَى الْفَنُونَ الْمَفِيدِهِ
فِي غَيْرِ هَذَا:

وفاته: توفى في محرم الحرام فاتح عام عشرة وثلاثمائة وألف بمحروسة فاس.

١١٤ - التهامي بن الطيب أمغار المكناسي الأصل والإقبار.

حاله: فقيه علامة مدرس متقن أديب فاضل شاعر بليغ، نفاع لودعي، لبيب ضابط، ملازم للصمت، كثير الحياء.

مشيخته: أخذ عن السيد الغازي بن الحاج العربي بن عبود، وسيدى محمد ابن الحسن الوكيلى الشريف وغيرهما.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد - فتحا - بن محمد بصرى صاحب الثبت المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، وناهيك به وغيره.

شعره: من ذلك قوله من مقصورة تقصر عن الإتيان بمثلها نبغاء فحول الأقران وقد قدمناها بتمامها فيما نقلناه فيما قيل فى مدح مكناسة:

لله ما أبهى عمائر الحمى معالم الأنس مطالع المنى
معاهد ما برحت محفوفة بظل أمن من فردايس الهنا
وفاته: توفى صبيحة عيد الأضحى من عام... (١) ومائة وألف.

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

١١٥ - التهامى أجانا المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه وجيه علامة مدرس نبيه.

وفاته: كانت وفاته أواسط المائة الثالثة بعد الألف.

١١٦ - التهامى البورى نسبا الدرعى منشأ.

حاله: علامة مشارك متضلع نحري فاضل ناسك مدرس نفاع محرر ضابط،

حجة محقق خطيب مصقع بليغ.

تولى القضاء بمكناسة الزيتون فحمدت سيرته، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ سبع عشرى ربيع الثانى علم ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف وآخر بمهل ربيع الأول عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ سادس عشر رجب عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف، محلى بالفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الصدر النحري الأكمل، القدوة والبركة الأحفل، الحافظ الحجة الأعدل قاضى هذه الحضرة السلطانية الهاشمية مدينة مكناسة الزيتون وخطيب مسجدها الأعظم وهو التهامى بن حم البورى وتولى أيضا قضاء مدينة صفرو.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران والشيخ حمدون بن الحاج

والشيخ أبى عبد الله الزروالى والشيخ أبى عبد الله بن منصور وغيرهم.

مؤلفاته: منها شرح أرجوزة شيخه ابن كيران فى الاستعارات وعليه إقبال

الطلبة الآن وبه يقرءون النظم المذكور.

وفاته: توفى بمحروسة فاس سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، ودفن

بروضة العلماء شيوخه متصلا قبره بقبر شيخه ابن منصور عند رجل شيخهما معا

سيدى الطيب رحم الله الجميع.

١١٧- التهامي بن عبد القادر المركشي المدعو بابن الحداد المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله فقيه أستاذ مجود علام بقراءة السبع انتخبه السلطان المولى الحسن لتأديب إخوته بالحضرة المكناسية ثم رشحه لتأديب أولاده ووجهه معهم لبلاد أحمر بالقصبة الإسماعلية، ثم عينه السلطان المولى عبد العزيز لتعليم شقيقه الخليفة السلطاني الحالي بفاس سيدي محمد المهدي، فاستوطن فاسا لذلك مدة أعوام ثم رشحه السلطان المولى عبد الحفيظ لقضاء فاس الجديد إلى أن أعفى منه بطلب منه، وقلما باشر الأحكام بنفسه، وإنما كان له نائب وهو العلامة السيد محمد بن عبد القادر بن سودة يباشر الأحكام غالبا ويخاطب على الرسوم، ورحل إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، ودخل مصر وجرت له من ابن عمنا وشيخنا قاضي مكناسة الحالي العلامة ابن العباس بن المأمون البلغيثي قضايا عجيبة في هذه الرحلة، منها أنه أي المترجم ندبه إلى زيارة أبي طالب وأكثر الإلحاح في ذلك فقال له إنني لا أزور كافرًا فأجابه بأن الإجماع منعقد على إيمان أبي طالب، وإنما الخلاف في أبي لهب.

ومنها أنه ذهب لدار أبي سفيان فلما دخلها ابتهج ابتهاجا زائدًا وصار يقول اللهم لك الحمد اللهم لك الحمد فليل له في ذلك فقال لأنا آمننا لأن النبي ﷺ قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقد هجاه شيخنا المذكور بقصائد وقطع من ذلك قوله:

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| رمانى ابن حداد بجهل ديانتى | بمحفل علم بين قوم أفاضل |
| فلما استبين القدم عن وجه جهلها | بدا أنه غمر وأجهل جاهل |
| عجبت ولكن لا تعجب من فتى | يرى العلم جهلا والبذا فى الأفاضل |

إلى أن قال :

فإن عدت نحوى يا قمامة كانس
نعد عودة أخرى بنعل عددها
وإن تبت من إيذاء جانب أحمد
فود ذوى القربى سعادة مهتد
بفرية كذاب على جنب كامل
لقمعك تبقى نشدة فى القبائل
نزلت بربع أهل غير ماحل
وبغض ذوى القربى شقاوة خامل

ثم بعد تاب المترجم وأتاب وشد الرحلة لشيخنا بالدار البيضاء مدة توليته
خطة القضاء بها وقبل قدميه وطلب منه السماح فيما صدر منه فى جانبه وذلك
شأن الكرام المهتدين فعفا وصفح ثم فى صدر دولة سلطاننا الأعظم المولى يوسف
أبد الله نصره وزين بمزيد الترقيات عصره رجع المترجم لمسقط رأسه مكناسة الزيتون
ولم يزل بها إلى أن ختمت فيها أنفاسه رحمه الله .

مشيخته: أخذ عن المفضلين ابن عزوز والسوسى، ومولانا عبد الله الكامل
الأمرانى، وربما كان السارد بين يديه والشيخ ماء العينين، والفقير الحاج محمد
جنون مختصر الرهونى، وسيدى محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا سيدى
محمد القادري، وغيرهم من عظماء شيوخ فاس ومكناس .

وسمع من أبى عبد الله محمد الوادنونى المسلسل بالأولية عام ثلاثة وعشرين
وثلاثمائة وألف ومن أبى جيدة الفاسى المسلسل بالقراء بوضع اليد على الرأس عند
قراءة آخر سورة الحشر عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف .

الأخذون عنه: أخذ عنه السلطان السابق المولى عبد الحفيظ وقد ذكره فى

نظم مغنى اللبيب بقوله :

كشيخنا طود العلوم الراسى
بحر الهدى التهامى المكناسى

والعلامة السيد محمد السوسى، وسيدى مشيش بن المختار الشيبهى نقيب الأشراف والفقيه الأستاذ السيد محمد - فتحا - بن العربى بن شمسى، والفقيه العدل مولاي على بن الشاد الأمرانى وعم مولانا المنصور مولاي بو بكر بن السلطان سيدى محمد، ومولاي الكبير صنو مولانا المؤيد المنصور وغيرهم.

مؤلفاته: له شرح على نظم المولى عبد الحفيظ السلطان السابق فى علم القضاء الموسوم بالياقوتة فى جزأين وكان يستعين فى تأليفه ببعض نجباء الطلبة المكناسيين وغيرهم، وعهدى بهذا الشرح فى الخزانة الحفيظية، وشرح على مولد شيخنا ابن جعفر الكتانى إلا أنه لم يكمل، وقد لعبت به بعد موته أيدى التلف والتأليف فى الجهاد إلا أنه أصبح فى خبر كان.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الإثنين فى آخر يوم من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى بوطيب.

لطيفة: من عجيب الاتفاق أنه فى ذلك اليوم عزل قاض وولى قاض ومات قاض والكل بمدينة مكناس فالمعزول هو شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، والمتولى هو القاضى أبو العباس عواد السلاوى نظراً لكونه أسلم مباشرة الأعمال فى ذلك اليوم وإن كان حلوله بمكناسة كان يوم الأحد، والمتوفى هو المترجم باعتبار تقدم قضائه بفاس.

(حرف الجيم)

١١٨ - الجيلاني بن الهاشمي بن محمد بن الجيلاني بن محمد - فتحا - بن محمد بن الشيخ سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زرهون.

حاله: فقيه أستاذ عشري ولى صالح، علم واضح، صاحب كرامات وعجائب، وكشوفات ومناقب.

وفاته: توفى رحمه الله سنة أربع وأربعين ومائتين وألف وضريحه عليه قبة قريب من ضريح جده بجبل زرهون أسفل منه بيسير عن يمين الطالع إليه.

١١٩ - الجيلاني بن حم البخاري المكناسي النشأة والدار.

حاله: بطل شجاع عارف بالكر والفر ومكايد الحروب، ذو شيبة منورة وسمت حسن وهيبة ووقار ورياسة وكياسة وحدة زائدة وجد وحزم فقيه ماهر فى فن الحساب والوقت والتعديل وأحكام النجوم والرياح والجفر والرمل والأوقاف وسر الحرف، وقد كان يدرس ذلك بمدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال بالحضرة المكناسية.

وكان خرج بأهله من مكناسة زمن شبت نار الفتن التي أضمرت آخر الدولة السليمانية ونزل وسط لصوص البرابر ولم يزل معهم إلى أن تم الأمر للسلطان مولاي عبد الرحمن وتمهدت له البلاد وطفئت نار الفتن البربرية واستقام الأمر، ثم رجع لمكناس بمن كان فى معيته من أهله وذويه، وعرف به السلطان وبما له من المعلومات التي تفرد بإتقانها والمهارة فيها دون أبناء جنسه من معاصريه فعظم فى عينيه وقابله بالترحيب والإجلال ونظمه فى سلك خاصة حاشيته إلى أن أسند إليه

١١٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب، ٧ / ٢٦٦٠.

رياسة مشوره ولم يزل على وظيفه ذلك بقية دولة المولى عبد الرحمن وصدرا من دولة ولى عهده خلفه من بعده سيدى محمد، إلى أن رشحه لعمالة مراكش ثم رده لوظيفه رياسة المشور وتولى عاملا على الزراهنة ولا أحفظ تاريخ توليته عليهم.

وبعد وفاة سيدى محمد وواه ولده السلطان من بعده مولانا الحسن عاملا بفاس بعد قبضه على عاملها إدريس السراج وترحيله لمراكش فى واقعة ابن المدنى بنيس الشهيرة، وذلك عام تسعين ومائتين وألف حسبما نشرها بعد ثم نقله لطنجة عاملا بها عام واحد وتسعين، ولم يزل عاملا بها إلى أن نقله الله إليه، وبالجملة فقد تقلب فى الوظائف العالية ما ينيف على الخمسين سنة.

وفاته: توفى بطنجة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف.

١٢٠ - الجيلانى المدعو القصعة البخارى المكناسى.

حاله: كان فى أول أمره شرطيا مستخدما فى جملة الجيوش السلطانية مدة مديدة إلى أن جذبه الله إليه وكان مكاشفا بالمغيبات تواتر عنه ذلك على السنة أهل العدل والدين وغيرهم يلبس صيفا وشتاء نحو العشرين جلابة لا يفتر من إيقاد النار آناء الليل وأطراف النهار فى سائر فصول السنة يخاطب كل الناس بقوله: أعز - بفتح الهمزة والعين وتفخيم الزاى تفخيما، تكاد تنقلب معه ميمًا.

وكان يحب أكل الرءوس المشوية حبا شديدا، ولما قرب أجله نقله محتسب الوقت وهو الحاج محمد ابن العربى أجانا لداره فمكث عنده ثلاثة أيام ولبى داعى مولاه.

وفاته: توفى يوم الجمعة ثالث عشر قعدة الحرام عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الجمعة من يومه بمحلته الذى كان به قبل بروى مزيل، وكانت

١٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٧٨٩/٨ ..

لجنازته رنة عظيمة لم يتخلف عنها أحد من الوجهاء والأعيان ولفيف الناس، وكان الذى تولى الصلاة عليه هو نقيب الأدراسة الفقيه سيدى المختار الشبهي، والذى تولى وضعه فى قبره هو عمنا الفقيه مولاي عبد القادر رحم الله الجميع.

١٢١ - الجيلانى بن عزوز الرحالى من ذرية الشيخ أبى محمد رحال الكوش دفين زمران.

حاله: كان رحالا جوالا بباحا عن الصالحين وأهل المقامات والأسرار وقورا مهابا ملحوظا بعين الإجلال والإكبار عند الخاص والعام، فقيها نزيها، قدوة مرجوعا إليه فى العلوم الفلكية ومتعلقاتها من تسطير الرخامات وغير ذلك، وله معرفة تامة بعلم الأسماء والأوقاف وسر الحرف وله إمام بالنحو والفقه كثير الأذكار لا ينام الليل قط، كثير التهجد، ألوف للغرباء كثير البذل والمعروف لهم غريب الأحوال مسموع الكلمة عند رجال الدولة ذو همة عالية، ونفس آبية.

أخبرنى من وثقت بخبره ممن كان يركن إليه ويسارره أنه لقيه ذات يوم خارجا من المسجد فأخرج له من تحته سبيكة ذهب وقال له: من يكون له علم بصنع هذا، كيف يطمع فى أغنياء الوقت؟.

ومما هو معروف بالاستقرار من حاله أنه كان مهما وجد امرأة أو رجلا يبيع رملا أو بقالا أو غير ذلك مما هو من هذا القبيل يبادر لشراء ذلك منهم بأجمعه بما يطلبونه فيه من الثمن، ولم يكن له فيه أرب، ويقول مثل هؤلاء ما حملهم على تعاطى هذا السبب الدنى عند الناس إلا الحاجة وعلو الهمة عن السؤال فهم أولى بالصدقة من غيرهم يعنى والصدقة الخفية هى المقصودة من شراء ذلك منهم.

وكان يلزم الأغنياء الإحسان إلى الضعفاء فيعطونهم وهم كارهون ولا يعصون له أمرا خصيصة خصه الله بها.

١٢١ - من مصادر ترجمته: إتخاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٧٨٩/٨.

وكان يشتري أمعاء الشاه ويطعمها الكلاب، حيث إن فى كل ذى كبد رطبة صدقة، وكان يلبس الثياب الرفيعة الغالية الثمن تارة والخشن الذى لا يلبسه إلا أهل الكد والفلاحين، ويقول لمن رأى من حاله الإنكار عليه: تبدوا واخشوشنوا فإن الرفاهية لا تدوم، وهو حديث نبوى أخرجه أبو الشيخ فى السنن وابن شاهين فى الصحابة، والطبرانى فى الكنى، وعنه أبو نعيم فى المعرفة عن القعقاع بن أبى حدرد مرفوعا: «تمعددوا واخشوشنوا واحلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة» ورواه أبو الشيخ والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن أبى حدرد مرفوعا وأبو الشيخ عن أبى هريرة والرامهرمزي فى الأمثال عن رجل من أسلم، وأبو حفص العكبرى عن بلال بن أبى حدرد.

قال الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير: الحديث مرسل لأن القعقاع لا صحبة له وفيه عبد الله بن سعيد ضعيف بكرة. انتهى.

ونحوه قول السخاوى مداره على عبد الله بن سعيد، وهو ضعيف.

ومن عجيب أخباره أيضا ما شافهى به الفقيه القاضى أبو العباس أحمد بن يوسف الناصرى وكان من أخص الناس به أن الفقيه السيد العباس الصريدى وكان ممن شارك المترجم فى مصاهرة الباشا عبد الله بن أحمد، كان ملازما لذكر بعض الأسماء فبينما هو كذلك ذات يوم وقف جنى أمامه على بعد فأفزعته ذلك باطنا وصار هذا عمل الجنى معه فى أوقات الذكر إلا أنه فى كل يوم يزداد منه قربا فتحصن الصريدى منه بإدارة الكتب التى عنده بنفسه فلم تغن عنه شيئا وصار الجنى إذا قرب منه نفخ فى وجهه فيسقط بعض شعر لحيته فاشتد على الصريدى الأمر فى ذلك فذهب لصاحب الترجمة وشكا له ذلك فأمره أن يرجع لمحلله وأن يوجه له آنية، ففعل فكتب له فى الآنية وأمره بحوها وأنه إذا حضر الجنى فليملا فاه من مائها وليمجه أمام الجنى فلما فعل ذلك صار الجنى يضمحل قدامه إلى أن فنى بالكلية واستراح منه الصريدى المذكور.

مشيخته: أخذ عن قاضى مكناسة السيد العباس بن كيران، وعن السيد محمد بن الطاهر الأحبابى الفاسى بفاس، والسيد محمد الجنان الفاسى والطريقة المختارية عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن دح الأزمورى وغير هؤلاء وكان يلقن أورادها.

الآخذون عنه: منهم السيد عبد الله الأحبابى موقت القرويين الحالى وأخوه السيد محمد الموقت سابقا بالقرويين أيضا وسيدى السعيدى المنونى الذى تولى خطة التوقيت بعده بالمسجد الأعظم من حاضرتنا المكناسية وخلق.

وفاته: توفى فى ربيع النبوى عام تسعة وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الكتبية بمحروسة مكناس.

١٢٢ - الجيلانى بن الباشا حم بن الجيلانى البخارى المكناسى الأصل والنشأة، والدار والإقبار.

حاله: فقيه نجيح دراية، كاتب أريب لبيب، له إلمام بالفقه والنحو والتصريف والمنطق متجرد من لباس الدعوى منصف بالإنصاف لمن دونه فضلا عما هو أعلم منه.

وحل لطلب العلم بمحروسة فاس وجد واجتهد فى تلقيه من فحوله العظام ثم أب لمسقط رأسه بعد تحصيله ما قسم له، ثم تولى خليفة عند ابن أخيه الباشا صالح بن بنعيسى صدر الدولة الحفيظية.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى وشيخنا محمد القصرى والمفضل السوسى والطاهر بوحدو، والسيد التهامى المدعو الحداد، وابن التهامى الوزانى، وقاضى فاس الحالى السيد محمد بن رشيد العراقى، وشيخنا أبى العباس

١٢٢ - من مصادر ترجمته: سل النصال ص ٢٩٣٠ فى موسوعة أعلام المغرب.



جلالة السلطان المقدس مولاي الحسن

ابن الجيلاني، وشيخنا أبي العباس بن الخياط، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله،
وشيخنا أبي عيسى المهدي الوزاني المتوفى متم صفر عام اثنين وأربعين وثلاثمائة
وألف بفاس، وغيرهم.

وفاته: توفي فجأة بعد العشاء الثامن عشر من ربيع الأول عام واحد وأربعين
وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرتهم بسيدى الوريغي.





حرف الحاء

١٢٣ - الحسن السلطان أبو على بن السلطان سيدى محمد بن السلطان
مولاي عبد الرحمن بن السلطان مولاي هشام بن السلطان سيدى
محمد بن السلطان مولاي عبد الله بن فخر السلاطين وجد عظام الملوك
مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى الينبوعى السجلماسى.
دفين مكناسة الزيتون.

حاله : نشأ نشأة حسنة فى حجر جده السلطان أبى زيد عبد الرحمن بن
هشام وكان له بتأديبه وتهذيبه وتدريبه اهتمام واعتناء زائد، وكان يحبه محبة
شديدة، ويختار لتعليمه جلة الأساتذة وفضلاء الأعلام، ولما شب وظهرت منه
لجده مخايل النجابة والفلاح وجهه للقراءة ببلاد أحمر الشهيرة بأحوار مراكش،
إبعادا له عن الاشتغال بالمألوفات عن تحصيل العلوم حسبما يستفاد من ظهير أصدره
المولى عبد الرحمن جد المترجم لولده سيدى محمد ودونك لفظه :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، عبد
الرحمن بن هشام الله وليه، ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله
ورضى عنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن الطالب محمد
ابن عبد الواحد بن سودة طلب التوجه لصلة رحمه فأذنا له فى ذلك فادفع له
خمسين مثقالا من زكاة أهل فاس، وذكر أنه يقيم بداره هذه الأشهر الثلاثة حتى
يصوم رمضان ويعيد بها، فإذا مضت أيام العيد فوجهه والسلام فى ٢٤ جمادى
الأخيرة عام ١٢٧٢ .

ومنه فإن سيدى حسن أصلحه الله أراد القراءة ولم نجد له فقيها فقد عرضنا
ذلك على كل من هنا من طلبة مراكش فلم يرد أحد الذهب لأحمر، وكتبنا لك

بذلك فلعلك لم تجد من يقبل ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه ظهرت فيه قريحة ومولع بقراءة الأمهات المختصر وغيره، فلا بد انظر وابحث عسى أن تجد من يصلح لذلك مادام الغصن رطبا فإن تعلم الصغر كالنقش فى الحجر صح».

وذلك بعد مكثه مدة بدار خاله الوزير الصدر السيد العربى الجامعى ليكتسب اطلاعا على ما لم يطلع عليه غيره من أفراد العائلة الملوكية المقصورين على المكث بالدار العلية.

ومن اعتنائه به أن ضم إليه جماعة من كبراء السن من الخدام المطلعين على سير الملوك الذين أدركوا عصرهم وأمرهم بأن يكونوا يحدثونه بما شاهدوه وحفظوه من ذلك، فكانوا يجدون منه الرغبة الحارة فى الاطلاع على ما عندهم من الأنباء زيادة على ما كانت تتوق إليه همته من تحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية والاجتهاد فى لقاء من له مهارة فى العلوم وخصوصا أرباب العلوم الرياضية.

وجمع شتات المؤلفات من سائر الفنون حتى خصص جماعة وافرة من مهرة النساخين المتقنين، ولما جلس على أريكة الملك ازداد شغفه وولوعه بذلك، ولم يزل عمله مسترسلا على ذلك فى عواصم المغرب مدة حياته فرجع بهذا العمل المفيد للعلم راية وأفاد المعارف خدمة جليلة.

ثم لما توفى جده المذكور وبويع لوالده ازدادت عنايته به ومثابرتة على تعليمه ما يستحق به أن يكون أولى بنيه بولاية عهده، إلى أن ظهرت عليه ملامح النجابة والقيام بالمأمورية فاصطفى له من أعيان نبهاء الدولة وساستها ومهرة العلماء وقاداتها وعقد له على راية من صناديد الجيش الذين حنكتهم التجارب وتدريبوا على الكر والفر ووجهه لقبائل الجبال من بربر نتيقة ومن جاروهم وكان على شاكلتهم من الانحراف عن الجادة، ولعرب السهل والسراغنة وبنى مسكين لما كان حصل فى نظامهم من الثلم والخلل، وذلك عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف.

فقام بمأموريته أتم قيام وبرهن على نجاته وحسن إرادته وصدق فراسة والده فيه وأصلح ما كان اختل من النظام وبث روح الطاعة والخضوع لسطوة المخزن في قلوب تلك القبائل الشاردة، ورجع منصور الراية وهو إذ ذاك يسحب ذيول مطارف الشباب في سن يقضى عادة باستحالة ولوج ذلك الباب.

ولما قرت عين والده بأوبته ظافرا مصحوبا بسوابغ الآلاء والنعم واتضح له صدق فراسته فيه أخذ يدبر في عقد راية أخرى له أوفر من الأولى تنشيطا له وإظهارا لترقيه، واعترفا بكفاءته، فعقد له عام ثمانين ومائتين وألف على جيش بقصد تمهيد قبائل قطر سوس الأقصى، وسياسة من دنا من تلك القبائل ومن استقصى، واختار له من صالحى العمال ومخلصيهم من يصلح لرفقته ويليق بديوانه، ومن العلماء صادق اللهجة والمقال العلامة أبا الحسن على المسفيوى، والنحوى البارع لطيف المذاكرة والمنادمة والمسامرة السيد محمد بن عزوز الرباطى، واستوزر معه الفقيه الكاتب الهين اللين المهذب السيد محمد بن داني، ووجهه للقطر المذكور فتوجه والعناية تقدمه، والسعادة تخدمه إلى أن بلغ أقصى سوس ودوخ قبائله التى مضى عليها زمن طويل وهى معطلة من حلى طاعة الأمراء والسلطين وأظهر من السياسة والدهاء واللياقة ما سد عنه أبواب العتاب، ووجد وجهة والده إلى ايثاره بولاية عهده رغما على كل وسيلة كان يتوسل بها غيره إلى نيل تلك الولاية.

وكان فى حركته تلك بلغ وادى ماسة بل جاوزه ثم ثنى عنان عزمه لباقي بلاد سوس مثل هشتوكة وهوارة ورأس الوادى فدوخها ومهدها، واستخلص واجب بيت المال المرتب فى ذمهم.

ثم ولى وجهه إلى الحضرة المراكشية ومر فى طريقه على عمه المولى عبد القادر الذى كان مخيما بوادى القيهرة لاستخلاص ما توفر بضم مزوضة ودويران وسكساوة ونتيفة ومتوكة وأولاد أبى السباع.

ولما وصل أرجاء الحضرة المراكشية أمر والده الجيوش والأعيان للخروج لملاقاته، وكان يوم دخوله من الأيام المشهودة، وكانت مدة غيبته في هذه الحركة عشرة أشهر.

وبعد مقدمه بأيام قلائل نهض والده من مراكش ووجهته الديار الغربية لتفقد أحوال الرعية بها، فاستخلف المترجم بالعاصمة المراكشية فكان في ذلك إعطاء القوس باريها، وأبان صاحب الترجمة في ولايته عن كفاءته وحسن تديره وقيامه بالإدارة فيما أسند إليه النظر فيه من أمور النواحي الحوزية، وربما كان يقابله بالشدة في موضع اللين والإعراض في محل الإقبال، إيقاظا له وإنهاضا لهمة وعروجا به عن الوقوف دون ما يراد به، وربما كان يعاتبه أشد عتاب ولسان حاله يقول:

أدعو عليك وقلبي يقول يا رب لا لا

وكان عامل حاجة ولد أبهى ظهر له من السلطان سيدي محمد قبول وإقبال حمله على التصريح بأنه المعتمد في تلك الجهات الحوزية، وأنه لا دخول له تحت ولاية وخلافة المترجم، فكان من قدر الله أن قامت عليه إيالته، ومدت يد النهب والتخريب إلى داره حتى اضطر إلى الاستنجاد بصاحب الترجمة فأنجده حتى أفلت، وقدم على السلطان سيدي محمد لفاس وجعل يلوح إلى أن ما حل به هو بتدبير المترجم، فلم يلق السلطان إليه بالا لتمكن مكانة ولده لديه، بل وجه العامل المذكور مستخدما في حنطة أصحاب الفراش المعينين لصاحب الترجمة.

وكان باشا مراكش القائد أحمد بن داود يستشعر من الأثرة والشقة لدى السلطان ما أداه إلى عدم المبالاة بالخليفة المترجم، ففضى الله عليه، أن خرج عنه أهل مراكش وهمّوا بقتله ونهب داره، ونصبوا أحد أولاد ابن عامر بمحلّه فقام المترجم بنصرته والذب عن نفسه وداره.

فكتب ابن داود إلى السلطان بما يقتضى إغراء صاحب الترجمة لأهل مراكش على ما فعلوه فقابل وشايتة بالرد وفند زعمه وبراأ ساحة ولده المترجم من تلك الوصمة، ونهض من فاس إلى مراكش مصمماً على تأديب أهل مراكش وأخذ ثار العامل منهم، ولما حل بمراكش عزم على تنفيذ ما هم به لهم فوقعت الشفاعة فيهم فقبلها على استثناء أفراد ممن قاموا بتلك الثورة.

وبعد مدة يسيرة أنهض ولده المترجم للحركة إلى البلاد السوسية ليستوفى ما وظف على أهلها من الأموال، واستوزر له الفقيه أبا عبد الله محمد المفضل غريط الذى صار صدرأ أعظم فى الدولة العزيرية.

ثم فى السادس والعشرين من ذى الحجة عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف عقد له راية متسعة الأكناف ووجهه لبلاد تادلة وجوارها من قبيلة الشاوية، ووالده إذ ذاك مقيم بالديار الغربية.

ولما دوخ المترجم تلك النواحي وساسها وأسس نظامها وحسن أحوالها، أوقع القبض على القائد أحمد الفكاك أحد قواد الشاوية وخليفته أخيه زويويل لسوء سيرته واضطراب أمره واختلاطه، وولى مكانه القائد محمد بن العربى المعروفى، ولم يزل مقيما بدار الفكاك المذكور حتى لحق به والده السلطان بها، ثم نهضا معا وكل بمحلته إلى أن وصلا للحضرة المراكشية وذلك بعد استقامة كل معوج من الرعية فى تلك الطريق، وصلحت الأحوال واستخلص الواجب المعين كما يجب.

ولما جاور الركاب السلطاني بلاد تادلا بدا له أن يولى عمالة مراكش خديمه الطالب أحمد بن داود فوجه له عقد ولايته قبل وصوله لتلك الحضرة، وذلك بإشارة من حاجبه الناصح الضابط أبى عمران موسى بن أحمد، ورفيقه أبى محمد عبد السلام البقالى.

ولما حل السلطان بعاصمة مراكش وفرغ من مقابلة وفود التهتهة بسلامة
القدوم، وانسلخ شهر رمضان، وانتهت حفلة إقامة سنة عيد الفطر، أمر جميع
الواردين على عليّ جنابه من العمال والقبائل وأعيان الرعية بالإقامة لحضور وليمة
عرس فلذة كبده وقررة عينه وخليفته ولده المترجم، ثم أقام لذلك أفراحاً وولائم
أفيضت فيها أنواع الإكرام الضافية على سائر الطبقات، ووسع فيها على الأراذل
والأيتام والضعفاء.

وكان ابتداء الشروع في تلك الأفراح في واحد وعشرين من شوال عام أربعة
وثمانين ومائتين وألف، وتفيأ بظلالها الظليلة جمع غفير من الأشراف والموالي،
واندمجت أعراسهم في سلك متسع أكنافها، وزينت لاتخاذ تلك الولائم حدائق
أجدال، وزينت بساتينه وفرشت بالزرايب المبتوثة، والنمارق المصفوفة، وأبيحت
للدخول، فأتى الناس إليها أفواجا، ورتبت المراتب في الجلوس، وانضاف كل
جنس إلى جنسه وامتدت أفراح تلك الوليمة سبعة أيام بلياليها.

ثم في الخامس عشر من ربيع النبوى سنة تسع وثمانين ومائتين وألف عقد
له والده على راية أخرى، وأمره بالتوجه لناحية قبائل تادلا والشاوية فنهض في
اليوم المذكور وسار إلى أن خيم بالمحل المشهور بصخرة الدجاجة وأقام ثم نحو من
سته أشهر.

وبعد استيفاء الغرض المقصود من تلك المأمورية وتوطيد الأمن وحسم مادة
البغي والعدوان بتلك الجهات، أمره والده بالنهوض واللحوق به بالمحل المعروف
بطالع كرماط، ولما لحقت جنوده بجنود والده وقص عليه جميع ما راج في رحلته
المذكورة سرّاً واستبشر، ودعا له بمزيد التوفيق والتسديد، وأمره بالتوجه للحضرة
المراكشية فسمع وأطاع، ونهض والسعادة تقدمه.

واقتنى أثره والده فصار كلما رحل المترجم من محل نزل به والده إلى أن

نزل الجيشان على رأس الغابة بين قبائل زعير وأولاد محمد من الشاوية، ثم نهضا إلى المحل المعروف بالكيسان، ثم إلى محل تخييم المترجم أولا، وذلك ما قدمنا من تقدم المترجم في جنوده أمام والده.

وفى يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية من العام ثارت فتنة بين أهل مراکش وعاملهم أبى العباس بن داود المذكور، بسبب مد أصحابه يد العداء فى بعض الخرازين، فقام الدباغون فى وجه الشرطيين وكثر الهرج والمرج، واتقدت نيران الفتنة بينهما واجتمع الغوغاء ومن فى قلبه مرض من طاعة المخزن وانضم إلى صعاليك الدباغين، واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة فى كيفية التوصل لتسكين الهيئة وتطمين البلاد، وتخيروا وجه الخلاص ثم توجهوا بأجمعهم لأبواب القصور السلطانية لاستشارة من بالمنشية من العمال والخلائف لغيبة السلطان وخليفته المترجم، فاتفق رأيهم بعد أخذٍ وردٍّ على أن تلك الفتنة لا تنحسم مادتها إلا بإلزام العامل المكث بقعر بيته وعدم العود للمداخلة فى شىء من الأشياء إلى أن يقدم السلطان.

ولما اتصل هذا الخبر بالأمير ساءه وأسرته فى نفسه وتمادى على ما هو بصده من رتق ما انفتق من أمور الرعية وتأديب من يستحق التأديب ممن عتا وسعى فى الأرض الفساد مثل بنى محمد وبنى زمور.

ولما مهد البلاد، وكسر شوكة أهل العناد، نهضت المحلتان لدار ولد الراضى ثم للوادي المعروف بالزم ثم لعين القصب بأبى جعد وخيمتا هنالك نحو من خمسة عشر يوما، ثم رحلتا لقصة تادلة بآيت الربع ثم للزيدانية ثم لبنى موسى ثم لوادى داي ثم دار بوزكري العميرى فدار القائد الغزوانى ببنى موسى ثم لوادى العبيد فالدشرة فتاستاوت فالقاطر قرب أولاد محمد الصغير بالسراغنة فتملالت فزواية ابن ساسى بشاطئى وادى تنسيفت، وذلك يوم السبت متم شعبان العام

وهنالك خرج أهل مراكش بأشرافهم وأهل زواياهم وطوائفهم وصبيانهم بالواحد متشفعين، وفي العفو عما أجرموه راغبين وتفرق الباقيون من أهل مراكش في الحدائق والجنات المكتنفة بنهج مرور السلطان للمطارحة على وجه الصعيد أمامه طلبا لعفوه ورضاه.

ثم إن بعض الأوباش ومن لا خلاق له تعرض للعامل المذكور وشهروا السلاح في وجهه ومنعوه من الخروج للقي السلطان، فاتصل بالسلطان ذلك الخبر فثار غضبه وتحفز للوثبة عليهم وأمر بالاستعداد لذلك، فلجأ القوم بأخية العلامة مولاي العباس ليتدرك الأمر قبل إنتاجه، فانشال عن صهوة فرسه وقبل الأرض أمامه ولم يزل يستعطفه إلى أن سكن غضبه وعفا وصفح وسامح.

ثم في ثامن عشر ربيع النبوي عام تسعين ومائتين وألف عقد لصاحب الترجمة على جيش عرمرم أكبر من الجيوش والرايات التي قبله، ووجهه لقبائل حاحة لرتق ما فتقوا وجمع ما فرقوا لهجومهم على عاملهم وهمهم بالإيقاع به حتى خلص ناجيا بنفسه وعياله، وهو إذ ذاك القائد محمد ولد الحاج عبد الله أبهى، وبقيت القبيلة المذكورة فوضى لا رئيس لها، ولم يزل المترجم يعالج أمرهم طبق ما تقتضيه الظروف من شدة ولين إلى أن انقادوا كلهم ودخلوا في سلك الطاعة أفواجا، كذا في البستان الجامع لكل نوع حسن.

ثم إن السلطان عراه انحراف في مزاجه إلا أنه لم يمنعه من التحرك ومباشرة الأشغال، ثم إنه تناول أكل شيء من التين الرطب ولبن النوق فألم به بسبب ذلك ألم حاد، أجهأ إلى استعمال المسهل فلم ينجح، فكرره فأصابه خفقان مترادف وكان ذلك يوم الاثنين خامس عشر رجب عام تسعين، وبقي الألم بحاله ولكنه لم يمنعه عن الخروج ومباشرة الأشغال بنفسه، ولما كان زوال يوم الخميس دخل للغرفة المعدة للآلات التوقيتية فختمت بها أنفاسه.

ولما أنذر بذلك حاجبه موسى بن أحمد دخل عليه، ولما تيقن موته خرج كثيياً حزينا واستحضر أخاه العلاف الكبير السيد عبد الله بن أحمد، وخليفته السيد محمد الجامعي، والوزير الصدر إدريس بو عشرين، والسيد عبد السلام البقالى وأخبرهم بوفاة السلطان.

فوقع اتفاقهم على جمع الكبراء والأعيان من الشرفاء والقواد للمذاكرة فى مبايعة من يقوم بأمر المسلمين.

ولما اجتمعت جموعهم بادر عامل الرحامنة المكين المكانة لدى السلطان المتوفى والمسمى عنده بشيخ العمال والمستشار لديه فى مهمات الأمور، فصرح بمبايعة المترجم، وقال مسمعا لما استروح الخلاف: أنا أنصره على سكينى، ثم قام بعده عم المترجم وصهره العلامة مولانا العباس بن عبد الرحمن، وأبو عبد الله الجامعى المذكور مصرحين بما صرح به العامل المذكور، فلم يبق محل للنزاع وانعقدت البيعة لصاحب الترجمة وكان الذى تولى كتابتها أولا بخطه مولانا العباس المذكور ثم وضع من حضر من العلماء شهادتهم بذلك وشهد العدول على غيرهم وأدوا شهادتهم بذلك لدى القاضى.

ثم كتب للمترجم عمه مولانا العباس المذكور وكذا المذكورون معه بوفاة والده، وانعقاد البيعة له، كما كتب له بذلك بقية الرؤساء معزين ومهنئين ومستقدمين له، ووقفت على جواب صاحب الترجمة لعمه المولى العباس عما ذكر ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، عمنا الأعز الأجل الأفضل مولانا العباس حفظ الله مجادة عمنا وسلام عليه ورحمة الله.

وبعد: وافانا كتاب عمنا معزيا لنا فى سيدنا الوالد رحمه الله، ومنبتنا بما حل بعمنا من فراقه وفقده فوالله لقد عظم علينا المصاب وجرعنا الرزء أمر من العلقم

وطل الله على سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

عما انزلنا من الانوار الاضداد... فضل من الله على سيدنا محمد...
 وزعمت الله وبعثوا انا اننا كتابنا... فضل من الله على سيدنا محمد...
 وسبنا باحل معنا من امر الله... فضل من الله على سيدنا محمد...
 امر الله العلم والاصحاب... فضل من الله على سيدنا محمد...
 عنينا اننا بغيرنا... فضل من الله على سيدنا محمد...
 ولا حرا ولا حرة... فضل من الله على سيدنا محمد...
 وبعثنا من الله... فضل من الله على سيدنا محمد...
 تعهدنا من الله... فضل من الله على سيدنا محمد...
 والفرز الله... فضل من الله على سيدنا محمد...
 هذا اننا... فضل من الله على سيدنا محمد...
 الفلاح... فضل من الله على سيدنا محمد...
 اننا... فضل من الله على سيدنا محمد...
 والكل... فضل من الله على سيدنا محمد...
 والاح... فضل من الله على سيدنا محمد...
 لا... فضل من الله على سيدنا محمد...
 في... فضل من الله على سيدنا محمد...
 ما... فضل من الله على سيدنا محمد...
 ملك... فضل من الله على سيدنا محمد...
 في... فضل من الله على سيدنا محمد...

سورة

نور

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلوة والسلام على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين

كتاب السلطان مولاي الحسن نعمة مولاي العباس

والصاب، حتى بكينا ناراً ودما، وتمنينا مكان وجودنا عدما وأظلمت علينا الدنيا، فصرنا حيارى لا نميز العدو القصوى من الدنيا، وفي سبيل الله، وإنا لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأل الله العظيم، البر الكريم أن يحفظنا في عمنا ويجازيه عنا وعن المسلمين عن وقوفه وذبه وحمايته، وحسن قيامه ومدافعتة، وعدم تقصيره قولاً وفعلاً ومداهنته ومصانعتة فوق ما كنا نظن بعمنا بدرجات، ولقد والله كنا نعرف هذا قبل في عمنا وتلمحه، لكن ليس كالיום، وما راء كمن سمع، فمن حق اليقين إلى عين اليقين.

ومن أعظم نعم الله علينا ومنه لدينا وجودك في ذلك المقام وهو والله من عجيب صنع الله، ومن أسباب السعادة بفضل الله، وهذا كله إنما ذكرناه لكى يعلم مولانا العم بلوغه إلينا، وإلا فلا منة، لأننا ذات واحدة، ونفس متحدة من ولاء الله منا يغطى الجميع بكفه ولا يفوت سواه إلا بحمل الكلفة والكل، وسيدنا العم والحمد لله صنوا لا يخفى على من تأمل.

والحاصل أن الفقيه السيد موسى وأخاه الحاج عبد الله قد شرحوا لنا ذلك وبينوه بيانا لا مزيد عليه، بحيث لو تصدينا لاستيعابه لما وسعه هذا الكتاب ولا مثله معه، وحيث تجتمع بحول الله نطالعك به وليدع عمنا معنا في كل لحظة ولا يقصر في كل شيء مما يعرض أو يعن أو يقتضيه المقام، فأنت بصيرتنا، شد الله بك أزرنا، وشيد بك أمرنا، وأبقاك لنا وحفظنا فيك، فأى رجل مثلك لنا هيهات هيهات، ونسلم على أعمامنا كلهم مولاي عمر، ومولاي على حفظهم الله، ونُبِّعنا في تعزيتهم وتصييرهم عوضا منا، ففبك حفظك الله تمام الكفاية وعلى الأخوة والسلام في ٢٤ رجب عام ١٢٩٠ حسن أمير المؤمنين».

وأدبا مع عمه المجاب وتنازلا لمقام عمومته لم يضع علامته بأعلى الكتاب، وإنما وضعها أسفل، وزاد فى مواضع من الكتاب بخطه لفظ مولاي ومولانا.

وقد جزع المترجم جزعا شديدا لما بلغه نعى والده، ولما اتصلت به المكاتب الحاملة لذلك النبأ المحزن أحضر وزيره إذ ذاك أبا عبد الله غريبط، وأطلععه على تلك المكاتب، ثم أحضر قائد مشوره إدريس بن العلام، وأمره بجمع كبراء المحلة وقوادها، وأمر الوزير بقراءتها عليهم، ولما قرئت عليهم أسفوا لموت السلطان الفقيد، وابتهجوا بنصر المترجم وأعلنوا بيعته وأطلقت بالمحلة الطلقات المدفعية.

ونهب المبايع له إلى مراكش، ولما شارفها وجد الوزراء والرؤساء والقواد والأعيان والجيوش المخزنية مستقبلين جنابه الشريف بالآلة الملوكية والخصائص السلطانية والشارة الحسنة، فدخل مراكش صبيحة يوم السبت سابع عشرى رجب واستقر على عرش ملكه، ووردت عليه الوفود والبيعات من كل ناحية.

وفى ثانى شعبان ببيع المترجم بطنجة ونواحيها ووجهت المكاتب لتطوان معلمين لهم بوقوع البيعة والأمر بالدخول فى زمرة إخوانهم المسلمين حسبما وقفت على التصريح بذلك فى كتاب من الحاج محمد بركاش، لموسى بن أحمد الحاجب السلطانى.

وفى يوم الأحد ثامن عشرى رجب تحقق بفاس خبر وفاة السلطان سيدى محمد والبيعة لنجله وخليفته صاحب الترجمة، فاجتمع العلماء والأشراف والوجهاء والأعيان وعامل البلد السيد إدريس بن عبد القادر السراج، بين العشاءين بدار عديل الشهيرة بحومة الأمعادي، واعلنوا بنصر المترجم.

ونودى بذلك بالأسواق والطرقات والحومات وبالا اجتماع ضحوة غده الذى هو يوم الاثنين بمسجد أبى الجنود لكتب البيعة به وفق العادة المقررة فى ذلك، ولما

أصبح الصباح هرع الناس للمسجد المذكور فرادى وأزواجا، ولم يتخلف أحد من أهل الحل والعقد وأولى العصابة، وأتى الخليفة السلطاني صنو المترجم مولاي إسماعيل للمسجد المذكور وفي معيته أعيان الجند وذوو الوجاهة ممن بفاس الجديد على اختلاف الطبقات .

ثم فتحت مقصورة المسجد للخليفة والقاضي وأعيان العلماء والعدول وصاروا يدعون طوائف الناس لوضع خطوطهم بالموافقة على البيعة للمترجم طائفة بعد طائفة، الأشراف أولا، ثم العلماء، ثم الأعيان، ثم القواد والرؤساء، ووقع الإشهاد على الجميع بالبيعة للمترجم على المنشط والمكره والسمع والطاعة .

وكان أول من وقع الإشهاد عليه بذلك الخليفة المذكور، ثم الفقيه العلامة مولاي إدريس بن عبد الهادي، ثم عم المترجم مولانا عبد القادر .

وفي يوم الأربعاء مهل شعبان وردت جميع القبائل المجاورة لفاس التابعة له وأدوا بيعتهم كما يجب، ووقع الإشهاد عليهم وطير الإعلام لصاحب الترجمة، ووجهت له المكاتب بذلك .

وبويع له بمكناس ونواحيه ووجهت لحضرته السلطانية كتب البيعات وقصائد التهاني . فمن ذلك قصيدة تهنته وتعزية للفقيه الأديب السيد العربي بن علي المشرفي الفاسي وهي :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ضحكنا سرورا بعد ما عمنا الحزن | وخفنا وعن قرب تداركنا أمن |
| سرور وحزن دفعة قد تواردا | كصيحة رعد بعدها قد هما مزن |
| نرد هجوم الروح والقلب فارح | كمن يتدلى بالثمار له غصن |
| مزجنا بماء الأنس خمرة حزننا | وأتلفها الساقى فليس لها عين |
| لئن فل سيف الحق قد سل بعده | حسام رقاب الجاحدين له جفن |

ببرج سعيد نجم سعد به يمن
فذا شبلة من دأبه الضرب والطعن
علينا ولكن ما استقام له كون
إلى أن ضحكنا ليس بينهما بون
بشير له بشر فقرت به العين
هو الحسن المرضى والنجل والابن
ويحميه حتى لا يطوف به وهن
يسر ويكي لا يدوم له شأن
ومن ربنا لاشك يصحبك العون
تصوغ مزايا ما وعت مثلها أذن
على شعراء الوقت يبقى به دين

وإن غاب نجم لاح في الأفق بعده
وإن حل تحت الترب عتر حربنا
لقد كاد ليل الحزن ينشر جناحه
بكينا ولكن ما استتم بكاؤنا
فما هو إلا أن عبسنا وجاءنا
أنخشي وفينا من نؤم خليفة
إذا خر ركن الملك فهو يعيده
تعز أمولانا الإمام كذا القضا
وأنت بحمد الله مالك ملكنا
ولازلت في نصر وعز عناية
وخذ من نفيس الدر عقدا منضدا

وقول العدل الرضى العلامة السيد الطاهر بوحدو المكناسى ودونك لفظها:

أيامه فلك البشائر
لى بالعقود من المفاخر
ن بالعقود من الجواهر
يا فأذهبت كرب الخواطر
أغصانه ميمون طائر
لخطيب ورق فى المنابر
د صح نقلا فى الدفاتر

سعد الزمان وساعدت
والجيد منه قد تح
ظهرت بواهر من حسا
وتبسمت منه الثنا
وأريض روض قام فى
فالعجب من ورق صغت
فتمايلت طربا لوع

بطلوع شمس المجد فى
 يهدى سناها فى سما
 حسنيئا (الحسن) الحلا
 فىالى مسماه الإشا
 ملك تملك من سياس
 وعنت له منها وجو
 لجلاله دانت رقا
 وعلى محبته انطوت
 نجل الملوك المالكي
 ما منهم ملك مضى
 بحر الندى والعلم ها
 طود منيف سيد
 فى وجهه نور الهدى
 سامى الذرى حامى الورى
 تخشى لسطوته أسو
 لوائه نشر تض
 من كفه هامى الموا
 وهاب طلاب الحبا
 ما حاتم جودا على
 أفق السعود إلى النواظر
 ء سنائها من كان حائر
 المحسن السير المآثر
 رة باسمه (الحسن) المظاهر
 ته الممالك والحرائر
 ه بالبواطن والظواهر
 ب الخلق وهى له صواغر
 منها مضامر الضمائر
 ن أزمة المجد الأكاير
 إلا أتى ملك يفاخر
 آثاره كحل البصائر
 ملك عزيز النفس طاهر
 وبكفه نور الأزاهر
 من كل سوء بل وضائر
 د الغاب بالببيض البواتر
 من فى الوغى نصر العساكر
 هب وأكف مثل المواطر
 ما ليس يخطر بالخطاطر
 إسداء نائله بقادر

| | |
|--------------------|------------------------|
| من رام طاعة ربه | فركن طاعته ييادر |
| فهو للإله خليفة | فى أرضه قطب الدوائر |
| والطرق منه أمنت | من طارق فيها وثائر |
| ومجدد للدين يب | دو فى البوادي والحواضر |
| ابن الرسول المجتبي | خير الأوائل والأواخر |
| فبجاهه صلى عليه | ه الله والآل الطواهر |
| خلد له نصرا عزيز | زا ظاهرا يا خير ناصر |
| وآدم عـلاه لآمل | فيثول بالمأمول ظافر |

وقول أبى عبد الله محمد بن المعطى المزطارى المكناسى

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| خبرت بنصركم النجوم الطلع | وعنت لمجدكم الجهات الأربع |
| واستبشرت هذى الديار بنصركم | وجرت بعرف جمالكم تتضوع |
| وأمدكم رب العلا بفضيلة | ملا البسيطة نورها المتشعشع |
| وعليكم فتح مبين ناشر | رايات عز ما حواها تبع |
| إن كنت فى الهيجا فانت غضنفر | أسد تذلل له الملوك وتخضع |
| تروى رماحك من نحور عداكم | فترى القناة مع الأسنة تلمع |
| وترى الخيول كما اشتهاه فى الوغى | هذا يجىء بذا وهذا يصرع |
| فالعز فى نصب الخيام عليهم | والنصر يأتى وجهه لك يسطع |
| يا أيها البطل الذى لبس التقى | درعا يدوم لباسها لا يخلع |
| يا نبعة الشرف الذى بهر الورى | عدلا وذاك غريزة لا تصنع |

يا درة الحسب الذى هو أرفع
وسلالة المجد الذى لا يدفع
وسع الأنام فبذله لا يقطع
فإليك يا حسن تشير الإصبع
يهنيك نصر بالسعادة يشفع
وحلا لبانهما بشدى يرضع
نحر الصدور وحقكم لا تنزع
يقرى نوالا عاجلا لا يمنع
من حسن نور محمد يتضلع
ونشأت فى أمر المهيمن تسرع
بعزيمة ما مثلها يتوقع
علم الحديث من جنابك يسمع
علم القريض زمامه لك أطوع
أحد يساويكم بذا أو يطمع
وإليكم أمر الخليفة يوجع
تختال فى حلل الجمال وترتع
كالروض يسقيه السحاب فيربع
خبرت بنصركم النجوم الطلع

يا ابن الأعزة يا خلاصة هاشم
يا ابن الملوك الطاهرين وحرزهم
يا ابن الرسول وموضع الكرم الذى
إن قيل من ساد الملوك برفعة
أخليفة الله المتوج بالرضا
ألفت سجايك المروءة والندى
نظمت جواهر عقد فخركم على
يا مالكا متبسما لسؤاله
يغشاكم نور النبى فجبينكم
لم لا وقد ظهرت مخايل فضلكم
وأخذت فى كل العلوم مجاهدا
حتى وصلت وكنت فيها مقدا
وحويت من غر اللغات أجلها
هيات فضل الله عمكم فلا
لكم المزايا والمواهب جملة
خذها أمير المؤمنين خريدة
وإليها يا خير من حاز العلا
أمسيت مسرورا وهأنا ناشر

إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجاؤ فى مجلد.

ثم لما تم أمر البيعة واطمأنت النفوس بطلعته، تاقت همته الأبية إلى التجول في أقطار البلاد والنظر في أحوال الرعية وتوطيد الأمن وقطع جرثومة البغى والتمرد، نهض من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان وكانت مدة مقامه بها شهراً واحداً وستة أيام، ووالى الأسفار لهذا المقصد الحميد بنجدة وجدة وحزم وعزم، ولم يزل يوالى الحركات والتجول بتوالى السنين والأعوام منذ جلس على أريكة ملك أبيه وأجداده إلى أن قبضه الله إليه .

وكان إذا أراد الشروع في التأهب للنهوض للحركة يصدر أمره أولاً للأمين بالشروع في صنع الخزائن والراويات والبرادع ثم لَأَمِينِيْ مستفاد آزمور الدار البيضاء بتوجيه العدد اللازم من قروش المجال وقدره ألف وخمسة قرش، ومثل ذلك من الشواريات، ثم لعمال الديارة بتوجيه ألف تليس، وأخذ ما لجانب المخزن تحت يد القبائل من الخيل والبغال والإبل وبيان ما يقع عليه توقف من الأنواع الثلاثة للتفريق فيقسط على أولئك العمال، ويؤمر كل منهم بتوجيه ما قسط عليه في التاريخ الذى يعين لهم بعد تعويض الضائع، وإبدال الراك ثم للعمال كافة بالتأهب للحركة والكون على بال من النهوض مهما أمروا به .

ثم يخرج أفراك وتضرب به الأخبية السلطانية، ثم يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط بالمحل الذى يعين لهم، وبعد ذلك يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط مع أفراك، حيث يقرب نهوض الجناب السلطاني ثم يؤمر كبراء الأحناطى بالإتيان بتقايد ما يخصهم من ضروريات عملهم وشغلهم فتدفع تلك التقايد لأمين الصائر، ويؤمر بقضاء جميع ما فيها، ودفع ما لكل حنطة لكبيرها، ثم تكتب المكاتب بتسيير المثونة للمحلة فى الطريق التى يكون المرور عليها، ثم يؤمر أمناء مرسى العدوتين باشتراء عدد من التبن والشعير ووضعها تحت يدهم بقصد دواب المحلة .

ويؤمر محتسب الرباط بالشروع فى طحن عدد من القمح وادخاره تحت يده، فإن احتيج إليه وجد ميسرًا، وإن كان للجناب السلطانى غرض فى قبيلة من القبائل التى يكون المرور عليها أو معهم كلام فى واجب ونحوه، فتتقدم إليها سرية من الجند والعسكر وبعض القبائل صحبة أحد من أصناء المترجم فى محلة للشروع فى مباشرة الغرض المولوى معهم، وإن كان الكلام بموضعين فتتقدم إليهما محلطان وحيث يصل إليهم صاحب الترجمة بجنوده الجرارة فتكون تلك المحلة تتقدم أمامه بمرحلة أو مرحلتين كاطالعة للجنود المولوية المنصورة، وغالبًا يرشح أبو عبد الله محمد الأمرانى للغرب، بقصد تفقد أحوال البرابر أولاً، ثم تجتمع عليه قبائل الغرب بحركتهم وينهض معهم للتخيم بالرباط إلى أن يؤمروا بما يقتضيه النظر السلطانى السديد من تقدم لملاقاته، أو مكث بمحلهم حتى يصل إليهم ركابه الشريف .

هكذا كان نظام سائر حركاته ودونكها على الترتيب حسبما بكناشتى ميقاتيه الشهيرين المهندس الميقاتى الكبير أبى العباس أحمد بن الشادلى البخارى المكناسى، وأبى عبد الله محمد بن بو سلهام الخلطى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار اللذين كانا يرافقانه فى أسفاره كلها، ويتقدمان أمامه لضبط المراحل وتقدير مدة السير فى كل مرحلة بغاية التحقيق والتدقيق بالسوائع والدقائق، ومن خطيهما نقلت جل ما أثبتته فى هذا الموضوع، لأنهما أضبط من غيرهما وأتقن لمباشرتهما ذلك بأنفسهما ومشاهدتهما له بأعينهما، وما راء كمن سمع، ولذلك ترانى ربما خالفت ما جاء فى الاستقصا .

الحركة الأولى من مراكش إلى فاس عام ١٢٩٠:

كان نهوضه من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان عام ١٢٩٠، ولما عزم على النهوض استخلف أخاه الأنجد المولى عثمان وعضده بياشا قصبه المنشية من الحضرة المراكشية أحمد بن مالك السوسى وباشا المدينة محمد بن داود المراكشى .

ولما أوقع الرحيل كتب لعامل فاس أبى العلاء إدريس السراج معلما له
بمبارحة الأسمى الحضرة المراكشية، ومبيناً مراحل الطريق التى رام المرور عليها،
ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خدمنا الأرضى الطالب إدريس السراج، أعانك الله وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته، وبعد:

فإننا قد كنا قفلنا من حركتنا السعيدة بحاحا وحللنا هذه الحضرة المراكشية
المحروسة بالله حلول يمن وظفر وسعادة، كان المراد إذ ذاك أن ننهض فى محلتنا
المنصورة وجيوشنا الموفورة لناحية الغرب من غير مهلة، ثم اقتضت المصلحة المكث
فى هذه الحضرة أياما لترتيب أمورها، وإصلاح شئونها، وتسكين قبائلها،
واستقرار كل أمر فى مركزه حتى يبقى جميع ذلك على أحسن ما يراد وينبغى
بحول الله، وقد يسر الله جميع ما نوبناه ورتبنا جميع ما ذكر بحمد الله، وعلى
قواعد الجد والحزم بحمد الله بنينا، ووجهنا حيثنذ بعون الله الوجهة لناحية
الغرب، ونهضنا بحول الله ومته. وطوله وقوته. يوم تاريخه معتمدين على ما
دعونا الله من تيسيره وتأيدته. ونصره وتسديده. وخيمنا بمحلتنا السعيدة بزاوية ابن
ساسى والأحوال بحمد الله صالحة. ونعم الله غادية ورائحة.

ونيتنا إن شاء الله المرور على الطريق التى ورد عليها سيدنا الوالد قدسه الله
هذه المرة الأخيرة على طريق تادلا، ومنها لورديفة، ثم بنى زمور، ثم السماعلة،
ومنها لزعيير ومنها بحول الله لزموور، ومنها لمكناس إن شاء الله بحوله وقوته،
وأعلمناكم لشكروا نعمة المولى. وتشاركوا فى حمده جل وعلا. على ما أسدى
وأولى. وهو المستول بنبيه ﷺ ومجد وعظم. أن يسر جميع الأمور. فى الورود
والصدور. آمين والسلام فى رابع رمضان المعظم عام تسعين ومائتين وألف».

ثم بدا له لما بارح مراكش المرور على غير الطريق التي عين في هذا المسطور الفخيم لأمر، منها: أن الزمان كان زمن برد وشتاء يصعب بسبب ذلك سلوك ذلك السبيل مع قلة التبن والشعير لعلف الدواب في ذلك الإبان^(١) بتلك القبائل.

ومنها تطارح عمال الشاوية وأعيانهم على أعتابه الطاهرة، راغبين في مرور جنابه الشريف ببلادهم لأمر سياسية ومصالح عامة النفع.

ومنها: طلب القائد الغزواني الموسوى عدم مرور الركاب العالى ببلادهم لكونه رجا إصلاح إخوانه الذين خرجوا عليه بحسن السياسة ومرور المحلة ببلادهم تروعهم وتشردهم وتنفرهم، فتبطل طريق السياسة التي سلك معهم ويحتاج الأمر إلى إرغامهم للرجوع للجدادة وذلك يؤدي إلى ضياع أموال ونفوس، فرأى أن المصلحة في إسعاف رغبة الجميع وجبر خواطهم، حسبما وقفت على ذلك كله في ظهير مولوى أصدره المترجم للسراج المذكور بتاريخ ١٤ رمضان المذكور، فسار من مراكش لقبيلة السراغنة، ثم البروج، ثم كيسر من بلاد تامسنا، وهناك اتصل به خبر ثورة الغوغاء من أجلاف رعا أهل فاس الدباغين على أمين المستفاد بها أبى عبد الله محمد بن المدنى بنيس ونهبهم لداره وأمتعته وهمهم بقتله لولا أن الله عصمه منهم بالاختفاء عنهم في الحمام.

وذلك أنه لما تقرر بيع المترجم بعاصمة فاس أزيلت المكوس التي كانت موظفة على الأبواب والأسواق، ومن جملة ما كان يؤدي إلى بيع الجلد، وكان الأمين المفوض في ذلك هو أبو عبد الله بنيس المذكور، وكانت له عند السلطان والد المترجم يدٌ ومكانة مكيئة لما اتصف به من رجحان العقل والإصابة في الرأي وعدم التداخل فيما لا يعنيه.

(١) إِيَانُ الشَّيْءِ: أَوَانُهُ.

ثم فى يوم الجمعة ثالث شعبان اجتمع بنيس الأمين ببعض من كان مرشحا لقبض الوجية المتحصلة من فندق بيع الجلد، وكان من أهل النسبة الطاهرة، فأظهر له الضعف وشدة الفاقة، واقترح عليه ترجيع المكس على سوق الجلد ليستعين بما كان يستفيدة من الأجرة على ذلك، وأكثر الإلحاح وشدة الاضطرار، فرق له بنيس وواعده بالرجوع لذلك المحل فى العاجل القريب.

ثم بعد مفارقة الشريف له استشار بنيس بعض أصدقائه وهو الشريف الفضال سيدى الفاطمى الإدريسى، وكان ذا إصابة فى رأى فحذره وأنذره وأشار عليه بإرجاء الطالب الملح إلى مقدم صاحب الترجمة، ولا تحدث نفسك بالإقدام على شىء ولو قل، فإن عاقبته محققة الضرر.

فتحقق صدق مقال المستشار وصمم على أن لا يفعل هذا، والطالب لم يزل مُجداً فى الطلب مكثرأ فى الإلحاح والترداد إلى أن واعده وعداً غير مخلف، ونبذ التحذير والإنذار وراءه ظهرياً ﴿... لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا...﴾ ﴿٤٤﴾ [الأنفال].

ولما سمع بذلك الدباغون توجهوا لعامل البلد السيد إدريس السراج، وقصوا عليه القصص، فأشار عليهم بالتوجه للقاضى الشريف العلامة مولاي محمد - فتحا - بن عبد الرحمن العلوى، فتوجهوا إليه وطلبوا منه أن يعين لهم من يقيد لهم بيع الجلد بالفندق فأمرهم بأن يختاروا لأنفسهم من يصلح لهم وهو ينفذه لهم، فاختراروا ستة بعد أن فاوض بعضهم البعض فيمن يصلح لذلك.

ولما علم بذلك بنيس توجه إلى القاضى المذكور، وسأله عن السبب فى تعيين الطلبة للسوق المعدة لبيع الجلد، فأجابه بما ذكر، فقال له بنيس: إني أريد أن أجعل نصف موزونة للمثقال تكون تؤدى عن البيع، فحذره وأنذره وذلك يوم الجمعة عاشر شعبان، فانتصح الأمين، والتزم أن لا يعود للكلام فى هذا الأمر.

ثم إن الطالب الملح توجه للفندق من عندية نفسه وجلس ليقبض المكس فثار الغوغاء وسفلة الأخلاط من الدباغين وتجمهروا، وذهبوا لدار الأمين المذكور لعرض ما ذكر عليه وذلك يوم الأحد ثانی عشر شعبان من السنة، ولما وصلوا لباب داره وجدوا أحد عبيده جالسا هنالك فسألوه عن سيده بلهجة قوية وحالة مرعدة فسبهم وشتمهم وسد الباب فى وجوههم ودخل الدار وأخرج مكحلة وأطلق عمارتها فى الهواء ظنا منه أنهم ينزجرون بذلك وتفرق جموعهم الفاسدة، فوجد النهاب السبيل لما أرادوا وتلاحق اللاحق بالسابق وتسلىح القوم، واجتمع الغوغاء من كل حدب وصوب، وصمموا على الهجوم على الدار.

ولما كثر الهرج والمرج أتى بعض الجوار بسلايم ونصبها وراء الدرب، وطلب من نساء بنيس أن يخرجن لداره خوفا عليهن من الفضيحة، وأوعز إليهن أن يصبحن معهن ما لهن من الحلوى والمجوهرات والذخائر النفيسة الخفيفة الحمل الغالية الثمن، فأبين ذلك وامتنعن من الخروج، فما شعرن إلا وباب الدرب انفتح، وأبواب الدار تكسرت والضجيج بالغ حده ونيران الفتن تتقد فطلع النساء إذ ذاك للسطوح وألقين بأنفسهن لدور الجوار، ودخل النهاب الدار واستولوا على ما بها من النفائس والذخائر والأموال، واستأسدت الذئاب وفقد القوم الشعور، حتى صار المضروب لا يبالي بمن ضربه، ولا يلتفت المجروح لمن جرحه، وهاجت الفتنة بالمدينة وماج الناس بعضهم فى بعض وخصوصاً بالقطانين والعقبة الزرقاء.

ولما اتصل الخبر بقاضى الحضرة الفاسية المذكور ركب بغلته وقصد دار بنيس ظنا منه أن أولئك الغوغاء الأخساء يقيمون له وزنا وينصتون لمقاله، ولما وصل الدار لم يلتفت إليه أحد، ولا وقع بصره على من يعرفه وهو بوسط الدار يطوف على جموع تلك الطوائف الضالة الفاقدة للحياء والسمع والبصر، حتى كادت نفسه أن تتلف وهو يعظ ويذكر ويحذر وينذر، فلم يجد ذا أذن واعية، ولا من له قلب يعقل به حتى غشى عليه من شدة الازدحام، وكاد أن يسقط على الأرض وتدوسه

الأجلاف بأقدامها، فحمله بعض من عرفه وأخرجه من الباب الضيقة المقابلة للحوانيت خوفاً عليه، وذهب به إليه، إلى أن أوصله لحومة جرنيز، ولم يزل معه إلى أن أفاق من إغمائه، وتيقن أن هذا الخرق لا سبيل لرتقه، هذا كله وبنيس المذكور مختف بحمام ابن عباد بحومة القطنين حيث صادفه الحال يغتسل هنالك.

ولما اتصل بالخليفة السلطاني بفاس مولانا إسماعيل وهو بفاس الجديد، خبر هذه الفتنة المدلهمة، أرسل الباشا الحاج سعيد لإطفاء تلك النيران الموقدة، ويأتيه بالخبر اليقين، والسبب الداعي لإيقاد نيران هذه الفتنة ليظير الإعلام بحقيقة الواقع لصاحب الترجمة، وعززه بلفيف من الجند المخزني، فتوجه ودخل الدار بمن معه من أهل النجدة فلم يعبا به أحد، ولم يرفع إليه رأس، ولما رأى أنه لا طاقة له بكف أذاهم رجع من حيث أتى ناجياً بنفسه.

ولما وقع الإتيان على ما كان بالدار من الأثاث والأمتعة بل حتى أواني الخليع والسمن والزيت والدقيق وما أشبه ذلك، أتى عامل البلد الباشا إدريس السراج المذكور راكباً على بغلته، ولما وصل الدار ورام كف أولئك المتمردين باللين في القول لم يبال أحد بمقاله، وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً، وتمادوا على فعلهم الذميم، ورجع الباشا وأعلم الخليفة بما شاهد.

ثم إن أولئك الأوباش لم يكتفوا بنهب الدار التي بالقطنين، بل عمدوا حتى للعرضة التي له بالدوح ونهبوا جميع ما بها، بل أزالوا حتى الأبواب والسراجب وجوائز السقف وخربوها وتركوها بلاقع في أقرب الأوقات وأقصرها.

ولما تم نهب الدارين، وهدأت الأصوات وتفرق معظم تلك الجموع، اجتمع بين العشاءين الشرفاء الأدراسة وغيرهم من الأعيان، وأتوا بنيس وأخرجوه من الحمام وجعلوه وسطهم كأنه واحد منهم وتوجهوا به للحرم الإدريسي، ولما حل به أدخله الشريف أبو حامد العربي الإدريسي لعلو له بزنقة الوادي، ولما اطمأن صار

الناس يفدون عليه يهتونه بسلامة النفس من العطب، ويسلونهم عما ضاع من مال ونشب.

وسمع بعض الحاضرين يتحدثون بأن سبب هذا الحادث هو عزمه على رد المكس بفندق الجلد، فحلف يمينا جمع فيها كل الأيمان الراجعة للبتات وغيره، إنه ما أذن في ذلك ولا عزم عليه بمحضر جمع من الأعيان والعلماء، منهم أبو العباس أحمد بن الحاج السلمي صاحب الدر المنتخب المستحسن، الملخصة هذه الواقعة منه وبقي بنيس بالعلو المذكور أياما ثم انتقل لمنار ضريح أبي العلاء مولانا إدريس الأزهر.

ولما رفع للمتخرج خبر هذا الحادث الجلل، عقد للقائد إدريس بن العلام على عشرين من الخيل ووجههم بكتاب شريف لكافة أهل فاس، وذلك يوم الخميس ثالث عشرى شعبان العام ووصل لفاس يوم الأربعاء سابع رمضان ومن الغد الذي هو يوم الخميس قرئ الكتاب الكريم على منبر القرويين وفق المقرر المؤلف في المكاتب السلطانية، ودونك نص ذلك الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«خدامنا الأنجاد، كافة أهل فاس نخص منهم الشرفاء، والعلماء والأعيان والعرفاء، وابن عمنا الفقيه القاضي مولاي محمد بن عبد الرحمن، والعامل الطالب السيد إدريس السراج، وفقكم الله وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنكم منا وإلينا، والمعروفون بالخير والصلاح لدينا، ولكم القدم الثابت في محبة جانبنا العالی بالله وخدمته والنصيحة له مما لم يكن مثله لجميع الناس، ولم يزل لكم الذكر الجميل في كل منزل، والأثر الجليل في كل معضل،

وقد جريتم على سننكم المعهود في جمع الكلمة، وأظهرتم من أثر المحبة والنصيحة والخدمة، ما استوجبتم به علينا غاية الاعتبار والحرمة، وجددتم قديم تلك العهود، وأكدتم صالح تلك العقود، كما ظهر منكم عند وفاة سيدنا الوالد المقدس بالله رحمه الله أصلحكم الله ورضى عنكم.

ثم بلغنا بعد ذلك أن بعض السفهاء ظهر منه طيش ويغى، واستهواهم الشيطان فاتبعوا سبيل الغى، فمالتوا على خديمتنا الأمين الحاج محمد بن المدنى بنيس ونهبوا داره ولم يراعوا ماله بسبب خدمتنا الشريفة من الحقوق، ولا خافوا سطوة الخالق، ولا استحيوا من المخلوق، وذلك لا يجمل الإغضاء عنه ولا السكوت عليه، ونحن على بصيرة فيكم، ونعلم أن أهل الخير والصلاح منكم لا يحبون ذلك ولا يرتضونه ولا يوافقون عليه فى سر ولا علانية لكونه صدر بغتة، ولكن السفيه إذا لم ينه فهو مأمور.

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم تداركوا هذا الواقع، وقوموا على قدم الجد فى رفاء هذا الخرق قبل أن يتسع على الراقع، واعملوا ما تحبون أن نسمعه عنكم ويجلب لكم رضا الله ورضانا. واسعوا فى مداواة هذا القرح إسرارا وإعلانا. واعلموا أنكم قدوة لغيركم وإنما ينتظر الناس ما يسمعون عنكم وفى الحديث الشريف: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وها نحن فى الأثر قادمون عليكم بحول الله وقوته، فنحب أن نصل إليكم وصدورنا كما كانت سالمة عليكم ولم يبق من جهتكم سوء ولا مكروه، ونطلب الله لجميعكم الهداية والتوفيق. إلى أقوم طريق فى ٢٢ شعبان عام ١٢٩٠.

ولما تلى هذا الكتاب على مسامع الخاصة والعامة فهم السفهاء منهم غير المقصود، وتوهموا أنه إيعاد لهم وتهديد، وأمر جازم برد ما نهب من دار بنيس، فتجمعوا واجتمعوا وسط مسجد القرويين وخافت الناس الفتنة ثانيا، ومد اليد فى الأسواق ودكاكين التجار، وكثر اللغظ وارتفعت الأصوات، واكتظ المسجد المذكور وما اتصل به من الطرقات بالأخلاق والأوباش، واتخذ المثلون العسس على أبواب دورهم ودكاكينهم، ووقع الناس فى حيص بيص، ودخل المولى محمد القاضى والعامل السراج وبعض الأعيان من العلماء لمقصورة القرويين للمفاوضة فى كيفية مقاومة تيار الغوغاء الذين لا يتدبرون العواقب، وبعد المفاوضة وإمعان النظر فى وجه الخلاص، اتفق رأيهم على أن يوجهوا لبنيس للحرم الإدريسي من يطلب مسامحته فيما نهب من داريه، ويخرج من الحرم آمنا، وعينوا للذهاب إليه الشريف أبا عبد الله محمد بن أحمد الصقلى، وأبا العباس أحمد بن محمد بن الحاج السلمى المذكور آنفا، ويبتا على التوجه إليه صبيحة الغد الذى هو يوم الجمعة، فتوجهوا إليه فى عاشره النهار ووجدوا معه جماعة من الأعيان وطلبوا منه الخلوة معهم ليفضوا إليه بكلام حملاه إليه، فأمرهم بالإفضاء إليه أمام جلسائه بما شاءوا، فسلوه ووعظوه وبالغوا فى استعطافه فى المسامحة، فأبى كل الإباية وصرح لهم بأنه ضاع له أضعاف ما ببيت المال.

ولما لم يسعف بنيس رغبة الراغبين، توجه القاضى مولاى محمد صبيحة يوم السبت للخليفة السلطانى مولاى إسماعيل وأخبره بما راج، واقترح عليه أن يوجه للشرفاء وأعيان البلد وعاملها ويعرفهم بأن مراد السلطان فى كتابه لهم إنما هو الإغراء على الانكفاف والزجر عن العود خوفا من أن يقع للغير ما وقع لبنيس، وليس المقصود من الكتاب السلطانى رد ما نهب الناهبون.

فأرسل الخليفة المذكور بالأمر بالحضور لمن ذكر فحضر القاضى والشرفاء والأعيان، ولم يحضر العامل لتوهمه أن ذلك الاستدعاء شبكة نصبت للقبض عليهم وجعلهم فى الأغلال والسلاسل والتوجيه بهم للحضرة السلطانية على أقبح الحالات.

فتحزب وجمع عليه ما يزيد على ثلاثمائة من الرماة وطلع لقصبة أبى الجلود يريد الدار العالية وهو راكب بغلته والرماة محدقة به وباقى الأخلاط الزائدة عن العد منتشره بالأزقة والطرقات الموصلة للقصور السلطانية حيث الخليفة السلطانى، ولما سمع الخليفة المولى إسماعيل بذلك وجه للسراج وأمنه وشرح القصد من جمعهم، فلم يثق هو ولا من معه بأمان الخليفة ولا مقاله، فراجع الخليفة وأقسم له بالأيمان اللازمة وأعطاه عهدا وموائق على أنه لا يرى ولا يسمع ما يكدر باله، وإنما مراده بهذا الجمع الإصلاح وتسكين الروعة وتفهم من لم يفهم، فلم ينفع فى السراج وأحزابه من ذلك شىء، وتمادوا على الامتناع والإبابة، وازداد اللغظ والهرج والمرج والضجيج ووقع التشاجر والتخالف حتى كاد أن يقع الضرب بالبارود، ورعب السراج وخاف لحوق الأذى عاجلا والمسئولية آجلا ورجع لداره بعد عناء شديد.

ثم وجه للخليفة مولاى إسماعيل وقال له: إن كنت فى قصدك صادقا فانزل لمسجد أبى الجنود وبه يكون اجتماعنا والمفاوضة فيما تريد، فحذر القاضى والعلماء مولاى إسماعيل من التوجه للمسجد المذكور لاختلاط الحابل بالنابل واشتداد شوكة السفهاء سخفة العقول الذين اعتقدوا أن الحل والربط صار بأيديهم، ورأوا أن يكتب الخليفة للسراج كتابا يشرح له فيه مراد السلطان من الكتاب الذى قرئ على منبر القرويين وفهمه العامة على غير وجهه، فاستحسن الخليفة رأيهم وكتب الكتاب بما ذكر، ووجه به للسراج مع العلماء والأعيان الذين كانوا بأبواب القصور

السلطانية ظنا منهم أن الملاء لا زالوا بأبي الجنود، ولما توجهوا بالكتاب وجدوا الجموع تفرقت بعضها ذهب مع السراج لحراسته بداره، والبعض الآخر للحرم الإدريسي بقصد قتل بنيس، فرجعوا بكتابهم إلى الخليفة وقصوا عليه القصص، فأشار القاضي بتوجيه الكتاب المذكور للسراج بداره وأن يؤمر بقراءته على منبر القرويين، فاستحسن رأيه.

ووجه بالكتاب للسراج لداره فقام مظهرا بالامثال لتنفيذ ما أمر به، فبلغه فى أثناء الطريق أن البارود وقع بمولانا إدريس، فرجع لداره قائلاً: لا أذهب لثلا يشتد الأمر ويقول الناس أنا المتسبب فى ذلك والمغرى عليه.

وأما الأوباش الذين توجهوا لقتل بنيس بمولانا إدريس فإن عاصف ربح التخالف نفخ فيهم أثناء الطريق، وفرقهم أى تفريق، ولم يصل منهم للحرم الإدريسي إلا النزر القليل، ولما رأى ذلك الشرفاء الأدراسة وأنصارهم، سدوا جميع أبواب الحرم وتقلدوا أسلحتهم وارتقوا لسطح الحرم والسطوح المجاورة له، وأخرج الشرفاء المذكورون بنيس من المحل الذى كان به وأنزلوه بشماسة وطاقة من شماسات قبة الضريح، وجعلوا عليه حراسة كافية وأطلقوا البارود من السطوح، فأصاب بعض الضعفاء.

وضج من لا خلاق له من السفهاء وطلعوا للسطوح العالية المشرفة على سطح الحرم الإدريسي لقتل جميع من راج به، ففر جميع من كان بها، وتعذر على الناس المرور فى الأزقة حتى إن رجلا درقاويا كان من الرماة يبيع شاربات، قال: اتركونى أصعد لبرج القرويين وأقابل سطح مولانا إدريس وكل من ظهر به أرميه بالرصاص وأقتله، فأجابه العقلاء بأن حرم مولانا إدريس هو حرم للمغرب بأسره. لا لخصوص الأدراسة القائمين بأمره، فوالله لا نترك أحدا يؤذى به من المحتمين بحماه.

ثم وقف القاضي ومعه جماعة عشية ذلك اليوم وقوف الأبطال، وكفوا السفهاء عما أرادوا، وتوجهوا للحرم الإدريسي من جهة الحمام، ونهى القاضي الأدارسة عن العود لإخراج البارود وسكنت الروعة في ذلك الحين، وبقي الحرم الإدريسي مغلق الأبواب والعسة على بنيس قائمة على ساق، وهذا كله في يوم السبت.

ولما أصبح يوم الأحد رام الأخلاط ومن لا خلاق له مدَّ يدِ النهب في الأسواق والدكاكين، وحمل جل التجار سلعهم لدورهم، وجعلوا على أبوابهم وسطوحهم العسس الكافية، وازداد الأمر شدة والطين بلة، والقاضي والعلماء وجلة الناس ووجهائهم يُدبرون في كيفية إطفاء هذه النار الموقدة المتطايرة الشرر.

فجاءوا للأدراسة بحرم جدهم مولانا إدريس وأمروهم بفتح الحرم فأذعنوا لذلك، ورجع القاضي ومن معه للقرويين واجتمعوا بعامة الناس وخاصتهم، وتصدر القاضي لشرح الحقيقة والواقع في كتاب السلطان ومراد خليفته ووعظ وذكر. وحذر وأنذر. وخَوْفَ بَأْسِ السلطان وسطوته، وضمن لهم أن لا يروا من السلطان إن هم أذعنوا وأطاعوا ما يكرهون، ولا يعنف أحداً منهم، فرضوا بذلك والتزموه.

وحيثذ رجع القاضي بمن في معيته للحرم الإدريسي، وأخبروا الأدراسة بالواقع، ففتحوا الأبواب وانكشف كثيف ما كان من سحب الأهوال، ووضعت الفتن أوزارها، وبزغت شمس الأمن بأرجاء القلوب. انتهى. ملخصاً من الدر المنتخب وجله بالمعنى.

وفي صبيحة يوم الخميس تاسع عشرى رمضان حل برباط الفتح وأقام به سنة عيد الفطر وغمر الجند والأيتام والأرامل والأشراف والعلماء وذوى الحيشيات

والأعيان وسائر الموظفين الدينيين وغيرهم، وختم صحيح الإمام البخارى، وكان شيخ مجلسه الحديثى السيد المهدي بن الطالب بن سودة المرى قاضى الحضرة المكناسية، وحضر ذلك الختم جم غفير من القضاة والعلماء والأعيان ووفود القبائل المغربية كالواردين بالبيعة الكريمة من فاس، وقيل فى ختمه ذلك من الأمادىح نيف وخمسون قصيدة، أجاز عليها أصحابها كل بما يستحق.

من تلك القصائد قصيدة الفقيه الكاتب الأديب البليغ الأبرع أبى العلاء

إدريس بن محمد بن إدريس العمراوى ونصها:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| أرج القبول من المهيمن نام | وندا التعرف بالمواهب هام |
| وشذا الرضا هبت لنا نفحاته | من مجلس قد جل فى الإعظام |
| حفت به أعلامهم فتراهم | من طيبهم كالزهر فى الأكمام |
| بمقام مولانا الإمام تلالات | أعظم به من مجلس ومقام |
| فيه البخارى الجليل جنابه | وفت مواعده بحسن ختام |
| فامدّدْ أكْفكْ سائلا متوسلا | برواته وقدراته الأعلام |
| واضرع بباب الله عند ختامه | تلل المؤمل من حبا العلام |
| واعلم بأنك فى مواطن رفعة | وإجابة ومنال كل مرام |
| باب الإجابة منه يقرع فلتكن | فى السابقين إليه باستسلام |
| ما أمه ذو حاجة فى معضل | إلا وعاد بنائل متسام |
| أو خائف نال الأمان بسرده | ذهبت مخافته مع الآثام |
| فالهج به ورواته عدد تجد | هم فى سما العليا بدور تمام |
| فهم الأئمة والسراة ونورهم | يمحو عن الأوهام كل ظلام |

أمن الورى من سائر الأنقام
تتلى محاسنهم على الأيام
إذ أوضحوا معناه للأفهام
حبر ابن إسماعيل خير إمام
حاز التقدم فى ذرى الإسلام
وحمى من الأضلال والأوهام
صوب الحيا من هاطل أو هام
حسن الخصال بأحسن الإنعام
وأقر عين العلم فى ذا العام
مذ قام بالتيسير خير قيام
من خلفها ويمينها وأمام
وسطا به كالمجد الضرغام
والكفر فى ذل وفى إرغام
وبه الأمان بذى المغارب نام
فالهند يتلو فخره بالشام
سنية مهدية أعلام
غر الوجوه مطهرو الأجسام
يزدان فى الجدران والآطام
لم يلوه للمنع قول ملام

وهم ذرو القرب الذين بذكرهم
أهل الحديث الفائزون بحفظه
ودعا الرسول منضر لوجوههم
وأمرهم فى المعلومات إمامنا الـ
جمع الصحيح الجامع الحق الذى
ومحا عن الدين الحنيفى القذى
وبنى معاهده المنيعه ديمه
وجزى الإله أميرنا العدل الرضا الـ
نهج السبيل المستقيم بسرده
أحيا مآثر صالحى آبائه
حاط الشريعة بالسياسة فائزا
وأباد جاحدها بعزم نافذ
مولى به الإسلام أصبح ظاهرا
مولى به ابتهج الزمان وأهله
مولى بطيب حديثه افتخر العلا
من عصبه نبوية علوية
نور النبوة واضح من بشرهم
لألاء غرته الكريمة ساطع
ويمينه السخاء ضامنة الغنى

علم الهدى ومواصل الأرحام
كلا ولو كان الفضل أقلام
حاشا ولو عد النجوم نظام
وسعى وأرهف فى الثناء حسام
قد حازها من وافر الأقسام
ذخر ومن فضل ومن إكرام
فيه له من قرابة وقيام
عيد يعود بكل خير نام
وأنا له نصرا مدى الأعوام
سامى اللواء مثبت الأقدام
وحديثه العالى وخير عصام
أتباع والأنصار والأعمام
لركابه فى مظعن ومقام
فاقت شذا مسك وريح خزام
ما جال فى الأسماع صفو كلام

ليث العدا غيث الندى رحب المدى
من لى بحصر مديحه فى مهيع
أم كيف أسبح فى خليج صفاته
لكننى آتى بمقدور على
فلتهن مولانا الإمام مآثر
وليهنه ما نال من أجر ومن
وليهنه شهر الصيام وما بدا
وليهنه العيد السعيد فإنه
أبقاه مولانا لجبر عبده
وأطال فى سعد ويمن عمره
وبجاه مولانا الرسول سألته
وبنيه والأصهار والأزواج والـ
أن يجعل الفتح المبين ملازما
وعليه من ربي السلام تحية
والآل والأصحاب أهل وداده

واحتفل بهذا الختم احتفالا لم ير الراءون مثله حتى كان الطيب كالسحاب
المتكاثف وعدد أصناف الأطعمة الفاخرة.

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من شوال خرج من الرباط قاصدا مكناسة
الزيتون، حيث اتصل به خير قيام المولى سليمان المدعو الكبير بن عبد الرحمن بن

السلطان أبى الربيع مولانا سليمان، الذى جاء من سجلماسة يطلب الملك اقتداء بأبيه من قبله الذى كان ثار أوائل دولة والد المترجم فلم تنجح مساعيه. وبقي يجوب البلاد البربرية وأطماعه الأشعبية تعده وتمنيه. إلى أن كانت عاقبة أمره سجننا طويلا، إذ لما حل المترجم بالصفافة من قبيلة بنى حسن بلغه خبر القبض على القائم المذكور بقبيلة بنى سادن أو آيت يوسى والتوجيه به سجيننا للخليفة السلطانى بفاس، وهو إذ ذاك أخو المترجم المولى إسماعيل وكتب بشرح ذلك لسائر إيالته ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة والافتتاح:

«وبعد: فإن عبد الكبير بن عبد الرحمن الذى سولت له نفسه ما سولت من رأى المنكوس. والحظ المعكوس. كان تحزب بشياطين وأوباش من برابرة بنى مجيلد، وأتوا به لآيت عياش قرب فاس، فلما سمع بذلك خدامنا أهل فاس وأخواننا شراكة وغيرهم من الجيش السوسى وقبائل الصلاح، قاموا على ساق فى طرده وإبعاده. ونفيه من ساحتهم وتشتيت رماده. وقابلوه بالنكاية والوبال. ورأى منهم ما لم يخطر له ببال. ورجع بِخُفَى حُنِين^(١)، ثم بعد الطرد والإبعاد لم يبال. بما هو عليه من سوء الحال، ولا أقلع عما طمع فيه من المحال، ولا انتبه من نومته، ولا أفاق من سكرته، وبقي على دورانه عند البربر إلى أن ختم مطافه بالوصول لآيت يوسى فحكم الله فيه هنالك وأتى به مقبوضا عليه وذهب ريحه وسقط فى أيدي^(٢) من كان آواه من البربر وحصلوا كلهم على الخسران. والخزى والخذلان.

وها الفتان مثقف تحت يد أخينا مولاي إسماعيل حفظه الله فالحمد لله حق

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «رجع بخف حنين» وهو مثل يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

(٢) فى المطبوع: «فى أيد من كان»..

حمده. ولا نعمة إلا من عنده. وهو المسئول بنبينا ﷺ ومجد وعظم. أن يؤدي عنا وعن المسلمين شكر نعمته. وأن يجربنا على ما عودنا من جزيل فضله ومته.

هذا وقد كتبنا لكم هذا بعد ما خيمنا بحول الله ببلاد الصفاة من بنى حسن ومحلتنا المظفرة بالله محفوفة بالنصر والعز بحمد الله، وأعلامنا المنصورة بالله رياح السعادة واليمن تسوقها، والأرباح تكفل بها سوقها، وقد أعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح بما خول مولانا جل وعلا من عظيم نعمه، فله الحمد وله المنة والسلام في ٢٣ من شوال عام ١٢٩٠.

قلت: ثم بعد مكث الثائر في السجن يرفل في قيود الهوان والصفار أمدًا بعيدًا عفا عنه المترجم وسرحه وأكرم مثواه، وأجرى عليه جراية تليق بأمثاله من أفراد العائلة.

وقد عقد صاحب الفتوحات الوهية في سيرة مولانا الحسن السنية وهو العلامة الحسن بن عبد الرحمن السملالي فصلا خاصا بثورة مولاي الكبير، وخالصة ما ذكره أن اسمه سليمان، وأنه لقب بالكبير لأنه أكبر إخوته، وأنه اقتدى في ثورته على مولاي الحسن بأبيه مولاي عبد الرحمن بن سليمان حين ثار على سيدى محمد بن عبد الرحمن والد مولاي عبد الرحمن لاستصغاره إياه سنا وعقلا، فإنه خرج من تافيلالت ولما وصل «القصابي» بعث بريدًا لإعلام أهل فاس بأمره فأجابوه بالموافقة واستحثوه في السير قبل مجيء السلطان من مراكش، وواعدوه باللقاء في صفرو، متى نزل بها، فلما نزلها أخلفوا وعدهم معه وأبوا أن يخرجوا إليه حتى يصل إليهم، ولكنه لما وصل ظهر المهرز مع أتباعه البرابر وجد أمامه الباشا فرجى قد خرج للقائهم لما تواترت^(١) أخبارهم، وكان ذا رأى وحرب وتدبير، فمزق جيشه أصحاب مولاي عبد الرحمن، واستلبوا خيلهم وبغالهم وأسلحتهم، وكاد المولى عبد الرحمن يقبض.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «تواترت» بالثاء المثناة.

فلما تبدد أتباع المولى عبد الرحمن ذهب ولده مولاي الكبير هذا فى اثنى عشر فارسا لاستصراخ بعض الفرنسيين النازلين وقتئذ على بنى يزناسن لأمر بينهم، فوافقوه على الانتصار له، أى بعد أن تظلم إليهم ووعدهم المغانم، وأكرموا نزوله عند المسمى عبد القادر بن داود، وأوصوا هذا بمرافقته لوهران، ثم ارتحلوا عن بنى يزناسن إلى وجدة متهمين أهلها بممالة بنى بزناسن، ووظفوا عليهم ذعيرة يدفعونها فى أجل ثلاثة أيام فدفعوها.

وارتحل الفرنسيون عنهم لتلمسان، فكان أول عمل لهم بها أن ضربوا السلك للملكهم يخبرونه بأمرهم مع مولاي الكبير، وأنهم قبلوا ما عرضه عليهم من النجدة والانتصار، فأجابهم بإنكار عملهم هذا وعاتبهم عليه فندموا على ما فعلوا إلا واحداً منهم يقال له «القبطان عك» حاكم عرب وهران، كان هو المشير بقبول الانتصار، فإنه أكد على عبد القادر بن داود فى إكرام ضيفه، فبقى مولاي الكبير عندهم أربعة أشهر إلى أن كانت نتيجة مساعى عك وغيره أن أعين بأربعة آلاف ريال له وألف لأصحابه يدفعها لهم بعض الأغوات إن مروا به ويرجعوا لوطنهم.

فخرج مولاي الكبير من وهران، وأخذ ما ذكر ورجع لوطنه فبقى به ونفسه متعلقة بالملك، إلى أن سمع بموت السلطان سيدى محمد فأراد انتهاز الفرصة فسافر من أهله بعد أن سمع ببيعة مولاي الحسن، واجتمعت عليه البرابر وغيرهم، وسار إلى أن نزل بآيت عياش فتهاقت عليه البربر والعرب - وكان مولاي الحسن يومئذ برباط الفتح - وبقى بها مدة ووفود البربر تذهب وتجيء وتبشر من وراءها بخبره، فاجتمع عنده خلق كثير من بنى مكيلد، وبنى مطير، والغرابة، زيادة على من كان عنده، فاستكثر الغرابة عدد أتباعه وراودوه هو وإياهم على أن يعينوهم على قائلهم «محمد اسعيد ابربر»، فاعتذروا ووعدهم بالانتصار لهم بعد تمام الأمر، ولكنهم لم يياسوا بل ألحوا عليه وعلى البربر وهم يجيبونهم بأن زمامهم بيد الشريف.

وسمع المولى إسماعيل بنزول المولى الكبير بذلك الموضوع بتنبيه كان عنده على ذلك، فأرسل إليه الشريف سيدى محمد بن محمد الأمرانى آتى الترجمة لمعرفته بلغة البربر واطلاعه فى جل الأمور على مقاصدهم ليعظه ويذكره بفشل قضية أبيه، وأنه كان منتهى أمره أن خرج من أرض السلف إلى (صفطل) وهو محل بنى مكيلد، ففعل ذلك ووعده بصلة يأتيه بها من مولاى إسماعيل، فاتعظ وتذكر ورجع الأمرانى بعد أن شرط عليه أن يمكث بمحله حتى يعود إليه، فلما بعد عن ذلك المحل وجد رجالا من الغرابة فأخبروه بامتناع مولاى الكبير من نصرتهم وطلبوا منه التوسط بينهم وبين مولاى إسماعيل ليطلب من مولاى الحسن إنقاذهم مما هم فيه مع (محمد اسعيد ابربر) لأنه أطلق عليهم إخوانه آيت حلى فنهبوا أموالهم ومزقوا أعراضهم، وتكفلوا للسلطان بأمر مولاى الكبير حتى يسلموه إياه حيا أو ميتا.

فسار بهم الأمرانى معه لفاس، فلما التقى بالخليفة أخبره بما كان منه مع مولاى الكبير وما كان من الغرابة فاستصوب عمله مع هؤلاء وقبل طلبهم والتزم الوفاء به كما التزم الغرابة الوفاء بقولهم، ولكنهم لما رجعوا وجدوا قومهم قد عرقبوا على مولاى الكبير وأصحابه ساعة غيبتهم، فسار معهم وانتقل من الدار التى كان بها إلى دار قريبة من آيت حلى، أما الأمرانى فإنه رجع بغير صلة لما كان من أمره مع الغرابة فوجد مولاى الكبير قد خالف شرط عدم الارتحال، فاتخذة عذرا لعدم الإتيان بما وعد، فلما التقيا لامة على الارتحال فأجابه مولاى الكبير بما يخالف ما كان بينهما: إن هذا ملك أبى وجدى فلا أسلم فيه، فسكت الأمرانى فرحا بظهور النكت من جانب الآخر معتمدا على ما أبرمه مع الغرابة، ورجع وتركه وكان محمد اسعيد، قد استعد مع إخوانه آيت حلى لمقابلة الضارين على حللهم، وتواصوا على مكيده دبروها.

فلما دنت الغرابة ومن معها من حلى حملوا عليها فانهزم محمد اسعيد واشتغل الغرابة بالنهب وتشتتوا فى الحلى، فلما رأى منهم ذلك كر عليهم بقومه ثم هزموهم وغنموا منهم وحزوا.

وكان مولاي الكبير قد بقى فى الدار لم يركب هو وشردمة من آيت مرغاد، وآيت حديدو، وأهل الخنك ينتظر أبناء سريته ودخولها صفر، وجلب المساجين.

فلما رأى ما رأى خاف وأمر بقلع الخزينة وركب هو ومن تبعه وقصدوا دار الشريف سيدى أحمد بن عبد الجليل الوزانى فنجاه الله من الغرابة؛ لأنهم لما انهزموا ساروا إليه يريدون أن ينفذوا فيه ما اتفقوا عليه مع الأمرانى فى شأنه ليتمكنوا بعد ذلك من محمد اسعيد، فافتقوا أثره جهة سبو فوجدوه قد عبره ونزل هو عند الشريف إلى انتصاف الليل، فطرقهم أعراب الحياينة وبنو سدن وبنو وراين وآيت شغروشن وأحدقوا بالدار، فلما خرج لهم رهبا قالوا إنا قد جئنا لنباع سلطاننا الذى دخل دارك فاطلب منه أن يخرج حتى نبايعه ثم يعود إليها، فلما خرج إليهم أخذوا بيده وعاهدوه وأمروا رب الدار أن لا يخرج حتى يراهم، فلما ذهبوا ورجع لمحلله ندم على ما صدر منه وتيقن القبض لا محالة، فكتب للأمرانى يستحضره هو ومولاي عبد السلام العدوى لإتمام ما تحدثوا به فى آيت عياش، فلما وصل الكتاب أخرجهما مولاي إسماعيل حالا مع فضول الرامى مقدم مولاي إدريس إليه، فلما وصلوا امتنع من الذهاب معهم لفاس إلا إذا حضرت لوحة مولاي إدريس أو الدليل أو السبحة، فأرسلوا فى ذلك فوجه لهم به. وياتوا ليلتهم تلك، فلما أصبحوا توجهوا لفاس.

وكتب الشريف رب الدار وعمه السيد إدريس بن زين العابدين للسلطان وهو حيثئذ بالرباط يطلبون أن لا تخفر لهم ذمة بمولاي الكبير، فأجابهما السلطان لذلك، فلما وصل لفاس البيضاء أمر الخليفة بإنزاله بدار بودلاحة أمارة على

سجنه؛ لأنه أول قفص من أقفاص الامتحان، ثم قال السملالى ما نصه: وكان سفهاء الأحلام حين سمعوا بتوجهه تشوفوا إليه وتلقوه خارج المدينة، وقصدوا مشافهته بما توسوست به نفوسهم من الأمانى الكاذبة، فأتوا إليه فى محله أفواجا ظنا منهم أن النزول نزول إكرام واستراحة ولم يعلموا أنه نزول نكال وعقوبة، فمنعهم الرقيب من الدخول فردهم خاسئين، والرقيب هو الباشا الحاج سعيد بن فرجى.

فسمع هو بذلك فتيقن أنه مسجون، وأن رأيه خاب وخسر، ثم بقى بدار بودلاحة إلى أن قامت قضية ابن المدنى بنيس فنقل لسجن الدكاكين ونزل بها بنيس.

قلت: ثم نهض من الصفاة إلى دار ابن العامرى وأوقع بأولاد يحيى فريق من بنى حسن وقعة شنيعة كادت أن تحص منهم كل شىء، وألزمهم غرامة طائلة عقوبة لهم على ما أجرموه من الافتيات على عاملهم عبد القادر بن أحمد وهد داره ونهب أمتعته، وسعيهم فى الأرض الفساد، ثم ظعن ووجهته مكناسة ومر فى طريقه على الزاوية الإدريسية الزرهونية.

وكان حلوله بدار الملك عاصمة سلفه الأكرمين مكناسة الزيتون سابع ذى القعدة، وأقام بها سنة عيد الأضحى ووصل أشرفها وأعلامها وسائر ذوى الحشيات بها بصلات وعوائد، وبالغ فى الإحسان للضعفاء والأيتام.

ثم وجه جيشه لقمع متمرده بنى مطير ومن انضم إليهم وانخرط فى سلكهم من العصاة كمجاط، وبنى مجيلد، وآيت يوسى، فنالت منهم بعد أن كانت الحرب سجالا.

ولما لم يكتف بذلك فى تأديبهم خرج إليهم بنفسه فى جيوش جرارة لاستتصال شأفة بغيهم وعيشتهم وعيشتهم وإيذائهم بالمارة، فسقامهم كأسا دهاقا من

القهر والغلبة، وأحاط بهم جيوشه إحاطة السوار بالمعصم، واقتحم عليهم معاقلهم ومحال منعتهم، إلى أن دخل فم الخنيق أول بلاد بني مجيلد وقبض منهم على عدد وافر من المساجين، بعد أن ترك قتلاهم صرعى للذئاب والنسور مرعى، ولما بارت منهم الحيل وعجزوا عن المقاومة والدفاع وحق بهم سوء ما عملوا، ورأوا أنه لا منجى ولا ملجأ لهم، قدموا طاعتهم صاغرين وأتوا بصبيبتهم ونسائهم متشفعين، وعا اقترفوه بالتوبة النصوح معلنين، فقبل توبتهم وعفا عفو قادر عنهم، وذلك منتصف محرم فاتح عام واحد وتسعين ومائتين وألف.

ثم رجع للعاصمة المكناسية وأقام بها، وفي يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى منها ظعن لفاس، ولما خيم بصفة وادى النجا خرج لاستقباله لفيف من الأشراف والموظفين والأعيان والكبراء، فأكرم وفادتهم ومثواهم وهش وبش فسروا واستبشروا، وفي صبيحة يوم الخميس سادس ربيع المذكور حل بها وكان ذلك اليوم يوما مشهوداً وفدت عليه فيه للتحية وتقديم مراسم التهئة المؤذنة بإخلاص الطاعة الأشراف والعلماء والأعيان ومن بها من الجنود على اختلاف الطبقات، وأقام بها حفلة عيد المولد النبوى ووفدت عليه فيها وفود أعيان القبائل مع قوادها بالهدايا ذات البال وفق العادة المألوفة والعرف الجارى.

وفي يوم الخميس - على ما فى بستان السباعى والذى فى الاستقصا يوم الثلاثاء - رابع ربيع الثانى من السنة أمر المترجم أمينه أبا العباس أحمد بن شقرون المراكشى بترتيب الوظيف المرتب على أبواب فاس وأسواقها وفق ما كان فى حياة والده، وذلك أواخر شوال العام، فنقل ذلك على الدباغين ومرضوا فيه وأعلنوا بالتمرد والعصيان، وخلع ربة الطاعة من أعناقهم، إذ أعجبتهم كثرتهم، وامتنعوا من أداء الوجيبة الواجبة عن بيع الجلد، وآل الأمر إلى إشهار السلاح والمبارزة والكفاح والصعود إلى المنارات المطللة على المدينة البيضاء فاس الجديد، ورمى المارة بالسبل الموصلة إليه، وصار الرصاص يتساقط ببطحاء أبى الجلود.

فعند ذلك أمر السلطان بمقابلتهم على قدر جريمتهم، فطافت بهم العساكر ورموهم بالكور من كل ناحية، ثم اقتحمت طائفة من العسكر سور فاس من جهة الطالعة وأخذوا فى النهب والقتل وعظم الخطب واشتد الكرب، وفى أثناء ذلك بعث السلطان وزيره أبا عبد الله الصفار يعظهم ويعرض عليهم الأمان بشرط التوبة والرجوع إلى الطاعة، فأذعنوا وامثلوا وانطفأت نار الفتنة الملعون موقدها.

هذا ولم تكد نيران الفتن تسكن برحاب فاس حتى استفحل داء الثائر الفتان بوعزى بن عبد القادر العامرى الشركاوى المدعو الهبرى نسبة إلى بلدته هبرى - بالقصر بين أم العساكر ومستغانم - وكان ظهور هذا الفتان فى أيام سيدى محمد سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف فى آنكاد ثم شتت جموعه.

فلما بويع مولاي الحسن ظهر ثانية فى غياثة واجتمعت عليه التسول والبرانس والحيانية وبنو وراين وكزناية وأولاد بريمة وآيت شغروشن وبنو سدن فهض المترجم ثانيا فى عام واحد وتسعين ومائتين وألف لقطع جرثومة الفساد خوف الانتشار والاستفحال والضرب على أيدي الساعين فى إيقاد نيران الفتن، فاستأصل شأفة متمردي بنى سادن وآيت شغروشن.

وبعد أن طهر البقاع من سماسرة الفتن توجه لبلاد الحياينة ثم مدينة تازا فدخلها وكان عاملها إذ ذاك الباشا عبد الرحمن بن الشليح الشراى الزرارى، وبعد استراحة الجنود المظفرة هجمت على المارق الهبرى المذكور وألقت القبض عليه، وأتى به للمترجم حقيراً ذليلاً فشهر وطيف به على جمل، ثم وجه به سجيناً لفاس وبقي فيه إلى أن نقل لمراكش فمات فى الطريق.

ونهض صاحب الترجمة من تازا ووجهته القبائل الريفية وجعل طريقه على عين زورة، ولما وصل لقصبة سلوان أدركه عيد الفطر فأقام بها سنة عيد الفطر، ووجه على عامل وجدة القائد قدور حيظوط الجامعى وأمره بتأمين الحاج محمد

ولد البشير ومسعود اليزناسنى وأصحابه معه فوردوا عليه بالقصبة المذكورة، ولما مثلاً بين يديه عزل حيوط المذكور عن عمالة وجدة، وولى مكانه ولد البشير امسعود حيث رأى أن إطفاء نيران تلك النواحي لا يتم إلا بذلك، فانقلب المترجم لفاس على طريقه بعد أن وجه لوجدة عاملها الجديد، وأمر العامل المتزوج بمصاحبة ركابه الشريف ونهض بجنوده الجرارة قاصداً فاساً، ولما وصل عقبه موكة المحل الشهير بمكناسة تراكمت الأمطار وتكاثف الوحل وحصل لتلك المحال بسبب ذلك مشاق عظيمة، وأصيبت بخسائر جسيمة.

ولما حل المترجم بفاس وفدت عليه وفود التهاني لقصوره العامرة، ولما استقر به النوى أوقع القبض على الحاج محمد أومنو السوسى قائد الطابور السوسى ووجه به سجيناً لتطوان، وولى مكانه على العسكر المذكور الحاج على السوسى الباعمرانى، ثم رشح لعمالة طنجة القائد الجيلانى بن حم، ولعمالة فاس السيد عبد الله بن أحمد.

وبأثر ذلك عقد لأخيه المولى علىّ علىّ محلة لا يستهان بها، ووجه لاستخلاص المترتب على القبائل الريفية والقبائل القاطنة بنواحي تازا، ووجدة، وأسند قيادة تلك المحلة لباشا تازا القائد عبد الرحمن الزرارى، فاستاء جل القبائل وبالأخص المجاورة لوجدة وأنف عاملها ابن البشير من الرضوخ لأوامره، فكانت المحلة كلما أشرفت على قبيلة اشترط أهلها عدم دخول الرئيس المذكور لترايبهم والتزامهم بالقيام بواجب المحلة ومقابلة أخى السلطان المولى على المذكور بما يليق به من الحفاوة والإجلال والخضوع والطاعة لأوامره.

وقد كان ابن البشير تجمهر مع عدة قبائل وصمم على العصيان وشق عصا الطاعة أنفة من رئاسة عامل تازا المذكور على المحلة دونه، إذ قد كانت بينهما

المنافسة والعداوة والبغضاء بالغة متهاها، يطمع كل واحد منهما فى ضم حكومة الآخر لحكومته، ويرى كل أنه الأحق والأولى بالتفرد بالرياسة.

ولما سارت المحلة على طريق أنكاد قاصدة وجدة، قام فى وجهها ابن البشير المذكور فى جموعه ذات العدة والعدد، وناوشها القتال فرعبت ورأت أنها لا طاقة لها بمقاومة تلك الأحزاب، وأنه لا أنجح لها من الرجوع إلى فاس فرجعت أواخر شعبان، والسلطان المترجم فى نزهة شعبانة بدار دبيغ، وقص عليه القصص إخوة المولى على، فأسرهما فى نفسه، وكانت مدة مقامه بفاس ثمانية أشهر.

ثم بعد مدة من رجوع المحلة نهض صاحب الترجمة من فاس لتفقد أحوال رعيته، وذلك منتصف رمضان من السنة فحل بالعاصمة المكناسية، وعزل محتسبها الحاج الطيب غريط المدعو كسكاس وولى مكانه الطالب المختار بادو.

ثم بارحها إلى رباط الفتح، ولما خيم بضواحيه بالمحل المعروف بقرميم بلغه أن هلال عيد الفطر قد ثبت فارتحل ليلا ونزل خارج البلد وأقام سنة العيد قبل دخوله لقصره الفاخر العامر، وبعد ذلك دخل فى موكبه عشية اليوم ترقب الهلال بنفسه وأمر العدول والأعيان من حاشيته برصده وكان الجو صافيا صقيلا فلم يظهر الهلال، فأمر باستئناف الصيام وسجن الشهود الذين زعموا رؤيته، وكان القاضى إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن إبراهيم.

ثم نهض المترجم إلى زاوية ابن ساسى وخيم بها ستة عشر يوما، ووظف على الرحامنة أمولا طائلة، وفرض عليهم الخيل وألزمهم إعطاء العسكر تأديبا لهم على جرم أجرموه، ولم يبارح الزاوية المذكورة حتى أدوا جميع ما وظيف عليهم وألزموا به.

وبعد ذلك نهض للحضرة المراكشية، فدخلها آخر ذى القعدة الحرام، وكان يوم دخوله لها من أزهر الأعياد وأبهر المواسم.

وفى ربيع ذى الحجة أوقع القبض على مائتين وثمانين نفرا من رؤساء أولاد
أبى السباع الذين كانوا خرجوا على عاملهم عبد الله بن بلعيد، وعاثوا على القائد
العربى الرحمانى فى شردمة من الخيل، فنزل بها عليهم وألزمهم أداء ستين ألف
ريال ذعيرة لهم على التمرد وإيقاد نيران الفتن، فلم يسعهم إلا بيع ماشيتهم
بأبخس الأثمان وأداء الموظف عليهم عن يد وهم صاغرون، ورد عليهم عاملهم
ابن بلعيد المذكور وهم له كارهون، فلم يكن لهم بد من الخضوع والرضوخ
للطاعة، ولم يزل المترجم مجدا فى الاستعداد لكسر شوكة كل من بغى وتمرد
وجمع العساكر من القبائل إلى أواخر صفر من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف .

وفى هذا التاريخ وفد عليه أبو عبد الله محمد الكندافى^(١) فى صاحب جبل
تملل، أحد أشياخ تلك القبيلة الذى كان وشى به للمترجم عامله أحمد بن
مالك، وأشاع عنه أنه خلع ربقة طاعة السلطان من عنقه، وأنه يحاول الدعاء
لنفسه، وطلب ملك سلفه من قبله .

ولم يزل يوسوس للسلطان المترجم حتى أوغر عليه صدره وأمره بالقبض
عليه، فاعتقد ابن مالك أنه حصل على ضالته المنشودة، ووجه له فئة من الجند
فأوقع بها الكندافى، شرّ وقعة، إلا ما كان من الجيش السلطانى فإنه لم يمسه
بسوء .

فوجد ابن مالك متسعا لترويح أرجافه، وكتب للمترجم بما يزيد حنقا على
الكتافى، وبعد الواقعة وجه الكندافى ولده للحضرة السلطانية بفاس وشرح له
حقيقة الواقع وعرفه بأنه من المطيعين المخلصين، وبما يكنه له ابن مالك من العداوة
والبغضاء، وينصبه له من شبك المهالك، فشفعه المترجم فيه وولاه على إخوانه،
ولم يزل صاحب الترجمة مقيما بالحضرة السلطانية إلى أن أقام بها حفلة العيد
النبوى الكريم، وغمر وأفاض العطاء فى الشرفاء والعلماء والجيوش .

(١) فى المطبوع: «الكتافى» والمثبت من موسوعة أعلام المغرب ٢٧٦٢/٨ .

وفى مهل ربيع الثانى نهض من مراكش يؤم الديار الغربية، فمرَّ على ثغر الجديدة وتنفق أبراجها وسقائلها، وأقام بها أياما كانت كلها أعياداً ومواسم، ثم نهض لآزمور ووقف على أسوارها وأبراجها وصقائلها وأمر بإصلاح ما يفتقر للإصلاح من ذلك وصيانته، وبالأخص البرج المقابل للمرسى هنالك.

ثم نهض من آزمور ودخل ثغر الدار البيضاء فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى، وأعطى عاملها محمد بن إدريس الجرارى فى اليوم نفسه من ولايته عليها، وولاه عمالة ثغر الجديدة، وولى مكانه بالدار البيضاء الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوى، وأقام بها يومين ووقف على أبراجها وسقائلها، وواعد بإصلاح ما هو مفتقر للإصلاح وخصوصاً مرفأ المرسى.

ثم نهض من الدار البيضاء وأوقع بعرب الزيادة لانحرافهم عن الجادة، ثم صار إلى أن دخل رباط الفتح، وذلك غرة جمادى الأولى من السنة، وأقام بها تسعة أيام، ثم نهض وسار على طريق زمور الشلح إلى أن دخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتون ثامن عشر الشهر، فأقام بها خمسة أيام.

ثم نهض لفاس، وتهدى للسفر لحسم مادة الفساد من القبائل المتمردة قبل سريان دائها، واستعجال عدوانها، والقبض على رؤساء الفساد، وتقويض أركانها، فخرج فى جيوش عظيمة جراءة تنتظم من أبطال من انتظم فى سلك إخلاص الطاعة، وقبائل الغرب الأيمن والأيسر سهله والجبل، وذلك منتصف جمادى الثانية.

وكان فى نظره أن يجعل طريقه على الوادى الأخضر ثم مكناسة تازا لبعده طريق غياثة، فلاذ بعض كبراء المحلة ورؤسائها بأبى محمد عبد السلام البقالى وقد كان محبوباً لصاحب الترجمة مسموع الكلمة عنده، بأن يشير عليه بالمرور على مدينة تازا ويحسنه إليه لقضاء مآربهم بها والاستعداد بالتموين منها، ففعل

وصادفت إشارته من المترجم قبولاً حسناً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، وجعل طريقه وفق ما أرادوا، فقامت غيابة بواجبات تموين المحال وفق المعتاد والمألوف أتم قيامه وأكمله، وذلك فى المرحلة الأولى والثانية، ولما كانت المرحلة الثالثة من إيالة باشا تازا وهو إذ ذاك محمد بن الطاهر الدليمى المتولى بعد عاملها المعزول عبد الرحمن الزرارى، تأخر الإتيان بالتموين ولوازمه عن وقته المعتاد لظنهم أن المترجم لا يمر بهم، وحملوا أعلام العامل الصادر لهم قبل بذلك على الكذب، وأنه إنما أراد جلب ذلك لنفسه. وضمه لكيسه.

فتهاونوا حتى رأوا الجنود المولوية تضرب أخبيتها وتحط أثقالها بالمحل المعروف بذراع اللور، فعند ذلك قاموا على ساق فى أداء اللازم فلم يتيسر لهم الإتيان بذلك فى إبانهِ.

وكان بينهم وبين العامل انحراف باطنى، فاغتنم فيهم هذه الفرصة وبلغ للمترجم عنهم ما أوغر صدره عليهم وأوجب همه بزجرهم، وتسنى للعامل المذكور إلقاء القبض على كل من يأتى منهم بمثونته، فكثر الضجيج فيهم، وصار من انفلت منهم يخبر الجائى بتأسد العامل عليهم، ويهول لهم بحالة المقبوضين، فيرجع بما أتى به، ولم يجئ أحد بعد، فثار غضب المترجم وأيد العامل بدعواه، واعتقد أنه بلغ فيهم مقصوده، فوجه لهم لفيفا من الجيش باغتهم به وذلك يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر المذكور.

فاقتحم ذلك اللفيف عليهم حصونهم المنيعه، وسقوهم كأس المنون، وهدموا ما لهم من الدور، وأطلقوا النيران فى الزرع والخيام وقطعوا الرؤوس، وتركوهم يختالون فى أردية الهوان والبؤس، ورجع الجيش ظافراً غانماً.

ولما رأى الشريف المعتقد أبو العلاء إدريس الوزانى المعروف بزين العابدين زيادة، اشتداد غيظ السلطان عليهم حاول إرضاء عنهم بإظهار الحقيقة له، وكان

نافذ الكلمة مطاع الأمر عند غيائه، فلم ينجح فى مسعاه، وصمم المترجم على إعادة شن الغارة عليهم واجتثاث عصيانهم من أصله.

فنهض لقتالهم بنفسه صبيحة الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرين من الشهر فى شقة بين جبال وعرة المسالك، لا يأمن من لم يكن من أهلها من المعاطب والمهالك، وقدم أمام جيوشه الجرارة المدافع والمهريس واقتحم الشقة وكانت القبيلة قد تاهبت للقتال، واحتاطت الاحتياط اللازم للأهل والأولاد والأموال، وتناوش الفريقان القتال ودامت المناوشة بينهما إلى أن توسطت المحلة الجبال قاصدة قصبة القلعة لظنها أن جموعهم بها مجموعة، والحال أنهم وضعوا الكمائن ورصدوا الرواصد وشحنوا الكهوف والأنقاب بالرماة، ولم يتركوا غير منفذ واحد يفضى إلى مهواة متلفة، فلم تشعر الجنود المخزنية، إلا ونيران أفواه المكاحل تلتهب، والرصاص كهاتل الأمطار من سائر الجهات وبالأخص من خلفها.

فاشتد الخطب وامتلأت القلوب رعبا، وكثر القتل وعظم المصاب، وأجأ العدو المحلة إلى شعبة بوقربة وهى المعروفة بالشقة فتعذر الرجوع، وعلا الغبار وتكاثف، حتى أظلم الجو وصار الإنسان ربما لا يميز من بإزائه، وأصاب الناس هول عظيم، وتساقط القوم رجالا وركبانا فى تلك الشقة، وكلما سقط واحد ظن الذى وراءه أنه قد وجد مسلكا فيتبعه وهكذا إلى أن امتلأت الشعبة بجثث الأموات من الآدمى والدواب.

وظل الناس يومهم يمرون عليهم بالخيال والأرجل وهم لا يعلمون، ولما كان العشى سكنت الفتنة وقام من بقى يبحث عن السلطان، فألقى فى الشعبة مع حاجبه أبى عمران موسى بن أحمد من غير أن يعرف واحد منهما صاحبه، فأخرجوهما بعد عناء، وكان ممن تولى إخراجهما قواد مسخرى الجيش البخارى

ابن الحفيان قائد المائة والطالب الجيلاني الجبوري المدعو البحر، ولما أطلعوهما من تلك الشقة أركب المترجم القائد إبراهيم الشركى خليفة قائد المسخرين وهو إذ ذاك القائد محمد بن قاسم ونادى القوم بسلامة السلطان وأمر الطبالون وأصحاب الموسيقى بالصدح إعلاما للأبعاد بسلامة روح العالم، كى يلتئم صدع من بقى من الجيش وتطمئن النفوس، فصاروا يتلاحقون بالأمير فرادى وأزواجا إلى أن التفت عليه تلك البقية الباقية وهان المصاب بسلامة المترجم.

ومن الغد أمر صاحب الترجمة آغا العسكر البخارى القائد العربى بن حم، والطالب الميقاتى السيد الجيلانى بن أبى الخير بدفن جثت قتلى هذه المعركة التعساء، ولكثرتهم تعذر عليهم دفن كل على حدته فواراهم فى التراب جموعا ووحदानا.

ثم وجه المترجم جيشا ثانيا بقصد أخذ الثأر من هؤلاء الظلمة العتاة فخذل، وكان كلما وجه لهم جيشا رجع عودا على بدء والسلطان يزداد غيظا ووجدانا إلى أن قام أنصح القواد القائد الشافعى المسكينى وطلب من الجلالة السلطانية أن يذهب لأخذ الثأر منهم أى المتمردة فى خصوص أبطال إخوانه، فساعده وتوجه إليهم وأوقع بهم وقعة شنعاء ورجع سالما منصورا حاملا لرهوس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعة وأثنى على شهامته وصرامته.

ثم بعد ذلك ورد الطغاة على شريف أعتابه تائبين وبنسائهم وصبيانهم متشفعين، ولجأوا لمدافع المحلة واحترموا بهم وفق العرف الجارى فى أمثال ذلك، فقبل توبتهم وقابلهم بالعفو والإغضاء، وعزل عنهم العامل ابن الطاهر الذى كان السبب الوحيد فى إيقاد نيران هذه الفتنة، وولى عليهم القائد منصور حيطوط، وكان إذ ذاك بحنطة أصحاب السكين.

ثم نهض المترجم قاصداً الظفر بابن البشير أصل البلاء كله، ومر في طريقه على عين زورة من قبيلة المطالسة، ولما خيم بقصبة سلوان ودع صدر الوزراء أبا العلاء إدريس بن الطيب بو عشرين، وتصدر في محله أبو عمران موسى بن أحمد، ثم واصل السير إلى أن بلغ وادي ملوية فأقام هناك للاستراحة والاستطلاع على أحوال وأخبار تلك الأنحاء.

ومن هنالك وجه بعض الساسة نسخة من دلائل الخيرات وسبحته للشريف السيد عبد الجليل الوزاني موهما له أنهما للسلطان، وأنه هو الذي أمر بتوجيههما إليه ليوجه بهما لابن البشير تأميناً له، ويأمره بالقدوم عليه والتوجه في معيته للحضرة السلطانية، فوجه الشريف المذكور بهما لابن البشير، وأكد عليه في القدوم لديه والتوجه في خفارته لصاحب الترجمة، فورد عليه وفي معيته جملة صالحة من الأشراف العلماء وسراة القوم من بينهم صهره ولد رمضان الذي كان اتخذه أميناً كبيراً بوجدة في جيش لا يحصى كثرة.

ولما وصلوا إلى المحلة السلطانية بوادي ملوية رحب بهم السلطان وأظهر لهم مزيد الاعتناء والاعتبار وبالغ في إكرامهم وأنزل ابن البشير وصهره عند رئيس مشوره القائد محمد بن يعيش، وبعد أن اطمأنوا ألقى القبض عليهما وصفدهما بالأغلال، ووجههما لسجن فاس صحبة القائد الشافعي المسكيني وإخوانه وصاحب مكحلته القائد الجيلاني بن بوغزة البخاري، والقائد إبراهيم الشركسي وأكد عليهم بالأخذ بالأحوط في سفرهم بهما، ولمزيد الحزم أمر القائد الشافعي أن ينظم كلاً من القائد المحجوب، والقائد إبراهيم مع المقبوضين في السلسلة كل لية إلى أن يحلوا بفاس، وأوصاهم إذا طرأ عليهم مشوش يبادر كل واحد منهما بقتل صاحبه الذي يليه من المصنفين.

ولم يزالوا يواصلون سير ليلهم بالنهار إلى أن بلغوا للحضرة الفاسية وقضوا مأمورياتهم طبق ما أمروا، ولما اتصل بالترجم وصول السجينين بمحروسة فاس نهض من مسون ووجهته وجدة لتسكين بقية الروعة، وذلك بعد أن عين لكل قبيلة من القبائل التي جاءت مع ولد البشير المذكور عاملا.

ولما بلغ وجدة ولي عليها القائد بوشتى بن البغدادى الجامعى والد عامل فاس الحالى وتاقت نفسه إلى رؤية المعدن الذى بجبل رويان، فوجه إلى الفرنسى المباشر لخدمته يعرفه بمراده فأظهر عدم الانسراح لطلبه، وأرجأه إلى أن يأتيه جواب رئيسه.

ولما بلغ الخبر الرئيس تسارع للقدوم على المترجم فى ليف من العسكر والموسيقى فرحا بطلبه، ثم ذهب يستعد لزيارة جلالة السلطان للمعدن، وبعد ذلك توجه المترجم فى موكب حفيل منتظم من قاره فرسان القبائل وولاتها وحاشيته الكريمة، وبعد الاستطلاع على المعدن واستيعاب أقسامه والإحاطة علما بجميع تعلقاته انقلب راجعا.

ولما وصل إلى عيون سيدى ملوك بآنكاد، أمر ببناء قصبه بها وأقام هنالك حتى اختط بها مسجداً لإقامة الجمعة ودور السكنى وفرناً ودكاكين للبيع والابتياح وسوقاً ومحالاً لسكنى ليف من العسكر، وأنزل بها آغا بعسكره، ثم بعد ذلك نهض بجنوده الوافرة ووجهته تازا، وقد كان أصدر أوامره لعاملها حيوط المذكور بإلقاء القبض على كل من يدخل سوقها من غياثة واستقبال جلالته بهم يوم حلوله بضواحي تازا وعين لهم يوم إناخة ركابه العالى بها، فبادر العامل لامتثال ما أمر به.

ولما بلغت الجنود المولوية لذراع اللوز خرج العامل للقعدة الحمراء وصحبته المساجين الصادر له الأمر بالقبض عليهم، وبات بها، ولما كان الغد وصلت المحال إليها واطمأنت وجه شردمة من الخيل تحت رياسة القائد مبارك الشراى الدليمى

المدعو ولد الشاوية، للإتيان ببعض الحظايا من تازا، كان تركهن بها، فلما توسطوا بهن الطريق قام فى وجههم إخوان المقبوضين بسوق تازا أخذوا بثأر إخوانهم ووقع بين الفريقين قتال شديد.

ولما اتصل الخبر بالترجم أمر جميع ما بالمحال من الخيول بشن الغارة على فساد غيائة، ولما لحقت بالشرذمة المتقدمة الذكر وأتى العتاة ما لا قبل لهم به، فروا منهزمين، ولحق الحريم ومن يخفره بالترجم متتصرين، ومن الغد نهض قاصداً العاصمة الفاسية، ومنها توجه لعاصمة آبائه وأجداده مكناسة الزيتون وأقام بها مدة وفيها انتهت الخامسة بسلام.

ومما قيل فى قضية غيائة وإخوانها قول الفقيه الأديب الكاتب السيد محمد غريط وأجاد:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ومهند ومهد ومؤيد | سيف اعتصامك بالإله مجرد |
| ونجاده بضمنان نصرك يعقد | سيف الحقيقة بالشرعة يزدهى |
| مع ما سواه من السيوف معدد | قلدته للفتح إرثا خالصا |
| المصطفى المختار جدك أحمد | متخلف النور المبين وحسبكم |
| جاء عظيم بالشفاعة مفرد | جاء له دون الوجود بأسره |
| فى بغيه أو ظالم متبلد | ما إن يبارى بأسها متورط |
| أو رسمه بسوى الظبى يتجدد | أو يستقيم الدين إلا بالظبى |
| عضب بحكمك جازم ومحدد | وافتك إسعافا ومن أسمائها |
| وله الجماجم خاضعات سجد | يفرى الظبى بجماجم فله الظبى |
| فتكات شدة ضربه المتمرد | شقى الشقى بحده وأبيد من |

مأثور أنباء الفخار مبدد
عن أمرك العالى به يتقدد
ورسوب يرسب فى الوريد ويغمد
حامى الذمار مفصل ومجسد
منه الفرائس فى المواقف ترعد
إسماعها أهل السماحة أعبد
فالخير مطرد الندى لا ينفد
صدر الجحافل ثابت لا يفأد
سلطان مغربنا الشريف الأيد
واحضرت الغبرا وأينع جلمد
بهما المخوف عن المغارب يطرد
إن ضمن بالسبق الكمى الأبلد
حيث البواتر والأسنة تشهد
بشهامة عزت فليست توجد
وتنوفة فيها المنايا تورد
متلألئى بادی السنا متوقد
كأبى قراب ذا الكئود الأقود
فيها مجال يتحيه السلقد^(١)

حتف بسطوتك القوية قاصف
أدهى السيوف كذى الفقار فمن يزغ
وكذاك مخدم فى الشوى مستخدم
ومشوق الأملاك ساط حاسم
وهو القضيب ودونه القلقى الذى
بتار أعمار الطغاة براحة
فكأنها بحر خضم مزبد
يمنى الإمام أبى على من به
[حسن] ملاذ المسلمين وغوثهم
إن سار فى المحل استحال نضارة
فاليمن والبركات فى حركاته
أسد الكتاب سابق ومقدم
حيث المعائل بالدواهى عقلت
وهو المقدم كل ليث يهس
لله موقفه بكل ثنية
وجبينه فيها بأنوار الهدى
كالحاجب السامى الذرى ونظيره
أطواد طاولت السما لم ينفسح

(١) فى هامش المطبوع: «الفرس المضمير كزبرج».

سلها فعند جهينة من حزمه
 حيث استغاث غياثة واستنجدوا
 وتطارحوا وتملقوا واستسلموا
 فاستوثقوا بدمامه عن طاعة
 فعفا وأصلح والوفا من شأنه
 أكرم بمولانا إذا ما أمه
 بشرى كما تتلى البشائر عنده
 إن البشير إذا أتى أبوابه
 خبر بمعلوم ولكن متنه
 بشرى بصنع الله والظفر الذى
 دوخت مولانا البلاد جبالها
 ونصرت حزب المرملين فما ونى
 وكسرت شوكة كل عاث ناكث
 حتى وصلت إلى صحاريها التى
 فشددت أزر الدين فى أقطارها
 هذا وحقكم الصلاح وأجره

وقول الفقيه الأديب السيد العربى المشرفى:

أتت بشائر بالتهانى كالعيد
 واستحكمت من سماء الملك ثابتة
 والسعد لباك زال كل تنكيد
 طوالع السعد فى أبراج تسديد

شرق بما جاز من تقديم تقليد
والشام يغبطه من حسن تمهيد
عزا بملك أبي الموالى والسود
وحسن صورته مستنبح الجود
وبالفضائل ساد كل موجود
وزائع عن سبيل الرشيد مصفود
بواد غياث جال الجيش فى البيد
لما أحيط بهم كالغل فى الجيد
وشاهدوا الفتح لم يكن بمشهود
دعوا ثبورا فسحقا للمناكيد
قد عاينوا فتحها من دون تفنيد
لمن ولاه إلهنا بتمجيد
لم تنجهم غابة من شر تشريد
فخيبت الله ظنهم بتفريد
من رجس بغيهم وظلم تعنيد
والخبث فى نسلهم من جد محدود
وأرضهم للجوار دون تحديد
من سطوة الله عزها فى محمود
من النكال وبال غير محدود

فأصبح الغرب فردا لا يعادله
يغار منه عراق وهو ذو مدد
لذاك أرخى ذبول الفخر يسحبها
هو الإمام الذى من حسن طلعتة
إمامنا (الحسن) المسدى فواضله
بالبيض والسمر دان كل منحرف
لما بدت لعصاة الشم رايتة
أتت قبائل ذاك الجومكرهة
وأذعنوا رغم أنفهم وأعينهم
بفتح مغلق أبواب لثبقتهم
حصون قلعتهم كانت لمتعتهم
مآل سبيهم وكل ما اكتسبوا
شدوا رحالهم من خوفه رهبا
هيهات ظنوا تكن لهم أخى وزرا
من أهل طاهر لم تطهر شريعتنا
وكل جان لهم وجان نسبته
بنو بوأحمد لم تحمد عواقبهم
بنوا قلاعا فى أعلى الشم يمنعهم
غش الفساد وكر البغى حل به

نفوسهم بأضاليل وتمريد
بساحة القرب منهم والأباعد
فأين من أسد منجاء للسيد
وشتت الله شملهم بتشريد
لم ينجهم هرب في كل تصعيد
لم تغن عنهم جبالهم بتعديد
ركض الجياد عليها كل صنديد
فاستمطروا العفو إظهاراً لترشيد
والشان أخذ مولد ومولود
لستم بأهل لعفونا وترديد
منكم وربنا للأعدا بترصيد
عن أن يزان بإنشاد الأناشيد
لله فعليك واصحبه بتحميد
واذبحه بالعضب قهرا دون تهديد
أهلا وسهلا بالحنان وتغريد
لطلعة من سناك دون تفينيد
وفتح مغلقها بإذن مودود
أتت بشائر بالتهانى كالعيد

سحقا لهم طالما متهم كذبا
أعظم بداهية دهماء قد نزلت
ظنوا شواهقهم للكل منجية
أمست ديارهم مأوى لبومهم
وكل صاعقة صماء محرقة
عساكر الحرب للأعداء طالبة
يتلوها جيش من الأبطال عارفة
قد ذاقوا طعم وبال الزيف عن سفه
قد غرهم عفو جده ووالده
ناداهم الضيغم السلطان إنكم
مذ عدتم عدنا وكان الله منتقما
تبارك الله هذا الفتح جل على
بشراك فأت عنان الحزم محتسبا
ودر على كل باغ سل مديته
وادخل قصورا طيور السعد تشدكم
قد طال ما غبت عنها وهى شيقة
لك الهناء يقلك كل معضلة
ما قال منشده فى رسم دالية

وقول الأديب الكاتب السيد محمد الصنهاجى من قصيدة:

بنو وراين حكمت سيوفه فى رقابهم فانشت بالسعد والهمل
أغات غيائة بالحلم شنشنة بعد التمكن من أرض ومن قذل
زناتة بسيوف العدل قد قصموا إذ شن غارته جيش الوغى الثمل
سعادة قنصت فتانهم فزعا من سطوة بهرت أبطال ذى السحل
حتى غدا كل فتان على وجل من ذى السيوف سيوف الله فى الأزل
يا رب مكن له فى الأرض واقطع به حماية الكفر فى الأوطان والنزل

ولما كانت سنة أربع وتسعين ومائتين وألف نهض المترجم من مكناش
ووجهته مراکش فخيم بسبع عيون، ومنها إلى عين عرمة، ومنها إلى أمحصى،
ومن ثم إلى اربعاء بهت، ومنها إلى الخميسات، ومن ثم إلى ضاية رومى، ومنها
لعبابو، ومنه على الطويجن ثم لتيداس من بنى حكم.

وأقام هنالك وألقى القبض على عدد من المتمردين، ومن هناك نهض
للمعاريز ومن ثم لأغبال، ومنه لظهر الشمس، ومنه للكراريط ومن ثم لأعويد
الماء، ومنه إلى الدار البيضاء، ومنها إلى عين السبت، ومنها إلى طالع عك، ومنه
إلى تاورتيس، ومنها إلى البيوت، ومنها إلى صبارة فطالع كرماط فأم زررة
فمازى فونجين فالكريع فالكمكام فقيشر فبين السواقى فدار بوزكرى العميرى.

وهنالك ألقى القبض على طائفة من بنى عمير كانوا حاولوا الاستيلاء على
الادالة التى كان وجهها السلطان سيدى محمد والد المترجم عسة بقصبة آيت
الربع، وهناك تعاهدوا وتظافروا على الإيقاع بها وتمزيقها كل ممزق لما بلغهم نعى
السلطان المذكور، ولولا قيام أهل أبى الجعد آل الشيخ أبى عبد الله محمد - فتحا -
الشرقى فى وجوههم ومبالغتهم فى التحذير والإنذار لفعلوا.

ثم نهض إلى السراغنة وألقى القبض على من تعدى حده وخرج عن طوره
من آل الشيخ رحال، ثم لم يزل يواصل سيره ساعيا في حسم مادة ذوى الزينغ
والطيش والشطط حيثما حل وارتحل إلى أن حل بحانوت البقال ثم مراکش .

وقد نظم الشعراء المرافقين لهذه الحركة مراحلها ووصف وقائعها ومشاهدها

فقال :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| مراحلنا للحوز أندية زهر | ورائدها فى الفتح يصحبه النصر |
| هو الطالع الميمون لاحت سعوده | بأفلاك عز دونها الشمس والبدر |
| منازل من سبع العيون تعدها | حماة لدين الله والبيض والسمر |
| وجيش لهام حيث زمر أذعنوا | إلى سيدى من أمره الجبر والكسر |
| وأعطوا يد الطاعات فى عين عرمة | وما لهم فى ذاك نقض ولا غدر |
| وأقدمنا عون الإله وحوله | لأمحص من جرعائه المورد الغمر |
| أقمنا به يوما مقام كرامة | فعاج بنا للأربعاء الزمن النضر |
| منازل مولانا اللواتى تشوقت | إليه كما يشتاقه النيل والقصر |
| هو القصر منصور بطلعة سيدى | فما إن له عنها يقربه صبر |
| يياكره فوح العبير ونشره | ويهدى له أنفاس آراجة الزهر |
| منازل مولانا بفسطاطه الذى | سرادقه أمن وأطنا به خير |
| معرج بهت من تسلسل ماؤه | رضابا كأن قد شابه الذهب التبر |
| فأزعم منها السير مالك رقنا | وعسكره الساطى وجحفله المجر |
| يصك به الأعداء صكا وبأسه | مهنده زرق مطاعنها حمر |

وما لمجال المجرمين بها ذكر
ولا ذعر إلا وحقاق به المكر
وأرهبهم من بطشه الخوف والذعر
أعز بلاد عندهم وهم كثر
وحاجاته حمت وقد قضى الأمر
بترهيب فتاك يدين له الدهر
فتم بتداس له ونما الأجر
هداياهم فيها المحجلة الغر
بنى حكم من حلمه عنهم ستر
براحته طى المحارب والنشر
ولم يأوهم طود ولم يحمهم وعر
غشومهم عنها ولا الصالح البر
لهم بأبى السبطين قد ثبت الفخر
وما آدهم نجد بعيد ولا غور
كما كان بل قد فاقهم ذلك الصقر
فإرضائه ربح وإسخطه خسر
هى الحق والعلم اللدنى والسر
بها انفسحت فى الغرب دولته البكر
وإن غال من أعدائك الهتر والمتر

فخيم فى الخميسات فأصبحت
وما لج فى تلك التوائف ضائل
أباد وعفى بغيهم وعنادهم
فأنهضه التأيد حتى استوى على
لضاية رومى والسلامة ردؤه
فظورا بترغيب يسوس وتارة
وحاول فى أعباب تميم رشدهم
ولما أجزنا بالطويخى هياأوا
فنفذ حكما عادلا فى فريقهم
ثمال اليتامى عصمة لأرامل
فجاءوا حفاة صاغرين أذلة
وأدوا حقوق المسلمين فما ونى
مراحل للأملاك أسلافه الألى
هم نسخوا عز المعازيز بالظبا
فأحيا أمير المؤمنين سبيلهم
إمام على الدين الحنيفى قابض
إمام له فى كل شىء فراسة
إمام فحدث عن شمائله التى
هو الحسن المنصور لذ بركابه

إذا ازورت عنك المعاييب والوزر
بأغبال في الآثام أوثقه الجور
فليس له مأوى وليس له وكر
وهل في ذنى يثبت العرف والبر
من الغاب إذا أخفاه عن علمنا الطمر
وهم وزغ غدر وفعلهم نكر
عجائز والصبيان والأشب القحر^(١)
نجائب أدمها التطارح والنحر
به عرفت أخلاقه البدو والحضر
ولم يغن فيه الحلم والصفح والوصر^(٢)
به لأعداك الفتح والنائل الغمر
فواتحه يتلو وأواخرها اليسر
وهيهات لا تجدى الصبابة والذكر
ودلنا عويد الماء فانشرح الصدر
أقيمت صلاة العيد واتصل الفطر
مصلاه والدين المؤيد والعصر
وتسبيحه فيها ومكة والحجر

هو ابن رسول الله أكرم راحم
مواكبه أخنت على كل خائن
وعاجله صرف الردى وأجاحه
فهل للسهول المارقين إنابة
أقمنا بظهر الشمس نخرج زرعمهم
فعادوا ولاذوا بالمدافع رهبة
ومنهم لدى مولاي قدم نسوة
وساقوا لأعتاب المؤيد إيلهم
فأبقى عليهم والبقاء سجية
وعاقب منهم من تولى ضلالة
فهذا هو الفتح المبين فحدثن
بمتصف الشهر المعظم أقبلت
مراحل لا أنفك أصبو لذكرها
دخلنا على دار الكراريط عنوة
وسرنا إلى الدار التي في بياضها
وأقبل مولانا الإمام فأشرقت
تمنى مصلى كل أرض صلواته

(١) في هامش المطبوع: «القحر: الشيخ الهرم»..

(٢) في هامش المطبوع: «الوصر - بالكسر - العهد والصك الذي يكتب فيه السجلات».

كما تأمل الأفلاك لو بسطت له
لتدرك من أقدامه لثم أخمص
ودون من بحر البلاغة مصقع
فبورك من عيد سعيد مقره
وعنه انفصلنا واتصلنا بكل ما
لدار أبى عياد ذات مزارع
وشمنا على قرب الديار زبيدة
تحن إليها النفس وهى بعيده
وطالع عنها شوقنا كل تلعة
بلاد بمولانا أذيل أسودها
فقاموا بحق الله والمملك رهبة
ورحنا لتنا ورتيست حول زبيدة
وراض بنا يمن البيوت سوابقا
بدعوة مولانا تفجر سيبه
فآن بأسرار الأناة نزولنا

بذا اليوم فى محرابه الأنجم الزهر
مواقفه أقدامها الفتك والدرس^(١)
له خطبة قد زانها الوعظ والنتر^(٢)
بأرض زعير ما استفيد به دمر
يسنى لنا البشرى وإن قصر السير
وعين سييت من تسلى بها الفكر
أماطت خمار البين إذا حسن الفسر^(٣)
فكيف وقد أدنى مقلدها اليسر
وطالع عك والشوق لاعجه جمر
وكسر ناب البغى واقتطع الظفر
وسرهم بالنصر أعلن والجهر
وشائنا أودى به الدحر^(٤) والتبر
إليها ولكن ماء جيرانها نزر
وفى صبرا عنه انفاى الترب والصخر
بطالع كرماط وأسادنا جزر

(١) فى هامش المطبوع: «الدرس: الطعن والدفع».

(٢) فى هامش المطبوع: «النتر - بالمشاة - تغليظ الكلام وتشديده».

(٣) فى هامش المطبوع: «الفسر: الإبانة وكشف المغطى».

(٤) فى هامش المطبوع: «الدحر: الطرد والإبعاد والدفع». والتبر - بالفتح - الكسر

والإهلاك.

ولوحظ في تلقاء زرض مخيم
هنالك ولجين به كل شيطهم
وقلب آجاما ودكدك ذروة
على الفور أدوا واجب الملك في مزا
وحيث أنخنا بالكريع جددوا
ونافسهم فيه سماعلة فما
مراتع غزلان بقمقام نفز
بتادلة أبقى الإله رجالها
وموئل تدير الصلاح لصالح
من بين السواقى حذرتة طلائع
وفي دار بوزكرى أقامت براهنا
فصحبه سيف الإمام فلم يقم
مغيض فساد خيب الله سعيهم
وفي حلق الاغلال أدرج منهم
منازله في أثنائها كل عارف
كمولاي من يكنى أبا الهادي من له

- (١) في هامش المطبوع: «الشيظم - كحيدر - الطويل الجسم الفتى من الإبل والخيل والجمع شياظمة، والزأر: كالزئير - صوت الأسد».
- (٢) في هامش المطبوع: «يقال ما بالدار شفرة وشفرة وشفرة أى أحد».
- (٣) في هامش المطبوع: «نفز الظبي ونفر: شرد».

له الجاه عند الله أكبر والقدر
سليمان من يدعوه مثر ومعتبر
رماح إلى الغوغاء سددها الجبر
ببرهانهم قد شد للملك الأزر
بها لعصم خضعان أكنهم وجر^(١)
بدار ابن زيدوح يقودهم القسر
سؤال منيب قد أحاط به البور
وأقربه من مجرم إثمه عذر
فبالحفظ فيها ينهض الشفع والوتر
به يحمد الترحال والظعن السفر
بتاستاوت يلقاك من بشره نشر
حذاء أبي يعزى وذا السيد الغر
لتاملت والقلب جذلان والفكر
زيادة أرباب التقى للعلی جسر
يشير لمولانا وأعلامه الخضر
وآب بغيث الله إذ أحجم القطر
ومعه رذاذ عنه تندفع البفر^(٢)

تلالا بالأنوار وجه ضريحه
ومولاي قطب الواصلين وسيدى
إغائته عند الشطبي كأنها
مفاتيح مولانا الإمام حماته
تبارك من أولاه منهم عناية
رأينا بنى موسى حيارى أذلة
نواكس للأذقان تسأل حلمه
فله ما أعلى وأغلى سماحه
منازل أحيا الله أمن سبيلها
أبو عقبة منها قرأه مهياً
وفى الدثرة الحسننا بشير حلولنا
يخبر أن الفوز يوم مبيتنا
كريم كريم منه كان انتقالنا
فقال إلى المنصور حال اعتباره
وذا السيد الإبدال رحال سره
فزار عماد الدين فى الحين قبره
وبتنا برأس العين والدجن مطبق

(١) فى هامش المطبوع: «الأعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه بياض وسائره أسود وأحمر. والوجر: كالكهف فى الجبل».

(٢) فى هامش المطبوع: «الرذاذ: المطر الضعيف، والبفر - ويحرك - الدفعة الشديدة من المطر».

بذا الغيث من ينمو به الضرع والبذر
يسح علينا من جوانبها نهر
جفا نومه قرآنه الملك الحبر
له صار مفتوحا ومفتاحه الذكر
وعن ملكه قد عنون الكشف والجفر
ولاح عليها من سنا نوره فجر
ومما سواه راح آمالنا صفر
رجال بهم نال المفاخر ذا القطر
تبين من أعدائنا الصقر والبقر
به تأمن الدنيا به سعد الدهر
فبشرى لنا والحمد لله والشكر

ونظم تلك المراحل ناظم آخر نذكر نظمه لما فيه من الفائدة التاريخية قال :

بقوة وصولة وشوكة
ثنى عنانه عن العجائز
يعدها في ذا السجل المختصر
وهو حسبي في مقام وانتقال
أكرم أبناء حسين وحسن
بسيفه المشهور بالفتح المبين
على مواهب الإمام الحسن

ورحنا لكرمان رواح مسرة
تخال فويق الأرض كل سحابة
إمام إذا ما الليل أرخى جفونه
إلى الله يدعو والإجابة بابها
على ملكه أهل العناية أطبقوا
فبان لنا مراكش وربوعها
وبتنا على جناتها بقرارة
ولما بدا وجه الصباح بدت لنا
بدور سماء الأصفياء بجاههم
فسحقا لهم سحقا أتى الملك الذي
وحل محل العز في دار ملكه

حمدا لمن هيانا للحركة
نشكره شكر ضعيف عاجز
فسنحت له مراحل السفر
فقال والله يسدد المقال
مراحل السلطان مولانا الحسن
وسائل إلى صلاح المسلمين
أرخت بدأها بشكر بين

لبهجة الحواضر الحمراء
وعين عرم وهي للحفظ عيون
منازل السعد بهذا الوقت
وأعباب والكل لليمن نمي
إلى المعازيز وأغبال تستفد
ولعويد الما بحزم ضابط
لعين سبت منهل الصواد
لصبرا بالرفق لا بالجبروت
وأمر زرض ومزا وونجيين
لقيشر ظفرت بالمرام
كلاءة الله ولطفه الخفى
هادى الولى الصالح المقرب
إلى الشطبيى يا وزير السلطان
يا عمدة الملك أبا عمران
فهذه أعلام دار ابن زيدوح
صحبة مولانا لدار الدشرة
الهادى مفيدى باعز مطلبى
وبمديح البلغاء حاليها
لحانوت البقال خير نزلة

من دار مكناسة الغراء
أولها المبيت فى سبع العيون
وامحصى وأربعاء بهت
ثم الخميسات وضاية رومى
كذا الطويجن وتداس ورد
ثم لظهر الشمس والكراريط
إلى الدار البيضا أبى عياد
لطلعك لتورتشت لبيوت
لطالع الكرماط فالله معين
إلى الكريع وللقم مقام
ثم إلى بين السواقى دمت فى
لدار بوزكرى لسيدى أبى الـ
إلى الولى سيدى سليمان
يا ملجأ الأعيان والإخوان
بشراك بشراك بتحصيل الفتوح
ومنها نهض إلى بوعقبة
لوادى تاستاوت لسيدى أبى
إلى تاملت بقيت عاليها
لرأس العين ثم للنخيلية

ومنها سل عطف الرجال السبعة ذوى الكمال والسنار والرفعة
فمن هنا ببرهم نرتحل وتحت راية الإمام ندخل
بحفظ رينا لمراكشة فى ذمة الأمان والسلامة
فنسأل الله دوام النصر لملك الأمر إمام العصر
ثم الإياب معه لفاس بكرم الشيخ أبى العباس

وبمراكش أقام حفلة عيد المولد وفق المعتاد من سلفه ذوى المفاخر العلية
والمواهب السنية واقتداء بمن سن ذلك من أئمة الإسلام وحملة الشريعة فى المشارق
والمغرب.

وذلك وإن لم يكن فى القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، فلا ريب أنه من
أحسن ما ابتدع وأجمله، إذ كان مصونا مما حذر الشارع منه.

قال الحافظ أبو الخير السخاوى فى فتاويه: عمل المولد الشريف لم ينقل عن
أحد من السلف الصالح فى القرون الثلاثة الماضية، وإنما حدث بعد، ثم لا زال
أهل الإسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يحتفلون فى شهر مولده عليه الصلاة
السلام بعمل الولائم النفيسة ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون
السرور ويعتنون بإقامة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.
انتهى.

وقال الشامى: وأول من أحدث ذلك من الملوك صاحب إربل من أرض
العراق الملك المظفر أبو سعيد كو كبورى، كان يحتفل به احتفالا هائلا ويصرف
عليه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وقد عد العلماء له من المآثر العظيمة ذلك
وغيره، وأثنى عليه جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو شامة شيخ النووى.

قال السيوطى فى حسن المقصد فى عمل المولد: وقد ألف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية تأليفا مجلدا لهذا السلطان فى المولد النبوى سماه التنوير فى مولد البشير النذير، فأجازه بألف دينار وقد طالت مدته فى المملكة إلى أن مات وهو محاصر للإفرنج سنة ثلاثين وستمائة.

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر يعنى صاحب إربل المذكور فى مولد النبى ﷺ أنه عد فى ذلك خمسة آلاف رأس من الغنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء، وكان يحضر عنده فى المجلس أعيان العلماء والصوفية هـ. وقد ترجم للمظفر ابن خلكان فانظره.

وقد قدمت لحضرة المترجم فى هذا الاحتفال عدة قصائد مولوية من سائر الأقطار المغربية، ومما أنشد منها بين يديه قصيدة العلامة الأديب أبى العلاء إدريس ابن محمد بن إدريس بن الحاج العمراوى ودونك لفظها:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| علامة إضمار المحبة لا تخفى | ونار هوى المحبوب فى القلب لا تطفى |
| وجيش الصبابات المروع للحشى | يكر على صبرى فيهزمه زحفا |
| وكيف أوارى الحب أم أكتم الجوى | ودمع مآقى العين قد ساجل الوطفا |
| عريب النقا ماذا لقينا من الضنا | فهل نرتجى مما عرى بكم كشفنا |
| إذا باكرت من بطن نعمان نسمة | تجدد للصب المصاب بكم لهفا |
| وإن لمع البرق اليمانى موهنا | أثار بأحشائى لذكراكم لهفا |
| بحق هواكم بالفؤاد ترفقوا | ورقوا لتهيامى فقد جاوز الوصفا |
| إذا لم يكن وصل فوعد بزورة | وإن أنتم لم تسمحوا فابعثوا الطيفا |

على أنكم منذ غبتم هجر الكرى
أحبة قلبي هل تعود عهدنا
وهل أردن ماء العذيب وبارقا
وهل بحمي الجرعاء والجزع أحتمى
معاهد أحبابي وملء محاجري
أردد ذكراها وأهتف باسمها
وهيهات لا يشفى المحب من الأسى
علامَ أصد النفس معتسفا بها
فهلا امتطيت العزم مطرحا سوى
وإن شفائي لو وجدت مساعدا
إلى طيبة تطوى المفاوز لا تنى
إلى روضة المختار أحمد من به
نبي الهدى المبعوث للناس رحمة
ومن لعباد الله أصبح هاديا
وبلغ للخلق الرسالة ناصحا
وأعلى منار المسلمين بهديه
وأوضح دين الحق فاتصلت به
وخص من المولى بكل كرامة
به ختم الله النبيين منة

فما نام طرفي بعدكم لا ولا أغفا
وهل تنظرن عيني المحصب والخيفا
وتمنحني بالمنحني أسرتي عطفًا
وأنشق بالبطحاء من عالج عرفا
سقاها الحيا الوسمى بالديمة الوطفا
لعلى بذكراها من الوجد أن أشفا
سوى أن يرى عند الحمى ذلك الإلفا
ومالى أرجيها بعلى أو سوفًا
مراقى تدنيني إلى المورد الأصفى
سماع حداة العيس ترمى بها عسفا
تبادر لا تخشى شتاء ولا صيفا
تمهد دين الحق واتخذ الأكفا
ومن جعل المجد الصميم له وقفًا
فنالوا به الزلفى وقد أمنوا الخوفا
فلله ما أبدا ولله ما أخفى
وأعمل فيمن ضل عن سبله السيفا
موارد من يسلك بها يأمن الحتفا
تجاوزت الأعداد والشبه والكيفا
وفضله من بينهم وله استصفا

وقد جعلوا من خلفه كلهم صفا
وقد عمهم من فضله الكنف الأوفى
وأعطى لفرد الحسن يوسف النصف
سقاه شرابا من مبرته صرفا
وفى الموقف الأعلى له المجد قد رفا
وعاد قرير العين بالقرب والزلفى
خوارق عادات شفتنا بها الشفا
وما كان يخشى من وثاقته صرفا
يروم استراق السمع من جهله خطفا
لهم من وقود لم يكن أبدا يظفا
من الجن فى الأذان تقذفها قذفا
فلا شرق يخفى ما استنار ولا جوف
فلما تزل تبدو ولما يزل يخفى
له مع تزداد العصور به تلفى
أردت محالا يا عديم الحجا كفا
كذا الإنس ما استوفوا من أوصافه حرفا
فكيف يجيل الخلق فى وصفه طرفا
يمد على بعد لمعرفك الكفا
وضاقت مساعيه فناداك واستكفى

وقدم فى الإسراء فهو إمامهم
وفى الحشر يأتى الرسل تحت لوائه
به أظهر الله الجمال جميعه
وأخدمه جبريل فى حضرة بها
غداة ترقى قاب قوسين أو أدنى
فقال مناه باجتماع ورفعة
وفى المولد الأسمى بدت معجزاته
كإيوان كسرى إذ تداعى بناؤه
وتنكيس أصنام ورجم مخاتل
وغارت عيون الفرس عند خمود ما
ومن قبل مبداه أتتنا بشائر
إلى أن بدا النور الذى ملأ الفضاء
كما انجاب عن شمس الهداية ليلها
وكم من علامات وكم من كرامة
فقل للذى يرتاد حصر صفاته
لو اجتمع الأملاك والجن دفعة
إذا الله حلاه ونوه باسمه
نبي الهدى المبرور دعوة خائف
غريب بأرض الغرب أعيت أموره

وحمل اكتساب الوزر قد أثقل الردفا
ويغلب لا يستطيع عن نفسه صرفا
وأسدل على عوراته كرما سجفا
يحل بها فوق السماء ولا خوفا
يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا
وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا
يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفا
وأعطى على الإصلاح مهجته وقفا
ولان لمن والى وقد جانب العسفا
وساد وبالمعروف قد بسط الكفا
وأسرج مرتادا لنيل العلا طرفا
له الحسن والإحسان حازهما وصفا
وعزا منيفا شامخا يغلب الكيفا
لستك الغراء ماح بها الظلفا
تبدى جبين العدل من بعد ما استخفا
وطابت مزاياه وبالعهد قد وفا
لخرق عداة الحق من جده يرفا
ويا خير من والى ومن أكرم الضيفا
وأنزل على أعدائه الخزى والخسفا

يناديك والأوجال تضعف صوته
يروم نهوضا ثم يعجزه الونا
فلب رسول الله صوت مؤمل
وأول ابنك المنصور بالله عطفة
ووال له سعدا وفتحاً مؤبدا
فقد يا رسول الله أعمل جهده
وقام بنصر الدين محتسبا به
وأشهر فى نيل المكارم طرفه
فساس وواسى ثم آسى بعدله
وشاد بناء ثابت الأسّ بالتقى
وجرد للأعداء ماضى عزمه
هو الحسن السامى لأعلى مثابة
أنله رضى يكسوه حلة مفخر
إلى أن يراه العالمون مجددا
حنانك للبر العطوف الذى به
حنانك للفرع الكريم الذى زكى
حنانك للحبر الهمام فلم يزل
أعنه أعنه يا سلاله هاشم
وكن ناصرا حزب الإله بسيفه

ومثلك من حامى وواسى وإننا
سلام على ذلك المقام مضمخ
وأزكى صلاة من حمى القدس يزدهى
وللال والأصحاب أوفى تحية
على ثقة أن يحرز الحب والعطف
بأطيب طيب عرفه يملأ السدفا
لها العرش والأملك تستوعب الصحفا
ننال بها من ربنا العطف واللففا

ولما دخلت سنة خمس وتسعين بقى مقيما بمراكش شفقة على رعيته لما
دهمها فى تلك السنة من حبس المطر وارتفعت بسببه الأسعار، وبلغ ثمن المد من
القمح بمكناس أربعة عشر مثقالا، فضج الناس وافتتنوا وكاد أن يأكل بعضهم
بعضا، وصار المرء يفر من أخيه وأمه أبيه، ويبيع الوالد ولده، ولا زال إلى الحين
الحالى يضرب المثل بتلك السنة لا أعاد الله مثلها على الأنام، ولم تزل الأسعار فى
ارتفاع والوباء بالأقطار المغربية فى انتشار والناس فى شدة واضطرار مدة، ثم تجلى
الله سبحانه لعباده بالعمفو والإفضال، فاهتزت الأرض وربت وأخذت زخرفها
وازينت.

وفى هذه السنة كانت وفاة باشا طنجة القائد الجلانى بن حم وولى مكانه
القائد عبد الصادق الريفى.

وفيه وقع الإذن لصنو المترجم وخليفته بتافيلالت مولاي رشيد وعميه المولى
سليمان والمولى الحسين بالإتيان من مقرهم تافيلالت للديار الغربية بقصد صلة
الرحم مع المترجم وبقية ذوى رحمهم بطلب منهم، ولما وصلوا الدمناات صادف
الحال إصابة المترجم بانحراف فى مزاجه، فأصدر أوامره المطاعة لعامل دمناات
بإكرام وفادتهم ونزلهم، والقيام بشئونهم كما يجب إلى أن تصدر لهم الأوامر
بالإتيان للحضرة المولوية، ولما تحسنت حالة صاحب الترجمة الصحية أمرهم
بالقدوم لحضرته بمراكش، ولما مثلوا بين يديه أظهر لهم من السرور بمقدمهم
والارتياح لرؤيتهم ما أوجب غبطة غيرهم لهم.

ولما شفى صاحب الترجمة مما ألم به تبارى الشعراء فى التهتهة والقول، فكان

من ذلك قول الفقيه الكاتب الأوحد السيد الحاج إدريس بن إدريس العمراوى:

نهار كما شاء السرور سعيد
وبشرى به الإسلام أثبت طوده
وفتح به ازدان الزمان وأهله
وفخر وإسعاد وفضل ونعمة
به رقصت مراکش وتبخترت
بل الشرق والغرب ازدهى لسرورها
فقم وانشرح واطرب وطب فحبورنا
توارى ولا بأس فطاشت عقولنا
ولازمنا داء السهاد تأسفا
فلما رأينا غرة المجد أشرقت
تراجع أرواح الورى لمقرها
وجالت بنا الجرد الجياد وولولت
وقهقه أصوات المدافع فانبرت
وأرسلت الخيل العتاق فساجلت
ولائم سعد عظم المجد قدرها
أحاديث من حل الهنا بشفائه
لدى الحسن المولى المؤيد والذى
ويمن على مر الدهور جديد
وقد كادت الأرجاء منه تميد
وموسم عز قد تبدى وعيد
تباشر أحرار بها وعبد
روى البشر فيها خالد ويزيد
وهشت لها شاماتها وهنود
بإبلال مولانا الإمام يزيد
وكادت نفوس العالمين تبید
وحارت مهى فى خدرها وأسود
وزوى أحاديث الشفاء حميد
تبارك مبدى العالمين معيد
كان تفاصيل الصهيل نشيد
بروق تهنى بالمنى ورعود
مواهب بر ذكرهن عديد
براحة مولانا الهمام تعود
بها فاز منسوب وخاب حسود
له الفخر ينمى طارف وتليد

كريم على كل الكرام يسود
يفرجها رأى لديه سديد
يسيح بيمنه الندى ويجود
تداركها عزم له وسعود
لقصم رقاب المارقين عتيد
أقر له مأمونهم ورشيد
وباع إذا ضاق النطاق مديد
ولولاه دامت فتنة وحقود
رعاياه منها فى الأمان رقود
بها الدين والدينا لهن ركود
وجرد مداك ضمير وجنود
بها رسمت فوق القصور بنود
فأنت لها كاف كفيل رشيد
وزيرك برا لا يزال يفيد
لديه قريب فى الرضا وبعيد
رضا الله فانشالت لديه جدود
وليس له فى الصالحات نديد
بأسلاك در ضمته قصيد
عقيلة فكر عيطموس خريد

إلى ابن هشام يتمى كل سود
إمام إذ ما المدلهمة أعضلت
وإن شحت السحب الغزار بوبلها
وإن ثلثة فى الملك أعوز خرقها
وإن ركب القوم السفاه فسيفه
وإن ذكر الأملاك فى السبق للعللا
ثبات إذا ما الشامخات تضعضعت
به رفاً الله الخروق بغربنا
وأسهر طرفا صالحا فى مصالح
أمولاي تهينا سلامتك التى
نها بها والمشرفية والقنا
كذاك سرير الملك والتاج هتئا
فدم واغتمم واسلم لامة أحمد
وأول أبا عمران موسى بن أحمد
فقد بذل المقدور فى النصح واستوى
وأعمل فى مرضاتك الجهد قاصدا
فمن رأيك الميمون بالله رأيه
وقابل عبيداً بالقبول فقد أتى
ودونك مولانا الأمير نفيسة

ترى مهرها عين الرضا وزفافها
ولا زلت يا كهف الأنام مهنتا
والبسك الرحمن حلة صحة
إلى حضرة العلياء منك تريد
بعافية طول الزمان تزيد
مطارف لا تبلى لهن برود

وقول الفقيه الأديب الكاتب سيدى محمد غريظ مهنتا الوزير أبا عمران
موسى بن أحمد بشفاء صاحب الترجمة:

بشرى بشرح سلامة المنصور
قمرت عيون المسلمين بها كما
ترداده بلسان كل مفوه
ويبانه بخطاب أهل وداده
أهلا به أهلا فما أحلاه من
لم يدر أطف الإله بعبده
أو يستكين إلى الصواب ويرعوى
نبأ به التوحيد أصبح يزدهى
والكفر أبلس والغواة عذابهم
نبأ جميل الذكر متصل الهنا
عن أحفظ الحجاب يروى متنه
ذاكم أبو عمران أكرم شافع
ركن السياسة والرياسة والحيا
ثبت الفؤاد إذا تعاضم حادث
وسروره بالملك فى المنصور
قمرت بطول حديثه المشهور
أشهى إلى أسمع كل شكور
أنكى لكل معاند وغيور
نبأ يمزق قلب كل غرور
فى مظهر المحتوم والمقدور
عن فهمه المذموم والمحظور
فى العز يرفل فى برود حبور
لمآتم ومنائح وثبــــــــــــــــور
يامامنا بحر الهدى والنور
بنفائس المنظوم والمنثور
وأجل ساع فى ادخار أجور
طود الأناة وجابر المكسور
عن حملة قد كل كل صبور

موسى بن أحمد لا عدنا وجهه
 علامة الوزراء وماوى المعتفى
 بشرى له بشرى له بشرى له
 بحصول عافية الإمام المجتبى
 سيف الإله يبيد كل ممخرق
 فخر السلاطين الذين فخارهم
 لا زال فى مرقى السعود مهتتا
 يتلو الزمان بقاءه وشفاءه
 كالبدر فى شرف السنا المنظور
 ومحل أمن الخائف المذعور
 يحظى بظل رداها المنشور
 حسن الشريف الطاهر المبرور
 عاك ويكسر هام كل جسور
 فى الغرب فوق فخار كل فخور
 بكمال براء فى قباب قصور
 فى بابه العالى على الجمهور

وقول الفقيه الأديب الحسيب مولاي أحمد الرباطى مهتتا باشا الحضرة
 الإدريسية عبد الله بن أحمد من قصيدة:

فجر اليقين بأفق العقل قد طلعا
 والبدر حل حلول السعد فى شرف
 منه الدرارى استنارت فهى فى فلك الـ
 وشق جيب الدجى عن الصباح كما
 والشمس من غيبه بالحمد قد طلعت
 فالملك عوفى والهناء يومئذ
 بشرى بعافية الوجود من خطر
 لولا الأمير لعمر الله ما بزغت
 لولا الأمير وراء الخلق ما خمدت
 لولاه غيم سحب الشك ما انقشعا
 ببرج طالعة الجوزاء إذ سطعا
 إجلال تسبح والضياء قد نصعا
 غنى الهزار بصوت للصباح دعا
 وأشرقت فى سماء المجد فالتمعا
 وصارم العز هام الطيش قد قطعنا
 إذ داؤه بالشفاء عزمنا قد ارتفعنا
 شمس التهانى ويوم السعد ما تلعا
 نيران خيف ولولا الذعر ما ارتدعا

فى الأمن شخص على بساطه اضطنجعا
ظل الرعية من حر الوغى منعا
بين الورى حده برا من امتنعا
من الأنام أليس الخطب قد دفعا
طول الزمان بمن فى خلقه شفعا
لولا القنا ييمين الملك ما انقمعا
عضب يمانى وكم من مهجة لسعا
موتوا بغىظكم فالصبح قد طلعا
يدرى العواقب من فى المؤمنين وعاء
ما اهتز قط للغوكم ولا استمعا
يدهى الذئاب سماعه وإن شسعا
إلا انزوت والتوت فى وكرها فزعا
تحصى لها حكم سبحان من بدعا
جاء البشير وإن الحق قد صدعا
يختال زهوا ونال الأمن واتسعا... إلخ

لولا الأمير لما عاش الضعيف ولا
للمال حفظ وللأعراض مع سبل
تعطى الحقوق به قد حال صارمه
مستوجب صالح الدعاء حق له
فاله يحفظه من كل مؤلة
فر الفساد من الصلاح منهزما
فأهل شقشقة اللسان دونهم
قل للذين بإرجاف الورى اشتغلوا
عار على المسلمين الخوض فى كذب
فالطود أرسخ شىء فى تمكنه
والليث أظفاره تغنيه فى ظفر
ما صرصر الباز حول الطير فى وطن
إن الخلافة تنظيم العباد فلا
حق الهناء فبشرى الغرب من فرح
سر الزمان وكاد القطر من فرح

وقول الفقيه الكاتب السيد محمد الصنهاجى من قصيدة:

وأنخ بمربع راحة وتهان
تجد المسرة فى رياض غوان
والسعد يرقص فى بساط أمان

حى الرفاق وسائق الأظعان
واجنح إلى سلمى ويمم حياها
واليمن يشدو والسرور متوج

يمنية مكلوءة بمشان
والعز ينصع فى سماء معان
أعناقها لتفوز بالعيان
بتواتر مأثور عن أبان
لب العوالم عن أبى عمران
أبشر بعافية العلى شان
والبسط والأفراح فى الإيوان

والمجد يرفل فى برود بشائر
والكون يطرب والهناء معانق
حول الحمى تجد الأنام مطيلة
فأزال مولانا هواجس فكرة
عن بارع ببراعة سكنت بها
يا مصغيا أذن السماع إلى الهدى
أضحى الشفاء معانقا لأميرنا

وقول الفقيه الأديب مولاي أحمد بن الفقيه العلامة مولاي العربى البلغيشى

يهنى الباشا عبد الله المذكور ويذكر ولده محمداً خليفته:

اشرب زلالا فالحبیب موات
بترنم الألحان والنغمات
ودع المزاح مواتيا لسقاة
من راحة الهيفاء بالحضرات
بعذوية الألفاظ والنفثات
والروع يشرفها من الهضبات
لسعت بمثل أساود الحيات
وكوت فؤاد الصب بالجمرات
بتوسط الطاسات والكاسات
متيقظ الأجفان والنظرات

طاب الصبوح بأطيب اللذات
وأصخ لما بيدى السماع مجاوبا
باكر وصل وعد الغوانى مصافيا
دارت كئوس الشرب بين أفاضل
أنسية حضرية فتانة
فكانها ظبى الفلاة تجفلت
جارت دلالا والدلال يزينها
نفرت فأرخت للبعاد عنانها
سمحت بنظرة وردة فى سوسن
والخال حارسها بلون حالك

جاءت جنود البشر بالرايات
نبأ السرور يطوف بالجمعات
عادت به الأشياء للغايات
ومرابع الآمال والحاجات
ومعالم الإحسان والحسنات
فهم الكرام وعترة السادات
عبد الإله ومظهر الآيات
ظهر الخيول تصول فى الغارات
وهو الكمى الثبت فى الوثبات
يبدى العلوم بسرعة وثبات
مع فكرة أصفى من المرآت
حفت به الأقمار كالهالات
بسلامة المولى من الآفات
سعد البرى وغيره فى شتات
والناصحون فى أفضل الجنات
ساد الملوك فيما مضى أو ياتى
قصرت عليه بواضح البيئات
رمت نفاذ البحر بالآلات
اهنا بعزى يا سليل ثقات

قرب الوصال وأشرقت شمس العلا
ملأت مسرتها القلوب وأرسلت
هذى عوائد سيدى من لطفه
يا قاصدا نلت التهانى والمنى
يمم وهنى بيت مجد شامخ
وعرين غابات الأسود من أحمد
واخصص ذرى الشمس المنيرة فى العلا
فىء البنود مقليله ووظاؤه
أسد عزائمه النصال وكيف لا
إنسان عين العلم إن ذكاءه
أقنى لباب العقل حكمة قاصد
من خصه المولى ونور سره
فلتهن يا سيدا ربى فى سودد
سلم الوجود ببرئه وشفائه
ملك لمبغضه الجحيم وراثه
ملك حوى فضل الملوك جميعها
أوصاف مدح فى الثناء كثيرة
إن رمت حصر صفاته مستقصيا
يا نجد كهف الوقت حبر رياسة

أنت العريق مجادة ومكانة
حسنت سجايك سمى محمد
دمتم فى حفظ الله ناصر مالك
حق الأمير على الرعايا دعاؤها
تبغى له نصرا وعزا مؤزرا
إن الدعاء له علينا لواجب
فأدم صلاتك للنبي محمد
والآل والصحب الكرام جميعهم
نلت السمو لأرفع الدرجات
ورضعت ثدى العلم فى الحالات
قد خصكم بمواهب الخيرات
فى سائر الركعات والسجدات
فى كل آونة من الأوقات
فى غاية الإخلاص والنيات
مصحوبة بنوامى التحيات
محفوفة باليمن والبركات

وبعد مقدم الأشراف المذكورين من تافيلالت بأيام قلائل توفى أبو عمران موسى بن أحمد وجيه رجال الدولة وحاجبها وممثل رجال صدارتها، فأسف السلطان لفراقه وحضر جنازته بنفسه، وذهب راجلا فى وسط المشيعين من داره إلى محل مدفنه، بضريح جد الأشراف مولانا على الشريف بباب آيلان، ولما كان المترجم قائما على شفير قبر الفقيه طلب منه عمه المولى سليمان المذكور ترشيح ولد المتوفى أحمد المار الترجمة لوظيف والده رعايا لمكانته المكينة، وألح عليه فى ذلك، فقبول اقتراحه بالتلبية، وفى عشية اليوم نفسه أمر بعمارة المشور ولما أخذ كل مكانه أمر قائد مشوره بإجلاس أبى عبد الله محمد بن العربى الجامعى بمجلس الصدارة وأخيه أبى عبد الله محمد الصغير بمحل وزارة الحربية وأبى العباس أحمد ابن موسى المتوفى بمحل الحجابة الذى هو محل والده الحقيقى.

فلما بلغ ذلك المولى سليمان المذكور تأثر غاية وأعاد الاقتراح على المترجم فأجابه بأنه عينه فى محل والده طبق ما اقترح عليه، وأجابه إليه، وأنه ما رشح قط

الهالك المذكور للصدارة، وإنما كان تصرفه فيها على وجه الافتيات منه ورعيا لسابقة خدمته مع والده استحيا منه ولم يؤنبه وإلا فرتبة الوالد هي التي رشح لها الولد فزال لمولاي سليمان الإشكال وتحقق صدق المقال.

كما قلد المترجم أيضا أمانة الأمانة المالية للأمين الأكبر أبي عبد الله السيد محمد بن الحاج محمد التازي الرباطي. الشهير.

قال صاحب الاستقصا: وفي هذه الأيام استدعى السلطان أيده الله خديمه الأرضي، السيد محمد ابن الحاج محمد التازي الرباطي إلى حضرته العالية بالله براكش، فقدم عليه الأمين المذكور وأجل السلطان مقدمه وأسند إليه أمر خراج المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك من صوائرها، وفوض إليه في ذلك تفويضا تاما لعلمه بنصحته وأمانته وضبطه، قال: وهذا الرجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدهم غيرة على الدين والوطن، حتى لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن أن يكون لها بذلك النجاح التام، نسأل الله تعالى أن يصلح أمرها، ويشيد بمنه عزها وفخرها. انتهى.

وبقى قائما بأعباء وظيفه بغاية الاجتهاد والسداد مصاحبا للركاب السلطاني حلا وارتحالاً إلى أن اخترمته المنية بفاس في رمضان عام ١٣٠٧ ودفن بضريح مولاي أحمد الصقلي منها بقرب قبر الأمين السيد محمد بن المدني بنيس الذي كان قبله، فقلد المترجم بدله أخاه الأصغر الناصح الغيور النزيه الطيب الذكر السيد الحاج عبد السلام بن محمد التازي الرباطي المتقدم الذكر في ترجمة الوزير الأكبر السيد أحمد بن موسى فسار على سيرة أخيه، مع اقتفاء نهج الجد وتوحيه، والقصد والسداد، والجد والاجتهاد، وشدة الاهتمام بمصالح الإسلام، وفيه يقول الأديب الكبير العلامة الشهير أبو العباس السيد أحمد بن قاسم جسوس:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| إن عدت الأمثال كان أجلها | بل نورها وسواه كان الشيحا |
| ذاك العقول إذا كبت آراؤهم | أضحى العويص برأيه مفتوحا |
| أس الوقار ومنبع المجد الذي | تلقى مكان الحمد فيه فسيحا |



وهي قصيدة من غرر قصائده، ودرر خرائده، هنا بها خليله الأديب
الحيسوبى الميقاتى المؤرخ الشريف مولاي الغازى بن الحسنى الرباطى دفين
الإسكندرية مقله من الحج ١٦ صفر عام ١٣٠٧، وهو والد صديقنا الحميم
سيدى المدنى بن الحسنى، وصدرها بقوله بعد الحمدلة والصلاة.

«وبعد: فيقول أحمد بن قاسم جسوس مهتا الشريف الغطريف الأديب
الأريب الفقيه الأوحى الدراكة اللوذعى أبا القاسم مولانا محمد الغازى بن سيدنا
الحسنى الإدريسى اليملى أعزه الله وأعلى كعبه بزفاه بينت رأس الأكابر
الأفاضل، وجامع أشتات المناقب والفواضل، الأمين الأفخم السيد عبد السلام
التازى أبقاه الله وكلاه وذلك بتاريخ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٣:

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أبدین من تحت البراقع یوحا | فملکن شوقا عقلنا والروحا |
| ورمین عن قوس الحواجب أسهما | غادرن کل غضنفر مطروحا |
| وخطون فى جنح الظلام تسترا | فوشى بهن المسك یفضح ریحا |
| ییسمن عن حب الغمام یشمن عن | عین الغزال وقد طوین كشوحا |
| ویملن تیهة عن قدود مید | غصن الریاض غدا بها مفضوحا |
| متلفعات بالشباب یدرن من | خمر التصابی كأسها المصبوحا |
| لهفى على ذاك الجمال فإنه | مذ لاح خلی فى الحشا تبریجا |
| ویحى على شرخ الشباب أضعته | إن لم أفز یوما به ممنوحا |
| فلکم قطعت لأجله أجم اللیو | ث وکم ذرعت من الفجاج الفیجا |
| ومعى أغر محجل ضمرتة | فتخاله عند السباب ریحا |
| متأبطا عضبا على صفحاته | تبدى المنون دمائها المسفوحا |

لا نلتقى إلا قتيل محبة
لولا اصطباحي كأس حب محمد
ابن الألى قد أحرزوا النور الذى
الراشدين المرشدين الكاملين الـ
ما انفك باب الفضل حيث ديارهم
سكنوا من الشرف الرفيع حصونه
يا خير ممدوح وخير محبب
أقسمت بالمجد الذى أوتيته
ما جال فكرى فى شماتلك العلا
يا سيدا فاق الكواكب رفعة
ورث السيادة كابرا عن كابر
مذ كان طفلا والمعارف دأبه
حتى حواها واستقل بعبئها
مولاي تبقى فى السرور منكما
هاك القريض يمانيا أحكمته
وزففته بكرا عربا قدها
طرقتك فى حلى البديع كأنها
إلى أن قال:

واهنأ بصهر قد سمت آراؤه

أو مدنف الأحشاء أو مجروحا
غازى لخلفنى الغرام طريحا
أضحى به صدر الهدى مشروحا
طيبين الطاهرين السوحا
للقاصدين فتوحهم مفتوحا
وتبوءوا العز المنيع صروحا
حليت شعرا صار فيك مديحا
وغدا لهيكله سناؤك روحا
إلا شممت الورد ينفح ريحا
والبدر نورا والبحار سموحا
عن كابر عن كابر تصريحها
هل فى سواها شمت منه جنوحا
فغدا بها وبحبها مريحا
ويدوم طيرك بالهناء صدوحا
بردا موسى من حلال وجيحا
يهتز غصنا فى الرياض مروحا
تلك التى وافتك تبهر يوحا
وحكى البدر مكانة ووضوحا

إن عدت الأمثال إلخ الأبيات الثلاثة السابقة:

يا ابن الرسول بقيت مخدوم الدنا مغبوق كأس بالمنى مصبوحا
وتدوم سباقا لغايات العلا لا كان طرفك فى السباق جموحا

وقد عارض بها قصيدة حائية أخرى فى موضوعها لصديقيهما الأديب الشهير قاضى الدار البيضاء أبى العباس السيد أحمد الزعيمى الرباطى وهى مذكورة بتمامها فى الاغتباط بأعلام الرباط فى حرف الغين منه، فلا حاجة للإطالة.

وبمراكش أقام المترجم حفلة العيد النبوى الأزهر ووردت على سدته الكريمة عدة قصائد من سائر أدباء دولته، وألقى على مسامعه الكريمة منها بمحضر من ساعده السعد من العلماء والوزراء والكتاب والأعيان بحضور الليلة الغراء التى يحتفل لها الجنب المولوى كل سنة أى احتفال، من تلك القصائد موشح العلامة الأديب إدريس بن محمد بن إدريس ودونك لفظه:

يا حاديا يقطع السباسب ينشد طبعاً من النسب
استدم السير فى الغياهب لا تخش من حادث مهيب
سق المطايا تلو المزايا واطو فيافى البعاد طى
حتى ترى النوق كالحنايا وارم بها نحو أرض طى
نعم وحاذر وقع المنايا إن جزت حول الحمى بحى
وارع هناك الغر الغرائب الصائتات القرم الأريب
بوتر الغنج والحواجب تستعبد الأروع النجيب
عرب بتلك البطاح حلوا دم المعنى لهم حلال
عن الحنا والخلاف جلوا للسعد فى ربيعهم مجال
وهجر مضمناهم استحلوا ولم يخن عهدهم بحال

مذ جاوروا منزل الحبيب
وأشد فؤاد الحب الغريب
والشعب والوادي الظليل
والبرق في ضوءه كليل
تستشق الشامي البليل
على المعنى الفتى اللبيب
يعتاد قلبي بها وجيب
حزت الرضا من منى وسول
المصطفى الهاشمي الرسول
وغيره ما له وصول
في حضرة السامع المجيب
وشاهد الحق من قريب
وجبرئيل له خديم
لمقعد المجتبي الكريم
بفخره الطارف القديم
إذا ادلهم اليوم العصيب
عند اشتداد الحر المذيب
إلى علاه يلجا ويصمد
كل ينادى الغياث أحمد

حازوا منى الصب والرغائب
وانتشر حلا الوجد والغرائب
وحى عنى ربي المصلى
ونور سلع إذا تجلى
هناك بين الربى تملأ
معاهد ذكرهن واجب
إن بان طرف لها وحاجب
وإن رأيت المقام الأسعد
مقام خير الوري محمد
من بمزايا العلا تفرد
لما تجلى بدت عجائب
نال بها متهى الرغائب
فكان ثم الفرد المنادى
خلف جبريل ثم زادا
واستكمل القصد والمرادا
وهو في الحشر خير عاقب
تلوذ فيه به عصائب
إذ يبلغ القلب للحناجير
أول ذا الخلق والأواخر

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| ثم يقوم المقام الأحمد | تنصب للأنبياء منابر |
| يعجز عن عدها الخطيب | وكم تبعدت لنا مناقب |
| بمولد ما لها مغيب | حين تدلت له الكواكب |
| بالسن الجن والبشر | أنت بميلاده البشائر |
| كل له عنده خبر | قس سطوح سعدى تماضر |
| حيث حوت فخره مضر | ينقله البدو للحواضر |
| من كل فحل نام حسيب | نشأ في أشرف المناسب |
| فكل فخر له جنيب | يجاذب المجد كل جانب |
| نجم الهدى فيه قد طلع | مطلعاه أبرك المطالع |
| لثريه العرش قد خضع | وقبره أشرف المواضع |
| واتل المزايا التي جمع | شرف بأمداحه المسامع |
| إن تكن الحاذق الأديب | ودم على ذكره وواظب |
| يغنى شذاه عن كل طيب | بلفظه طيب المآدب |
| من بعد جيل بها هلك | أنقذنا من هوى المهالك |
| طوبى لعبد بها سلك | وأوضح السبل والمسالك |
| كلا ولا استجمع الفلك | لولاه ما انجابت الحوالمك |
| إذا التحت عودنا الصليب | وله نلجأ من النوائب |
| وقل بلفظ الجاني الكئيب | فالجأ لمغناه غير هائب |
| يا ذا المقام السامي التزيه | يا سيد الأنبياء طه |

وما له فى العلا شبيهه
أنت الشفيح الرضا الوجيه
وانخذلت دولة الصليب
يا صاحب التاج والقضيب
لنيلك الزاخر المديد
يرجو الذى يأمل العبيد
بيث شكواه بالوصيد
ما بين ليث عدا وذيب
والعفو من فضلكم قريب
بالأهل والمال والبنيين
فى المنهج الواضح المبين
بهديه المشرق الجبين
ولعلا أمركم منيب
ورأيه فى العدا مصيب
وبالهدى والتقى ارتفع
فمجده فى السما لمع
باليمن وإلا من قد صدع
ولا مقالى بذا غريب
لفخره أو له نصيب

فخرك فى الخلق لا يضاهى
يا من سما مفخرا وجاها
يا من به ضاءت المراكب
يا خير ماش وخير راكب
عبدك بالغرب مد كفا
ودمعه يستهل وكفا
لو ساعد البخت جاء زحفا
فكن لعبد حشاه ذائب
وذنبه أوهن المناكب
واعطف على نجلك المقدى
بدر الصلاح الذى تبدى
سار وللقصده ما تعدى
وقام فى الدين خير نائب
وحاز فى الفضل سهم صائب
بسيفه شيد المعالى
صنو الندى صادق المقال
جيد رعاياه منه حال
أحلف بالله غير كاذب
ما فى ملوك الزمان كاسب

الحسن الهاشمى شهم
يم ندا كفه خضم
وإن بدا للشقاق نجم
كم من مسيء أتاه تائب
وبائس ناوش المصائب
فالقرب بالعدل منه رائق
أدواح خيراته بواسق
والعلم من راحتيه نافق
مذهبه أحسن المذاهب
به لدينا انهلت مواهب
أوقاته كلها سعود
ولمقاماته صعود
بروق نصر لها رعود
يقود عند الوغى كتائب
من كل قرم حام مضارب
ليوث حرب تحت المغافر
من صادق الطعن وهو سافر
وساحب السيف فوق نافر
مشارق الأرض والمغارب
ينميه للمصطفى هشام
قد فاز حام به وسام
محاه من بأسه الحسام
فوجد الصافح المثيب
بمده اکتال والجريب
والسعد فى أفقه رقا
سقاها منه الذى سقا
يدعو له الدهر بالبقا
ودهره الناعم الخصيب
عند ذراه السهل الرحيب
يحوطها اليمن والسعادة
تتلى بها الفاتحات عادة
على العدا ترة معادة
ينهدمن وقعها الكثيب
يستعذب الحتف كالضريب
عودها فى العدا الظفر
تشبهه الأسد إن سفر
يقول للقرن لا مفر
عادت لصولاته تنيب

بدم عتونه خضيب
وكسبت الزائغ المريد
وسار سير الرضى الرشيد
ومنك يستوهب المزيد
وقلذنه العضب الخشب
واحفظه فى القرب والمغيب
وكن له الناصر الحميم
وافتح له فتحك العميم
وأوردنه الردى المليم
وأره صنعك العجيب
حاشا لعلياك أن يخيب
لسعدك الفائز المتين
من فضل مولاك كل حين
وانعم بذا الجوهر الثمين
فازدان منشوره الذهب
ما لابن سهل وابن الخطيب
لمدحتى البدء والختام
وما على من غلاملام
عليكم منكم السلام

والمارق الخارج المحارب
أعمل فى الصالحات جهده
ألهم فى المكرمات رشده
فأظهر الله ثم جنده
فكن له الحافظ المراقب
مهده له أرفع المراتب
عطف عليه القلوب جمعا
وحام عنه دفعا ونفعا
واكس المعادى ذلا ووضعها
واحرس علاه بكل جانب
أم نداكم راج وراغب
مولاي يهنيك ما تسنى
وأبشر بنيل الذى تمنى
واسعد بعيده بكم يهنى
روق من وصفكم مشارب
عارض فى النظم وهو راهب
يا أهل بيت النبى أنتم
أفلح كعمى إن قبلتم
طاب شذا مدحكهم رطبتم

سلام ربي عليه دائب ما اشتاق مضنى إلى الحبيب
وماله من آل وصاحب ما صاح فى الروض عندليب

وفى غرة جمادى الأولى من عام ستة وتسعين نهض المترجم من مراكش
ومر فى طريقه على قبيلتى الرحامنة والسراغنة، ولما كان بآيت عتاب أوقع بهم
وأكل زروعهم وقطع منهم واحداً وعشرين رأساً جزاء لهم على ما اجترموا من
الزيف والعيث، ثم نهض وسار إلى تادلا فزعر فرباط الفتح وأقام به أياماً، ثم
ظعن منه مصمماً على الزحف لبني مطير إذ كانوا سعوا فى الأرض الفساد وعاثوا
فى الطرقات بسلب ونهب المارة وأوقعوا بعرب دخيسة وأولاد نصير الذين كان
أنزلهم المترجم بسايس بدلا من مجاط شر وقعة، ولما شردوهم عن سايس رجعوا
إليه مجاط الذين رحلهم السلطان منه، فسار من الرباط على بنى حسن وزمور
الشلح وجروان، ثم نزل ببجوحة بنى مطير آكراى والحاجب وأمر بنى مكيلد أن
يزحفوا إليهم من ناحية آكراى، فزحفوا وربطوا عليهم آيت يوسى، وآيت
شغروشن، وآيت عياش، وآيت ولان من جهة الشمال.

كما ربط بإزاء المذكورين القائد العربى بن محمد الشركى - والد الباشا عبد
الكريم عامل شراكة وأولاد جامع سابقا القاطن حينه بفاس - وبقية من جاء مع
المحال السلطانية من القبائل الغربية والحوزية، وأحدق الجميع بعصاة بنى مطير
فضاق بهم الفضاء المتسع، ولم يجدوا خلاصاً ولات حين مناص.

ولما أيقنوا بالشبور والبوار، وأكلت زرعهم الرطب واليابس، وهلكت
ضروعهم وجاست الجنود المخزنية التى لا قبل لهم بها ولا طاقة لهم عليها ربوعهم
وبارت منهم الحيل لجأوا إلى المترجم، وتطارحوا على أبواب رحابه، وأعلنوا
بالإبانة وإخلاص الطاعة والتوبة النصوح، وتشفعوا واستجاروا بالصالحين،
وتمسكوا بأذيال الحلم والحنان، والعفو المولوى، فرق لهم المترجم لما وصلوا لهذه

الحالة وعفا عنهم عفو قادر، ووظف عليهم غرامة مالية قدرها مائة وخمسون ألف ريال وخمسمائة مرهون من أعيانهم، وأدوا جميع ذلك والتزموا برد الحقوق والمظالم وإخراج قبيلة مجاط من بين أظهرهم وجعل النزائل لحراسة المارة بين فاس ومكناس، وفي هذه الوقائع يقول الفقيه الأديب مولاي أحمد الرباطي من قصيدة:

صلحت بعزك في الخروج قبائل
لما حللت بأرضهم حلت بها الـ
كانت منازلهم قبيل خروجكم
حقنت دماء الفرقتين بعيد ما
لعتت دماءهم السيوف ودحرجت
شابت بمعتك الوغى شبانهم
دوخت أرضهم بقصد هنائهم
بعد الشتات جمعت شمل فراقهم
فالحيف مهزوم حسمت ذراعاه
ما خاب ساع في المصالح إنه
تنبى البداية عن جميل نهاية
فبسائس نيل المراد بسائس
حصل الأمان على الطريق لفائت
يا معشر القفال بشرى بالهنا
ابن السبيل أهم شيء عنده

فالحب عادت بينهن طوائل
بشرى وفكت للحقود حبايل
قفرا وبعده هن منه أواهل
كانت رماحا بينهن وسائل
هاما وكرت في النزال قبائل
لولا الحروب لما صرخن ثواكل
فتهنأوا حتى المحل الهائل
أطفالهم أمنت كذاك أرامل
بنصال عدل إذ سطوت تناضل
مشكور سعى بالسعادة آئل
وعلى الأواخر قد تدل أوائل
والحق بان به وغاب الباطل
نزلت من النزال فيه نزائل
قد عمرت بالراحلين مراحل
في ظل سيفه قد تنام قوافل

قـيل المـلوك إمامنا بيت العـلا الـ
 بطل الحـلاحـل والهـزير الباسـل
 كنه العـلاء أبو على حـبـذا
 من مثله ذاك الإمام العادل
 ساد الملوك بسودد من أصله
 أصل السيادة هو الرباب الهاطل
 بدر السعادة حل في الجوزاء قد
 سعدت ببرجه في السماء منازل
 إلخ إلخ .

وعقب ذلك أصاب المحلة وباء عظيم أوجب تعجيل نهوض المترجم عنهم،
 ودخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتون أواخر رجب من السنة سالما معافا، وبعد أن
 أقام بها شهراً عزل باشاها القائد إدريس بن المدعو خنيشش، وولى مكانه الباشا
 حم بن الجيلاني، ثم بعد ذلك نهض لفاس وبها بلغه موت رئيس مشوره القائد
 محمد بن بعيش ودفنه بضريح أبي حفص عمرو الحصيني طبق ما طلب من جلالته
 عند وداع جنابه بمكناس، وولى مكانه رياسة المشور خليفة المتوفى إدريس بن العلام
 وعين له خليفة ولد المتوفى القائد إدريس بن يعيش، الذي كان عاملا قبل بمدينة
 وجدة، ثم ثغر تطوان، ثم ولى رياسة المشور أيام السلطان السابق مولانا عبد
 العزيز.

وفي عام سبعة وتسعين ومائتين وألف وجه عمه مولاى الأمين بن عبد
 الرحمن بن هشام فى كتيبة عظيمة من الجند لاستخلاص المرتب وتسكين الفتن
 المتقدة بقبيلة قلعية، ورأس على تلك المحلة القائد حم بن القائد محمد بن الحسين
 البخارى، وعين الطالب المنجم السيد محمد بن أبى سلهام الخلطى ميقاتيا بها،
 ووجه حركة أخرى لقبيلة مستارة لتسكين الروعة التى قامت بها والضرب على
 أيدي الناهبين وقطاع الطريق على المارة لوزان ونواحيه والمضيقين بأهلها وانتشرت
 بعوثة وسراياه فى الجبال البربرية لأخذ الجباية المخزنية والأعشار المترتبة فى الذمم،

إلى أن بلغت إلى آيت يزدك من برابرة الصحراء، فسمع الكل وأطاع وأدى ما لزمه إلا ما كان من آيت حلى فريق من آيت يوسى، فلإنهم رفضوا طاعة عاملهم وامتنعوا من أداء الموظف عليهم، فأوقعت بهم الجيوش المخزنية وقعة شنعاء وقطعوا منهم رءوساً عديدة علقت على أسواق فاس، إرهاباً للعصاة أمثالهم، وزجراً لهم عن العود لخلع رداء الطاعة.

وقبضوا على عديد من المساجين وأتوا بهم للجلالة السلطانية بفاس، وأودعوا بيطن سجونها ولم يسعهم غير الإذعان والرضوخ للطاعة، فقبل المترجم توبتهم وأمن روعتهم، وألزمهم ولاية عاملهم الذى سلخوا ربة طاعته من أعناقهم، وذلك أواخر صفر من السنة.

وفى هذا التاريخ أوقع القبض على عامل الغرب أبى عبد الله محمد بن عودة وولى مكانه ابن عمه القائد بوسلهام بن المصطفى المدعو الرموش، وأقام حفلة عيد المولد النبوى بفاس.

وفى أوائل محرم فاتح سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف بارح المترجم فاساً وأقام بمكناسة الزيتون ستة أشهر كملاً، عزل فى خلالها محتسبها السيد المختار بادو، وولى مكانه الحاج محمد أجانا، واحتفل لعيد المولد النبوى وليلته احتفالات عظيمة، ومد منوعات موائد الإنعام الشاملة للخاص والعام، وقدمت لجلالته عدة قصائد مولوية من سائر أدباء رعيته الشريفة، وسرد منها أمامه بمحفل غاص بالعلماء والأشراف والأعيان ووجهاء الوفود الغربية والحوزية.

فمما شنت به الأسماع قصيدة الفقيه الأديب الكاتب أبى محمد عبد الواحد بن المواز ودونك لفظها.

فأحيت شجا و جدى وأفنت تجلدى
وأكدتني من شجوك المتردد
ونحت على ورد فجرعت مورد
فعودى فلم ينكر شجاك وغرد
أنوح اشتياقا للحبيب محمد
وجبته مكارم الحشا جوب متئد
سبيل هوى الفرد النبى الممجد
فهل عطفة تشفى بها قلب مكمد
إلى أن ثوى قلبى غرام محمد
عشيق بأغلال الغرام مقيد
ويصبو إليكم صبوة المتفقد
يبيت بجفن من هواك مسهد
فجدلى بفضل من نداك مؤبد
وحسبى به زادا وخير تزود
تعالت فلن تعطى لرسل وهجد
على الأرض فى بيد وغور وأنجد
فلولاه لن يهدى من الغى مهتد
ودر له ثدى فلم يتخذ
وفاح شذا فيها شجا كل أمجد

شدت سحرا ورقاء شدو تغرد
فبالله يا ورقاء مالك رعتنى
بكيت بلا دمع فأبكيت دامعا
لئن كان ما بى فى الهوى بك مثله
وإن نحت شوقا للمغافى فإننى
سلكت الهوى برأ وخضته لجة
فألفيت أن المحرر النجح من قفا
إليك رسول الله ثارت صبابتى
فما كنت أدرى ما الغرام وما الهوى
ففك حبيب الله أسر عبيدكم
يحن إليكم كى يفور بمطلب
شجيا غدا مضى الفؤاد بحبكم
إليك صفى الله سقت وسائلى
لقد صار لى طبعاً هواك وشيعة
وإنى وقد أرقاك ربك رتبة
فأنت رسول الله أكرم من مشى
نبى هدى للعالمين ورحمة
بهيبته إيوان كسرى تصدعت
وأشقرت الأقطار ليل ولاده

وهز له العرش ازدهاء بمولد
وبات بها باب السما غير موصد
بها شهرها بين الشهور كعسجد
صلاة بها ننجو من الهول فى غد
كمحو الدياتجى بالسنا المتوقد
فلولاه لم تذرا جميعا وتوجد
ومنه تجلى كل نور ممد
على شرف محض طريف ومتلد
تناهى حلاه عن فصيح ومنشد
على معجزات أعجزت كل ملحد
وشق له البدر المنير بمشهد
فكان الصبا يصبو على وفق أحمد
وأذناه والمحبوب غير مبعد
جلالا وتقديسا على رغم حسد
فكان يرى فحل العداة كخفدود^(١)
فويل العدا ياويلهم أن يجرد
كروض بهيجات أزاهره ند
متى ظفرت عين برؤياه تجمد

وسرت بها فيها الملائكة العلا
ولاحت له فيها براهن فضله
بها فخرت كل الليالى وقد غدا
على طه خير الأنبياء محمد
بدا فمحا رسم الضلالة بالهدى
هو الأصل فى خلق العوالم كلها
فمن نوره قد كان كل مكون
تخصص بالمجد الأثيل وبالعلا
وكيف من المولى ارتضاه حبيبه
له حجج ما نالها قبل مرسل
حياه إله العرش حوضا وكوثرنا
وأيده من محض فضله بالصبا
وأسرى به فوق البراق أمينه
فنال مقاما لا يطاول شأوه
وأعطاه نصرا باهرا وشجاعة
بعضب معد للكفاح مصمم
وأنحفه دون الورى بشمائل
وآتاه خلقا يخجل الشمس نوره

(١) فى هامش المطبوع: «على وزن هدهد الخفاش كخفدود على وزن بهلول».

وأعطاه في يوم المعاد شفاعته
وأنزل قرآنا عليه مفصلا
وأعجز منه الإنس والجن آية
وحن إليه الجذع واستأنست به
ووافت له الأشجار تسعى كما جرى
وقد هز عزمها حيث لاقى عكاشة
وقد منح البئر الأجاج عذوبة
وقد ظللته من ذكاء غمامة
ورد بفضل الله عين قتادة
وياعجبا في كفه سبج الحصا
وأمته قد أخرجت خير أمة
وأخبره عن سمه عند أكله
عليه صلاة الله ما هام مغرم
ومنه الرضا عن آله الغر من سمت
ومن زهرت في المكرمات مناقب
ومن حبهم فرض على كل مؤمن

تعم ذوى الإسلام جمعا لمفرد
أصار جميع الملحددين كجلمد
فيا حسرة العاصي وبشرى لمرشد
ضباب الموامى^(١) والوحوش بقدفد
بكفه ماء قد روى اللجب الصد
فعاد لديه كالصقيل المهند
بتفلته حتى حلا كالمقند^(٢)
وفك بغيراً منه رام ليفتدى
وعافى عليا من قذى به مرمد
كذاك طعام منه سبج فى اليد
ويلزم فضل المقتدى فضل مقتد
ذراع فلم تستقص آى محمد
بحبه من غير اصطبار موطن
لهم قدم فى كل فضل منضد
لهم مثل روض بالأزاهر أمد
وبغضهم يفضى لجمر موقد

(١) فى هامش المطبوع: «المومة: المفازة الواسعة والجمع موام».

(٢) فى هامش المطبوع: «القند والقندة - بالفتح فيهما - والقنديد: بالكسر، غسل قصب

السكر إذا جمد جمودا، معرب. ويقال: سويق مقند كمعظم ومقنود ومقندى، إذا كان

معمولا بالقنديد، هـ. تاج بنخ، ومن تواريخ المشرق: كتاب القند فى علماء سمرقند».

هم نسل زهراء ليوم قيامه
بهم تنجلي العاهات عن متوسل
بجاههم تجرى الأماني لأمل
ولا يتهم في الأرض أمن لأهلها
مفاخر آل البيت بحر تراخرت
ولكنها زينت بفخر إمامنا
حبانا إياه الله فضلا ونعمة
سما حيث لم يدرك فلولا سعوده
بدا نيرا في الأرض كالنوء شأنه
به شرفت مرقى المعالي كأنه
لئن كان من قبل الملوك تقدمت
فاقرر به جفينك طلعة كامل
لسيدنا حلم لوانه للصبأ
ومجد وملك أحرز عن وراثة
وجود كما صوب الحيا وأناة
وبأس فلم تظفر به شهب السما
وخلق كما نشر الكبا وشجاعة

مآثرهم إن رمتها لم تعدد
بهم وبهم يدنو المنى إن يبعد
بهم ينفري حبل العويص المصفد
وهم في الوري جبر لكل مخصص
به لجج أن تغتفر منه يزد
فنال كمالا في كمال مسرمد
فتنهنا به في ظل أمن ممد
حسبته كيوانا إذا يترصد
هدى وندى فاستمطرن منه واهتدى
لجسم المعالي مهجة لم تبد
فلم يقس العضب السليل بمغمد
بأردية البأواء والفخر مرتد
لماهر أوراقا لاقنان غرقد
على نسب صرد^(١) ورأى مسدد
وهيبة ضرغام وتنجيز موعد
وعلم كبحر بالمعارف مزبد
بحومة حرب لم تكن عند فرهد

(١) في هامش المطبوع: «الصرد: الخالص من كل شيء، يقال: أحبك حبا صردا، أي خالصا. وشراب صرد، وسقاه الخمر صردا، أي: صرفا».

كساه شجون من شجى وتحقد
بلا شبه ما خلته غير فرقد
تل خير مأمول وتحظ وتسعد
ياظهار تعظيم له متعود
وبذل عطيات وحسن تهجد
وجمع حماظ فضلهم لم يندد
وزال محفوفنا بنصر مؤيد
فصار أنيسى إذ أروح وأغتندى
أرى هدفنا ذلك الجناب لمطرده
وفى غيركم كالغنج فى عين أرمده
ونضدتها كالدرد فى سلك عسجد
بمضمونها زهو النديم بصرخد
لخير وتنفيس وسلوى لأنكد
بجاهه فتحا للوصيد المشدد
وسترا عميما لم يزل يتجدد
لسيدنا الشهم الإمام المصمد
تحركن لولا جاهه لم تنود
فرائد آيات لكم متودد
معاد ومردود لبحر

وخلق لو ان البدر قابل نوره
هو القطب لولا أنه كان مفردا
فالم بمولانا الرضى الحسن الحلا
لكم زان قدر الليل ميلاد جده
بإنشاد أمداح ووفر ولائم
وإسراج أنوار وتطيب محفل
فلا زال مزدانا به فضل مولد
أسيدنا مالى بمدحك مغرم
متى راش ذهنى مطردا لمدايح
وفيكم ترى الأمداح فخرا لمادح
أسيدنا هذى عقود نظمتها
ولو لم تفق فى ذاتها فلقد زهت
وفى نظم آيات الرسول تواصل
به نسأل الله النجاة ونرتجى
وحفظا وتيسيرا وتفريج كربة
وتأييد نصر الله والفتح والعلا
وبالمصطفى كم ساكنات من المنا
فيا خير خلق الله عطفنا لناظم
ومدحى لم أحسبه غير زبرجد

ولكنما المدوح نظمى بأحمد
إليه ركابا فى فلاة وأوهد
لدى يوم هول رائع وتهدد
شدت سحرًا ورقاء شذ وتغرد

كما لم أخل نظمى مديحا لأحمد
عليه صلاة الله ما ساق سائق
صلاة بلا حصر تؤمل فضلها
صلاة تعم الصحب ما قال منشد

وقصيدة العلامة الأديب الشريف سيدى الفاطمى بن الحسين الصقلى

ولفظها:

إذ هنأته بوارق الأنوار
تيها يدوس عمائم الأشجار
قد ضاع بين كمائم الأزهار
أغصان فهى تميم من إسكار
يشجى بما يلهيك عن أوتار
غنى فأغنانا عن المزممار
طربا بلحن مصوت الأطيوار
والنجد أسدل سندس الأستار
تبدى السبيل إذا خفى عن سار
والمسك فى تفتيقه المعطار
حسنت حسن قد بدت للقارى
تسرى به النسمات فى الأغوار
يرنو بمقلة فاتن سحرار

ضحك الربيع بمبسم النوار
وأتى النسيم مجررا أذياله
ويجيبه مسك النوافج عله
والنهر يجرى كالمدام بمفصل الـ
والورق تشدو والهزار بعوده
والعندليب مجود أحنانه
والدوح ترقص فى غلائل أطلس
والغور قد بثت زرابى نبتة
وأنت ندامى كالنجوم وجوههم
من غض ورد كالخدود ملاحه
وشقيقه من فى صفيحة خده
وقريبة السريرين ذى العرف الذى
أو نرجس كضعيف جفن فاتر

مثل القسي في رقة الأوتار
را باقلا عن مخجل الأقمار
عن لمع برق خاطف الأبصار
متمايد بتدلل ووقار
ء زيرجد كالشهب للأنظار
زهر بمولد أحمد المختار
لولاه كان الكون في إضمار
سر الحقيقة معدن الأسرار
نمامى أبو الأرواح والأنوار
فخرا على الأيام والأعصار
والفطر والأضحى بلا إنكار
فى سعدها والصبح فى الأسفار
جاءت بقطب دوائر الأدوار
جن وجلمود ومن أحبار
عن ساكن النيران حر النار
وعيونهم تشكى لهيب أوار
ع ضلالة الجهال والكفار
ر الشام قبل تبلج الأسحار
متدفق الأنوار كالأنهار

وطرى ريحان يريك حواجبا
وبنفسج ياقوتى يحكى عذا
أو أقحوان مثل ثغر باسم
وقضيب بان مثل قد أهيف
أو ياسمين قد تدلت من سما
يحكى تدليها تدلى أنجم
خير الوجود وعلة الإيجاد من
أصل الخليفة أسها ولبابها
قوت القلوب وريها ونعيمها الـ
لله ما قد حاز يوم ولاده
يزرى بليلة قدرها وعروبة
صبح به قد أصبحت شمس الهدى
أعظم بتلك صبيحة الاثنين قد
يوم تابعت البشارة فيه من
يوم بليته يخفف ربنا
يوم به نيران فارس أطفئت
يوم به الإيوان منصدع كصد
يوم بدا نور أضاء له قصو
يوم به روض الجنان مزخرف

من بالجنان من الدمى الأبركار
من كل حسن جل عن مقدار
كالخزن من أهل العمى الفجار
والكفر عاد على شفا منهار
يسرى فيكسو جملة الأقطار
بدرا بحالك أزمّن الأغيار
عن وجه أحمد صفوة الأبرار
تحت الدياتي للمليك الباري
ولسّامع ولناظر نظار
نثر وكيف العد للأقطار
إلا وقد عدت لرب الغار
لمحمد في الذكر والآثار
وكذا الحديث بناقدي الأخبار
غضبان ما سئما على التكرار
د كأهله الشرفا ذوى الأقدار
من ضل في محلوك الأغمار
للمبتغى والمجتدى والجار
من هم ذكا الإعصار والأمصار
ن علوا من العيا على الأكوار

يوم به ابتهجت سرورا وازدهت
وتمايدت وتمايلت وتزينت
يوم به طرب العوالم زائد
يوم به الإسلام أسس بالتقى
يوم به نور الرسالة مشرق
يوم وما أدراك ما يوم غدا
كشف الزمان غياها من حجه
خير الورى على الدرى من سرى
ذو المعجزات الباهرات لحافظ
ما إن يحيط بعدها نظم ولا
ما من خوارق عادة للأنبيا
لكنها ذهبت سريعا غير ما
أما القديم فحفظه من ربه
فهما على مر الزمان ومدّه
وهما أمان للعباد وللبلأ
من هم نجوم يهتدى بسناهم
هم مطلب وذخائر وتعزز
لا سيما بيت الملوك ذوى العلا
السادة الأسد البهاليل الذي

بين الملوك سلاله الأطهار
شمس القصور فريدة التقصار
حامى حمى الإسلام من غدار
بحاسن الإيراد والإصدار
فى المشرقين ككوكب سيار
كسرى وقيصر من عبيد الدار
فى برد عز معلم بفخار
يستنزله النسرين باستصغار
ويساره يسر من الإعسار
ذى الملك والدينيا وذى الإقتار
وسياسة تغنى عن الأنصار
فى المدلهم غدا كزند وارى
خفض الضلال بجارح بتار
أقوت فعادت يعد فى إكبار
ما أنقضت بغيا يد الأشرار
كالمولد النبوى ذى الأخطار
من سرد سيرة سيد الأطهار
وسماع ما فيه من الأشعار
ولن يحل بذلك المضممار

وخصوصا المخصوص بالتبجيل من
فخر الملوك وتاجهم وسراجهم
ذو الجاه والقدر العلى أبو على
حسن كأخلاق تناهت وازدهت
ملك به تاج الخلافة مشرق
ملك له كل الملوك رعوية
ملك تلفع بالمجادة واحتبى
ملك له همم سمت فصغيرها
ملك تهاب يمينه أسد الشرا
ملك له فضل وإفضال على
ملك له حلم وعادل واسع
ملك له علم وفهم ثاقب
ملك لرفع الدين متصب كما
أحيا رسوما للحنيفة بعد ما
وأقام منها قاصدا سبل الرضا
فى كل حين للشعائر مظهر
فله بأزمته احتفال واحتفا
وقراءة لحديث مولد أحمد
وحباء مادح جده ولقارنى

بغمام تبر وابل مدرار
أولى بهذا القرب والإيثار
خير البرايا سيد الأخيار
ومساعدا من سابق الأقدار
ترعى بعين عناية الستار
بالنصر باب النجح والإيسار
ل يمكننا من مغنم الأعمار
بسلامة فى السهل والأوعار
متمنع بالهند والأنبار
إلا افتتاحا نعم عقبى الدار
وعديدكم فى الجهر والإسرار
عيدا يعود بكل خير طار
ع محركا لسواكن التذكار
والصحب أرباب الندى الأحرار
لربيعه بالهامع الثرثار
بولادة الفلك العلى الدوار
تهنى السيادة فى يدى بشار
فى كامل فى كامل الأطوار
متكامل الأفراح والأوطار

بل للرعية كفه مبسوطه
هذا ولا عجب فإن بنى النبى
يا سيدا يهنىك مولد جدكم
دم صاعدا بسعيد برجك آمنا
واسلم ولج بحصين حصن حماية
ولتبق فى عز ويمن فاتحا
ولترق فى أوج السعادة بالقبو
ولتمش فى طول البلاد وعرضها
وافتح بعزمك كل حصن شاسع
واجلب برجلك والجياد فما ترى
فالله حافظكم وناصر عدكم
بأبيكم من صار يوم ولاده
صلى عليه الله ما جاء الربيد
وعلى الكرم ذوى العلا أهل العبا
ما جاء قمرى الرياض مهتئا
أو ما استفاضت فى الأنام بشاره
أو ما أتت هيفاء فى حلل البها
أو ما أتى نشر المدائح كاملا
أو ما غدا المولود مولد جده

ثم نهض منها ووجهته مراكش، فمر فى طريقه على قبيلة زمور الشلح، فرباط الفتح، فزغير، وأدرکه عيد الفطر بالمحل المعروف بصخرة الدجاجة من بلاد تادلا، وهناك أقام سنة عيد الفطر طبق العوائد الملكية، ومن ثم سار لبلاد السراغنة، ثم الرحامنة، ثم مراكش.

وفى هذه الحركة وهى السابعة لى داعى مولاہ الفقيه أبو عبد الله محمد الصفار التطوانى وزير الشكاية، وولى مكانه العلامة أبو الحسن على المسفيوى، وبعد أن استراح المترجم بالحضرة المراكشية وجه من ألقى القبض على القائد انفلوس الحيحى وانفلوس لقبه - ومعناه بالسوسية الرئيس - وهو القائد أحمد النكنافى الحيحى الشهير الذكر، وبمراكش أقام سنة عيد الأضحى.

وفى رمضان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف نهض من مراكش ووجهته قطر سوس الأقصى، حيث إن الإصبان تشوف لتملك بعض المراسى السوسية منذ انعقاد الهدنة الواقعة عقب حادثة تطوان الآتى شرحها بحول الله، وزعموا أن تلك الناحية لا تنفذ فيها الأوامر المخزنية ولا تعترف بأنها من الإيالة^(١) السلطانية، وأشاع ذلك وأذاعه، ثم بعد ذلك طلب من المترجم الإذن له فى البناء ببعض تلك الشواطئ نظراً لما ذكرنا من إشاعته، ولما لم يجب لذلك همّ بالخروج لتلك الناحية، فعند ذلك عزم المترجم على التوجه لذلك القطر وحسم مادة أطماع الطامعين بفتح مرسى بوادى نول بالمحل المسمى آسাকা، بأرض قبيلتى تكنة وآيت باعمران.

ولا سيما عندما بلغه أن ذلك الجنس فتح مع أولئك البسطاء أبواب البيع والابتياح، وصارت مراكبه الحربية والتجارية تكثر التردد لتلك النواحي وتستهوى أصحابها بالتجارة والأرباح الزائدة وتستفزههم ذلك.

ولما طرق سمع القواد ورؤساء الأجناد والقبائل ما همّ به المترجم من الحركة للقطر السوسى، طلبوا لقيه والمثول بين يديه، فلبى طلبهم ولما مثلوا بين يديه قرروا له ما يعاينه أهل ذلك القطر من الشدة والاضطرار والفاقة وتفاحش الغلاء والقحط

(١) الإيالة: الوادى. وقطعة من أرض الدولة يحكمها وال من قبل السلطان.

الواقع بتلك النواحي، وشرحوا له الأضرار التي تلحق الجيوش، والأخطار التي ترتكبه في هذا السفر، والتزموا بأداء ما يستفيده بيت المال في هذه الحركة من أموالهم الخاصة بهم والخاصة لهم.

ولما استوعب كلامهم شرح لهم الباعث المهم الداعي لهذه الحركة، فعلموا أن لات حين مناص، وأجابوه لما أراد، وقاموا على ساق في الأخذ بالأحوط والاستعداد، وأصدر المترجم أوامره لقبائل ذكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتبن إلى مرسى الجديدة، ومرسى الدار البيضاء، ليحمل منهما في المراكب إلى ساحل السوس الأقصى بقصد إرفاق الجيش وإعانتته.

وبعد ذلك نهض من مراكش في جيوش جرارة تتلاطم أمواج أبطالها، وخلف وراءه صدر الوزارة أبا عبد الله بن العربي الجامعي لما ألم به من المرض الشديد، وعين في محله العلامة السيد محمد الصنهاجي إلى أن أبل، ولحق به لوادي نون.

وكانت مبارحة المترجم للحضرة المراكشية في يوم الاثنين الحادي عشر من رجب من السنة موافق سابع عشر ماي وخيم بعدوة وادي نفيس بمشعر العناية، وكان زمن السير أربع ساعات، ثم نهض من علوة وادي نفيس وخيم بنزلة المزوضي - نسبة إلى مزوضة قبيلة بينها وبين مراكش مرحلتان - وكان زمن السير خمس سوائع ونصف، ومن نزلة المزوضي إلى وادي شيشاوة ومدة السير ثلاث ساعات، وأقام هنالك يوم الخميس ونهض يوم الجمعة من ششاوة، وخيم بسيدى المختار، وكانت مدة السير أربع سوائع وخمس عشرة دقيقة، ثم منه لعين امامست، ومدة السير ثلاث سوائع، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف، ومنها إلى وادي بوريقى بقبائل حاحة حيث بويع السلطان المترجم يوم وفاة والده، ومدة السير أربع سوائع وأقام هنالك يوما.

ومن الغد وهو يوم الأربعاء عشري رجب نهض من بوريقى وخيم بدار انفلس بظهر اذاوخلف، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف ومنها إلى اذاوكلون

باركن - وهى قبيلة عظيمة بحاحة - ومدة السير ست ساعات وخمس عشرة دقيقة .

وخيم هنالك ثلاثة أيام، وفى يوم الاثنين خامس عشرى رجب المذكور، نهض من اذاوكلون إلى وادى بنى تامر ومدة السير تسع ساعات، ومنه إلى تمرغت، ومدة السير سبع ساعات، وأقام هنالك ثلاثة أيام، ومن تمرغت إلى آجدير ببير ارمى، ومدة السير ساعتان ونصف، ومن مرسى أكديرالى أربعا مسكينة، ومدة السير ساعتان ونصف، ومنها إلى اثنين أولاد تيمة بهوارة، ومدة السير أربع ساعات، وهوارة عرب مجاورون لمدينة تارودانت، ولهم اثنا عشر قبيلة، ومنه إلى البعيرير فالملش ومدة السير ثلاث ساعات، ومنه إلى الأحذب بالاقلاشة، ومدة السير ثلاث سوائع، ومنه إلى مدينة رودانة بمحل صلاة العيد، ومدة السير ساعة ونصف وأقام هنالك ثمانية أيام، ومنها إلى البراكيك وآيت عبد الله ومدة السير ساعتان وخمس عشرة دقيقة، ومن ثم إلى أم الجريد وبها منازل اذاومنو .

ثم التجأ بجناب المترجم إخوان الحاج منو السجين وقدموا الذبائح وفق عوائدهم الجارية عندهم فى الاستشفاع إذا عن لهم أمر مهم، وطلبوا المن على أخيهم بالفكاك من العقال فواعدهم بتسريحه بمجرد إيابه ووفى بوعدده، وكانت مدة السير ثلاث سوائع ونصف، واذاومنو قبيلة بهوارة إلى تمام هوارة مجاورة لقبائل هشتوكة، وبها مدرسة للقراءات السبع، ومنها إلى بيكرن باذاو محمد ومدة السير أربع ساعات وخمس عشرة دقيقة وأبى كرا هذا - وهو بالسوسية جماعة الضفادع وواحداهم اكرو - موضع قبيلة ذوى محمد بهشتوكة، وبيازاته مدرسة للعلم، وهى بمنزلة فاس عند أهل سوس فى المنقول والمعقول، وبها بئر عذب ماؤها بخلاف آبار القبائل الهشتوكية فإن ماءها ملح أجاج .

ومن المعلوم عندهم أن كل من شرب من مائها أى هذه البئر تنور قلبه وحذق ذهنه وصار حافظا للعلوم، وبهذه المدرسة كان يدرس علامة زمانه المشهور الشيخ محمد بن عبو الهشتوكى المتوفى عام ١٣٣٢، ومن ابى اكرا ارتحل المترجم إلى وادى ماسة، ومدة السير ست ساعات وأقام ثم ثلاثة أيام.

وماسة هذه على شاطئ البحر بها رباط وبه جامع مدفون فى الرمال، قيل: إنه من بناء عقبة بن نافع الفهرى، وأكثر العلماء يزعمون أن الإمام المهدي يظهر من ماسة بهذا الرباط، وتكلم فيه فى مشارق الأنوار.

وبماسة عيون جارية، وقرى متصلة أنيقة، وأعظم قراها تسلا واغبلو وتكون بين أهلها عداوة وفتن وحروب، وموضع الرياسة الآن تسلا.

ومن وادى ماسة لدوار سيدى على ومدة السير ساعتان، ومنه إلى تيزنيت ومدة السير أربع ساعات، ومنها إلى اكل بساحل البحر ومدة السير ساعتان ونصف، وأقام هنالك يوما، ومنه ظعن إلى امزور بزواية سيدى عبد الرحمن ومدة السير ساعة ونصف، وأقام هنالك سبعة أيام وهذا نهاية سفره، فجميع أيام السفر فى هذه الحركة ذهابا خمسة وعشرون يوما، وجميع سوائع السير ست وتسعون ساعة وثلاثمائة دقيقة وستون دقيقة، وجميع أيام المقام سبع وعشرون يوما.

وهنالك وفدت عليه أشرف آيت باعمران وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادهم، وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان، ووليت عليهم عدة من العمال، ووقع الكلام معهم فى شأن المرسى التى أريد فتحها بالمحل المذكور آنفا، فأجابوا بالامثال والسمع والطاعة، ووجه معهم المهندسين والفقهاء ولفيفا من أعيان الجيش لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق والنهج الهندسى الرائق.

وقبائل آيت باعمران هذه كثيرة تفوت الحصر يتكلمون بالعربية وأعشارهم يأكلها طلبة العلم، ولآيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباء الضيم أهل شمم ونخوة يحبون الغريب النازل بهم ويكرمون الضيف لا سيما رؤساؤهم فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية، ولا يتكلمون فى مجالسهم حفظا لحرمتهم وتأدبا معهم، وكذلك تلك القبائل بحيث يذهل الداخل لبلادهم ما يرى من أنواع الأدب.

ولما استقر به الثوى أوفد وفداً لوادى نول عمه مولاي الأمين ووزيره على سماع المظالم العلامة السيد على المسفيوى والقائد مبارك بن الشليح الشرادى الدليمى والقائد حمان بودلاحة الودى والقائد عبد الحميد الرحمانى فى ليف من الأتباع، حيث بلغه أى المترجم، أن مركبا إنجليزيا ورد لتلك الناحية القاحلة حاملا للأرز وغيره من المقتاتات بقصد الاتجار مع تلك القبائل المصابة بالقحط وأليم الجوع، وخاف سوء العقبى ليحققوا له الأمر ويطلعوا على الأحوال بتلك الجهة التى أكثر المرجفون القيل والقال فيها وامتدت أعناق الأجانب إليها وكثرت أطماعهم فيها ليتدارك الخرق بالرتق قبل اتساعه.

ثم أمر بإصلاح دار المخزن بتيزنيت ونصب قائداً من قواد جيشه المظفر، وأقامه بقصبة تيزنيت بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال ذلك القطر السوسى من وادى ولغاس - وهو واد عظيم بين هشتوكة وتيزنيت لم ير أعظم منه بسوس وأودية تلك الجبال تنصب منه وهو ينصب فى البحر - إلى منتهى وادى نول وكليمم يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات ولا سيما إذا كان المخزن بعيداً وصرح لهم بأنه أقامه مشرفاً للتفاوض معه وبصيرة على ما قصده من فتح تلك المرسى ففرحوا بذلك واطمأنوا ووقع الإشهاد عليهم بذلك، ودونك نص عقد الإشهاد الواقع عليهم بما ذكر:

«الحمد لله الذى ابتداء عباده بالإفضال والإحسان. وجعل نظام أمورهم بقسطاس وميزان. وجعل السلطان ظلا ظليلا يأوى إليه كل مظلوم. ومن اعتصم به فهو لاشك بحول الله وقوته معصوم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث هاديا للأنام. والموضح للشرائع والأحكام وعلى آله وصحابه الكرام.

وبعد: فلما حل مولانا المنصور بالله بحبوحه القطر السوسى حلول يمن وأمان. وجاس خلاله فى المهامه والعمران. وصارت قبائله تتوارد من كل فج الكبراء والأعيان. ورود طاعة وانقياد وإذعان. واصل الله سمو مولانا وعزه وارتقاءه. وصرف للإقامة المصالح اهتمامه واعتناؤه. وولى على قبيلة عمالا يضبطون أمرها بكلمته. ويدافعون عنها بسطوته. اقتضى نظره السديد. ورأيه الموفق الرشيد أن يعين كبيرا من جيشه السعيد يكون بركة وسط عمال قبائل جزولة وواسطة لهم فيما عسى أن يعرض لهم، وإعانة لسائرهم وتقوية لأزرهم وشادا لعضدهم ومرشدا لهم ومبصرا ليستشيروا معه فيما يكون من الأقوال والأفعال. فى الحال والمآل. مما تدعو الضرورة إليه. وتتوقف الأوامر المخزنية عليه. ويبعد عليهم تناوله مع جانب مولانا المؤيد حين يكون نائبا عن البلد لدراية المعين وخبرته. ونجدته وفطنته.

ومقره يكون بتيزنيت محل قرار المخزن فى القديم. ليجرى على النهج القويم.

وأما ما يرجع للعمال مما لا بد لهم فيه من أمورهم أو مصالح قبائلهم فلا واسطة بينهم وبين مولانا أيده الله فى ذلك، لكونهم مستقلين بأمر تكليفهم ومتحملين بدرك إياتهم كتحملهم بشد عضد بعضهم بعضا على خدمة مولانا الشريفة. وتنفيذ أوامره المنيفة. وبالتعاون على البر والتقوى، فحيث حضر لدى شهيديه أمنهما الله بمنه بمجلس الفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة، الحجة

الأكمل . البليغ الأجل . التحرير المحقق المدقق إمام حرم مولانا إدريس نفعنا الله به شيخ الجماعة القدوة المحدث الخطيب البليغ بالحضرتين ، قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها وبالمحلة المنصورة بالله تعالى ، وهو أحمد بن الطالب بن سودة أعزه الله تعالى وحرسها عامل كل قبيلة ومن معه إخوانه ، وبعدهما عرض عليهم ذلك وعرفوا المقصود منهم أشهدوا أنهم ارتبطوا ذلك والتزموه . وصمموا عليه وأبرموه . وعقدوا على ذلك عقدا صحيحا إلى غير غاية . ولا أمد ولا نهاية . اشتمل على الغائب والشاهد . وانتسج حكمه على الصادر والوارد . بحيث لا تعقب فيه لأحد بوجه من الوجوه . ومن رام نقض ما ذكر من أهل الزيغ والفساد . وسعى فى الفتنة والشنآن بين العباد . أو تعرض لأحد فى سبيل من السبل ، أو تعدى فى موطن من مواطن البلاد . فيعاقب العقوبة الشديدة لزيغه عن طريق السداد والرشاد . ويجعل عليهم النصاب الثقيل زيادة على الردع والتنكيل . ويغرم ما أتلف وأفسد . سواء تعدد الفاعل أو اتحد . فإن اعدم من فعل فأولياؤه وقبيلته يؤاخذون بجريته .

ثم وضع العمال خواتم عمالتهم إثر تاريخه على ترتيبهم لفا ونشرا عنهم وعمن حضر معهم من إخوانهم المرسومين بالطرة يمتته بعد عقد الإسهاد تأسيسا للقصد ، وإبراما للمراد عرفوا قدره شهد به عليهم بأكمله ، وعرف أعيانهم وعرف بأسمائهم وعلى من ذكر دامت سعادته وكرامته بما فيه عنه وهو بحيث يجب له ذلك فى الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف ، فلان بشكله وفلان بشكله وبعده بخط من يجب الحمد لله أديا فقبلا واعلم به أحمد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه وبخطه استقل . انتهت قابلها بأصلها فمائلته .

وأشده الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل المحرر التحرير الدراكة الفهامة المشارك الحجة المحدث الخطيب البليغ قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها إمام حرم

مولانا إدريس نفعنا الله به وهو أحمد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه أعزه الله تعالى بعز طاعته، وحرس ولايته، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر.

وفى تاسع رمضان المعظم عام تسعة وتسعين ومائتين وألف الحق وبالتعاون على البر والتقوى صح به. فلان بشكله وفلان بشكله ودعائه».

كما عين فى التاريخ نفسه وصيف جنابه العالى الطالب بوعدة السرى كبرى بآيت بو عمران، وألزم العمال جوار المراسى الأربيع، وهى: مرسى سيدى محمد ابن عبد الله ومرسى سيدى ورزىك، ومرسى اسك بآيت با عمران، ومرسى أكلو بجوار تيزنيت بحفظها والعسة عليها ليلا ونهارا بحيث لا يدخل منها شىء ولا يخرج إلا بأمر مولوى. فالتزموا ذلك، ووقع الإشهاد عليهم به، وذلك فى تاسع عشرى شعبان العام وأمضى على ذلك العمال بخواتيمهم.

وكتب بذلك لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى كتابا نصه بعد الحمد لله والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١» وبداثرته بيتا البردة ومن تكن... إلخ من يعتصم... إلخ:

«وصيفنا الأرضى الباشا حم بن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد قضى والحمد لله الغرض الذى ارتقى إليه الأمل المراد. ويممنا لأجله قطرى سوس الأدنى والأقصى من صحارى البلاد. بنية خالصة تنيل الكل منهم ما أفاد. وتحى رسمهم وأنسهم وقد باد، وترشد المتهور منهم الذى الإساءة إليه أجدى من الإحسان والبهيمة عليه أكرم من الإنسان. عضدتها مواكب شديدة الالتحام. وجنود تقول لمن رآها تنكب ليلا يقطرك الزحام. وصدور عمها الانشراح، ومسرات أردفتها أفراح وآلات استعدادية جهادية تبهر وتروق. وخوارق ليست عادية تكاد عند سكونها تومض منها بروق، وفوارس ذات نفوس عصامية، لا محل فيها للاستقصاء والاستفسار. ولا يأتى عليها ضابط إطناب أو فذلكة

إكثار. إلى غير ذلك مما تقتضى النعمة به التحديث. ويجذب من صميم فؤاد المحب المؤمن الحمدنين القديم منهما والحديث. معترفين بأن الله سددنا فى ذلك كله إلى غرض التوفيق. وأعلقنا من تحرى الصواب فيه بالسبب الوثيق، وأجرانا سبحانه على ما ألفناه من صنعه الجميل وتعودناه ولولا فضله علينا بمحض فضله ما تم لنا منه ما أردناه. وذلك والحمد لله أن كافة قبائل القطرين المذكورين تلقونا بأجمعهم بأنواع الأفراح وأصناف المسرات. وقدموا من الهدايا ما رأوه من أولى المهمات وأعلنوا بواجب السمع والطاعة وحفيات التحيات. ووسطهم شرفاؤهم ومرابطوهم وفقهاؤهم وأعيانهم وكبراؤهم وذلك لما خيمنا بقصوى عدوة وادى ولغاس الموالية لبلادهم وجبال استفرارهم، بعد أن كانوا كتبوا لشريف حضرتنا ونحن بمراكش الحمراء معلمين بأنهم على سنن الاهتداء. مقيمين على إجابة الدعاء.

فلما التقى الجمعان وجدنا ظواهر خبرهم وبواطن سرهم سواء. ولينا عليهم العمال والقضاة. وكذا على القبائل غيرهم ممن هو من مبادئ هذه الأقطار أو من الغايات، وحططنا بخير بقاعهم لأجل استصلاحهم الرحال. حتى استحال ركض همالجهم لحسن الحال. وأقبل أقاصيهم علينا إقبال الغادة. يهديها اليمن وتزفها السعادة.

ثم بعد كمال استقامتهم وترتيب مراتبهم طلبوا منا التجديد على ما بأيديهم بإقرارهم على عوائدهم، وحملهم على أعرافهم التى عندهم عليها ظواهر أسلافنا الكرام. قدس الله أرواحهم فى دار السلام ومن غير من أمراء المسلمين. رضوان الله عليهم أجمعين. فأقررناهم وجددنا لهم علينا فى الحين. واتبعنا فى ذلك الإجماع وسبيل المؤمنين، ولو نيل من هؤلاء القبائل التى هى آساد وحشية. وبأفنان الغضا موشية عشر هذا لكان كافيا فى القصد من هذا الشأن. لأنهم هذه مدة تزيد على الستين سنة لم يتخلل بلادهم المخزن.

هذا وأيضاً فمن جملة الأهم المقصود لدينا بوجهتنا السعيدة لهذه الناحية البعيدة. فتح مرسى بوادى نون فى حدود بلاد تكنة وآيت بو عمران بمحل يسمى أصك ليسهل بقربها على تلك القبيلتين البيع والشراء فيما يستقبل من الأزمان. لأنهم لبعء مراسى إيالتنا السعيدة عنهم، يتضررون فى تجشم السفر لها بقصد ذلك بالطريق وتشرق القوافل منهم ولو مع وجود الماء بالريق. ويكاد نفسهم أن يقطع منهم حروف الحلق. فتيممناها زيادة فى الإحسان إليهم والله يزيد فى الخلق إلى أن بقى بينها وبين المحلة مرحلتان فيهما ثلاث عشرة ساعة سفر الرفق إذ ورد علينا أعيان القبيلتين المذكورين آيت بو عمران وتكنه وأهدوا كغيرهم، فولينا عليهم وأجرينا مجرى غيرهم ووقع الكلام معهم فى شأنها، فأجابوا لذلك لما لهم من الرغبة فيها، حتى إن بعضهم كانت سولت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول. تقريبا كما ذكرنا وحرصا على بلوغ الأمل واتفقت الآراء منهم على توجيه من يقف على انتخاب المحل الذى تبنى فيه مما يقبل البحر تخطيطه وتأمين فيه جواريه.

فساعدناهم ووجهنا صحبتهم سرية من القبائل والجيش السعيد. ومعهم طلبة الهندسة لتقريب البعيد بقصد معاينة محلها وتخطيطه. والإتيان لحضرتنا المحروسة بطبق تصويره واستغنيا عن التقدم بهم، بحيث إن قضوا الغرض فذاك وإلا فننهض لقضائه على الله متوكلين. وبجيوشنا المتوافرة مصحوبين. لقربنا منهم إذ نحن الآن بأمن ومن بلاد أهل أكلوا مخيمون وهو الطرف الأول لآيت بو عمران، الذى يسمى بالساحل، بينه وبين المرسى المقدار الذى تقدم أنفا حسبما قدره الميقاتيون، كما أن الأهمية أيضا اقتضت نصب قائد من قواد جيشنا السعيد مختارا من أمثالهم ذار أى مصيب. وتسديد يكون بتزنيث محل المخزن فى القديم. إعانة ورداء لسائر عمال القطرين بالمشار من قطع وادى والغاس إلى متهى وادى نون واكلميم.

يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات ولا سيما إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات .

واشترطنا على السادة منهم والأعلام . والأعيان والحكام . المعينين عندهم لربط الأمور ربط إتقان وإحكام . أن يضربوا على أيدي أهل الجرائم وأن يتصفوا للمظلوم من الظالم . وأن لا يخرجوا في ذلك على ما تقرر لديهم من الأعراف والحد المحدود لهم عند الانتصاف .

وعليه أن يكون يعلم بالشاذة والفاذة لا يترامى لعين لائمه ولاحيه . ولا يتوارى عن الحق في مغابن نواحيه . لنكون على بصيرة فيما قصدناه من فتح تلك المرسى ومواخاة لإثارة النعمة ، ودفاعا للبوسى فنصبناه .

وبما هو من شأنه كلفناه وحضر العمال المشار إليهم معه وبعدهما عرفوا بذلك كله وعرفوه أشهدوا بأجمعهم أنهم التزموه . وأنهم عند السمع والطاعة يقومون به جهد الاستطاعة بل لأجل تمكن المعنى منهم أتم مكان . على وجه الإذعان والاستحسان ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الإشهاد . تأكيدا للقصد وتأسيسا للمراد كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسات في مراسى سواحلهم كفا للضرائر وحسما لمادة النزاع والجرائم وإرشادا للضليل ، وفرارا من كثرة القال والقيل .

وبالجمللة فقد أطلقنا لكم بالخبر اللسان ليصير هذا الغيب عندكم كالعيان . شارحين لكم الوجه الذي صرفنا إليه الآمال واستعملنا في أسنته وفي أعنته الشمال . وحثا على تمكينكم من حظكم من الفرح بما سن الله لنا من العز والإجلال . واجتلاء وجوه التهاني ووفود الآمال . ونحن على نية الأوبة بحول الله المتعال . فنسأله سبحانه أن يتم ذلك برد الجميع سالمين غانمين . وييسر لنا ما فيه رضاه ولكافة المسلمين . آمين والسلام فاتح رمضان المعظم عام ١٢٩٩هـ .

ولما دوخ البلاد السوسية ومهدا وبث روح التآزر والتعاقد ورتب بها
القضاة والعمال، وكف عنها اليد العادية انقلب إلى العاصمة المراكشية، فنهض يوم
الخميس رابع رمضان العام موافق ثامن يولييه من امزور إلى الكرمة بين المعدر
وتزنيت، وكانت مدة السير ساعتين وربع، ومنها إلى بكرة وادى ولغاس ومدة
السير ثلاث ساعات وربع، ومنه إلى الدحوش وهم أولاد بوطالب والمسير ثلاث
ساعات وربع، ومنهم إلى طكط بلاد هشتوكة ومدة السير أربع ساعات، ومنها إلى
بدار بلاد مسكينة ومدة السير ثلاث ساعات ونصف، وأقام المترجم ثم ثلاثة أيام
ومنها، إلى ابن سر كاو قرب مرسى أكادير ومدة السير ساعتان وربع، ومنه إلى
تمرغت ومدة السير ثلاث ساعات، ومنها إلى وادى اذاوتامر والسير سبع سواتع،
ثم تبصيرت والسير أربع ساعات ثم زاوية امكدار والسير ست ساعات وربع،
وأقام المترجم هنالك يوما واحدا، ومنها إلى وادى بوريقى والسير ثمان ساعات
وأقام ثم يوما واحدا أيضا، ومنه إلى جمعة الكريمات والمسير أربع ساعات، ومنها
لعين اماست والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم إلى وادى ششاوه والسير سبع
ساعات وربع، ثم نزالة المزوضى والسير ثلاث ساعات، ومنها إلى عدوة وادى
نفيس والسير ست ساعات، ثم بوعكاز والسير ساعتان وربع، ومنه إلى الحضرة
المراكشية والسير ساعة وربع.

فجميع أيام السفر ذهابا وإيابا خمسة وسبعون يوما، أولها الاثنين وآخرها
الجمعة، وجميع السواتع فى الذهاب والإياب مائة وسبعون ساعة، وبمراكش أقام
حفلة سنة عيد الفطر.

ولم يزل مقيما بها إلى أن دخلت سنة ثلاثمائة وألف وفيه نهض قاصداً
عاصمة سلفه المكناسية، وهذه الحركة العاشرة، وكان مروره على قبيلة الرحامنة،
فزمران، ثم قبائل تادلا، وأوقع بالسماعلة منها، ثم نهض لقبيلة زعير وبها أقام

سنة عيد الفطر، ومنها لقبيلة زمور الشلح ولم يدخل للرباط، ومنها توجه للحاجب ومنه للعاصمة المكناسية، وكان دخوله لها في حجة الحرام، وأقام بها سنة عيد الأضحى، ومكث بها سنة كاملة.

وبها بلغه نعي نجله البار الأنجب مولاي عبد الله الذي كان ببلاد أحمر بقصد قراءة القرآن تيمنا بذلك البلد الطيب، وأنه حمل للدفن بعاصمة الجنوب مراكش الحمراء، فصبر واحتسب.

وفي هذه السنة التي هي رأس المائة، وجه صاحب الترجمة رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهي والنصائح لجميع بلاد المغرب، وأشار إلى المجدد في صدرها ونصها بعد البسملة والصلاة:

هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية. ونصيحة دينية. للولاة والرعية. صدرت من عبد الله. الموفق بفضل الله. المتوكل عليه في سره ونجواه. أمير المؤمنين. ابن أمير المؤمنين ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١:

أبد الله ملكه. وأجرى في بحار اليمن والسعادة فلكه، وجعل فيما يرضيه أوامره، ونصره وجنده وعساكره، إلى معاشر أهل الإسلام وأمة النبي عليه الصلاة والسلام، وفقكم الله وهداكم، وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم. وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد: فلتعلموا أيها المسلمون أن الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيين مبشرين ومنذرين. وناط بهم أحكام الشرائع إبلاغا وتبليغا، وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين. سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام. عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال مولانا فى محكم كتابه المبين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ... ﴿٨١﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨١]، ولما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حمّله من أعباء الرسالة. وبلغ ما أمر بتبليغه، وأنقذ الأمة من الضلالة. إلى أن صار الدين مشيد الذرى. محكم العرى. وتبوأّت خير أمة من قصوره حصنا حصينا. وأثره نزل قوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴿٣﴾ [سورة المائدة: آية ٣]، ثم أقام الله سبحانه من بعده الخلفاء. والأئمة المرضيين الخفاء، فمهّدوه تمهيدا، وجدّدوه فى كل عصر تجديدا، واقتفى أثرهم أمراء الإسلام السالكون نهجهم الأقوم فى كل مقصد ومرام، فنصحوا لله ولرسوله والمؤمنين، وبذلوا مجهودهم فى مرضاة رب العالمين، فأقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها، وشبت بإحياء مراسمها بعدما شابّت مفارقها، إلى أن صار الدين غضا طريا، وقطوفه دانية بكرة وعشيا، رحمهم الله.

وهكذا على رأس كل مائة يبعث الله لهذه الأمة الأحمدية من يجدد معالم الدين. ويصقل مرآته من صدى التعمق فى بيدااء المضلين. وحيث كانت هذه السنة هى آخر المائة. وتوفرت دواعى التضحية بمفتح رأس المائة القابلة لهذه الفئة. تعين لذلك تنبيه الغافل، وإرشاد الضال، عملا بما كان عليه السلف، لنكون بعدهم لهم خير خلف، وأداء لحق الواجب وأخذًا بطرق الامتثال. فقد قال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم».

وعليه فاعلموا أيها الناس أن أول ما يجب على المكلف المتمكن من النظر فى الأدلة معرفة ما يجب فى حق الله وفى حق الرسل بالبراهين النقلية والعقلية ليخرج من ربة التقليد، ويشرق باطنه بأنوار التوحيد، فتقوى لديه بواعث العبادة، التى بها أمر الله عباده، فإن الله سبحانه إنما خلقنا لمعرفة وأمرنا بتوحيده، وبعث الرسل عليهم السلام لبيان وعده ووعيده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... ﴿١٩﴾﴾ [سورة محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُمْ أَنَّهُمْ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٨، ٩]. والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث كما في صحيح البخارى جوابا منه ﷺ، والتوحيد المعبر عنه بالمعرفة المذكورة هو الذى حض عليه الله ورسوله كما مر، فتعلموه وعلموه وحرروا القصد والنيات فى العبادات.

قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» والعلم بأحكام العبادة. به تحمل الإفادة. ففي الحديث عنه عليه السلام: «ما عبد الله بأفضل من فقهه فى دين» وأركان الدين. ما ورد عن سيد المرسلين. «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا» فأساس الدين. التوحيد، وملاكه معرفة الله والرسول كما يجب، إذ هى شرط والباقي بدونها لا يفيد.

الركن الثانى: إقامة الصلاة بالطهور وأداؤها فى وقتها كما أمر الله إذ هى عماد الدين. وعصام اليقين. وسيدة القربات. وغرة الطاعات. قال تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣] وقال عليه السلام:

«أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله» وقال عليه السلام: «الصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد» وقال عليه السلام: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة».

وكتب سيدنا عمر إلى بعض عماله: إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: بين الإيمان والكفر ترك الصلاة، وقال عليه السلام: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين».

فينبغي للمؤمن الاهتمام بأمرها، والاعتناء بشأنها، والمحافظة على شروطها وسننها ومستحباتها وقوعا وأداء.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، وقال: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وقال ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾ [التوبة: ١٨] وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا» وقال ﷺ: «إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها مشى فأبعدهم».

وحكم التارك لها عمدا القتل، والجاحد الكفر في القول الفصل.

قال سيدي خليل: ومن ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجديتها من الضروري

وقتل بالسيف حداً، ولو قال: أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل، ويكفى في ذم تاركها أو مؤخرها عن وقتها ما ورد من الوعيد في شأنه قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ...﴾ ﴿٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، وفي الحديث: «من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان» وعنه عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد أتى الكفر جهاراً» وعنه: «من ترك العصر فقد حبط عمله، وعنه: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر» وعنه: «من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه»، وعنه عليه السلام: «أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقول إنى فرضت على أمتك خمس صلوات من أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له عندي عهد أن أدخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئاً فليس له عندى عهد إن شئت عذبتة وإن شئت رحمته».

الركن الثالث من مبادئ الإسلام: الزكاة، وقد قرنها الله بالصلاة في آيات كثيرة: والرسول في أحاديث شهيرة. فكما أن الصلاة طهرة الأبدان فكذلك الزكاة طهرة الأموال قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١]، وقال: ﴿... الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال ﷺ: «الزكاة قنطرة الإسلام» وقال: «حصنوا أموالكم بالزكاة فإنه ما ضاع مال في بر أو بحر إلا بترك الزكاة فيه» وقال عليه السلام: «ما من صاحب مال لا يؤدي حق الله فيه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له ربيبتان يأخذ بلهزمته يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ ﴿١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن أبى ذر موقوفاً قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليهم فى نار جهنم

ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتنزلزل. كما فى صحيح البخارى. وعنه عليه السلام «مانع الزكاة يوم القيامة فى النار».

وهى تجب فى خمسة أشياء: مختلفات النعم، والنقدين، والركاز، والمعادن، والمعشرات.

ويلحق بهذا الركن فى الجملة زكاة الفطر فإنها واجبة الإخراج على كل مسلم فضلت عن قوت يومه. عن نفسه وعن كل مسلم يمونه بقرابة أو رقاً أو زوجية ووجوبها بالسنة على المشهور، ففى الموطأ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر من رمضان، وفى الترمذى بعث ﷺ منادياً ينادى فى فجاج مكة ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم.

الركن الرابع الصيام: الواجب على الأنام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ...﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال ﷺ: «شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه. وسنتت لكم قيامه. فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال عليه السلام: «هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين وجزاء ثوابه لا يحصى فى خطاب» ففى الحديث: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف» قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى.

الركن الخامس: حج بيت الله الحرام، قال تعالى فيما نزل على نبيه تنزيلاً. ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾ [آل عمران]، وعن

عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين . قال ابن حجر ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأى فيكون فى حكم المرفوع ، ومن ثم أفتيت بأنه حديث صحيح ، وفى الحديث : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وقال تعالى : ﴿ ... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ... ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وقال ﷺ : « الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة » ، وقال عليه السلام : « الحج تضعف فيه النفقة بسبعمائة ضعف » ، وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول إن عبداً أصححت له فى جسمه وسعت عليه فى معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يقد إلى لَمَحْرُومٍ » وقال : « الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف لهم ما أنفقوا الدرهم ألف درهم » . ولا ينبغى الحج لمن يضيع ما سواه من أركان الإسلام . صلاة أو غيرها مما يلحقه عليه فى الشرع تبعة الملام . كما تفعل العامة اليوم فى عدم تحريها فى نفقة الحلال ، ولا تقوم بما أوجب الله عليها من الأقوال والأفعال .

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

وقد نص العلماء رضوان الله عليهم فيما حرروه وذهبوا إليه أن الحاج إذا تحقق أنه يخرج صلاة عن وقتها لعذر كמיד لم يجب عليه وقد كادت أن تترك هذه الدعائم ، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عيانا ، وارتكبت البدع إعلانا ، وصار أمرنا يتزايد فى كل حين ، والحق لا ناصر عليه يعين ، قال تعالى : ﴿ ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] ، وقد ظهر فى الناس من المخالفة لأمر الله وإتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ ما يخشى معه من

حلول عقاب الله ونقمته، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ...﴾ [النحل: ٦١].

نطلب من الله أن يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه، ويرشدنا لما يجلب أمانه وغفرانه، فإن هذه الدار قنطرة إلى الآخرة، وسبيل لمن وفقه الله إلى الوصول للمنازل الفاخرة، والسعيد كل السعيد من استعمله الله في أعمال صالحة، وألهمه إلى اتباع سنة رسوله التي هي المتاجرة الرابحة، فخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وتزود من تقوى الله وخير الزاد التقوى، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للأخرى، وذكر فنفعته الذكرى.

فينبغي تكرير الوعظ والتذكير، والتنبيه والتحذير، لئلا تقسى القلوب، بتوالى الذنوب. ﴿كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وفي الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السامة علينا.

ويجب الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وتجديد نية الإخلاص ونفى الإصرار، فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل إلى رضوان الله فالزموها، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها، ففي الحديث: «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة».

فيتأكد على كل من ولاء الله تعالى أمراً أن ينظر لرعيته. ويعمل على إخلاص عمله وتصحيح نيته، ويرشدهم إلى ما ينفعهم دنيا وأخرى، ويحملهم على ما يقربهم إلى الله زلفى، قال الله سبحانه: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه، ويجعل سعيه فيما يوجب الفوز بقربه. فإنه لا ينفع الوعظ في أبناء جنسه.

إلا بعد تطهير نفسه . فليبدأ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها . ويأمرها بما يأمر به سواها . ولا يكن ممن يدعو إلى طريق البر وهو قَدْ حَادَ عنه وخرج . وانتصب لمعالجة غيره وهو إلى من يعالجه أحوج . إذ بصلاح الولاية تصلح الرعية . وتستقيم أحوالها في السر والعلانية ، ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هو إلى نظرهم إخوانا . وعلى ما يقوى على الطاعة أعوانا . فالمسلم أخو المسلم وإن كان واليا عليه . وأولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه . وأن لا يداهنا أهل المعاصي . بل يتقصوا أحوال الداني منهم والقاصي . ففي الحديث الكريم : « يحشر يوم القيامة أناس من أمتى من قبورهم إلى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون » .

ويستعين على ذلك بتقريب أهل الفضل والدين ، ويجتنب أهل الضلالة والمعتدين ، فإن الطباع تسرق الطباع . والمرء لمن غلب عليه تباع . قال فى الحكم : لا تصحب من لا ينهضك حاله . ولا يدللك على الله مقاله ، وفى الحديث : ما من أمير إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا . ومن وقى بطانة السوء فقد وقى وإذا زكى الإنسان نفسه واتقى ربه أصلح الله رعيته . وبلغه من كل خير أمنيته . فإن رأس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ... ﴾ [النساء : ١٣١] ، وقال : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ... ﴾ [٣] [الطلاق : ٢ ، ٣] ، وقال : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [٤] [الطلاق : ٤] .

وقال سيدنا على كرم الله وجهه : قال النبي ﷺ : من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاد الله آمنا . وحقيقة التقوى اتباع الأوامر واجتناب النواهي ، وأن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . وفى الصحيح عنه ﷺ : « كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته» والسعيد من سعدت به رعيته، ولا سعادة أكبر من العدل في الرعية وحسن السيرة فيها والعمل بما ينجي من عذاب الله قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ... ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وأفضل أعمال الولاية العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم، فإنما السلطان ظل الله في أرضه يأوى إليه القوى والضعيف، ويتصر به المظلوم قال سبحانه: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ... ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ... ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال عليه السلام: «إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» وفي الحديث: «الإمام العادل المتواضع ظل الله في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا».

وقال سبحانه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، وقد أمر الله بالعدل ورغب فيه وأخبر بكرامة صاحبه إذ به تحصل العمارة والأمان، في جميع الأوطان والأزمان، وكما رغب في العدل ورتب الأجر عليه، نهى عن الجور والظلم وحذر منه وأخبر بهلاك مرتكبه، قال

سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣١] ﴿[الإنسان: ٣١]، ... وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

وقال عليه السلام: الظلم ظلمات يوم القيامة. وقال: الظلم يذر الديار بلاقع. وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا. وقال: ومن أظلم ممن لم يجد ناصراً غيري. وقال: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. وقال: في حجة الوداع: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. وفي الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره الشريف.

ويدخل في الظلم ظلم أهل الذمة، وما سموا أهل الذمة إلا لأنهم في ذمة الإسلام، يجب حفظهم والدفاع عنهم، وتحرم دماؤهم وأموالهم، وقد أوصى عليه السلام بالوفاء لهم، وحذر من ظلمهم ففي الحديث: من ظلم ذمياً كنت له خصيماً يوم القيامة ومن كنت خصيماً فلجت عليه بالحجة. وفيه: من قتل معاهداً في غير كنهه حرم الله عليه الجنة. وفيه: إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جار الحاكم قتل المطر، وإذا تركوا الجهاد رهبة ألبسهم الله سيمى الخسف ووسمهم بالصغار. ففي الحديث: ما ترك قوم الجهاد رهبة إلا ذلوا. وفي الحديث: من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان. وفيه: من روع مؤمناً لم يؤمن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمؤمن أقامه الله مقام خزي وهوان يوم القيامة. وعنه عليه السلام: من أعان في قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. وفي الحديث: اللهم من ولي من أمر أمتي

شيئا فرفق بهم فافرق به ومن ولى من أمر أمى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه .
وعنه عليه السلام: أيما أحد استرعى رعيته فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت
عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء . وعنه عليه الصلاة والسلام: من أخون
الخونة تجارة الوالى فى رعيته . وفى الحديث: لكل شيء آفات وآفات هذا الدين
وإلا السوء . وعنه عليه السلام: ما عدل وال اتجر فى رعيته . وعنه عليه السلام: من ولى
شيئا من أمور المسلمين لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم . وعنه
عليه الصلاة والسلام: ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجات والخلة
والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنه . وفيه: ما من
أمير يؤمر على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة . وفيه: ما من عبد يسترعيه الله
رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .

واعلموا أن ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب، إنما هو من عدم الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر وارتكاب الذنوب، والإصرار على العيوب، وقد حذر
الشارع عز وجل وأنذر، ووعظ وذكر، ورتب على كل ذنب عقوبة فقال جل
ثناؤه: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:
٧١]، وقال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ... ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر
على تغييره لقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَّهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلَوهُ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر
أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» .

ومن المنكر الذى لا يسع التغافل عنه والتساهل فى أمره هذا الخطب النازل
الوقتى الذى هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعى، فإن

المستعبد لحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته ورجل استعبد حرا. وهو أيضا أحد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم إنه سبحانه خصمهم. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى عهدا ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيورا فاستوفى ولم يوفه». وقال ﷺ: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب». وقال ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب». وقال ﷺ: «مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر من قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم». وقال ﷺ: «خمس ليس لها كفارة: الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين فاجرة يقطع بها مال بغير حق». وفى الحديث: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا منعوا القطر وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عليهم المطر». وفى الحديث: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. وفيه: الزنى بريد الفقر. وفيه: «من شرب مسكراً أسقاه الله من طينة الخبال. قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «عصارة أهل النار وصديدهم». وقال: «من شرب مسكراً لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً»، وقال: «من غصب قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين». وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع فى النار». وقال ﷺ: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا كان المغنم دولا والأمانة

مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أزدلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا». وعنه ﷺ: «اتقوا السبع الموبقات - أى المهلكات - : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

وقد أحل الله البيع وحرم الربا وأمر بالكسب وجعله لنيل الفضل سببا قال تعالى: ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿... وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر مع الصديقين والشهداء». وقال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة». وقال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم». وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. وفى الحديث: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية فى الإسلام ومن نبت لحمه من ربا فالنار أولى به». وفيه: «لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكتبه هم فيه سواء». وفيه: «أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا». وفى الحديث: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا وإن الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه». وفيه: «أتدرون ما الغيبة؟ ذكرك أخاك بما يكره. إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتة وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

وقال الله سبحانه: ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ (١٢) [الحجرات: ١٢]. وفي الحديث: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح في الأسواق»، وفيه: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله». وفيه: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فاعملوا بما يتلى عليكم من آيات الله تهتدوا. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم تسعدوا. وسابقوا إلى سلوك نهج الخلاص وتداركوا أعمالكم بالتوبة والإخلاص. واركبوا من طاعة الله ورسوله سفن النجاة. ولا تقنعوا من الأعمال الصالحات بالبضاعة المزجاة^(١). وأقيموا شعائر الإسلام بينكم وأظهروها. وزكوا أنفسكم بطاعة الله وطهروها، ﴿... وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١) [النور: ٣١]. ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة: ٢٢٢]. وبادروا لها مبادرة الغريق لطلب النجاة، وانتهزوا فرصتها قبل هجوم هادم اللذات، هي إن صادفت محلها تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وفي الحديث: «توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله كل يوم مائة مرة» وفيه «إن للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها» وفيه «من تاب قبل أن يغرغر قبل الله منه».

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المجزاه» والمزجى: الشيء القليل. وهي مزجاة. وفي التنزيل العزيز: ﴿... وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ...﴾ (٨٨) [يوسف: ٨٨].

ونعهد إلى عمالنا ولاة أمرنا أن يلزموا أنفسهم وأهليهم طاعة الله، ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله ﷺ ويحضوهم عليها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ [التحریم: ٦]، وأن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشاركة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم في دينهم، ويقم لهم الصلوات الخمس في أوقاتها، ويحضهم على الأذان الدال على إيمان الدار، وهو للمؤمنين شعار، وأن ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا، وتعاهد أماكن الخوف منها رواحا وابتكارا، وينصبوا لأهل العيث الأرصاد، ويمكنوا لهم بكل واد، حتى تصير الدماء بذلك محقونة، والفتن محسومة، والأموال مصونة.

فإن قطع الطريق وإخافة المسافرين من أقبح السيئات. كما أن إمطة الأذى عن الطريق من أحسن الصالحات، ففي الحديث الكريم: «عرضت على أعمال أمي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق».

وأن يتفقدوا أحوال الفقراء الذين قُتِرَت عليهم موارد الأرزاق^(١). وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم في ضيق من الإملاق. بصدقة التطوع التي هي للحسنة كالأم الولود، فهي التي تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود، وبها تستنزل الأرزاق وتسبغ الآلاء. وتطفى الغضب ولا يتخطاها البلاء، اختص الله بها بعض عباده لمزية أفضالها. وجعلها سببا للتعويض بعشر أمثالها. ففي الحديث عنه ﷺ: «من تصدق بصدقة من كَسَبِ طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فكأنه إنما يضعها في كف الرحمن يريها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل» وفيه: «ما من رجل يتصدق في يوم أو ليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة» وفيه «إن الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار» وفيه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفيه: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» أي لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه.

(١) في المطبوع: «الذين قدرت عليهم مواد الأرزاق».

وورد: «استنزولوا الرزق بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة».

وليعاقبوا الفرقة التي تراخت في الدين. وخلفت سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد إسلامهم، ولا سلكوا سبيل رسول الله ﷺ ولا سبيل أئمة الدين، وأعلامهم، ففي الحديث: «إنما العلم بالتعلم» وهو واجب، إذ لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ (٣٦) [الإسراء].

ولما أخذ الله العهد على العامة أن يتعلموا أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ (١٨٧) [آل عمران: ١٨٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال ﷺ: «من كتم علما أجمه الله بلجام من نار» فتعلموا وعلموا فإن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، قال سبحانه: ﴿... وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...﴾ (٢٨٢) [البقرة: ٢٨٢]. وفي الحديث: «اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل»، ﴿... وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا...﴾ (٢٠) [المزمل: ٢٠]، ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال ﷺ في وصية لبعض أصحابه رضى الله عنهم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

وقال: «يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة».

وقال فى وصيته لمعاذ بن جبل: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال قلت يا رسول الله زدنى قال: كفى عنك هذا وأشار إلى لسانه قلت أو إنا لمؤاخذون به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم - أو قال على وجوههم - إلا حصائد ألسنتهم».

وفيه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وفيه: «أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان».

وفيه: «رحم الله امرأً تكلم فغنم أو سكت فسلم».

وفيه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم».

وفيه: «أكثر خطايا الإنسان من لسانه».

وفيه «من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة».

«فليبلغ الشاهد الغائب ألهمنا الله وإياكم الأعمال الصالحات. وأرشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وفىها أمر بتأليف لجنة من بعض فقهاء فاس للنظر فيما أراد اليهود إحداثه بملاحهم بفاس، ونص الظهير الذى أصدره فى ذلك لنائب قاضى فاس بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«الفقيه النائب فى القضاء بفاس الأرضى، السيد محمد بن عبد الرحمن
سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغنا أن أعيان يهود ملاح فاس العليا اجتمعوا واتفقوا على
إحداث أمر بملاحهم مخالف لعاداتهم وهو نصب حزان وتاجرين من تجارهم فى
ملاحهم للحكم فيما يعرض بين إخوانهم من الوقائع كالسرقة وسائر الدعاوى
وعلى إبدالهم فى رأس كل شهر بآخرين، وصار هؤلاء الحكام يقبضون على من
أرادوا من خصوم إخوانهم ويوجهونهم للسجن على يد عاملهم ويسرحونهم منه
على يده وحيث لم تجر لهم عادة بنصب ما ذكر، وكانوا معاهدين والأمور التى
بينهم وبين المسلمين كلها مبنية على قواعد الشرع رددنا قضيتهم للشرع، وعليه
فأمرك أن تجتمع أنت والفقهاء المسمون يمتته وتنزلوا لهذه القضية وتعطوها حقها
من النظر والتأمل والبحث ومراجعة عقد ذمتهم، هل هم معاهدون فى ذلك أم لا؟
وما اقتضاه الشرع فى النازلة من تسوية ذلك لهم أو منعهم منه وردهم لعاداتهم،
طالعوا به علمنا الشريف وأعلموا به خالنا القائد العربى ولداب محمد لينفذه فقد
أمرناه بتنفيذه والسلام فى ٦ ربيع الثانى عام ١٣٠٠».

والفقهاء المشار لهم فى الظهير هم على الترتيب الفقيه السيد الحاج محمد
جنون، والفقيه السيد جعفر الكتانى، والفقيه السيد أحمد بن الحاج، والفقيه السيد
الحמיד بنانى، والفقيه السيد عبد الله الودغيرى.

وقد كان جواب هؤلاء الفقهاء أن يمنع اليهود مما أحدثوه من نصب حزان
وتاجرين يبدلون كل شهر بغيرهم، وجعل عاملهم المسلم منفذاً لأمرهم، يسجن
ويسرح من غير أن يعرف لذلك وجهها، واستند الفقهاء فى ذلك لعهد لعمر مع
نصارى الشام وقفت على نص ذلك بخطوطهم ما عدا جنون مؤرخا بعشرين
جمادى الأولى من السنة.

ولم يزل مقيما بعاصمة جده الأكبر يدبر أمر الرعية وينظر فيما يؤيد سعادة الناحية الغربية إلى أواخر عام واحد وثلاثمائة وألف .

وفيها تم تنفيذ إصلاح وادي فاس الذي أمر صاحب الترجمة بإجرائه رفعا للضرر الحاصل لسكانها من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية والأجنة والأسجان .

وكان ابتداء البحث قد تقدم قبل هذا، لأنه لما ظهر النقص في المياه وتفاحش وجه أوامره الشريفة لقاضى فاس مولاي محمد بن عبد الرحمن العلوى بأن يعين العدول وأرباب البصر ليتوجهوا مع الأمين الحاج عبد السلام بن محمد المقرئ لماء وادي فاس الداخلى للحضرة الإدريسية للبحث فى شأنه، ومعرفة الموجب لقلته وصوله لما ذكر مع النظر فيما أحدث من البناءات بالدوح والزيات، وكثرة رفع السدود بصواعة والبناء بالأودية، وهل كان ذلك سببا فيما ذكر؟ .

فتوجه الأمين المذكور مع جماعة وافرة عينها الشرع الكريم من أهل الناس القرويين واللمطيين وعدوة الأندلس، وهم من أهل المعرفة والخبرة والبصر وأصحاب الراى والنظر من الفلاحين والبنائين والفخارين والتجار والرحويين والقنويين والنظار والعارفين بأحوال الوادى المذكور وما يعرض له من النقص والزيادة فى جميع الأمور، ومصاريف الوادى وتقاسيمه على الجمهور، ووقفوا على ذلك وشهدوا بما ألفوا .

وبعد فراغهم من الوقوف على قسمة ماء أندلس القرويين والتطوف عليها والإشهاد بما وقع فيها من الضرر والحدوث على أرباب مائها، توجهوا للوقوف على قسمة ماء اللمطيين لينظروا ما حصل فيها من الضرر والفساد، فلما فرغوا منها توجهوا للوقوف على ماء عدوة الأندلس مع من زاده الشرع من أهل العدو زيادة على من ذكر أولا حسبما ذلك مسطر بشهادة عدلية ثابتة مؤرخة بمحرم

١٢٩٩ - وتقدم ابتداء الوقوف فى أواخر حجة ٩٨ - مبين فيها الضرر فى كل موضع، وما لاحظته الواقفون أثناء طوافهم مع تسمية كل واحد منهم، واستثناء من لم يشهد فى بعض الأمور من الشهادة بما شهد به غيره.

ثم لما كان الباشا عبد الله بن أحمد بمكناسة الزيتون وكان بها صاحب الترجمة يومئذ كتب لولده وخليفته على عمالة فاس السيد محمد أن يعين أفراداً للتوجه مع من عينهم الجناب الشريف للوقوف على ماء وادى فاس، حتى يتحققوا صحة ما كان قد وقع الإشهاد به من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية فعينهم، وتوجهوا مع مولاي أحمد الصويرى والقائد البشير بن القائد بريك الحبشى، والقائد محمد الشراذى الذين وجههم الجناب الشريف لذلك، وشهدوا بما ألفوا من أحداث ما لم يكن من قبل وافتقار لإصلاح وغير ذلك مما هو مبين فى شهادتهم الثابتة المؤرخة بسابع ربيع الثانى من هذه السنة ١٣٠١، وكان ابتداء الوقوف فى متم ربيع الأول منه.

ومن الكتب الرسمية التى جرت فى ذلك ما كتبه الباشا عبد الله لولده ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«ولدنا الأعز البار الفقيه الخليفة سيدى محمد بن عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله.

وبعد: فقد أبلغنا مولانا الإمام بأنه كان وجه وصيفه القائد البشير الحبشى للوقوف مع القائد العربى بن اب محمد على رد السدود الحادثة التى ضعف بها ماء فاس خارج المدينة، وأخبر المكلفان بأنهما تبعا ذلك حتى أبطلا جميع المجارى الحادثة ورد الماء لمحله، وصار جريانه خارج المدينة على ما ينبغى، ولما دخل الماء للمدينة بلغ العلم الشريف أن الناس لا زالوا يتضررون بقله الماء وضياعه داخل المدينة، وقد وجه أيده الله الشريف مولاي أحمد الصويرى والقائد البشير الحبشى

وصاحب سيدنا لمراجعة ما بلغ علمه الشريف من إبطال المجارى الحادثة ورد الماء لمحلّه وللوقوف على عين مجارى الماء داخل المدينة واستيعاب ذلك مع المعينين من قبلنا، وهم: الخليفة الحاج أحمد الرايس، والأمين الحاج عبد السلام المقرئ، وتاجران عارفان، وأربعة من الخذاق الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم والقنويون والعدول والصاحب الوارد عليك من هنا حمان الرايس، فإذا ورد عليك من توجه من قبل مولانا بقصد ما ذكر فأعلم المذكورين بالتَّهْيِؤََّ للملاقاة بالمحل والوقت الذى توافقتم معهما عليه ليتطوفوا مع الجميع بمجارى الماء كلها، وكذا المحل الذى ينتهى له الماء عند من كان وتعين ولو كان عندى، وليقيد العدول ما عينوا من صلاحها أو فسادها ووجه لنا الرسم بذلك والله يصلحك والسلام فى ٢٤ ربيع لعام ١٣٠١ عبد الله.

ومنه: فزد من قبلنا رجلين اثنين من أهل العدو ومن الأندلس كذلك، ومن اللمطين كذلك للوقوف على قضية الماء المشار إليها أعلاه ونظار الأحباس ومن تحتاجون إليه من المعلمين الرحويين».

ونص ظهير شريف للباشا المذكور بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرشد الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله».

وبعد: وصل جوابك فى شأن مجارى ماء فاس الذى وجهنا من يتعاهدنا وأمرناك بتعيين من يقف من قبلك مع من تعين: بأنك كتبت لناثيك وعينت له من يقف معهم وفق ما أمرت، وأجابك بأن الأمر استوفى على التمام وقيد العدول ما عوين منها كما بالموجب الواصل طى الكتاب، فقد طالعتنا الموجب فالفينا غاية ما فيه أن الوجهين تطوفوا على مظان الضرر. بطواف أرياب البصر. من غير حصول على نتيجة التوجيه التى هى رد الماء لأصله والضرب على يد المتعدى فيه. على أنه

مهما كان الغرض يدرك. فلا يلغى الكد لأجله حتى يحصل ويترك، وعليه فتأمرك برفع حادث الضرر بمحضر المذكورين فى الرسم لرفعه. حتى يرجع الشئ لأصله. وليحضر معهم من عيناه للوقوف على رفعه وهما مولاى أحمد الصويرى، ووصيفنا البشير الحبشى ومن عداهما فيه أخبر نقله.

ولذلك نتخير فى المهمات من يحسن فى إقامة الغرض قيامه. ويزيل بصدقه عن طريق الحق إبهامه. لأن الناس اليوم غلبهم هواهم. ووافق سجاياهم فلا خير فى كثير من نجواهم. سيما أهل التعدى فأمالهم كلها لدينا مرفوضة. وقضايا تدابيرهم منقوضة. وجموع تكسيرهم مفضوضة.

فلا ترفع السوط حتى يرتفع الضرر عن المساجد والحرمات والشكاة من غير رب بصائب رأيك. وبمعونة تعزيز شريف أمرنا لك ومن بين يديك ومن خلفك، بحيث يرجع الشئ لأصله القديم ونهجه القويم، ولو أدى ذلك إلى هدم ما بنى على غير وجهه بتعدى صاحبه، أو أبدل مشرب من محله، أو زيد فيه برأى مرتكبه، إذ الحق أحق أن يتبع. وإليه فى كل المذاهب يرجع. والإغضاء على المتعدى يفضى إلى المنازعة. وكثرة المراجعة.

وقد شاع أمر هذا الماء وذاع. فى جميع البلدان والبقاع. فقم على ساق مع من عيناه لذلك حتى يتوصل كل من له حق بحقه، ويجرى كل قسط منه بمستحقه، والتعدى بالماء أهلك الله به أمة، وأرسل عليهم طامة ملمة، قال تعالى: ﴿... أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾ [القمر: ٢٨] فأزل هذا الداء العياء بكيه، بإيصالك منه كل واحد لشيء، وعامل كل متعد بنقيض قصده، وأجلسه عند حده، والسلام. فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١هـ.

ونص ما كتبه الوزير الأكبر يومئذ وهو أبو عبد الله محمد بن العربى الجامعى للباشا المذكور بترتيب مؤنة الوفد الموجه لإصلاح الماء:

«الحمد لله محبنا الأرضى الباشا الأسعد الفقيه السيد عبد الله بن أحمد،
رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن سيدنا أیده الله وجه وصیفة القائد البشير الحبشى، ومولای
أحمد الصویرى، ومحمد بوهیمة الدلیمی لرد ماء فاس لمجاریه الأصلية ویأمرک
أیده الله أن ترتب لهم مؤنتهم الیومیة مدة مقامهم ثمّ وعلى المحبة والسلام فى ٢٧
ربیع الثانی عام ٣٠١ محمد بن العربی خار الله له».

ونص ما كتبه الوزير المذكور جوابا عن استشكاله بعض ما فى الظهير
الشریف بعد الحمدلة:

«محبنا الأعز الأرضى، الباشا الأسعد المرتضى، الفقيه سيدى عبد الله بن
أحمد رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلتنا بطاقتك باستشالك الجملة التى بينت من الظهير الشريف
الموجهة لك فى شأن رفع الضرر والحيف الواقع فى ماء فاس، وطلبت التصريح
لك بالمراد فى ذلك لثلا تقع مع من ذكرت فى محذور، وأطلعنا بذلك علم مولانا
فأجاب نصره الله بأن المراد هو رفع الضرر الحادث والقديم الواقع فى ذلك الماء
ورد مجاریه لهیئتھا وكیفیتھا القديمة والتسوية فى رفع ذلك الضرر بین القوى
والضعیف، والمشروف والشریف، ویأن من توقعت منهم ما ذكرته هم الذین
تشکوا بذلك الضرر ورغبوا فى رفعه هم وغيرهم من کبراء فاس وأعیانها كافة،
والنیبه مثلک لا ینبه وعلى المحبة والسلام فى ٢٨ ربیع الثانی عام ١٣٠١ محمد بن
العربى خار الله له».

ثم توجه الوفد العالی والخليفة الرايس، والأمین المقرى، والناظر الشامى،
وشیخا البصر، والقنویین والرحویین وغيرهم للوقوف على إجراء الإصلاح المنشود

حتى وقفوا على الماء الذى يسيل من سد باب جبالة، فاقضى نظرهم حصره ببناء حائط من طاييه، وحيثئذ أحضرت الإقامة وشرع فى بنائه وعلى الجزيرة التى برأس رحى الجبل المشهود بضرر بقاء السمر النبات بها حتى أزيل جميعه، وخملت الجزيرة المذكورة وما زالوا كذلك فى تنفيذ الإصلاح من تعيين أوقات السقى وتجديد المغاليق وإصلاح القواديس وبيان أنواعها وما تناسبه وغير ذلك، حتى أموا مهمتهم حسبما ذلك بشهادة عدلية ثابتة بتاريخ رجب الفرد من السنة ١٣٠١ .

ثم ظعن إلى فاس فأقام لتدبير الشئون فيها إلى أن دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة وألف، فرجع إلى العاصمة المكناسية وأصدر الأوامر لعاملها إذ ذاك الباشا حم بن الجيلانى بانتخاب عشرة من أعيان نجباء طلبة الجيش البخارى لقراءة فن التوقيت والحساب، وشرح لتعليمهم موقت الحضرة المكناسية الشهير الجيلانى الرحالى .

وقد كان للمترجم اعتناء وشغف بهذه الفنون الرياضية، فكان يوجه فى طلب آلاتها من سائر الجهات، وقد وقفت على بطاقة من عامل الرباط السيد محمد بن محمد السويسى للشرىف العلامة سيدى محمد بن الحسنى عم صديقنا الحميم سيدى المدنى بن الحسنى نصها بعد الحمدلة:

«محبنا الأرضى الفقيه الأجل الشرىف سيدى محمد بن الحسنى السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد أمرنى مولانا أعزه الله نوجه لحضرتة الشرىفة ستة ربعات وستة أسطرلابات التوقيت من هنا، وبحثنا فتحقق لنا عندكم اثنين ربعات وأسطرلاب وعليه أحبك توجه لنا بهم وتعلمنا بثمانهم أو يقدر لهم ولا بد وعلى المحبة والسلام فى ٧ شوال عام ١٣٠٨ محمد السويسى لطف الله به» .

ثم نهض من مكناس قاصداً عاصمة الجنوب فسار على طريق زمور الشلح ثم رباط الفتح وبه أقام سنة عيد الفطر، ثم نهض على طريق زعير وتادلا، وبينهما قضى سنة عيد النحر، ثم من زعير لآيت بوزيد فأيت اعتاب، ولما وصل إلى قبيلة تيفة أوقع بها جزاء على ما أجمت من شقهم عصا الطاعة على عاملهم الطالب عبد الله التيفي ووثوبهم عليه وهدم لداره، ولولا أنه خلص بنفسه نجيا لحضرة السلطان لثلوا به .

وكذلك أوقع بأهل زاوية تنغملت، ثم سار على فم الجمعة، ثم قبائل السراغنة والرحامنة، ثم مراکش الحمراء فأقام بها مدة يتأهب لعود الحركة للقطر السوسى لتفقد أحواله وتسكين اضطرابه، وإعادة النظر فى ترتيب شئونه، ويدبر أمور الظعن إليه، وكيفية المرور على قبائله وتمهيدها وبمراكش أقام حفلة العيد النبوى والمولد الكريم المصطفى .

ولما حضر بشريف أعباه أعيان القطر السوسى كأبى عبد الله محمد بن الحسين أو هاشم، والقائد دحمان بن بريك التكنى، والحاج مسعود الراشدى، والقائد أحمد العبوى السرخينى والعمال الذين يتصارفون معهم من آيت باعمران وباعقيلة وتيزفيت وغيرهم كالقائد على الخصاصى، والقائد إبراهيم بوفوس لأداء واجب التهئة ومشاهدة هذه الحفلات المولوية العيدية وفق المقرر المألوف فى ذلك أمر وزيره أبا عبد الله محمد بن العربى الجامعى بإحضارهم بشريف الأعباب ومفاوضتهم فيما صمم عليه جنابه العالى من الوجهة لناحيتهم .

فأحضرهم وعرض عليهم القصد المولوى فأجابوا بالترحيب والبشر، وسردت عليهم مراحل السفارة الأولى فوافقوا على بقاء البعض منها على الأصل، وأشاروا بتبديل البعض . قال الخصاصى وبوفوس: إن المسلك السهل المتواصل العمارة والماء إلى كلميم إنما هو على بلاد الاخصاص لقربه واتصال الماء والعمارة، فذكروا أن من بونعمان لاندجه نحو الخمس ساعات لكون محطة الظهر الفارقة بينهما ليس فيها إلا المطافى، ومن اندجه لاكيسل نحو الساعتين ومنه لكلميم

كذلك، كما ذكروا أن لبلدهم طريقا آخر بيانه أن من عين أولاد جرار إلى محل الماء القريب من تمرغت بنحو نصف ساعة نحو الساعتين، ومن ذلك المحل إلى اندجه نحو الساعتين ونصف، ومنه إلى كيسل كذلك ومنه إلى كلميم كذلك وهناك مراحل أخرى:

المرحلة الأولى: من ماسة إلى تيزنيت سوائع ٣ وأقسام ٨ واسم العامل محمد احسون التيزنيتي وفيها الماء كثير.

المرحلة الثانية: من تيزنيت لأولاد جرار سوائع ٣ والعامل محمد - فتحا - ابن عبد الرحمن الجراري وفيها الماء كثير.

المرحلة الثالثة: من أولاد جرار لبونعمان سوائع ٣ وأقسام ٣ والعامل القائد يحيى البريمي وفيها الماء الكثير.

المرحلة الرابعة: من بونعمان لايسك سوائع ٤ وأقسام ٦ والعامل إبراهيم بن سعيد وفيها الماء كثير.

المرحلة الخامسة: من ايسك لبير تانكارفة والخميس بآيت بوبكر سوائع ٢ والعامل أحمد البوبكري وفيها الماء كثير جدا.

المرحلة السادسة: من بير تانكارفة والخميس لتانكارفة سوائع ٢ والعامل باكريم وفيها الماء كثير جار.

المرحلة السابعة: من تانكارفة لفم تيكتن سوائع ٤ والعامل باكريم والماء عيون دائرة بالمحلة .

المرحلة الثامنة: من فم تيكتن لكيسل ساعتان والعامل باكريم أيضا وفيها الماء كثير.

المرحلة التاسعة: من كيسل لكلميم ساعتان والعامل ولد بيروك وفيها الماء كثير جدا.

كما وقع الكلام معهم فى شأن اکتیال الشعیر فأشاروا بأن یكون أمین یکتال لكل مرحلتین وما اکتاله ینزلونه بالمحل الذى تنزل به المحلة .

وكانت هذه المفاوضة فى العشرین من ربیع النبوی عام ثلاثة وثلاثمائة وألف حسبما وقفت على ذلك فى كناشة المهندس الطالب أحمد بن الشاذلی البخاری ، وقد كان المتقدم أمام المترجم لضبط المراحل بالسوائع والدقائق و بیان السهل والوعر وما به ماء وما لا ماء به فإذا أحاط علما بالطریق المراد سلوكها فصل ذلك فى تقیید بغایة الضبط والإتقان ، وقدمه للمترجم لیكون على بصیرة مما یقدم علیه وعلى هذا كان العمل فى سائر الحركات .

ولما عزم المترجم على النهوض عقد لنجله مولای محمد على جیوش جرارة وقدمه أمامه لاستخلاص الواجبات الشرعیة من زکوات وأعشار المترتبة بذمم تلك القبائل السوسیة ، وأمره بالتخیم بقبیلة هوارة إلى أن یلحق به أو یرد علیه ما یكون علیه عمله بعد ، وأصیب الوزیر ابن العربی بداء الفالج واستناب عنه الفقیه الصنهاجی .

ثم فى یوم الخمیس الثانى عشر من جمادى الثانية عام ثلاثة وثلاثمائة وألف بارح المترجم مراکش فى جیوشه المتلاطمة الأمواج ووجهته القطر السوسى وكان مخیمه بوادى السمار ، ومدة السیر ساعتان ونصف ، ثم منه لزایوة الشرادى ومدة السیر ثلاث ساعات ونصف ، ثم لوادى الخلوف ومدة السیر ثلاث ساعات ، ومنه للمغسلة والسیر ثلاث ساعات ، ثم لزیمة بقبیلة حمیر والسیر ثلاث ساعات ونصف .

وأقام المترجم بجیوشه هنالك یوما واحداً للاستراحة ولحوق المتخلفین بالجیوش المظفرة ، ثم لسوق الأحد والسیر ساعتان ونصف ، ثم لقلعة ابن التمار بعبدة ، والمسیر أربع ساعات وربیع ، ثم لغدران الخیل والسیر ثلاث ساعات ، ثم



لثغر مدينة آسفى والسير ثلاث ساعات، ثم للملح بعبدة والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لزاوية الرثانة من بلاد الشياظمة والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لسيدى عبد الله مولى الحمراء والسير أربع ساعات، ثم إلى عين الحجر والسير أربع ساعات، ثم لثغر الصويرة والسير خمس ساعات وربع، وكانت الإقامة هنالك أربعة أيام، ثم كان النهوض منها للمحل المعروف بالرياض والسير ساعتان ونصف ومنه لسميمو بحاحة والسير ثلاث سوانع ونصف، ثم منه لدى وسارن والسير ساعتان ونصف ومنه لتفنى والسير ثلاث ساعات، ومنه لتبصريت والسير ثلاث ساعات، وأقام هنالك الأمير بجنوده يوما واحدا، ومنها لوادى آيت بامريم والسير أربع ساعات، ثم لاقروض والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لتامزاغت ما بين حاحة واذاوتنان والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لابن شركا وهو أول سوس وكانت مدة السير ثلاث ساعات والمقام هنالك سبعة أيام، ثم سار إلى أن خيم بأزرو من قبيلة كسيمة والسير ساعتان ونصف، ومن ثم لسيدى يبيى حيث المدرسة والسوق الآن والسير ساعتان ونصف، ثم إلى تابوحنكت بقبيلة آيت أبو الطيب بهشتوكة والسير ثلاث ساعات عدا ربع، ومنه لدوار سيدى على المجاور لوادى الغاس بقبيلة المعدر من جبل رسموكة والسير خمس ساعات عدا ربع، والمقام ستة أيام ومن تيزنيت نهض لأولاد جرار والسير ثلاث ساعات، ومن ثم إلى زاوية أبونعمان مدرسة العلم ثم آيت ابريم وهم الجبليون والسهليون والسير ساعتان، ومن ثم لايسك حيث يكون الموسم على شاطئ البحر وبه مدرسة آيت باعمران قرب سيدى إبراهيم والسير أربع ساعات، ومنه آتلمون بعد سوق الخميس بآيت بوبكر والسير ساعتان والمقام أربعة أيام ومنه لأربعاء انمستن والمقام ثلاث ساعات وثلاث، ومن ثم لثلاثاء اصبويا وهى قبيلة عظيمة أهلها ذوو كرم وشجاعة وعلم وفضل ونزاهة والسير ثلاث ساعات ونصف والمقام يوم، ومنه إلى تبجلكت

والسير ثلاث ساعات وعشرة دقائق ومن ثم لزاوية تيلوين والسير ساعتان ونصف، ومنها لرق أولاد أبي السباع والسير ساعة واحدة ونصف، ومنه لمدشر اكلميم مرسى على شاطئ البحر والسير ساعة وربع، والمقام أحد عشر يوما وبهذا المحل لحق به وزيره ابن العربي لما خف ألمه.

فكان عدد مراحل الذهاب من مراكش إلى كلميم تسعا وثلاثين مرحلة قطعت في مائة واثنين وعشرين ساعة وخمسة عشر دقيقة، وعدد أيام المقام سبع وثلاثون، فعدد الأيام في الذهاب وفي الظعن والإقامة ستة وسبعون يوما.

ولما خيم بكلميم وجه وزيره وشيخه أبا الحسن على السمفيوى وخدمه القائد مبارك بن الشليح الشرادى الدليمى وكاتبه الطالب أبا عبد الله محمد - فتحا - الجباص لمرسى البيضة - بالتصغير - المتصلة بطرفاية للوقوف على عينها والكشف له عن حقيقتها.

ومن آيت باعمران كتب لباشا مكناس مخبرا بوصول الركاب السعيد ودونك نص الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١ :

«وصيفنا الأرضى القائد حم بن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: فلإنا بحول الله الملك القوى المعين. الفاتح لما أغلق كما يشاء فى الحين أو بعد حين. المؤيد بعنايته عبده فى كل مصدر ومورد وتحريك وتسكين. كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل آيت بو عمران بحبوبة مجامع قبائل سوس الأقصى ومناخ الأعيان. نعلمكم بما واجهنا المولى سبحانه فى هذه الحركة المباركة من تعاقب المن والأيدى وابتسام ثغر الزمان، بما أملناه من العلى المنان،

فى هذا النادى لتعلموا أن الله على كل شىء قدير . وبيده مقاليد السموات والأرض وهو الولى والنصير، والسميع والبصير .

فكان من أمر هذه القبائل السوسية والقساملة الساحلية أن تلقوا ركابنا السعيدة أفواجا أفواجا . ناشرين أعلام الفرخ تجاه جيوش الله المظفرة ضحى وإدلاجاً، حاشدين حروكهم مصحوبة بأعيانهم ومن يعتد به من فقهاءهم وشرفائهم ومرابطيهم، من غير أن يكون جمعهم خداجاً مستتجيين للفوز بخاطرنا الشريف مقدمات الامتثال والسمع والطاعة لله ورسوله استتاجاً، مقدمين بين يديهم هداياهم، مترسين بإخوانهم وسراياهم، ماديين أعناق الامتثال . عاضين بالنواجذ على الخدمة وصالح الأعمال . فأتوا بمثونتهم على قدر الاستطاعة، ومهدوا لسلك الملة السعيدة ما صعب من طرقهم حتى صارت مسلوكة مشاعة .

ونحن فى كل ذلك نعاملهم بالبروز، ونبسط البشر إليهم ونقابلهم بما ارتسم فيهم من السرور، وها نحن بحول الله جادون فى الخلوص إلى المقصد الذى لأجله نقلنا هذه الخطوات . واستعملنا فيه الفكر وأسهرنا أحداق الاعتبارات . من صرف النظر لفتح مرسى أصكى مركز سواحل وادى نون . ومجمع القبائل الأعرابية والبربرية ومنتهى ذلك المسكون . ولا سيما من جاءت بينهما كالام والعنصر وهما كالتوءمين لها يستمدان منها ويرضعان خلاصة لبن ثديها وهما القبيلتان البوعمرانية والتكنية ومن تراكم عليهما وارتدفا . من قبائل البربر والأعراب أو كان على حكمهما فيما ارتضع وارتشف .

هذا إن كانت تصلح لذلك وتعود منفعتها على المسلمين والإسلام بعد الاستخارة مرارا . فى اختطاطها وفتحها وتحقق بصلاحياتها كشفا واستبصارا . ونتوخى فى الإقدام على ذلك بحول الله الأسد من الأنظار، والمنهاج القويم الجارى على أعراف هاتيك الأقطار .

ثم إن كانت موافقة للأصلح أقدمنا، وإن لم يظهر وجه المصلحة أعرضا عنها إلى غيرها قال الله العظيم: ﴿ مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

مثلاً... ﴿١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦]، وما آل إليه الأمر نعلمكم به ونشرف آذانكم بما سنح من سره، فإنه لكل عمل نتيجة بعد العنوان، والله الولي المستعان، والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام في ٨ شعبان المبارك عام ١٣٠٣.

وبعد قضاء الوطر من هذه الرحلة نهض من كليميم يوم الأربعاء تاسع عشرى شعبان العام ووجهته عاصمة الجنوب وكان مخيمه بالمطفية المتقدمة الذكر، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن طوى مراحل الإياب في أربعة وثلاثين مرحلة فكانت مدة السير فيها مائة ساعة وأربعة سواتع ونصف، ومدة المقام ست وأربعون يوماً، فجملة أيام الإياب ثلاثاً وسبعين مرحلة قطعت في مائتي ساعة وسبع وعشرين ساعة عدا ربع ساعة.

وعليه فجميع أيام السفر من يوم الخروج من مراكش وهو الخميس الثاني عشر من جمادى الثانية إلى يوم الحلول بها وهو السبت موفى عشرى قعدة ظعنا وإقامة مائة وستة وخمسون يوماً عنها خمسة أشهر وستة أيام لنقص شهرى شوال وذى القعدة.

وفى إيابه من هذه الوجهة أوقع القبض على عتاة هشتوكه وهوارة وذلك يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان وفى يوم الخميس ثامن عشرى رمضان استولى على أمتعة وذخائر أهل البغى والعناد من هوارة.

ثم فى يوم السبت متم رمضان حل بتارودانت وبها أقام سنة عيد الفطر، ومكث بها أحد عشر يوماً وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شوال أوقع باذاوتنان.

وفى يوم السبت موفى عشرين من ذى القعدة حل بحضرة مراكش عاصمة الجنوب فأقام بها يتفقد الأحوال وينظر فى المصالح إلى يوم الاثنين ثامن شعبان عام ١٣٠٤ فنهض منها قاصداً عاصمة سلفه مكناسة الزيتون وأوقع فى طريقه بقبيلة

نتيفة حيث رفضوا طاعة عاملهم عبد الله الزناكي، وأقام سنة عيد الفطر بالزيدانية من أعمال تادلا، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن حل بثغر الرباط يوم الاثنين سابع عشر قعدة، وأقام بها إلى يوم الخميس سابع عشر الشهر المذكور ولم يزل يطوى المراحل إلى أن دخل العاصمة المكناسية يوم الأربعاء رابع حجة متم عام ١٣٠٤ .

وفى يوم الأحد خامس عشر رمضان ١٣٠٥ نهض من مكناس قاصدا القبائل البربرية بنى مجيلد وزيان وغيرهم لتفقد الأحوال وإخماد نيران الأهوال التي أضرمها بنو مجيلد الذين سعوا فى الأرض الفساد، وأهلكوا ضعفاء العباد، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاي سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف على ما سنوضحه بعد بحول الله الشهيرة عند الخاصة والعامة بوقعة سرور .

فمن ذلك العهد خلعوا ربة الطاعة من أعناقهم، وتجردوا للسلب والنهب، وظنوا أن عصبيتهم لا تغلب، وتمنعهم بأوعار الجبال الشاهقة حام لهم من تحكيم سيوف العدل فى رقابهم، فصار التوحش والهمجية خلقا لهم به يفتخرون، واستحكم ذلك فيهم لا ينظرون إلا لما فيه مصلحتهم الشخصية وإن كان فيه خراب العالم، فإن احتاجوا لـحجر لآثافى^(١) قدورهم نقلوه من أضخم المباني وأعتقها وأفخرها ولا عليهم فى خرابها لأجل ذلك الغرض الخسيس، ويرون أن رزقهم تحت ظل مكاحلهم إذا تركوا السلب والنهب يموتون جوعا، ووراء كل رأى من آرائهم الفاسدة عصبية وحمية جاهلية .

ولما تفاحش عيشتهم واشتد أذاهم ولم ينفع فيهم تحذير ولا إنذار بل لا يزيدهم ذلك إلا عتوا ونفورا وعصيانا، سنح للمترجم كسر شوكة تمردهم وضلالهم وإرغامهم على الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة،

(١) الأثفية: أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر، الجمع: آثافى، وآثاف .

فبعث إليهم باشا مكناس القائد حم بن الجيلاني في جيش عظيم متنظم من العسكر والقبائل البربرية كبنى مطير وجروان، ثم نهض المترجم من العاصمة المكناسية في التاريخ المتقدم بجنود لا قبل لهم بها.

ولما حل بجنوده بالمحل المعروف بسيدى بورمان وجد في استقباله هنالك القائد محمد أحمد الزباني فيما يزيد على الألف فارس من إخوانه، ولما شرفت الجلالة السلطانية عليهم. وأشرقت أنوار محياه بحيهم. ترحل القائد المذكور وأدى التحية المخزنية كما يجب، وقبل الركاب بكفية إخوانه وأعلنوا بالسمع والطاعة والتمسوا صالح الأدعية وخامرهم من الفرح والارتياح ما لم يكن في حسابان، وأحدقوا بالموكب الشريف يتمسحون ويتعلقون بالأذيال حتى حالوا بين السلطان وبين جل الخاصة من حاشيته والسلطان يهش في وجوههم ويبش، ويظهر من الانشراح والتنازل ما زادهم إغراء وإغراقا في التهتك في حبه والميل بالقلب والقلب إليه، ثم بعد قضاء وطهرهم من التبرك واستجلاب صالح الأدعية امتطوا ظهور خيلهم وتقدموا أمام المحال السلطانية إلى أن حلوا بالمحل المعروف بكركرة فخيم السلطان هنالك إلى أن أقام سنة عيد الفطر.

وبعد انتهاء حفلة أيام العيد في غاية الأبهة والضحامة نهض السلطان في جنوده المجندة إلى أن حل بالمحل المعروف بيمين خنيك فوجد هنالك باشا مكناس القائد حم بن الجيلاني في محاله، إذ كان المترجم وجهه مقدمة أمامه قد وقعت بينه وبين بعض العتاة مناوشة بالبارود انجلت عن قتلى وجرحى من الفريقين، ولولا أن المترجم أمدهم بأبطال فرسان محلته سعيدة الطالع لكانت الهزيمة على المحال الباشوية، ولبقى هو أسيراً بأيديهم إذ قد ضربوا فرسه، ولما بقى راجلا أحدقوا به فأدركته خيل المحلة وشتت جموع البغاة، ولما مثل الباشا المذكور أمام السلطان وبخه وقبح فعله إذ كان مراده أن لا يخرج بارود من المحال المخزنية ولو

ابتدأهم أهل الزيغ بالضرب حتى يحيط بهم محاله الوافرة العدة والعدد إحاطة السوار بالمعصم .

ثم لما كان الغد نهض السلطان ونظم الجيوش أبداع نظام، ودخل شعبة كبيرة شديدة الوعر وسط غابة عظيمة وجعل العسكر عن يمينه وشماله بأعلى تلك الشعبة بحيث لا يغيب عنه كمين ولا آت، وأدخل المال والذخائر مع رايات عبيد البخارى، وأحدقت بالجميع خيول الجيش من مسخرين وشراردة وودايا، وقدم أمام الكل قبه وأخبيته مع فرسان ورماة القبائل التي كانت في معيته كزيان وجروان، وجعل وراء الجميع فى الذنب رئيس عساكره خاله أبا عبد الله محمد الصغير مع العساكر التي إلى نظره من خيل ورماة وعدد عديد من المدافع .

ثم سار السلطان فى تلك الشعبة الطويلة العريضة حتى اقتطعها، وخرج فى فسيح متسع الأكناف كثير الخصب والزرع، فأمر بالتخييم هنالك فنزل الناس وضربوا الأخبية واستراحوا، ونزل السلطان تحت جدار قصبة هنالك لبعض الأشراف ريثما يتم ضرب أخبيته وفساطيطه .

فبينما هو ثم إذ ورد عليه فارس من قبل رئيس العساكر المذكور يخبره بنشوب البارود بين العساكر وبين عتاة المفسدين، فأمر بإسراج خيول المحلة المسومة وتوجيهها لإعاتتهم ثم بمجرد دخول المترجم لأخبيته هجم العسكر الذى بالمحلة السلطانية على قصبة أولئك الأشراف ومدت فيهم أيدي النهب والسلب ووقع الضرب بالبارود ظنا منه أنهم من أهل العصيان، فخرج المترجم مسرعا وأمر بكف العسكر وسب وجدع وجبر كسر المبعوثين بإفاضة سجال العطايا التي غمرتهم، وصيرت الشرور فى الحين لديهم سرور .

أما الخيل التي وجهت لإعانة كبير العساكر فإنها ما سارت غير قليل حتى وجدت العساكر مولية وجهتها للمحال السلطانية ظافرة منصوره بعد أن طمع فيهم

البغاة المتمردون، وحسبوا أن ذلك الذنب كله طعمة لهم باردة، فعند مبارحة السلطان بما كان معه العساكر والخيول والرماة طبق ما وصفنا عن الشعبة المذكورة أشرف المفسدون على ذنب الجيش من قنن تلك الجبال.

ثم إن رئيس العساكر لما عاينهم أمر من معه من العسكر بسلوك تلك الشعاب.

ولما رأى البغاة العسكر ينزل من الأعلى ظنوا أنه ذاهب لحال سبيله، فصاروا ينزلون إليه من صياصي الجبال كأنهم جراد منتشر، فهجموا عليهم ووقع القتال بين الفريقين وصار العسكر يتأخر كأنهم منهزمون، فازداد طمع العدو فيهم، فلم يشعروا حتى قطع العسكر من خلف، وصار كور المدافع ينصب على البغاة ودهمتهم خيول العسكر فروا فوجدوا رماة العسكر قد عمروا سائر المسالك فأثخنوا طعنا بالرماح وضربا بالسيوف وتشتتوا شذر مذر، فسر المترجم بذلك سرورا ليس عليه من مزيد، وحمد الله وشكره على ما منح من الفتح والظفر، بمن حاد الله ورسوله وطغى وفجر، وكتب بذلك الظفر إلى سائر أقطار رعيته، وإليك نص ما كتب به لباشا مكناس بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«حم بن الجيلاني وبعد فإننا بحول من بيده الفتح والنصر والظفر والتمكين، والحول والقوة والطول المكين، لما نهضنا من بعض المرحلات التي بغضون جبال فساد بنى مجيلد وخرجت المحلة سالمة من شغب بعض غاباتهم الصعبة زاغ من أراد الله هلاكه منهم في هاتيك الشعبة، فناوشوا بعض من بقى مع أثقال المحلة بقتال فاشل مأخوذ، علما منهم بأنهم لا قبل لهم بالجيش المنصورة بالله، ولذا بقى زعيمهم في ميدان الاقتناص منبوزا، وكان الذي جراهم على ذلك وغرهم ما كان صدر منهم قبل في الدار الأخرى، وحيث عرفوا المقصود من التوجه لأعز أماكنهم وقصورهم التي هي بملوية التي هي مستودع أموالهم وخیلهم وأسلحتهم

وزروعهم المرعية قاسوا على ذلك بأخريات الأثقال ما حاولوه، واجتروا على ما تناولوه، فرددنا عليهم من يعتد به من قبائل الأعراب وآيت يوسى وبني حسن وبني مطير وجروان والعساكر المنصورة بالله من أبطال الرماة والفرسان فشنوا عليهم الغارات، وجعلوهم أغراضا للإشارات، واقتنصوهم اقتناص العقبان للعصافير، ونفذ الوعيد فى طائفة منهم بعد أن تركوا قصورهم وأعز أماكنهم بلقعا ليس فيها عيس ولا يعافير، فقطعت منهم رءوس، واستؤصلت منهم أعز نفوس، وكان بؤس ذلك عليهم أشد بؤس، وأسأم من وقعة البسوس، فلم يفلت من لم تصبه سهام الله إلا الفرار، للبرارى والقفار، وتركوا جيفهم صرعى صادين عنهم إلى ساحات النفار.

ولم تلتفت المحلة إلى حز ما بقى من رءوسهم شغلا بالسعاية. وحرصا على الجباية. وإلا فلو احتزت منهم تلك الرءوس لكانت تملأها أحمال. ولعبت بها الجمال. وما تحصل من الرءوس مما فيه الكفاية. وجهناه لفاس إيدانا بعنوان البداية. ثم لا نبرح عنهم بحول الله. إلا إذا استأصلتهم سطوة الله. وأذيقوا مرارة الوبال. وأليم النكال. بمعونة الله. ولم تغنهم من الله حصون بحول الله. ولا ما اتخذوه وزرا وفيثا، ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئا، والمحلة بحول الله مشتدة مصونة صائلة، فى أرغد عيش وأطيبه بائنة وقائلة. تتربص بالفساد الدوائر. وتذيقهم كل يوم المرائر. وأعلمناكم لتأخذوا بحظكم من الفرح، وتعلموا أن الله سبحانه يتولانا فى الطغاة بمنه وفضله ومعونته وفق المقترح. إنه مفضل غنى كريم. ناصر الحق عزيز حكيم. والسلام فى ١٥ شوال عام ١٣٠٥هـ.

ثم نهض المترجم فى جنوده وسار إلى أن وصل للمحل المعروف ببولعجول مدشر كبير محصن غاية التحصين أمامه عدة مداشر متفرقة، فى بسائط ذات خصب وعيون دافقة وحرارة متسعة، وهنالك أوقع بتلك القبيلة الشاردة عن الطاعة

المشوشة للراحة العامة المدممة الأمن في السبل بضرب رقابهم وأسر رجالهم وحز
رءوسهم وحصد زروعهم وهد حصونهم المنيعة، وأذاقهم أليم النكال وحرق
مداشرهم وشدد عليهم الحصار حتى ضاق بهم المتسع، وأذعنوا للطاعة رغم
أنوفهم، وجاءوا تائبين منيبين مذعنين فعفا عنهم عفو قادر، وألزمهم إعطاء عدد
وافر من البقر والغنم وغير ذلك ذعيرة لهم فأدوا جميع ذلك من غير أدنى تمنع ولا
مماطلة وولى عليهم العمال وكتب لعواصمة مبشرا بهذا الفتح الباهر ومحققا
للواقع.

وإليك نص ما كتب به لسنوه وخليفته بفاس بعد الحمدلة والصلاة
والافتتاح:

«مولاي إسماعيل وبعد فلإنا لما خيمنا بحول الله وقوته بملوية بالدار بالمرحلة
الثالثة منها تخييم يمن وأمان وعرجنا على قصور الصلحاء من بنى مجيلد عمدت
المحلة إلى أكلها ظنا منهم أنها من قصور الفساد وأنها المقصود بذلك الناد، فوجئنا
من جيشنا السعيد من كفهم عن ذلك حتى صيرناهم في ظلال الأمن نائمين. وفي
قصورهم مطمئنين.

وفي أثناء ذلك توجهت الطوبجية أمام فساد بنى مجيلد فوصلوا إلى قصر
من قواهر قصورهم سمى اغرم منى بمحل من ملوية يقال له بوعجول، وبه نزلت
المحلة السعيدة وبالقصر المذكور مدخراتهم وأموالهم وأمتعتهم فناوشوهم بالمضاربة.
وأعلنوا بالمحاربة. فتضاربوا معهم من ذلك القصر، ولما بلغنا ذلك وجهنا لهم المدد
من العساكر المنصورة. وجيوش الله الموفورة. فأذاقوهم المرائر وأرهقوهم بالقسر
وقطعوا منهم رءوسا. واستأصلوا منهم نفوسا. وقبضوا على مساجين وأذاقوهم
مرارة الحين في الحين. وصاروا يأتون بالرءوس والمساجين إلى أن جن الليل
فأمرناهم بالرجوع إلى الصباح، ليرتب أمر ضربهم على مقتضى الكفاح فإذا بمن
بقي في مكان القصر فر منه وتركه بلقعا، ولم يبقوا منه فردا ولا جمعا.

فأمرنا بهدمه فهدم حتى صار دكا، ولم يترك له صورة ولا تركيبا، وأبقيناه عبرة لمن اعتبر، ولكل من له عقل مزدجر، فى كل ورد وصدر.

وذلك بعد أن أخرجت ذخائره. واغتنمت أوائله وأواخره فكان بحمد الله فتحا مبينا. وظفرا وتمكينا. هذا ولم يكن لنا غرض فى قتالهم فى ذلك اليوم لولا ابتداءهم به ولكن الله خذلهم ومزقهم وبددهم ونحن على نية استئصالهم بحول الله بعد فإن القبائل التى أمرنا باجتماعهم عليهم وهم خدامنا زيان وشقيرن وآيت يحيى وآيت يحمد وآيت يزدك وآيت حديدو أجلناهم بذلك أجلا كاد إلى الانصرام وحيث تجتمع تكون النهضة إليهم دفعة، والجلبة عليهم متحدة لتكون عليهم شر وقعة، والمرجو منه سبحانه أن يمكن منهم حتى لا تبقى لهم قائمة ويمحو من دواوين القبائل أسماءهم ويصير رسومهم دارسة، ومع هذا فإننا لا نعتمد إلا على خالق القوى والقدر المؤيد لعبده، الناصر لجنده، إذ لم يعودنا سبحانه إلا الجميل، ولم نعترف من فضله إلا الظفر الذى هو به كفيل والله سبحانه يتولى أمورنا وأمور المسلمين، ويمكن من القوم الظالمين، فإنه سبحانه بعباده بصير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وحيث كانت السببية لكم بإعلامكم بياكورة الفتح الذى امتن الله به عنوان وجهنا فى هذا الفتح الثانى لمكناس ستة عشر رأسا من رءوس الفساد الذين اقتحم هذا القصر عليهم والسلام فى ١٨ شوال عام ١٣٠٥هـ.

وبهذا التاريخ وبنفس الألفاظ والمعانى كتب لخليفة القائد حم بن الجيلانى باشا مكناس إلا أحرفا قلائل.

ثم نهض المترجم من بولعجول وسار إلى أن خيم بعين سرور التى كانت بها واقعة السلطان مولاي سليمان المشار لها فتقدمت له من قبيلة شقيرن فرقة يقال لها آيت شخمان، وطلبت منه أن يرسل معها شرذمة من الخيل لتستوفى منهم ما

بذمهم من الواجب الشرعى، وقد أظهروا من الطاعة ما لا مزيد عليه، وهم على دخل مصممون على الغدر والأخذ بالثأر لإخوانهم بنى مجيلد، فأسعف المترجم رغبتهم وعقد لابن عمه البركة الفضال مولاي سرور بن إدريس بن سليمان السلطان المذكور سابقا والمترجم فيما يأتى بحول الله ووجهه معهم.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بالمحل المعروف باغبال تسردنت، وهناك وجد المهراس الصينى الكبير الذى كان بقى ثم من عهد السلطان أبى الربيع سليمان فى الوقعة المنبه عليها آنفا، فأمر المترجم بحمله لمكناس، ثم نهض وسار إلى أن خيم بالمحل المعروف بجنو، وهناك بلغت واقعة مولاي سرور، وذلك أن مولاي سرور لما ذهب مع آيت شخمان فى تلك الشردمة من الجيش ووصل لحلتهم، أظهر الشخمانيون له من الفرح والابتهاج والرضوخ للطاعة ما دلوه به ومن معه من الجيش بغرور، ففرق تلك الجيوش على حلتهم مظهرين غاية الاعتناء بهم وأنهم يريدون ضيافتهم، ولم يتركوا مع الشريف المذكور غير نفر قليل، ولما جن الليل قتل كل من عنده، وأوقع البارود وقتلوا الشريف حسبما يأتى تفصيل ذلك فى ترجمته.

ثم لما بلغ ذلك الخبر المحزن للسلطان اشتد غيظه وأنهض الجيوش للإيقاع بهم والإتيان بهم ناكسين على الأعقاب، فلم يجدوا لهم أثرا حيث إنهم لما فعلوا فعلتهم الشنيعة هربوا ودخلوا الكهوف والأوعار، فهدمت أبنيتهم واستؤصلت أمتعتهم، وحصدت زروعهم، وغض الطرف عن اقتفاء أثرهم وهو يتربص بهم الدوائر حيث إنه فى وسط أرضهم، وجل من معه منهم لا تؤمن غائلته.

ولما شاع أمر ما أجرموه وذاع، وملا الأفواه والأسماع. كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس مولاي إسماعيل بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاي إسماعيل، وبعد: فبعد ما أعلمناكم بأن مرورنا على طريق زيان، فنهضنا وسرنا في عز وظفر وسكينة، وكانت قبيلة آيت شخمان ممن ورد على حضرتنا الشريفة، وأعطوا يد الانقياد، وولينا عليهم عاملين وتلاقوا وأهدوا ووظفنا عليهم ما وظفنا على غيرهم من قبائل البربر، واقتضى نظرنا الشريف توجيه طائفة من الخيل والعسكر بقصد إزعاجهم لتنفيذ ما وظفنا عليهم حذرا من التطويل، إذ كان مقصودنا إدراك عيد الأضحى بالمدينة، ثم إنهم أى آيت شخمان دخل فيهم شيطانهم المهاوشى ونفت فى روعهم غدر من وجهناه إليهم فاحتالوا لذلك وفرقوا الخيل على الدواوين والمداشر، بقصد الإتيان بالموظف.

وكنا وجهنا مع الخيل المذكورة ابن عمنا مولاي سرور فبقى مع طائفة من الخيل، ثم لما ناموا غدروهم فضربوهم بالبارود. ونقضوا العهود. وخانوا الله ورسوله والمؤمنين، فكان من قضاء الله وقدره موت ابن عمنا المذكور، وحيث بلغنا ذلك وجهنا لهم العسكر والمدافع والقبائل وأمرناهم باستئصالهم، فلم يجدوا منهم أحدا. فحرقوا قصورهم ولم يتركوا لهم فيها سبدا ولا لبدا.

ثم كتبنا لسائر عمال البربر جوارهم من ناحية الصحراء وأمرناهم بالإحداق بهم وسد الفرج التي منها يفرون، وأكدنا عليهم فى ذلك، وعمما قريب يقضى فيهم الغرض بحول الله ولا نبرح عنهم بعون الله إلا إذا أرهاقهم الله بسطوته وتناولهم أيدي الجيوش والقبائل، وأبقيناهم عبرة للمعتبرين. وإن الله لا يهدى كيد الخائنين. والسلام فى ٢٠ قعدة عام ١٣٠٥.

ثم بعد ذلك كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس أيضا بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاي إسماعيل وبعد فما كنا أعلمناكم به من غدر آيت شخمان ومدهم يد الطغيان. بعدما أعطوا يد الانقياد. وكنا وعدناكم بأننا لا نبرح عنهم إلا إذا

استأصلتهم سيوف الله فى ذلك الناد. وجهنا الطلب فى أثرهم حيث فروا
للصحراء. ودوخنا بلادهم سهلا ووعرا. فلم يقفوا وتاهوا فى البيداء، وتلونا قول
الله سبحانه: ﴿... أَيَّمَا تُقْفُوا...﴾ [الآية ٦١ من سورة الأحزاب] فلم يكن
إلا هدم قصورهم. وإعفاء آثار رسومهم. حتى صارت دكا. بعد استخراج
خباياهم وزرعهم وأسلحتهم وأمتعتهم وصارت للجيوش ملكا.

وكتبنا لسائر جوارهم من قبائل الصحراء. بضربهم وقتلهم أينما وجدوهم
حتى لا تظلمهم سماء، ولا تقلهم أرض ولا يجدون جرعة ماء.

ثم إن طائفة من شقيرن يقال لهم آيت يعقوب اعيسى، بلغنا أنهم حلفاء
آيت شخمان. وأنهم آووا طائفة منهم بأموالهم ومواشيهم وبعض من الأعيان.
كأنهم منهم على قاعدة المستجير الولهان. وكنا ولينا عليهم أيضا عاملين وأعطوا
يد الانقياد ظاهرا. وأنهم لم يبق منهم إلا من كان للصلاح مسامرا.

وحيث تحقق لدينا أن ذلك عن غش وخذلان. ومرض قلب لا عن صفاء
طوية واطمئنان، حيث آووا فسدة آيت شخمان. رعيما لما بينهم من الإخاء القديم
على الفساد والطغيان. وجهنا إليهم عددا من قبائل البربر. وأحدقوا بهم إحداق
من أطاع الله وبر، وأتبعناهم بالعساكر المنصورة، والجيوش الموفورة، فلم يكن إلا
كلمح البصر أو هو أقرب حتى قطعوا منهم رءوسا، واستأصلوا من أعيانهم
نفوسا. وقبض على نحو ثلاثمائة من المساجين وكانت وقعة شفيينا بها الغليل،
وتداوى بها العليل، فإنه سبحانه لم يعودنا إلا الجميل وهو الفاعل المختار. الذى
بيده النواصى والمقاليد فى الإيراد والإصدار، وها الرءوس توافيكم وعددها اثنان
وعشرون، فتعلق ثلاث ثم توجه لمكناس للخليفة هنالك والسلام فاتح حجة عام
١٣٠٥هـ.

هذا كله والمترجم مخيم كما تقدم بالمحل المعروف بـ «جنو» ثم نهض وخيم
بالاعريض وبه أوقع بآيت يعقوب وعيسى بإغراء من القائد محمد احم الزيانى.

ولا شك أن هؤلاء العتاة البغاة محاربون يجب قتالهم ويقدم على قتال الروم يتبع منهزمهم ويقتلون مقبلين ومدبرين ومنهزمين، وليس هربهم توبة تدرأ عنهم القتل على قول سحنون خلافا لابن قاسم، انظر المواق، وإذا أخذوا قبل التوبة لزمهم الحد، وهو ما نص الله تعالى عليه في محكم وحيه بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٣].

ولا يسقط حق الحرابة على من ثبتت حرابته إلا التوبة قبل القدرة عليه، ثم لا يسقط بعد حق الأدميين، ولا خلاف يعتبر في أن المحارب هو القاطع للطريق المخيف للسبيل الشاهر للسلاح طالبا للمال، فإن أعطيه وإلا قاتل عليه. انظر منتقى الباجي.

وقد قال ابن المواز: لم يختلف قول مالك وأصحابه في إجازة قتال المحاربين وأن من قتلوه فهو خير قتيل، ومن قتل منهم فهو شر قتيل.

وقال مالك وابن القاسم: غزوهم غزو.

وقال عنه أشهب: من أفضل الغزو وأعظمه أجراً.

وقال مالك في أعراب قطعوا الطريق: غزوهم أحب إلى من غزو الروم.

وقال ابن القاسم: وإذا قتل الواحد منهم قتيلا فقد استوجب جميعهم القتل ولو كانوا مائة ألف إذا كانوا رداء له وأعوانا، وقد صرح ابن الحاجب وغيره بالاتفاق على قتالهم ووجوبه على من قدر عليه.

ومن كان معاونا للمحاربين كالكمين والطليعة فحكمه حكمهم ويدخل في قوله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» والغدوة لقتال المحاربين.

وقال ابن عرفة: لا ينبغي لمسلم مخالفة في قتال المنتصين لقطع الطريق وسفك دماء المسلمين وأكل أموالهم، وكذلك استباحة أموالهم واتباعهم في هروبهم والإجهاز عليهم، لا يشك في ذلك إلا مغرق في الجهل ومعاند للحق، قال: وذلك عندي كفر لأنه منكر لما علم من الدين ضرورة إن كان يعلم وصفهم المذكور.

هذا ولما استوفى المترجم غرضه من إقماع المعتدين وتبديد جموعهم وكسر شوكة عصبيتهم طبق ما اقتضته السياسة إذ ذاك، نهض إلى أن وصل إلى دار القائد محمد احم المذكور بادخسان، وهناك أقام سنة عيد الأضحى، ثم بعد انتهاء حفلات أيام العيد نهض في جيوشه الجرارة ولم يزل يوالى السير إلى أن حل بالعاصمة المكناسية صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر حجة متم عام ١٣٠٥.

فكانت جميع أيام هذه الحركة ثلاثا وتسعين يوما ثلاثون يوما منها ظعن، وثلاث وستون يوما إقامة، أولها يوم الأحد خامس عشر رمضان وآخرها يوم الاثنين التاسع من ذي الحجة قطعت أيام السفر منها في اثنين وسبعين ساعة وخمسين دقيقة:

ولما حل المترجم بمكناس أقام به اثنين وأربعين يوما ثم نهض لفاس ووفدت عليه الوفود لتهنئته بمقفله من حركة بنى مكيلد في ضمنهم الوفد الرباطي ومعهم قصيدة العلامة الشهير شيخ الجماعة بذلك الثغر أبى حامد سيدى المكى البطاورى في التهنئة وهى:

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| سعادة الملك مسعد بها الوطن | وعزة النصر موصول بها الزمن |
| ومن يكون إله العرش ناصره | أقلت إليه القيادة الشم والقنن |
| والله يحفظ مولانا ويحرسه | حتى يغص عداه أينما قطنوا |

خص بعز الورى سيدنا الحسن
ك المسلمين جميعا أينما وطنوا
منوه الذكر تستعلى به اللسن
ما ناله أحد ما حازه وطن
بها المكارم وانهلث بها المزن
يقظان عزم إلى أن نامت الفتن
بالأمن فاتصلت بقطره الهدن
روضا أريضا بكل نبعة فن
وأعدم العدم والأكدار والمحن
والناس فى دعة أمن ولا دخن
والملك بالنصر والتأييد مقترن
رأى سديد إذا ما حارت الفطن
سيره حكم أفعاله سنن
مظفر الجيش منصور اللوا يقن
أحد إلا وفى نعماء مرتهن
لأنه للورى روح وهم بدن
وهل ييارى الذى إنعامه الهتن
والجود والبذل والإنعام والمن
سمح حلیم عفيف كيس فطن

ألية بالصفاء والمأزمين لقد
أعز ذا الغرب ملكا بل أعز ملو
فى كل قطر من الدنيا اسمه علم
لنا الهناء فهذا الفخر من عظم
أيامه الغر أعياد الورى انسجمت
ما زال منذ ولى والله يكلؤه
وشيد المغرب الأقصى وزينه
ومهد الملك تمهيدا وصيره
وعمت الخلق أنعم مواصلة
فالدين فى سعة والكفر فى ضعة
والعصر مبتهج والحق متتهج
تدبير شهم له فى كل معضلة
مجدد العصر محبى الدين شمس هدى
معتضد بالتقى بالله معتصم
محبب فى قلوب الخلق كيف ولا
كل يفديه بالأرواح مجتهدا
من ذا يياريه فى مجد وفى كرم
العفو سيرته والصفح شيمته
بر جواد شجاع سيد نزه

قد استوى عنده الإسرار والعلن
فالأسد فى غيلها من خوفه تهن
وعين حزم وعزم ما بها وسن
وزال عن درن بوطنه الدرن
لما غدت فى عداد الجند تحتجن
تابوا وأموا على حضرته أمنوا
هيهات لا وزر يحمى ولا حصن
همته أو تقيه البيض والجن
لو مدها نحو دهر قاده رسن
متن العباب بها ما احتيجت السفن
ديار كفر بها لم يعبد الوثن
عنت لسطوته الأقيال والعن
بغر أنبائها تشنف الأذن
وبالندى والحيا والمجد قد زكنوا
ما فاز قط بها شام ولا يمن
فإنها للورى عز ومؤتمن
ونصر رايته ما اتصل الزمن

فراصة صدقت فى كل نازلة
وهيبة جلل الآفاق موقعها
وسطوة بهرت والنصر يصحبها
ساس الرعية من سوس وبربرها
ذلت مكيلد بل عزت بطاعته
خوفهم بعضا الشرع المطاع فمذ
ظنوا حصونهم والوعر يمنعم
أنى يقل مكان من أناط به
كيف وهمته بالله نافذة
ولو أراد مسير العاديات على
ولو رمى بسديد سهم همته
الله أولاك ملكا شامخا بهجا
هذى السعادة عين الله تكلؤها
من معشر بالتقى والعلم قد عرفوا
هم أهل بيت رسول الله بهجتهم
هم الملوك أدام الله دولتهم
دامت سعادة مولانا وعزته

وأقام بفاس إلى يوم الاثنين السابع عشر من شوال عام ستة وثلاثمائة
وآلف. فخرج منها وخيم على قنطرة وادى سبو من بلاد الحياينة، ومنها لقبيلة

رغوة فسنهاجة فمتيوة فمزيات فبنى زروال فالعين الباردة فحولان من بنى مسارة،
وهناك أقام سنة عيد الأضحى، ثم نهض لقبيلة بنى أحمد فغزاوة فالأخماس
فباب تازا فمدينة شفشاون فبنى حسان، ثم زار تربة الولي الصالح أبى محمد عبد
السلام بن مشيش فكسا ووصل وواسى، ثم سار على بنى حزمارة إلى أن دخل
مدينة تطاون يوم الأربعاء ثامن المحرم فاتح سنة سبع وثلاثمائة وألف، وأقام بها
نحو الخمسة عشر يوماً، قابل فيها وجهاء وجوهها وتفقد أحوالها وزار صلحاءها
وأنعم على أهلها بعشرة آلاف ريال لبناء قنطرة واديهم، وبكل أسى وأسف لم يقع
اعتناء بإتقان بنائها فاضمحلقت فى أقرب وقت، وذهبت العدة التى صيرت عليها
أدراج الرياح، كما أنه أنعم على جسده وعساكره بالكسوة.

ثم بارح تطاوين ووجهته طنجة فدخلها يوم الأحد سادس عشرى محرم
المذكور، وأقام بها تسعة عشر أو عشرين يوماً، وكان يوم دخوله إليها يوماً
مشهوداً، ومن أعظم المواسم والأعياد معدوداً، واستقبله سكانها على اختلاف
طبقاتهم بغاية الفرح والإجلال والإكبار، فتنفقد أبراجها وصقائلها وأتت لتحيته فيها
قطع من الأسطول الإنجليزى المرابط بجبل طارق.

ولما قضى وطره منها نهض متوجها على الغربية فثغر آصيلا وكان حلوله به
يوم السبت السادس عشر من صفر العام، وأقام بها يوماً طاف فيه على الصقائل
والأبراج، ثم سار على طريق الساحل ومر بقبيلة الخلط، وبعد صلاة العصر عبر
وادي لكس من مشرع النجمة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر المذكور،
وبمجرد عبوره مع بعض الخاصة من حاشيته امتلأ الوادى وتعذر على المحلة عبوره
فبات المترجم بعدوة وبقيت المحلة بالعدوة الأخرى، ومن صبيحة الغد عبر باقى
المحلة ولحق بالمترجم وتوجه لمدينة القصر الكبير بقصد زيارتها، ثم رجع من يومه
للمحلة، ثم توجه لثغر العرائش ودخله دخول عز وإجلال يوم الخميس الحادى



السلطان مولاي الحسن في موكبه في صلاة الجمعة

والعشرين من صفر المذكور، فتفقد الأحوال والصقائل والأبراج، ثم بارحها يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهر المذكور، ولم يزل يوالى السير إلى أن حل بالعاصمة المكناسية يوم الأحد فاتح ربيع النبوى من العام.

فكانت مدة هذه الرحلة مائة وسبعا وثلاثين يوما، منها أربعون يوما ظعنا قطعت فى مائة وثلاثين ساعة وخمس وثلاثين دقيقة وإقامة تسع وثلاثين يوما.

وفى يوم الأربعاء رابع ربيع المذكور بارح مكناسة ووجهته فاس فدخلها من غده الذى هو الخميس خامس ربيع وأقام بها اثنين وثلاثين يوما، ثم بارحها يوم الاثنين الثالث عشر من شوال ودخل مكناسة يوم الأربعاء الخامس عشر منه، ونهض منها يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة، وخيم بالمحل المعروف بدار أم السلطان، ومن ثم لعين عرمة فاربعاء وادى بهت فولجة العكارى فضاية رومى فتفلت فسيدى علال البحرأوى فالعرجات فقرميم، ثم رباط الفتح فغبولة فسيدى يحيى من بلاد زعير ففدان الناموس فبزار فابو الضراضر فعويد الماء فالكيسان فصخرة الدجاجة من بلاد ورديفة فبيار امزوى فسيدى محمد البصير من بلاد بنى زمور.

ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن دخل عاصمة الجنوب مراكش الحمراء يوم الأحد رابع ربيع النبوى عام ثمانية وثلاثمائة وألف.

فكانت جميع أيام هذه الحركة مائة وأربعين يوما الظعن فيها ست وثلاثون يوما قطعت فى مائة وثمانية عشر ساعة والمقام مائة ساعة وأربع سوائع وعشر دقائق.

وأقام بمراكش إلى أن بارحها صبيحة يوم الاثنين ثامن قعدة ووجهته مكناسة ولم يزل يظعن ويقيم حتى أدركه عيد الأضحى بصخرة الدجاجة فأقام بها سنته وهنالك لحقت به محلة الشاوية.

وبعد انتهاء حفلات العيد عقد لنجمله المولى العباس على محلة الشاوية المذكورة ووجهه بها بقصد شد عضد العمال فى استيفاء الزكوات والأعشار المترتبة فى ذمهم .

ثم نهض المترجم وسار إلى أن وصل المحل المعروف بالشبيكة فأوقع ببني خيران، وذلك يوم الجمعة سابع عشر حجة ثم فى يوم الجمعة رابع عشرى الشهر أوقع بالخلاليف وبني اورا فرقة من الزيادة .

ثم فى يوم الخميس فاتح محرم عام تسعة وثلاثمائة وألف أوقع بالعرب أمر نجله مولاى العباس المذكور وكبير محلة الغرب ولد أب محمد الشركى بالنزول عليهم بمحلتيهما والتنكيل بهما، ولولا أن عامل الرباط الأنصح القائد السوسى تشفع فيهم للجلالة السلطانية لقطع دابرهم من لوح الوجود .

وفى يوم الثلاثاء سادس محرم المذكور حل برباط الفتح وأصدر أمره المطاع لنجمله مولاى العباس بالنزول مع محلة الباشا ولد أب محمد بقصبة بوزنيقة ولمحلة الشاوية التى كانت مع نجمله المذكور بالقدوم للرباط وأقام هو به تسعة عشر يوما .

ثم نهض منه يوم الاثنين سادس وعشرى الشهر وسار وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر أوقع ببرابر بني مطير وآيت شغروشن ومزقهم كل ممزق ثم أوقع بفرقة من قبيلة رمور الشلح وقعة شنيعة انجلت عن إنابتهم .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر حل بالعاصمة المكناسية وأقام بها تسعة عشر يوما فى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول نهض منها قاصد فاسا فدخلها يوم الأربعاء عاشر الشهر .

فكانت مدة هذه الرحلة تسعين يوما كان الظعن فى أربعة وأربعين يوما منها والمقام ست وأربعون يوما .

وفى جمادى الأخيرة من السنة كتب وزير الخارجية ليهود مراكش كتابا نصه
بعد الحمدلة والصلاة:

«من عبد الله تعالى وزير الأمور البرانية بالحضرة العالية أعز الله أمرها وأبد
فخرها إلى كافة يهود ملاح مراكشة أخص منهم حزانة جموعهم وأساقفتهم
وتجارهم وأعيانهم.

أما بعد: فقد بلغ لشريف علم حضرة سيدنا العالية بالله أعزها الله أن
عاملكم القائد محمد ويدة السوسى لم يحسن السيرة معكم وعاملكم معاملة غير
مليحة وشدد عليكم فلم يلق ذلك بسيدنا نصره الله ولم يعجبه لأنكم أهل ذمته
ومن رعيته.

فلا يحب أيده الله أن يقع لكم تضيق أو ظلم من أحد أو معاملة بمكروه،
وإنما يحب أن تكونا فى أمن وأمان من ذلك وعلى حالة مليحة وفى عيشة مرضية
وعز به الحال دام تأييده ونصره حيث بلغه ذلك عنكم من عند الناس، ولم يبلغه
من عندكم إذ كان من حقكم أن تكتبوا لأعتابه الشريفة بالإعلام بذلك كما يكتب
بعض تجاركم ومقدميكم لها فى الأمور.

وقد أمرنى نصره الله بالكتابة لكم بأن تكونوا تكتبوا لنا بما يقع لكم وذلك
لنظالم به علمه الشريف، كما أمرنى أيده الله بإعلامكم بأنه أصدر أمره الشريف
للعامل المذكور بأن يحسن السيرة معكم ويعاملكم بمثل ما يعامل به من إلى نظره
من المسلمين من الحكم عليكم فى الدعاوى المخزنية بما يقتضيه الحق فيها مثل ما
يحكم به على المسلمين ويجريكم مجراهم فى جميع الأمور من غير فرق، ويرد
دعاويكم الشرعية لأساقفتكم وحزانتكم ويمشى مع أهل الحماية منكم على مقتضى
الشروط والقوانين ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه
والتمام فى ٧ جمادى الثانية عام ١٣١٠.

ولم يزل المترجم مقيما بفاس إلى أن بارحها يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة منصرم العام ووجهته بلاد صالحى سلفه تافيلالت على طريق صفرو، وذلك بعد أن أصدر أوامره لنجله البار الأسعد الشريف الذافر المتبتل مولاي محمد بالنهوض والتوجه أمامه فبارح مراكش فى عاشر ذى الحجة المذكور.

ثم إن السلطان لم يزل يظعن ويقيم ويقارب ويسد ويرتق الفتوق إلى أن أدركه موسم المولد النبوى الكريم من عام عشرة وثلاثمائة وألف بقصر الريش من دار العيد بوادى زير، ثم سار إلى أن خيم بدار على بن يحيى المرغادى كعبة العتو وركن الفساد وأوقع القبض عليه يوم الخميس ثانى ربيع الثانى ووجه به سجينا لمراكش، كما ألقى القبض قبل ذلك اليوم على متمردة آيت احديدو ثم فى يوم الاثنين التاسع عشر من ربيع الثانى التقى المترجم بمحلة نجله الأسعد مولاي محمد، ومحلة الحوز التى جاءت تحت رياسته وذلك بقصر السوق من بلد آيت ازدك ثم بعد ذلك توجه صاحب الترجمة لزيارة صلحاء الصحراء ثم رجع وسرح آيت احديدو.

وفى يوم الثلاثاء سابع وعشرى الشهر حل المترجم بضريح جده الأكبر فخر بنى جلدته مولاي على الشريف وأقام هنالك سبعة عشر يوما أفاض فيها سجال العطايا وأجزل المواهب، فأعطى شرفاء مدغرة عشرين ألف ريال «مائة ألف فرنك» وجهها إليهم مع ولده المحبوب مولاي عبد العزيز وأعطى شرفاء تافيلالت عشرين ألف ريال أخرى، أرسلها إليهم مع ولديه مولاي عبد العزيز المذكور ومولاي بلغيث.

وقد أوضح معالم هذه الوجهة من فاس إلى سجالماسة فى كتاب بعثه لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخل خاتمه السليمانى «الحسن بن محمد الله وليه» وبزوايا الخاتم الست اسم الجلالة ثم

محمد فأبو بكر فعمر فعثمان فعلى ونجاء الزوايا: وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت
وإليه أنيب وبدائرته بيتا البردة ومن تكن إلخ ومن يعتصم إلخ:
«وصيفنا الأرضى الباشا حم ابن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله.

وبعد: فإن من صالح الرعاية التى شرح الله صدرنا إليها، وأبرز لنا فى
مظاهر اختيار الكسب قدرته عليها، أن ألهمنا سبحانه لهذه الوجهة المباركة
الصحراوية، لتفقد أحوال أهلها وتأسيس مصالحهم المرعية، وسنى لنا فيها سبحانه
من فتوحات النصر والظفر، ما لم تزل آثاره لدينا متجددة فى حالتى المقام والسفر،
جريا على ما عودنا سبحانه بحمده وشكره، من إمداد عنايته وجميل بره، إذ الكل
منه سبحانه وبه وإليه، ومقاليد التدبير فى عالم الكون بيده ولديه، فمنذ نهضنا من
محروسة فاس بجيوشنا المنصورة، ومواكبنا المظفرة بالله الموفورة، وبنودنا الخضر
السافرة، وعساكرنا التى لم تزل على التعاضد متضافرة، والأحوال بحمد الله
جارية على مقتضاها، ومآثر السعادة ترضى المؤمن ويرضاها، عن صدور أثلجها
الله بالانشراح، ومسرات مترادفة الهناء والأفراح، وآلات جهادية واستعدادات.
وآثار يمن يراها ذوو البصيرة من خرق العادات، إلى أن تخللنا من بلاد آيت يوسى
معاقلها، ورضنا بأزمة الاستصلاح قبائلها. فتلقوا جانبنا الشريف بتمام الخدمة
وحسن الطاعة، وقاموا بالواجبات والوظائف جهد الاستطاعة، مظهرين بمواطننا
الشريفة غبطة ومحبة وانسراحا. ومعتقدين بها فوزا وتيمنا ونجاحا، زيادة على
انتخاب فرض الحركة من أعيانهم لمصاحبة جيشنا السعيد، وقيامهم فى ذلك بالحزم
القوى والشرط الأكيد.

ثم نهضنا عنهم فى عناية الله المتوالية أياديها. المنبئة عن حسن الختام
مباديها. إلى أن خيمنا بمعاقل قبائل بنى مجيلد تخيما تعاهدنا به أحوالهم.

وأكرعنا به فى مناهل الصلاح شرخهم ورجالهم . فتبادروا لاغتنام السبقية بكمال الطاعة وصميم الالتزام، وقاموا بأداء الواجبات وحقوق خدمتنا الشريفة أتم قيام . وجددنا فيهم للاستقامة أساسا . ورتبنا أمورهم ترتيبا لم يبق فيها انتكاسا، ونهضوا بحركتهم لمصاحبة محلتنا المنصورة، متظاهرين فى الحزم والامثال بسيرة مشكورة .

ولما كمل منهم المراد، نهضنا عنهم بحول الله فى تمكين وظفر واستعداد، إلى أن ركزت مواكبنا السعيدة فى بلاد آيت ازدك راياتها . وأظهرت مآثرنا الحميدة فى قبائلهم آياتها، فخيمننا عليهم تخيما طبق بمحالنا الموفورة بلادهم، وتخلل بمغارس الصلاح أغوارهم وأنجادهم، فتسارعوا للتطرح على أعتابنا الشريفة . والاتجاء لظلالنا الوريفة . معلنين بالتوبة عما فرط منهم من المآثم والجناح . وراغبين فيما جبلنا الله عليه من الحلم والعفو والسماح، وملتزمين أداء الواجبات والحقوق، ومتحملين من تمام الطاعة ما لم يبق فيه احتمال نفار ولا عقوق، جنوحا لعدم القتال وسفك الدماء والوقوع فى الأرامل والصبيات، وذوى العجز من النساء والرجال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

فأما عليهم إذ حققوا ذلك بالعمل . ووفوا بكل ما وظف عليهم عن فور وعجل . مع استنهاض حركتهم لمتابعة ركابنا السعيد، وانتدابهم لامثال أمرنا الشريف فيما نريد، وصفحنا عنهم حيث صلحت منهم سريرة النجوى وأخذنا فيهم بقوله تعالى: وأن تعفو أقرب للتقوى، بعدما وجهنا شرذمة من أطراف جيشنا السعيد، لاستتصال أهل طوطورماس الذين قتل فى قصرهم الخديم ولد الطالب محمد اليوسى فلم يكن إلا كوقفة راكب، أو صرة حالب . حتى أخذتهم أخذا وبيلا . وكان فعلهم على انتقام الله منهم دليلا .

ولما قضى فى آيت ازدك بحول الله الغرض، واستوفى من جميعهم الواجب والمفترض، نهضنا عنهم محفوفين بما عودنا الله من العزة والتمكين، ومعتمدين

على حول ذى القوة المتين، إلى أن خيمنا على وادى ريز، مقابلين مواعد الرعاية بالتنجيز، فأقمنا به حتى قضينا حقوق مولد النبي الكريم. عليه أركى الصلاة والتسليم، وأحيينا ليلته بما رجونا وسيلة لرضوان الله الأكبر، وتحصنا بحماية صاحب اللواء والقضيب والمغفر، وتلاقينا هنالك بوفود القبائل الواردين للتهنية، ونالوا من بركة مشاهده الوسيمة ومواقفه الفخيمة غاية الأمانة.

ثم نهضنا بحول الله آخذين بمعهود الحزم والاستعداد حتى خيمنا بسمكات على متحصن قبيلة آيت مرغاد، فلم يفدهم إلا الانخراط فى سلك أهل الخدمة والإذعان والاقتراء بمن قبلهم فى إظهار حسن الطاعة وأداء الواجبات وطلب الأمان، وتسارعوا للتطرح على أعتابنا الشريفة جموعا وفرادى، والتزموا القيام بالواجبات والتمسك بالصالح رغبة وانقيادا، وتبرءوا ممن كان يثبطهم عن الامتثال حالا ومضيا. ويسول لهم ما لم يغن عنهم من الله شيئا.

ومن هنالك رددنا شرذمة لفرقة من آيت ازدك باوطاط، حيث بلغ لعلمنا الشريف ما ظهر فى انحرافها من الطيش والإفراط فصدمتهم صدمة وبال وحين وصيرت قصرهم معهم أثرا بعد عين وبسمكات أيضا أخذنا بخناق آيت حديدو الذين هم ملجأ آيت شخمان وإليهم يأوون عند الفزع والامتحان لكون ذلك المحل رباطا على صياصيههم ومأخذا لنواصيههم فانحل بنصر الله عقدهم وقل سناهم وحدهم وعاد عليهم بالوبال كيدهم ولم يسعهم إلا القدوم لأعتابنا الشريفة حيث استنزلسناهم، والمبادرة إلى الإجابة لما أمرناهم به وألزمناهم، ولما طالبناهم باتباع قولهم بالعمل، فى أداء ما وظفناه على قبيلتهم بعد ضرب الأجل، صاروا يركنون لحيز المطال ويأنسون بأمانى التسويق والإمهال.

وحيث بلغت المعذرة فيهم حدها ولم يرتكبوا من الأمور جدها. أعرضنا بوجه الملاطفة عنهم. وقبضنا على أكثر من المائة رجل منهم. فلم يعتبروا فيما

كانوا فيه حيارى . حتى عادوا فى الأغلال أسارى . ولم يتنبهوا لمسلك الإرشاد . حتى أصبحوا مقرنين فى الأصفاد . لكونهم سلكوا طرائق ، ما فيها رائق ، وظهرت منهم خلائق ، كان غيرها بهم هو اللائق .

وبعد ذلك نهضنا بهم فى سطوة من الله ونصر ، متعرفين من أيديه ما لا يدخل تحت حصر . متخللين أعماق الشواهد من أقاصى جبال درن . حتى خرجنا منها لفسيح الصحراء خروج عزٌ قد اتصل إسعاده بحول الله واقترن . فخيمننا فى بسيطة تداغوست بجيوشنا الجرارة ، وأصبح فضاؤها بمحالنا المفورة عمارة .

وعندما ضربت هنالك أختيتها الميمونة وقبابها . ومددت بأوتار الظفر والثبات أطناها ، تلقانا القاطنون بها من بقية آيت مرغاد المتطرفين ، وتبادروا لأداء حقوق الطاعة ملتزمين ومعترفين ، وتوارد علينا أهل تلك النواحي طلبة وشرفاء وكبراء وأعياننا ، وشيوخا ورجالا وصبيانا ، مظهرين غاية الفرح والابتهاج ، وناهجين فى مسالك الانحياش والالتجاء أبلغ الانتهاج ، ومستابقين لتقبيل مواطننا التى جعل الله العز فى تقيلها ، والسعد فى اتباع سبيلها بعد أن أظهروا من الإذعان والخدمة ما كان لنفوسهم أمانا ، ولقلوبهم سكونا واطمئنانا ، إلا ما كان من ابن يحيى المرغادى . الذى كان رأس النفاق ، وموئل أهل الشقاق بذلك النادى ، فقد قبضنا عليه فى وسط حماه . حيث أوقعه فى شرك الشبور عماء . فكان كما انتضى من غمده نصله . وبكاه بدمع الثكلان أهله . ولكن رب بكاء وتصلية . خير من مكاء وتصدية ، ومن أرسل نفسه مع الهوى ، فقد هوى فى هوى ، وبعثنا به بعد قبضه لمراكش مقيدا ، إراحة من شؤمه ، وعقوبة على ما فرط منه وبدا . وما زالت سنة الله فى مخلب المعصية أن يقص بالندامة . وفى جناح الطاعة أن يوصل بالإدامة .

وانتخبنا إذ ذاك من أهل الوطن من يصلح بهم من العمال . فوليناهم عليهم ولاية صلاح تصونهم عن مسارح الإهمال ، وانتدبوا لأداء ما لزمهم من الواجبات والكلف ، بعد أن كانوا منها على خطر وتلف .

وبعد تأسيس صلاحهم وتلافيهم . وقضاء غرضنا الشريف بحول الله فيهم .
نهضنا عنهم محفوفين بمواد السعادة والإقبال . ومعتمدين على القوى المتعال . إلى
أن خيمنا على قبائل آيت عطة بقصر السوق . تخييم سعد تبهر مظاهره وتروق .
وهناك تلاقينا بحركتهم مع أهل الصحراء والوافدين من توات وبجيوشنا السعيدة
المراكشية والقبائل السوسية وقبائل الدير والقبائل الحوزية الوافدين مع ولدنا مولاي
محمد أصلحه الله من جهة سوس على نواحي تدغة وغريس .

فكان الاجتماع بهم جمع تعضيد للصلاح وتأسيس . ثم نهضنا بهم من
هناكم إلى وطن مدغرة المباركة فخيمننا بامسكى . فى نعم متوالية تقصر الألسنة أن
تصف بعضها وتحكى ومنه وجهنا ولدنا مولاي عبد العزيز أصلحه الله للملاقة
شرفاء أهل مدغرة وتوفيتهم بصلة البرور المعتادة . بعد أن ضعفنا لهم القدر الذى
نصلهم به كل سنة تضعيف تنمية وزيادة . فزدناهم على المعهود خمسين ألف مثقال
تكملة لمائة ألف مثقال وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال .

ثم نهضنا للتخييم على بلاد الصباح . فانتشرت أجنادنا الوافرة ببلادهم
انتشار عمود الإصباح . وجاست مواكبنا السعيدة خلال نخيلهم وأوديتهم وأثارت
سنايك الخيل نقع بساتينهم وأنديتهم ، فتلقوا شريف جنابنا خارج قصورهم
برجالهم ونسائهم وأهل زواياهم ، وأحسنوا فى إظهار خدمتهم وأداء واجباتهم .
ودفع هداياهم .

ومنهم كان نهوضنا لتافلالت المباركة فخيمننا بمركزها المنيف ، وحططنا الرحال
الموفورة حول نخيلها الباسقات ، وأحدقت مضاربيها الغراء بتلك البساتين
المتناسقات ، مصحوبين بجميع تلك الجيوش التى لا يأتى الإحصاء بفضل الله
عليها ، ولا يكاد يضاف حصر العدد إليها ، وخصوصا حركة آيت عطة المنتخبة
الفرسان والأوصاف المشتملة على نحو الستة آلاف ، مع من ذكر من حركة آيت
مرغاد بعدد له بال ، وحركة آيت ازدك الكبيرة المعتبرة الخيل والأبطال .

وعندما شارفنا تلك المواطن الميمونة السنية وواجهنا معالمها بخواق البنود والألوية، تسابق أهلها لشريف لقيانا وأكبوا على ركابنا الشريف شرفاء وطلبة ورجالا ونسوانا، معلنين بضمائر المحبة والاشتياق ومظهرين من كمال الفرح ما لا يوصف حده ولا يطاق، وكذلك جميع أهل الزوايا وأصحاب الأحوال، فكل طائفة تلهج برنات السرور، وتضرب آلات الأفراح وتنتشر أعلام الإجلال. حتى أسفرت أيام المسرات هناك عن أبهج المباسم، وغدت من أيام الأعياد والولائم والمواسم، وأقمنا هنالك بقصد الاستراحة والزيارة ومشاهدة آثار أسلافنا الكرام التي لم تزل على جلاله مآثرهم أمانة. حتى عاينا معالمهم المنيرة وأصبحت العيون بفيوض بركاتهم قريرة، وتعاهدنا أملاكهم وأصولهم الأثيلة، وقضينا المتعين من حقوق المراحم الطيبة الجليلة، ووجهنا ولدنا الأَرْضَيْنَ مولاى عبد العزيز ومولاى بلغيث أصلحهما الله لتوفية الشرفاء أقاربنا وأبناء عمنا بصلتهم المعهودة لهم بعد أن زدناهم عليها خمسين ألف مثقال تمة لمائة ألف مثقال أيضا، وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال صلة، تحمد وترضى مراعاة لحقوق القرابة الشريفة، التي حض الله ورسوله عليها، ونص فى كتابه الحكيم على نسبة التنزيه والتطهير والتعظيم إليها، وزيادة برور حيث قدمنا لتلك المواطن المباركة وحللنا لديها، وها نحن لما قضينا فى سجالمة بحول الله المرام. واجتمعت مصالحها الغائية بحلولنا الشريف جمع الأهله بالتمام. شددنا رحال الأوبة متوجهين لمراكش الحمراء، ومتحدثين بنعمة الله سبحانه حمدا وشكرا.

وعند ذلك كتبنا لكم هذا المسطور الكريم. لتعلموا ما سناه الله لنا من فتحه العميم. وتأخذوا حظكم من الفرح والسرور. وتقيموا نزهة الشكر إظهاراً لنعمة الله ويمنه الموفور. وتحمدا لله على فتوحه الكفيلة برعاية الإسلام. التى دل حسن ابتدائها على حسن الختام، ونسأل الله تعالى أن يحفظنا بدوام حفظه فى المقام

والمسير . ويجعلها أوبة موصولة بالسلامة والغنيمة واليسير . وأن يديم إجراءنا من جميل صنعه وخصوصياته على ما تعودناه . ويكنفنا بكنف عنايته ويوقفنا وإياكم لما يرضاه ، آمين والسلام فى ١٥ جمادى الأولى من عام ١٣١١ .»

ثم نهض يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ووجهته الحضرة المراكشية وسار على طريق الفايجة يظعن ويقيم إلى أن حل العاصمة الجنوبية مراكش الحمراء يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الثانية .

فجميع أيام هذه الرحلة أعنى من تافيلالت إلى مراكش خمسة وعشرون يوما ، كان السير فى واحد وعشرين يوما منها قطع فى سواتع سبع وثمان وعشرين دقيقة ، وكانت مدة المقام أربعين يوما .

وكتب لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى بشرح الأوبة كتابا نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١» :

«وصيفنا الأَرْضَى القائد حمّ بن الجيلالى ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد قدمنا لكم الإعلام بما هياه الله لنا فى هذه الوجهة الميمونة من جزيل إمداداته ، وسوابغ نعمه وآلائه ، وباهر فتوحاته ، وشفنا مسامعكم بشرح ما أظهره الله فيها من الخوارق . ولاح من البوارق . إجراء على ما عودنا سبحانه من مواهبه وإقباله ورفده . وما النصر إلا من عنده .

وأعلمناكم بأننا نهضنا من إقليم سجلماسة بعد قضاء المناسك . وتحصيل الغرض مما هنالك . ثم بعد ذلك توجهنا محفوفين من الله بجنود الحفظ والسلامة وهواتف البشرى تهتف من كل ناحية بالميامن المستزادة . فمررنا بواسط بلاد اعراب

الصباح . وتخللنا الروابي منها والبطاح . وأهلها مصاحبون لركابنا الشريف بحركتهم وخيولهم فى انبساط وانسراح . بعد أن قاموا بمثونة المحلة السعيدة . ودفعوا ما عليهم من الواجبات وشفعوها بهدايا عديدة .

ثم حللنا بقصور غريس وفركلة التى هى قاعدة آيت واحليم من آيت عطة . فأظهروا من الفرح والقيام باللوازم المتعينة ما دل على نصحتهم فى الخدمة والطاعة . ولم يقصروا جهد الاستطاعة .

ومن هناك وجهنا حراك قبائل الغرب لحالهم مشابين ، وبرضا الله وخاطرنا الشريف ظافرين ، بعد أن أبلوا فى طاعة الله البلاء الحسن ، وسعوا فيها بكليتهم مطيرين عن مقلهم الوسن .

ثم نهضنا وخيمنا ببلاد تدغا وآيت يحيا فتلقونا بسرور وابتهاج متسارعين لأداء المفروضات والميرة والهدايا ، عادلين عن سبل الاعوجاج وبعدهم نزلنا بدادس ، فتجلت فيه من المنا عرائس ، وقام أهله باللوازم كذلك بوجوه طلاقة غير عوابس .

ثم دخلنا فى قبائل الفائجة ، فتلقانا أهلها وصدورهم بالفرح ماثجة . وأول من تخللنا أرضهم منهم أهل اماسن وسكورة وآيت بودلال وورزازت ، وحادى البشائر يحدو بالنصر والظفر والمسرات ، ومنهم إلى اتلوان وآيت زينب ووزكيته وآيت امنى ثم تلوات . وجميعهم قاموا بالوظائف والضيافات وأدوا النوافل والمفروضات .

ثم أقبلنا على جبل درن فإذا هو فى الجو شاهق متعمم بالثلوج ، لا يستطاع فيه دخول ولا خروج . ولا يفهم فيه على البديهة من أين يكون الولوج يحاكى فى الارتفاع سد يأجوج . تتحير الأذهان من رؤيته . وتضطرب القلوب عند نظرتة . ويسبح الله لهول خلقتة ، وتعاظم عظمتة ، لا تفهم مسالكه ، ولا تدرك مداركه .

فاستعنا بالله على عبوره، وشرعنا فى صعوده ومروره. بعد أن رتبنا الجنود والعساكر ترتيبا، وجعلنا منهم للدخول فيه مقدمة وساقة فكان تكييف ذلك عجيبا، واقتحمناه فى دائرة الحفظ وسرادق العناية على جناح التسهيل، والألطف الخفية مشاهدة ممن عليه الاعتماد والتعويل.

وسرنا على طريق وادى ابى المواهب والمدد المتوالى، سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله فى وروده لمراكش من سجالماسة، فحصلنا والحمد لله على فائدتين: سهولة الطريق، وزيارة الولى المذكور وقضينا منها حقا متعينا، وولنا من بركته قسطا وافرا وسرا بينا.

وسرنا وبنود العز بريح الإسعاد خافقة. وألسن القلوب والجوارح بالحمدلة والشكر ناطقة. إلى حضرتنا الشريفة المراكشية. ذات الحلل البهية المزركشة الموشية. ويوم تاريخه خيمنا برأس العين من بلاد الرحامنة، ومنها وجهنا لكم هذا ومنها نخيم بزواية سيدى عبد الله بن ساسى نفعنا الله به.

وبعدنا نحل حمراء مراكش بحول الله فى يوم الأربعاء أو الخميس الذى بعد تاريخه بيومين حلول سلامة وظفر وتحصيل، ونرد منهلها العذب السلسبيل فله الحمد فى البداية والتمام، وله مزيد الشكر فى الافتتاح والاختتام.

وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة من الواقع ومن جميع ما كان، وتعرفوا حقيقته بمزيد إيضاح وبيان، ولتفرحوا بما يسره الله من فتوحاته المزيدة ومواهبه المديدة، لأن هذه جملة خبرية عن ذلك المتبدا. وخاتمة عقد ذاك الابتداء، والله أسأل أن يجعل ما ارتكبهنا فى ذلك كله عائدا بصلاح الأمة والرعية. جاريا من رضا الله وطاعته على الطريق المرعية. آمين والسلام فى ٨ جمادى الثانية عام ١٣١١هـ.

وقد ألف غير واحد من الكتاب والأدباء فى هذه الرحلة الصحراوية نثرا ونظما، منهم الكاتب المجيد العلامة السيد الغالى بن سليمان أحد كتاب الحضرة السلطانية، فإنه نظم هذه الرحلة الميمونة الطالع، ورمز لأيام الظعن والإقامة وعدد السوائع التى قطعت فيها أيام الظعن وتاريخ النهوض إليها وموافقة الشمسية للقمرية، وشرح ذلك النظم شرحا بديعا لطيفا عندى طرف من مسودته بخط مؤلفه يقول فى أول النظم:

| | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| وللنصر فتح ظاهر فى البرية | يقابله الإقبال فى كل وجهة |
| بحركة يمن قد بدا (طى ١٩) نشرها | بطالعتها الميمون فى (يد ١٤) حجة |
| يوافقه من ينيه (زى ١٧) سره | بفتح ونصر فى سلوك المحجة |
| وآخرها سبع لشهر دجنبر | يوافقه تسع جمادى الأخيرة |
| وفى عدد الأيام عقد لجيدها | مقاما ١٢٠ وسيرا فى ٥٤ جنان المسرة |
| سوائعها (يمن ١٠٠) (حليم ٨٨) لأنها | مواهب عدل فى جبين المعزة |
| ويا سيدى مولاي يا خير مالك | تفردت فى عز ونصر وهيبة |
| وجزت مقاما طالما كان خاملا | فجئت له فردا بغير معية |
| وكنت وكان الفضل والبذل والندى | فأصبحت فى عز عزيز المزية |
| فبشرى هنيئا بالقدوم الذى به | أضاءت على الإسلام شمس الظهيرة |
| وبشرى لنا والحمد لله سيدى | عليك سليما نعمة أى نعمة |
| فيارب أيده وزده معزة | وحقق مناه فى الفروع بنظرة |
| بجاه النبى والآل والصحب جملة | وكل ولى عارف فى البسيطة |

وفى أثناء هذه الرحلة الصحراوية وقع شغب فى الشاوية والغرب كما وقعت
مناوشة بين أهل مليلة وبين المجاورين لها من أهل الريف نشأت عن بناء البرج
بحدود مليلة، فلما بلغ صاحب الترجمة ذلك وجه أخاه مولاي عرفة فى الحين
لكلعية فى شردمة من الخيل يعظهم ويذكرهم وينذرهم ويحذرهم ويوعدهم
بالعقوبة إن لم يكفوا عن ذلك ويقفوا عند حدهم ويتركوا التعرض لأهل مليلية فى
بناء البرج بداخل حدادتهم، ويباشر فصال ما وقع بينهم وبين أهل مليلية من القتل
والجرح وفساد الأملاك على حسب ما يشير به عليه النائب الطريس، فسافر من
المحلة السعيدة فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ثم بعد ذلك وقعت مضاربة
أخرى بين أهل كلعية وعسكر مليلية، أفضت إلى قتل وجرح عدد من الفريقين
ومن جملة من مات فيها حاكم مليلية.

وأقام المترجم بمراكش إلى أن صام رمضان، وأقام سنة عيد الفطر، ثم صار
يهيئ الحركة للناحية الغربية. لتفقد الأحوال والنظر فى مصالح الرعية.

ثم فى يوم الخميس الثانى عشر من قعدة الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة
وآلف عقد لنجله البار المولى عبد العزيز على جيش لا يستهان به ووجهه أمامه
خليفة لرباط الفتح.

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من الشهر بارح المترجم العاصمة المراكشية
وسار إلى أن أدركته المنية بدار ولد زيدوح على ما سنشرحه بحول الله، وهذه آخر
حركة للمترجم وفيها ختمت أنفاسه النفيسة رحمه الله.

فكانت جميع حركاته منذ جلس على أريكة ملكه إلى أن لبي داعى مولاه
تسع عشر حركة:

الأولى: من مراكش إلى مكناس وفاس عام تسعين ومائتين وآلف.

الثانية: عام واحد وتسعين من فاس إلى القبائل الريفية والقبض على الفتان
بوعزة الهبرى .

الثالثة: عام اثنين وتسعين من فاس ومكناس إلى مراكش الحمراء .

الرابعة: عام ثلاثة وتسعين من مراكش على طريق المراسى إلى مكناس
وفاس .

الخامسة: من فاس إلى تازة ووجدة وقبائل الريف أوائل عام أربعة وتسعين .

السادسة: من فاس ومكناس إلى مراكش فى آخر السنة نفسها .

السابعة: عام ستة وتسعين من مراكش إلى مكناس وفاس .

الثامنة: عام ثمانية وتسعين من فاس إلى مكناس ثم مراكش .

التاسعة: عام تسعة وتسعين من مراكش إلى السوس الأقصى .

العاشرة: عام ثلاثمائة وألف من مراكش إلى مكناس وفاس .

الحادية عشرة: عام اثنين وثلاثمائة وألف من فاس ومكناس إلى مراكش .

الثانية عشرة: عام ثلاثة من مراكش إلى سوس الأقصى .

الثالثة عشرة: عام أربعة من مراكش إلى مكناس وفاس .

الرابعة عشرة: عام خمسة من مكناس لغزو بنى مجيلد .

الخامسة عشرة: عام ستة من فاس للثغور المغربية والقبائل الجبلية .

السادسة عشرة: عام سبعة من فاس ومكناس إلى مراكش .

السابعة عشرة: من مراكش إلى مكناس وفاس وذلك أواخر عام تسع مع

أوائل المتصل به .

الثامنة عشرة: أواخر عام عشرة وأوائل المتصل به من فاس إلى تافيلالت .

التاسعة عشرة: أواخر عام أحد عشر من مراكش قاصدا مكناسة الزيتون وفاسا فحال المنون بينه وبين تمام مراده .

ودوخ فى هذه الحركات الأغوار والأنجاد لإصلاح أحوال الرعية . وإجرائها على الطرق المرضية . وحسم مواد الفتن والأهوال . والجد والاجتهاد فى استصلاح الأحوال . وبعث للعتاة السرايا والبعوث . من الأبطال والليوث . حتى وقع له التمكن بسطوة الله من نواصى الجميع . وحصلت الغلبة على القوى والوضيع . ولم يبق فى إيالته قدس الله روحه من يحرك للعتو يدا . أو يعصى فى أمر أبدا . وجبيت من الكل الجبايات واستوفيت حقوق وتباعات . وساد الأمن وعم . وحكمت الأقدار بالانعدام لكل ما قد تم .

علائقة السياسية

السفارة الزبيدية للدول الأربع:

- فرنسا وبلجيكا وإنكلترا وإيطاليا -

غير خاف ما كانت عليه حالة السياسة الخارجية بهذه المملكة المغربية بعد حرب تطاوين وما نشأ عنها من تداخل سفراء الدول فى القضايا والوقوف للمخزن فى أوعر المسالك وأضيق المآزق، وتكثير الحمايا وتطاول المحمين على الحكام المخزنيين بأدنى علقه توصلهم لذلك، وتفاحش الأمر إلى أن وصلت الحالة إلى درجة كاد أن يتعذر معها تنفيذ أوامر المخزن فى الرعية لعدم إمكان تعميمها بسبب الامتيازات المعبر عنها بالمصالح الأجنبية المخولة لهم بمقتضى الفصل التاسع والعاشر

من معاهدة عم المترجم مولانا العباس المنعقدة مع الإصبان، عقب الحرب المذكورة أيام والد المترجم السلطان سيدى محمد قدس الله أرواحهما.

ولما جلس المترجم على أريكة الملك وكان مهتما بترقية مملكته وإدخال الإصلاحات والتنظيمات المناسبة للأحوال الوقتية، وعلم أن سياسات الامتيازات سد أمام وجهه، وعقدة لا تنحل ولا تنفتح معها أبواب مساعيه، بذل مجهوده بطريقة ودية فى تحوير تلك المعاهدات، وتنقيح فصولها وخص عدد الحمایات ارتكاباً لأخف الضررين.

وحيث رأى أن هذا الأمر لا يتم إلا بفتح المخابرة مع الدول ذات الأكرثية فى المصالح التجارية إذ ذاك بالمغرب مثل فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وبلجيكا، وكانت هذه الدول هى التى سبقت غيرها بتوجيه سفرائها لتهنتته بالجلوس على سرير ملك أسلافه الكرام، اغتنم هذه الفرصة ووجه خديمه الأنصح السيد الحاج محمد الزبيدى سفيراً وباشا دورا لرد الزيارة لتلك الدول ورؤسائها، وأعطاه أموالاً طائلة ليصيرها فى وجهته، وهدايا فاخرة للعظماء الذين يلقاهم فى رحلته، ووجه معه أميناً للصائر السيد بناصر غنام الرباطى، والفقیه الأديب الفلكى سيدى إدريس الجعايدى السلوى بصفة كونه كاتباً، وعدداً من أعيان ووجهاء قواد الأراحي إظهاراً للأبهة المخزنية، والضخامة السلطانية فتوجه أولاً لدولة فرنسا.

فركب من طنجة على متن باخرة حربية وجهتها الدولة المذكورة لنقله إلى مرسيليا فوصلها فى سابع جمادى الأولى عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، واحتفلت الحكومة المحلية هنالك باستقبالة احتفالاً باهراً وأكرمت وفادته، فتبرع على الجمعيات والملاجئ الخيرية هنالك بما زاده اعتباراً فى أعينهم وحظوة وكتب له حاكم المحل متشكراً من حسن صنيعه.



بالوسط السفير الحاج محمد الزبيد وعن يمينه أمين صائره السيد
بناصر غنام الرياطى وعن يساره كاتبه سيدى إدريس الجعايدى السلاوى
والوقوف من قواد الجيش

ثم كتب السفير المذكور إلى الحاج السلطاني وقتئذ أبي عمران موسى بن أحمد، بشرح ما قوبل به في ثغر مرسيلىة من الاعتبار والإجلال. فأجابه بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا وخديم سيدنا الأعز الأئبه اللبيب السيد الحاج محمد الزبيدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه وصولك لمرسيلىة، وما قوبلت به من الترحيب والتنويه والاعتناء فى جميع الأحوال، حسبما شرحت، وأنك بصدد التوجه لباريس، وطالعنا سيدنا أعزه الله بمسطورك وصار على بال من جميع ما قررتة.

ونسأل الله أن يصحبك السعادة والتيسير ويسددك ويلهمك الصواب فى جميع الأقوال والأفعال، ولا تغيب عنا خبراً بكل ما تجدد لديك، ومهما انتقلت من محل إلى محل آخر، أخبرنا بذلك ولابد والله يكون لنا ولك خير معين، والكتاب الشريف الذى تتوجه به لسطانة الإنجليز ها هو يصلك على يد نائب سيدنا الخير السيد محمد بركاش، وكذلك كتاب الطليان وعلى المحبة والسلام فى ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

ثم نهض السفير من مرسيلىا وسار إلى باريز فاقتبله وزراء الدولة وكبراؤها بالمحطة هناك وأكرمت الحكومة وفادته ونزله.

وفى صبيحة غد يوم حلوله بباريز قابل وزير خارجيتها وصرح له بأن المقصود من سفارته هو تجديد عقود المحبة وتأكيدا مع الدولة الفخيمة ومجازاتها على الاعتناء بالجناب العالى بالله بتوجيه سفيرها المسيو «طيسو» لتهتة جلالته

الكريمة بالجلوس على كرسى ملك سلفه الكريم، وتقرير ما عند مولانا نصره الله من الاعتناء بجانبهم، واعتبار حقوق المجاورة، ومسرته بما يتجدد من العلاقات التى تدل على دوام الألفة والمحبة، ثم طلب من الوزير تعيين وقت الملاقاة مع رئيس الجمهورية وهو يومئذ المارشال مكماهون.

ولما قابل الرئيس فى الوقت المعين له ألقى بين يديه الخطبة التى كان متأبطاً لها وإليك نصها:

أيها الرئيس المعظم.

بعد إهداء ما تستحقه مرتبتك الفخيمة من التحية والتسليم اللائق بمقامك الفخيم، إننا قدمنا على حضرتك من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين سلطان المغرب وجهنا نصره الله بقصد تجديد أسباب المودة وتأكيد المحبة التى كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم الفخيمة التى لا تزال بحول الله فى ازدياد وتأكيد، ونعلمك أنه أيدى الله مسرور بهذه المحبة الجديدة التى تأكدت بها المحبة القديمة، وأنه لا زال يحرص على ما يزيدا ويتحافظ على ما يديمها ويراعى حق الجوار، ونجازيكم على لسانه على ما صدر منكم من الاعتناء بجانبه العالى بالله بتوجيه سفيركم المسيو «طيسو» لتهنته بالجلوس على سرير ملك أسلافه الكرام وسبقتكم لذلك، لأنه أدل دليل على رسوخ محبتكم وكامل اعتنائكم وها كتابه نصره الله لكم فى ذلك.

وناوله الكتاب الشريف وإليك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى



**كتاب السلطان مولای الحسن ل رئیس جمهورية فرنسا فی السفارة
الزییدية**

وهو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الله وليه أبد الله نصره. وزين بالمحاسن عصره. إلى المحب المعظم الأمير المحترم كبير جمهورية دولة الفرنسيص الفخيمة الرئيس المعتر «مكماهون».

أما بعد: فموجه تجديد أسباب المحبة التي لا تزال تزيد على مرور الأيام تأكيداً. وإحكام عقد المحبة الذي يبقى ثوبه مع الأبد جديداً. ويحلى بحسن التواصل مفرقا وجيدا. ولأجل ذلك أوفدنا إليكم حامله خديمنا الأرضي الحاج محمد الزبيدي سفيراً إليكم ومبلغاً ما تقتضيه أمانة المودة لديكم، وانتخبناه من أخص خدامنا وكبراء حاشيتنا لما حاز من التقدم والنصيحة في الخدمة مع مولانا الجد وسيدنا الوالد قدس الله ضريحهما العزيزين ليقرر لكم مشافهة ما عندنا من المحبة مع دولتكم التي اقتفينا فيها أثر كرام الأسلاف، وما نحرص عليه من المحافظة على العهود التي بها يدوم حسن المواصلة وجميل الائتلاف، ويجازيكم نيابة عن جانبنا العالي بالله بلسان الخير والثناء، على ما صدر منكم من البرور والمبالغة في الاعتناء، وأمانة الصدق في الوداد، التي زادتنا في جانبكم حسن الاعتقاد، بتوجيهكم سفيركم المعتر المنسطر «طيسو» سابقاً، وما شاهدناه من الرعاية في معاملتكم لاحقاً، مما ملأ الصدور انشراحاً، وأبدى في وجوه الأمالي نجاحاً.

فالمحقق عندنا إن شاء الله أن تقابلوه ومن معه بما عودتم المرة بعد المرة، من الاعتناء والقبول والمبرة، وتصدقوه فيما يذكره لكم من المصالح التي تعود بالخير على الإيالتين، وتؤدي إلى تمام الراحة بين الدولتين، وتنظروا فيها بعين الإنصاف، وتجروها على أكمل الأوصاف، حتى يرجع مقضى الأوطار مثنياً على جنابكم بحميد الإيثار. فإن المحبة تقتضى تسهيل ما بين الدولتين وتيسيره. وتؤذن بكمال التوافق وحسن السيرة. ودمتم كما تحبون ممتعين بين الأجناس بموجبات التهنئة.

مقابلين بما يصلح بكم فى الإسرار والعلانية، وبه ختم فى ٢٧ ذى القعدة الحرام
عام ١٢٩٢هـ.

ثم استرسل السفير المذكور فى خطبته قائلا: ونحن نشكر بلسان دولتنا
المعظمة الاعتناء الذى قابلنا به أهل الدولة فى طريقنا وكبراء المركب الذى أقلنا
لبلادكم الزاهرة، ونرجو أن نرجع من حضرتمكم بما يزيد هاتين الدولتين رسوخا،
ولعلاماتها وضوحا، ونؤمل من حضرة الرئيس أن يوصى من يعينه للمفاوضة معنا
فى الأمور التى اقتضت المحبة الكلام فيها بما يعود بالنفع على الجانبين العظيمين
بأن يعطينا وجه الاعتناء فى مباشرتها، ويسهل طريق البلوغ إلى رفع الضرر
الحاصل فيها.

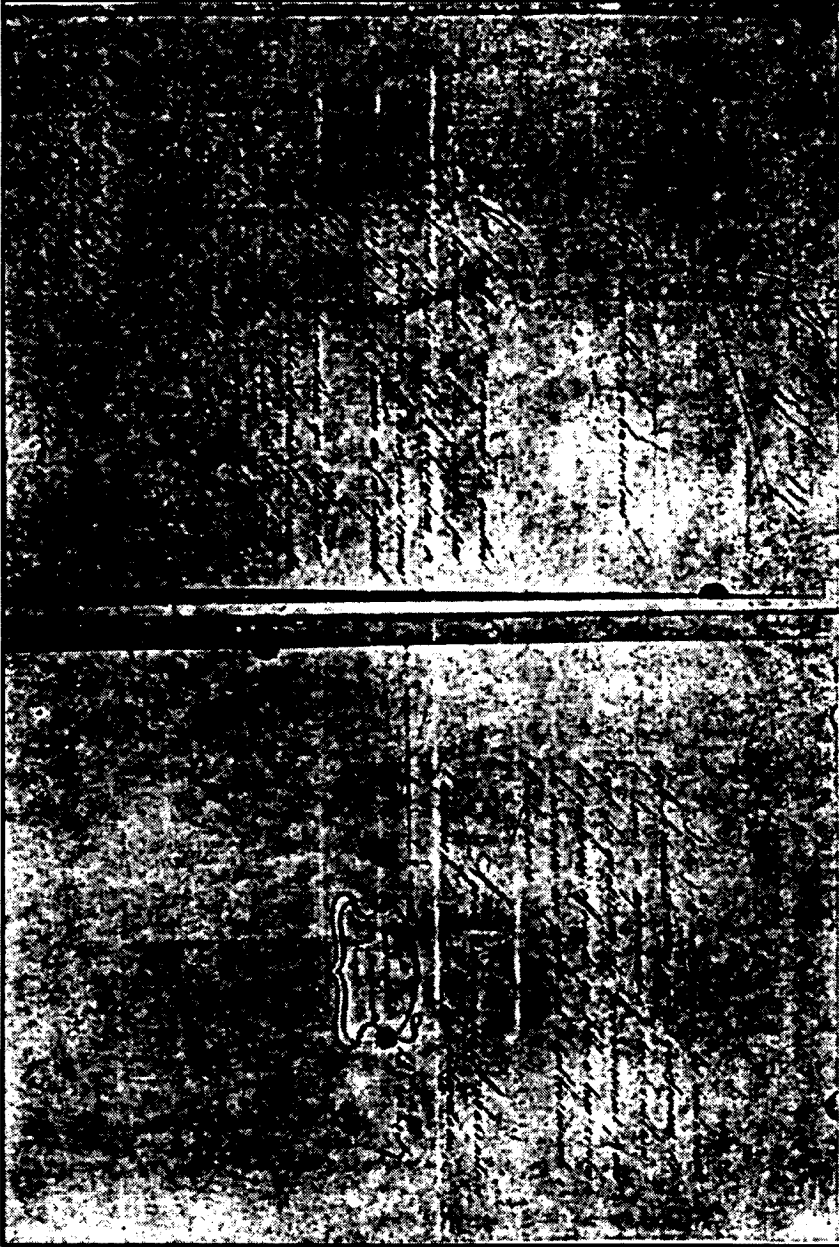
فأجاب الرئيس مكماهون على خطاب السفير بما نصه:

سعادة السفير الأفخم:

قد حصل لنا كمال السرور وغاية المحظوظية بمجيئكم سفيرا للسلطان الأعظم
الأفخم سلطان ممالك المغرب الأقصى. فمنذ جلوس الحضرة العالية الشريفة فى
تخت أسلافه الكرام صدرت براهين عديدة من المودة والمؤالفة الكائنة بين الدولتين
الفخيمتين، وقد انشرح صدرنا بتأمينات تشييد الروابط للمحبة.

فالمرجو من سعادة السفير أن يعتبر اقتبال بلدنا وفرحها به دليلا مينا لمحبتنا
فى الحضرة الشريفة، واعتبارنا لذاته العالية كما أرجو أن يكون احترامنا لذاتكم
السامية وأخلاقكم الحميدة يروق لديكم، وتجعلونه أقوى دليل لتسهيل مأموريتكم
بما يعود بالمنفعة على الدولتين الفخيمتين وتبلغوا اعتناء بلادنا بكم للجلالة الشريفة
لتتحقق بذلك.

ثم بعد ذلك دعوا للضيافة والإكرام بقصر رئيس الجمهورية وفق العادة
المقررة فى سائر الحفلات.



كتاب من وزير خارجية فرنسا للسفير الزبيدي

والمقرر فى الضيافات التى تقام للسفارات المغربية بسائر الممالك الأروبية غداء أو عشاء، أن تكون بالقصر الملوكى ويحضرها الملك والملكة أنفسهما، ثم يقوم احتفال بضيافة ثانية فى وزارة الخارجية ثم فى البلدية، وعلى هذا جرى العمل فى دول أوروبا ما عدا مملكة الإنجليز، فإن المقرر عندها بعد الاحتفال بضيافة الملك ووزير الخارجية أن يقوم بالضيافة رئيس الوزراء ووزير البحرية.

ثم إن دولة فرنسا بعد انتهاء ضيافاتها عينت وزير الأمور الخارجية المسيو «دوك دكاز» للمفاوضة مع السفير المذكور فتفاوضا بكل حفاوة ولطف فى المسائل المهمة من السفارة وبعد الفراغ من تمهيد الطرق الموصلة للوفاق، كتب السفير لوزير أمور الخارجية بما نص المقصود منه:

«حضرة الوجيه الأفخم وزير الأمور الخارجية للدولة الفرنسية المسيو دوك دكاز، بعد إهداء ما يليق بجنابكم من التحية والتكريم، فالباعث عليه إعلام حضرتكم أننا أردنا التوجه إلى مملكة البلجيك فى يوم الاثنين القابل، ومنها لمملكة اكريت بريتون لأداء ما أنا مأمور به من الحضرة الشريفة جلالة سيدنا دام عزه ونصره، وأعلمت جنابكم لتكونوا على بال على العادة فى ذلك وعند رجوعنا فى قريب إن شاء الله، نرجو منكم المقابلة لتتميم المذاكرة كما نرجو منكم المقابلة مع رئيس الجمهورية الأفخم للوداع، ودمتم مسرورين، وختم فى ٣٠ جمادى الأولى عام ١٢٩٣ خديم المقام العالى بالله محمد الزبيدى وفقه الله».

فأجابه الوزير المذكور بما نصه:

«سعادة الباشدور الأفخم سفير الدولة الشريفة بالمغرب الأقصى، وخديم سدة جلالة سلطانه الأعظم السيد الحاج محمد الزبيدى، قد تشرفت بوصول كتابكم إعلاما بعزمكم على السفر لمملكة البلجيك الفخيمة ومنها لمملكة اكريت بريتون ويكون رجوعكم منها لبلادنا لتتميم الأشغال المنوطة بمأموريتكم، فليعلم جنابكم أن الدولة هيأت لكم قطارا خاصا وعربة تليق بمقامكم السامى لتسافروا

فيها في التاريخ المذكور ويرافقكم إلى حدود البلجيك خليفة وزير الخارجية والترجمان، وأرجو لكم سفرا سعيدا كما نرجو من جنابكم أن تعلمنا قبل نهوضكم من مملكة اكريت بريتون بثلاثة أيام بطريق السلك ليهياً لكم البابور الخاص بكم بمدينة كالى وتفضلوا بقبول مزيد الاحترام لشخصكم المعظم».

ودفع السفير لفقراء باريس عشرة آلاف فرنك حسبما جاء في كتاب الشكر الذى وجهته له الحكومة على ذلك وهو:

«باريس فى ٢٥ جوان ١٨٧٦

سعادة السفير المحترم

لقد تفضلتم سعادتكم فأبلغتmonى بواسطة الكاتب الثانى بسفارة جلالة سلطان المغرب جملة عشرة آلاف فرنك برسم توزيعها على فقراء العاصمة.

وطبقا لرغبتكم بإرسال المبلغ المذكور إلى عامل مقاطعة لاسين مشيرا عليها بتوزيعه على مختلف ملاجئ الإحسان فى باريس.

وسأكون قد تقدمت عن إدارة مقاطعة لاسين عندما أعرب لسعادتكم عن ممنونية الحكومة مما منحتموه لديار الإحسان ولكم يا سعادة السفير كل الاحترام والاعتبار

الإمضاء: . . .

وإليك قائمة ما تبرعت به السفارة منذ خروجها من طنجة:

فلرئيس المركب الحربى المقل للسفارة من طنجة إلى مرسيليا ليفرقه على

٥٠٠٠

البحارة بها فرنك

١٠٠٠

ولأصحاب الموسيقى عند النزول بمرسيليا

| | |
|-------|---|
| ٦٠٠ | ولأصحاب حاكم مرسليليا عند زيارة السفير له |
| ٥٠٠٠ | لضعفاء مرسليليا |
| ١٠٠٠ | وللخدمة بمحل النزول |
| ٥٠٠ | وللعسكر الملازم للسفارة بمرسليليا |
| ١٠٠٠ | وللموسيقى عند الوصول لباريز |
| ١٠٠٠ | ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة |
| ١٠٠٠ | وللمكلفين بخيل الهدية |
| ٢٠٠٠ | وللخدمة بوم ضيافة السفارة بدار رئيس الجمهورية |
| ١٠٠٠ | وللبوابة |
| ١٠٠٠٠ | ولضعفاء باريس |
| ٢٠٠٠ | ولأصحاب وزير الخارجية |
| ١٠٠٠ | ولعسة العسكر المكلفين بالسفارة بباريس |
| ٢٠٠٠ | وللخدمة المقابلين للسفارة بمحل النزول |

ثم فى يوم الاثنين المذكور توجهت السفارة المذكورة فى المراكب الخصوصية المذكورة صحبة الرفيق فى كتاب الوزير المذكور لمملكة بلجيكا.

ولما وصل المركب وجد خليفة وزير الأمور الخارجية للدولة البلجيكية وعددا من الذوات وحاكم المقاطعة وفرقة من العسكر ورجال الموسيقى تحت قيادة الجنرال الحاكم العسكرى لتلك المقاطعة فى انتظار السفارة هناك، وبعد وداع السفارة هناك لمشيعيها الفرنسيين نزلت من القطار فأدت العساكر البلجيكية التحية بعد ما رفع العلم المخزنى المغربى وأطلقت الطلقات المدفعية.

ثم تقدم الكبراء للسلام على السفير، وأظهروا من الفرح والبشاشة والترحيب ما يستدل به على ما لهم من الاعتناء بجانب مرسله إليهم سلطان المغرب الأقصى، فقابلهم السفير بما يقتضيه المقام.

ثم ركبت السفارة فى القطار المعد لها وتوجهت لعاصمة البلجيك (بروكسيل) وبعد مسير ساعة ونصف وصلت إليها فوجدت المحطة على أروع ما يكون من الزينة وبديع التنسيق، والأعلام المغربية والبلجيكية ترفرف وعددا وافراً من العساكر خيالة ومشاة ووزير الخارجية والقائد العسكرى، وجما غفيراً من وجهاء الدولة وذوى الحيشات واقفين بها فى انتظار ورود السفارة اعتباراً لشأنها وأداء لواجب تحيتها.

وبعد تقديم مراسم السلام بين الجانبين ركب وزير الخارجية والسفير فى عربة خصوصية وأعضاء السفارة فى عربة أخرى أعدت لهم وساروا فى موكب مدهش إلى محل النزول الذى كان أعد لهم، ثم ودعهم الوزير ورجع.

وما استقر بهم المجلس حتى أتى إليهم رئيس التشرىفات للسلام على السفير بحسب النيابة عن الملك، ثم استفهمه عن تعيين وقت رد الزيارة للوزارة الخارجية، فعين له الساعة العاشرة من يوم الأربعاء ثالث يوم وصولهم.

وفى الوقت المعين وقع اقتبال وزير الخارجية للسفير بكل حفاوة وإجلال هس وبش، وأظهر من العواطف والإحساسات ما لا مزيد عليه.

وفى عشية اليوم نفسه رد الوزير للسفير الزيارة وأعلمه بأن اقتبال الملك والملكة له يكون على الساعة الثانية بعد الزوال من غده الذى هو يوم الخميس، وطلب منه نسخة من الخطبة التى سيلقيها أمام الملك ليهيئ جوابها طبق المتعارف فى ذلك فدفعها له. ونص كتاب الإعلام بتعيين وقت الاقتبال الملوكى:

سيدي السفير المحترم

أتشرف بإعلامكم أن جلالة الملك و جلالة الملكة يقبلانكم فى قصر بروكسيل على الساعة الثالثة من هذا اليوم.

وسيتوجه حرس القصر إلى سفارتكم بقصد مرافقتكم ومن معكم من الكتاب والضباط الملحقين بالبعثة ذهابا وإيابا.

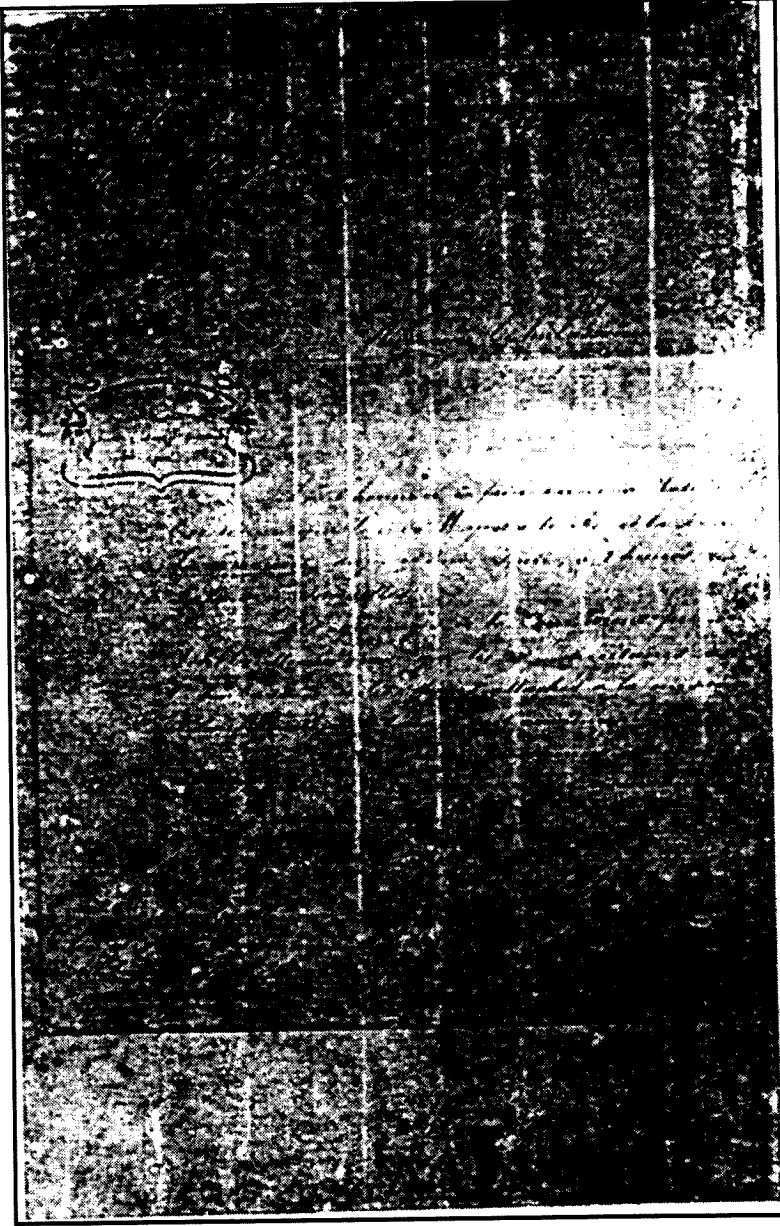
وإنى لأغتنم هذه المناسبة فأحقق لسعادتكم من جديد عبارات الاحترام.

ولما كان الوقت المعين انعقدت حفلة رسمية وقابل الملك السفير بمزيد اعتبار

واعتناء وإجلال ثم ألقى السفير خطبته أمام الملك وإليك نصها:

أيها السلطان المعظم المحترم:

بعد إهداء ما يجب لمرتبك الفخيمة من التحية والتسليم فإننى أمرت من جلالة سلطان المغرب مولانا الحسن دام عزه ونصره بالوصول إلى حضرتك الفخيمة السامية، بقصد تجديد أسباب المحبة التى كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم المعظمة التى لا تزال فى ازدياد وتأكيد، وشكركم على لسانه أيدى الله على ما صدر منكم من الاعتناء بتوسط نائبكم المسيو (لرنسط دولوان) فى شأن المتعلمين وغيرهم، فإن ذلك أقوى دليل على رسوخ المحبة وتأكيدها، ونحن نجدد لمقامكم الأفخم المجازاة ونشكر بلسان دولتنا الاعتناء الذى قابلنا به أهل دولتكم الفخيمة فى طريقنا، وإنى لمسرور جدا بتبليغ كلام جلالة سلطاننا المنصور بالله لفخامتكم مشافهة وخصوصا حيث أسعدنى الحظ بأداء التحية والسلام الخصوصى لجلالة الملكة المعظمة التى افتخر بها عصرها وازدهرت بها دولتها، وأرجو من سموكم



وزارة خارجية بلجيكا بتعيين وقت مقابلة الملك للسفير

الإذن لمن تختارونه للمخابرة معنا فيما يعود بالمصلحة على الدولتين العظيمتين اللتين نؤمل تمتين علاقتهما الودادية .

ثم دفع الكتاب السلطاني .

ثم بعد الضيافة بالقصر الملوكى الفاخر اقتبل السفارة دوق ودوقية افلاندر من مقطعات البلجيك وإليك نص الإعلام الموجه من وزارة الخارجية بذلك :

وزارة الخارجية

بروكسيل ٣٠ جوان ١٨٦٧

عدد ٤٤٦٩

سيدي السفير

نتشرف فنخبركم بأن صاحبي السمو دوق ودوقية أبلاندر يقتبلانكم ومن بمعيتكم من كتاب السفارة والضباط التابعين للبعثة فى نفس هذا اليوم على الساعة الواحدة ونصف .

ولكم يا سعادة السفير أجدد عبارات الاعتبار الزائد .

الكاتب العام . . .

ثم شرع فى أشغال مأموريته مع وزير الخارجية حتى تمها على أحسن ما يرام، وقد زار فى تلك المدة معامل السلاح وحقق ودقق، ثم طير الإعلام للجناب السلطاني بجميع ما شاهده واستحسنه، وطير الإعلام بذلك للحاجب السلطاني، وإليك نص ما أوجب به من حاجب الجلالة المسمى بعد الحمدلة والصلاة :

«محبا الأعز الأرضى . الأمين الضابط المرتضى . الباشدور النبيه الأحظى .

السيد الحاج محمد الزبيدي حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلتنا مكاتبك ٣ المؤرخ ثالثها بأواخر ٢٠ جمادى ٢ مخبرا

فيها بمدة مقامك ببلاد البلجيك وشارحا ما قابلك به رؤساؤها من تمام الفرح

والضيافات، ومن حضرها وبمزيد الاعتناء والبرور، وما أطلعوك عليه من الفبريكات الهائلة التي وصفتها وأروكه من أنواع آلات الحرب وأشكالها مدافع ومكاحل على نحو ما وصفته.

وعرفنا منه يوم سفرك من بلجيكة صحبة من سميت من أعيانها واصلا للوندريز، وما تلقاك به كبراء الدولة الإنجليزية من الفرح والسرور والمراعاة، وإنك تلاقيت هناك مع باشدور الطليان وألح عليك بتعجيل السفر لدولتهم لما عزم عليه عظيمهم من الخروج للصيد، وعلمنا ما دار بينك وبينه أولا وثانيا واعتذرت له وما انفصلت به معه من القدوم لإيطاليا فى أول شهر غشت بعد نهوضك من اللوندريز ومرورك بباريز، وأشرت بتعجيل توجيه ما كتبت على زيادته هدية لوزير أمور البرانية ومن معه وصار بالبال جميع ما سطرته فى المكاتب الثلاثة، وأطلعنا عليها سيدنا أيده الله واستوعبتها سيادته قراءة وفهما، وصار مضمونها بياله الشريف ودعا لك نصره الله بخير.

وقال دامت سعادته: فهلا وجهت مكحلة من كل عينة من العينات المحدثات التى لم تصل للمغرب ولا جلبها أحد للآن لا من التى وصلت للمغرب منها كالمعمرة من وراء فلا. وعليه فإن أمكنك أن تصحب معك عينات من المعدة المعتبرة الجديدة المحدثه التى لم تصل للمغرب فافعل إن تيسر لك تدارك الإتيان بها، وبيان ثمنها وقد استحسن سيدنا أيده الله مدفع الجر الصغير الخفيف ذا العمائر والذى نبهت عليه، وقال أيده الله: لا بد من بيان ثمنه أى المدفع الصغير الذى تحمله بغلة واحدة فتحقق لنا ثمنه، وبين لنا كيفية السريجة التى يحمل عليها، ولا بد حيثئذ يظهر لسيادته ما يحتاج لجلبه منه.

وقد كتبنا عن أمره الشريف للمحب السيد محمد بركاش ليتكلم مع نائب البلجيك فى ذلك.

وأما المسائل التي تزداد في هدية الوزير الفرنضيصى فقد تقدم الكتب لأخينا الأَرْضَى سيدى عبد الله بن أحمد بالتعجيل بتدارك توجيهها لكم هي وهدية الإنجليز، وها نحن حددنا له الكتب وأكدنا عليه في اتعجيل بتوجيه ذلك عزمًا، هذا وقد سررنا بسلامتك وما قوبلت به من التيسير والإعانة، نطلب الله أن يقضى بكم غرض سيدنا الشريف ويصحبك الفتح والسلامة، فى كل ظعن وإقامة. ويردك بخير وعافية مقضى الأغراض مبلغ المراد أمين، ولا تغيب عنا خبرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٦ من رجب الفرد عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به». وفى أثناء مقامه بيروكسيل تبرع على فقرائها بخمسة آلاف فرنك ونص شكر الحكومة له على ذلك:

وزارة الخارجية
بروكسيل ١١ جوليت ١٨٧٦
سعادة السفير:

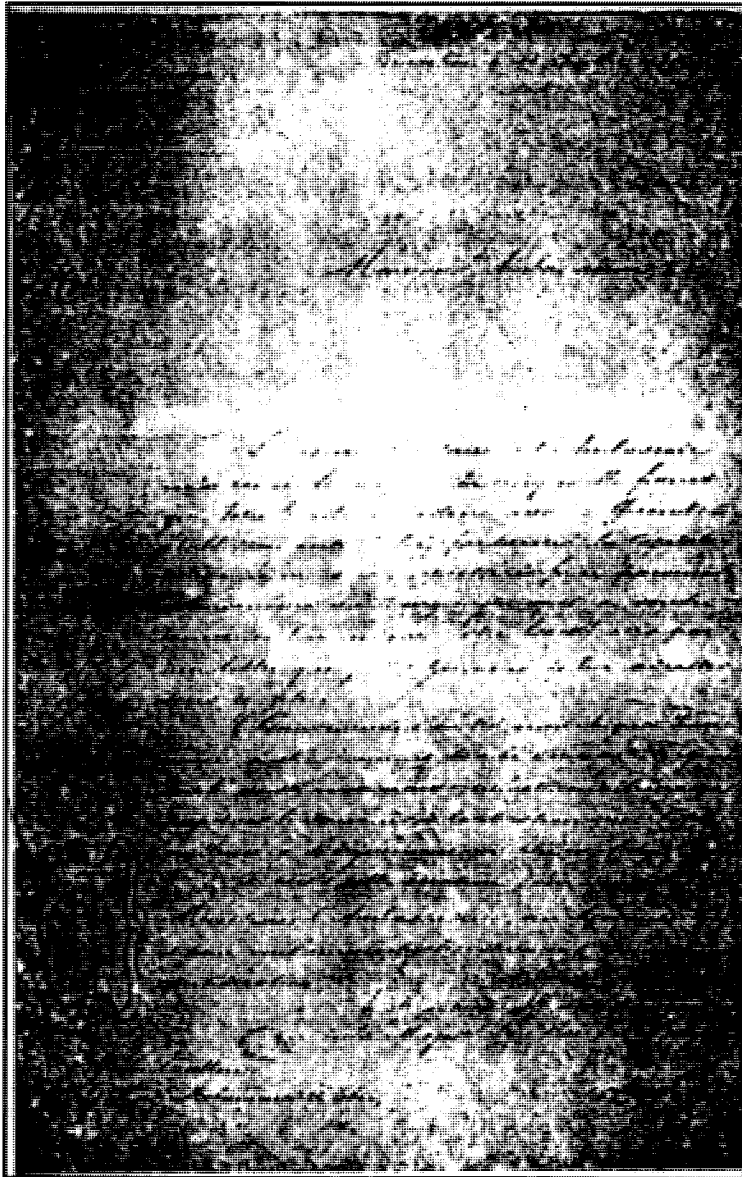
لقد ناولنى الكاتب الثانى بالسفارة مجموع الخمسة آلاف فرنك التى تبرعتم بها على مختلف ملاجئ الإحسان بالعاصمة.

وقد بادرت بإبلاغ هذا المبلغ إلى رئيس البلدية الذى أعرب لكم عن شكراته فى الرسالة الموجهة إليكم صحبة هذه. ولقد تأثر جلاله مولاي الملك وحكومته من صنيعكم المبرور ولا شك أن ذلك مما يخلد تذكار المهمة التى أديتموها فى هذه الديار بغاية المقدرة والكفاءة.

وبهذه المناسبة أدعو لكم يا سعادة السفير بيمين السفر وأجدد لكم عواطف الاعتبار.

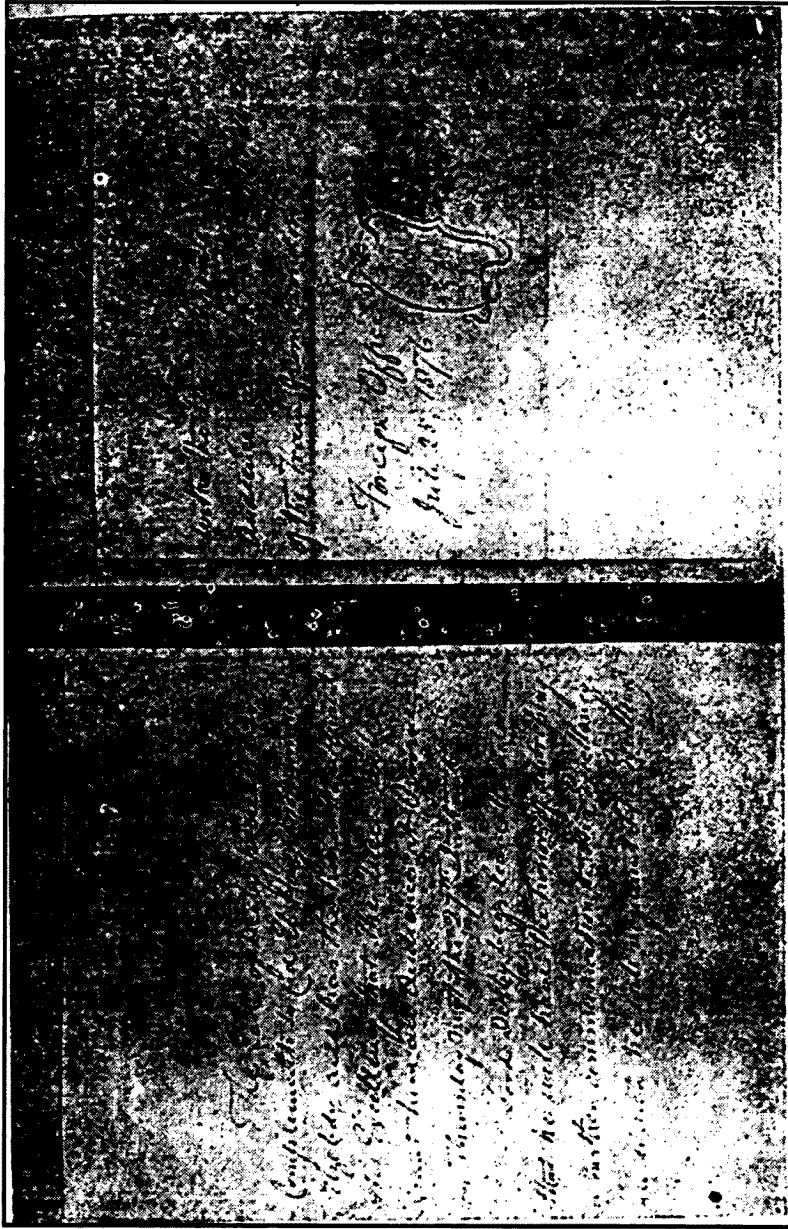
وزير الخارجية لدى جلاله ملك بلجيكا

وإليك قائمة ما تبرع به فى بلاد بلجيكا:



من وزير بلجيكا للسفير الزبيدي

١٠٠٠ فلأصحاب الموسيقى عند الوصول
ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة
١٥٠٠ وللخدمة يوم الضيافة بدار السلطان
١٠٠٠ وللبوابة
٥٠٠٠ ولضعفاء البلجيك
١٥٠٠ ولأصحاب وزير الخارجية
١٠٠٠ وللعسكر المنفذ للسفارة
وفي صدقة لضعفاء مدينة الياج ١٠٠٠ وياتبريس ١٠٠٠ وبمدينة اوستاند
١٠٠٠ ج
ولللخدمة بمحلات النزول بمدن بلجيكا ٢٠٠٠
ولرئيس البابور الذى أقل السفارة من بلجيكا إلى إنكلترا ليفرقه على خدمة
٢٠٠٠ المركب
ثم قابل السفير ثانية وودعه ونهض من بلجيكا فى بابور خاص ورافقه نائب
وزير الخارجية والترجمان بقصد تشييعه إلى اللندريز.
ولما ودعه ونزل من البحر وجد وزير الأمور الخارجية وولد باشادور طنجة
حينه والجنرال حاكم الناحية والعسكر والموسيقى فى اقتباله وعددا من الذوات
واقبلوا السفير أحسن مقابلة وبالغوا فى الترحيب وإظهار الفرح والإجلال وبعد
مبادلة السلام وواجبات التحية توجه السفير بمن بمعيته للمحل المعد لنزولهم.
وبعد يومين من يوم حلولهم باللندريز عينت الملكة الإنجليزية فيكتوريا وقت
الملاقاة بواسطة رئيس التشريفات الذى ناب عنها فى تهنئة السفير بالقدوم عقب
نزوله ونص كتاب الإعلام بذلك الذى كتبه اللورد دربي الشهير وزير الخارجية
البريطانية يومئذ:



الإعلام للسفير بوقت مقابلته ملكة إنجلترا

«يقدم اللورد دربي احتراماته إلى السيد الحاج محمد الزبدي ويخبر سعادته بأن جلالة الملكة سوف تقابله في (اوسبون) يوم الخميس المقبل يوم ٢٧ من الشهر الجارى .

وقبل أن يغتنم اللورد دربي فرصة ترك سموكم فإن له الشرف بأنه سوف يخبركم بأوقات القطار الذى يترك لندن قبل وقت المقابلة المعين دائرة الأعمال الخارجية ٢٥ يوليو ١٨٧٦» .

ولما حظى باستقبالها بالغت فى الهش والبش وإظهار العواطف الحسنة والمجاملة التامة ثم أكرمت السفارة إكراما زائدا فى الأبهة والاعتناء والاعتبار .
ثم كتب للورد دربي بقائمة الهدايا التى أمر بتقديمها للملكة حسبما جاء فى الرد الذى بعثه له عليها ونصه :

٣ غشت ١٨٧٦ .

«وزارة الخارجية

سيدى السفير :

لى الشرف بأن أعلم سموكم باستلام مذكرتكم المؤرخة بـ ٢٨ من الشهر الماضى التى فيها قائمة الهدايا المقدمة من جلالة سلطان المغرب إلى جلالة الملكة وأتشرف أيضا بإخباركم بأنى لم أتمكن إلى الآن من عرض ذلك على جلالتهما .

أرجوكم أن تتقبلوا فائق احتراماتى يا سيدي السفير :

مطيع سموكم وخادمكم المخلص : لورد دربي»

وهذه نسخة من قائمة الهدايا التى أمر صاحب الترجمة بصنعها بفاس لتوجه إلى ملكة الإنجليز .

«أوله رسون من الحرير مطرزة بالصقلى والحرير المذهب بين حمصى ٤
وأخضر ٤ وبنفسجى ٤ الجميع ١٢

وجلالات فى غاية الجودة عدد ١٢

وحياك قنطرى وبلهوان حرير ٤

وكساوى من أوراق ساهل أربعة كل واحدة منها فى لون وواحدة منها تكون

مثقلة بالصقلى وتعرف بالهجمة ٤

وتغاطى من الزردخان أربعة كل واحدة منها فى لون وفى أطرافها قضيب

مثل السلطة والتريش بالصقلى ٤

من الشرابل ٦ من الموبر على ألوان ٦ من الجلد ٦ من الطلس ١٨ ومطرز

بالصقلى ١٨

ومن اسطارم ستة من الموبر وستة من الطلس وستة من الجلد والجميع ١٨

على ألوان ومطرز بالصقلى ١٨

ومن شكاير البارود على نحو عمل الريف مطرزة بالصقلى على ألوان ١٢

ومن مرافع خشب الصنوبر الجيدة تكون مخرمة ومزوقة فى غاية الجودة على

ثلاثة أنواع، نعم ستة منها يكون طولها من ستة أشبار، وستة منها تكون طولها

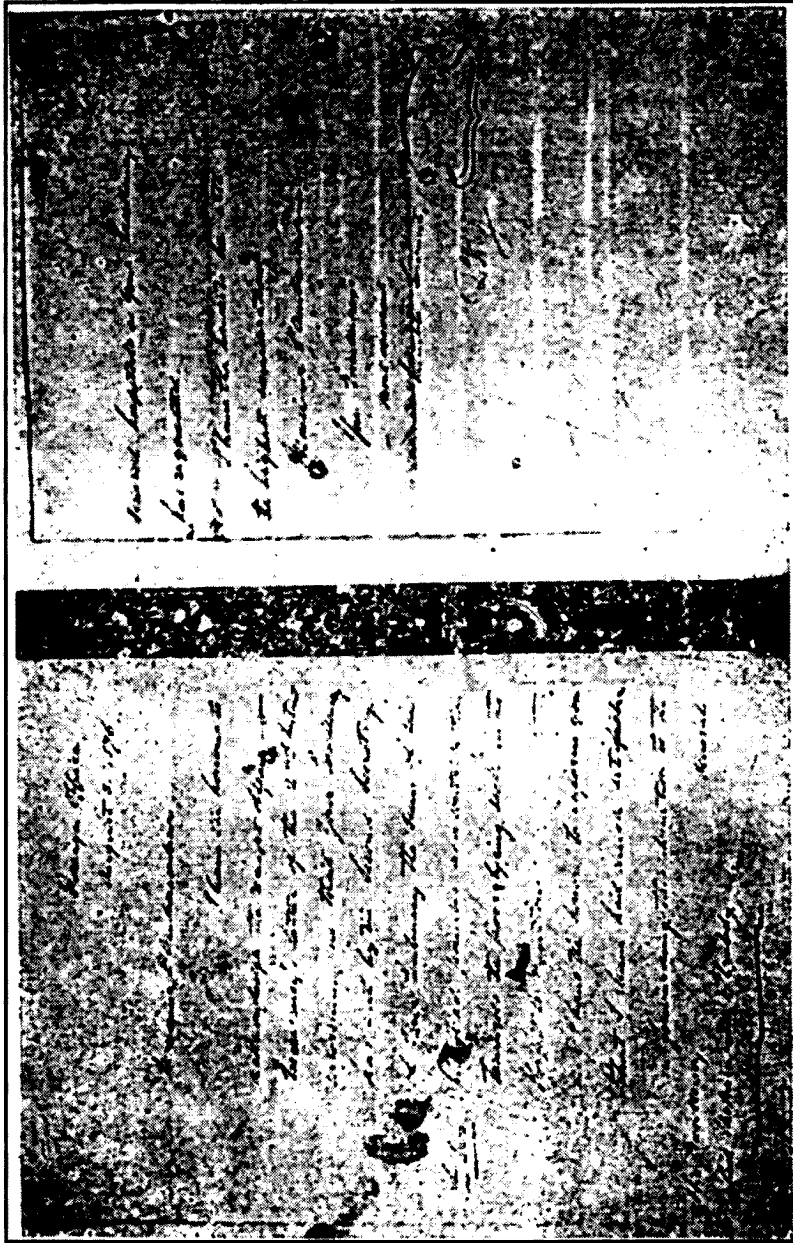
من أربعة أشبار والصنعة مختلفة الجميع ١٢

ومن رشاقات خشب الصنوبر التى تحمل عليها المكاحيل اثنا عشر زوجة

مخرمة ومزوقة جيدة ١٢

ومن طبالى الخشب الصنوبرى التى توضع عليها صوانى الاتاى تكون مثمثة

الشكل وبالأرجل على نحو عمل اشاون ١٢



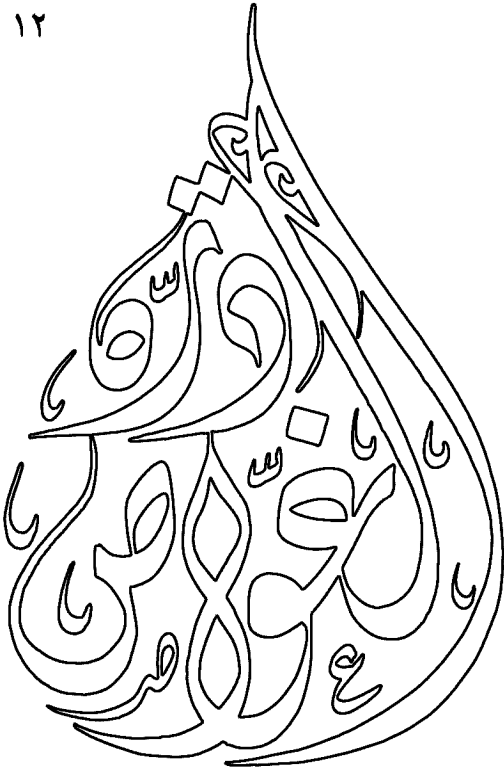
كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدي

ومن شقق الملسة الرفيعة ستة مطروزة بالتل عمل فاس متفاوتة في الطرز إلا
واحدة منها مثقلة ٦

ومن صوانى الصفر عمل فاس اثنا عشر أربعة منها نمر ١ وأربعة نمر ٢
وأربعة نمر ٣ ١٢

واثنا عشر كمية عمل سوس تكون مجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع
١٢

ومثلها من السبائل عمل الريف مجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع ١٢
ومن السفارى المطروزة اثنا عشر أربعة مطروزة بالصقلى وأربعة بالحرير
وأربعة من الجلد ١٢



ومنه تقييد الحوائج التى بزيادتهم:

سفارى ثلاثة موبر مطروزة ٣

سطارم أربعة ٤

حزوم بالصقلى ٣

حياك أربعة بالحرير ٤

مسخرات أربعة مطروزين ٤

سبانى أربعة بالصقلى ٤

الحمد لله وحده

أخانا الفقيه الأعز الأرضى، سيدى موسى بن سيدى أحمد رعاك الله
وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

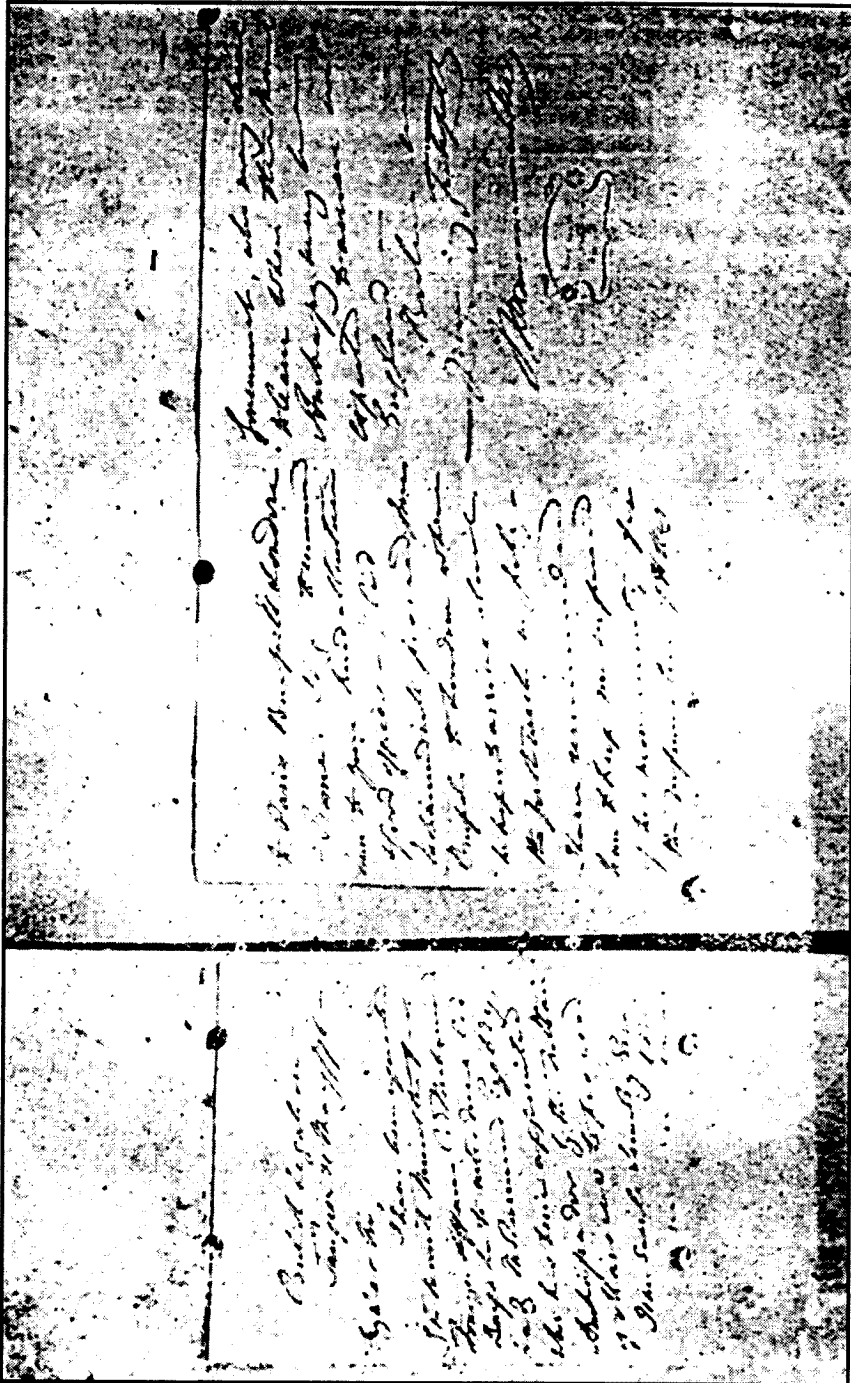
وبعد: فما قيد أعلاه هو زمام الهدايا الثلاث التي أمر سيدنا أعزه الله بصنعها لتطلع عليه، وتعرف تفصيله غير أن المعلمين ذكروا أنهم إن صنعوا ذلك بأجمعه ربما يستغنى عن بعضه، فيبقى بيدهم كاسدا لا يجدون مشتريا له منهم لعدم صلاحيته هنا، وعليه فإن كان المراد صنع الجميع من غير أن يرد لهم شيء فيعتمدون على ذلك، وإن كان المراد صنع البعض مختارا من ذلك فليبين المراد لهم حتى تظمن نفوسهم فيما يقدمون على صنعه:

عبد الله بن أحمد لطف الله به»

أما قائمة ما يتوجه من التحفة لكل الأجناس فهذا بيانه:

فلكبير الدولة:

- | | |
|----|-----------------------------------|
| ١٠ | جلالة عدد |
| ١٠ | ثم رسون |
| ٢ | ثم سروج بإقامتها |
| ٤ | ثم سفارى موبر |
| ٦ | ثم سطارم موبر مطروزة |
| ٦ | ثم كساوى حريرا |
| ٦ | ثم حياك بولھوان |
| ١٢ | ثم رواحى ٦ موبر مطروزة وبابوجات ٦ |
| ٦ | ثم حزم ٣ زردخان ٣ جزيرية |
| ٦ | ثم زرابى كبار عمل الرباط |



كتاب من وزير إنجلترا للسفير الزبيدي



توصيل وزير خارجية إنجلترا من السفير بابرات ٦٠٠

وللوزير الكبير:

٢ سفارى موبير

٢ ثم سطارم موبير مطروزة

٦ ثم رواحى ٣ وبابوجات ٣ موبير مطروزة

٢ ثم حياك بولهوان

٢ ثم كساوى من حرير

٢ ثم حزام ١ زردخان وآخر ١ جزيرية

ولوزير الامور البرانية:

٢ سفارى موبير

٢ ثم سطارم موبير مطروزة

٦ ثم رواحى ٣ موبير مطروزة وبابوجات ٣

٢ ثم حياك بولهوان

٢ ثم كساوى حريرا

٢ ثم حزم ١ زردخان وآخر ١ جزيرية

٢ ثم زرابى كبار عمل الرباط

ثم تبرع السفير بقدر يوزع على المستشفيات كما بالتوصيل الذى بعثه إليه
نائب كاتب الدولة بوزارة الخارجية والشكر الذى أرسله إليه اللورد دربى وزيرها
ونصهما:

«توصلت من سعادة السفير بما قدره ٦٠٠ ليرة تصرف فى سبيل
المستشفيات.

بالنيابة عن كاتب الدولة بوزارة الأمور الخارجية لجلالة الملكة :

... وزارة الخارجية في غشت ١٨٧٦ «

«الوزارة الخارجية الإنجليزية في ٣ غشت ١٨٧٦

سعادة السفير :

أخبر سعادتكم بأنني تشرفت بكتابكم المؤرخ في الثاني من الشهر الجاري، معلما فيه أنكم قد وجهتم على يد الكاتب الثاني بسفارتكم ما قدره ٦٠٠ ليرة إنعاما على العميان الفقراء الذين يعالجون بالمستشفيات المبنية بمرقومكم، كما أتشرف بأن أذكر لكم ما حصل لي من الفرح والسرور بتبليغ ذلك الإنعام إلى مختلف المستشفيات وفق مرغوبكم وأنا أيها السفير خديمكم المتواضع.

الإمضاء: دربي»

وإليك قائمة ما تبرع به السفير في بلاد الإنجليز:

- ١٠ خدمة أوطيل الدوفر ابرات
- ١٥ أصحاب الموسيقى بالدوفر
- ٤٠ ولرئيس البابور بالجزيرة
- ٣٠ أصحاب العربات المنفذة للسيارة
- ٧٥ للخدمة بدار السلطنة يوم الضيافة
- ٢٠ وللبوابة
- ٦٠ للخدمة بدار وزير الخارجية
- ٦٠٠ ولضعفاء اللندريز

- ٢٠. وللخدمة بمدينة وينزة بالقصر السلطاني
- ٢٠. ولأصحاب المدافع يوم زيارة السفير المناورة المدفعية المعدة له
- ٤٠. ولخدمة محل النزول باللندريز
- ٢٠. وللعسكر المنفذ للسفارة
- ٥٠. ولبحارة المركب المقل للسفارة من إنكلترا لفرنسا

وفى هذه الأثناء قدمت جماعة اليهود ببلاد الإنجليز مطالبها إلى السفير لرفعها لجلالة مرسله، وإليك نص كتابها بعجره وبجره وأصله بخط مشرقى:

«نميقة الوداد القلبيه وإقبال التهنيات الزهيه بالسعادات البهية والاحترامات السنية تعرض على حضرة سعادة ذو القدر صاحب درجة العلية السيد الحاج محمد زبدي المحترم بشدور دولة عظمة جلاله سيدنا السلطان حاكم فى جميع بلاد الغربية دام مصون بعناية بارى البرية من وكلا عصبه طائفة الإسرائيلية فى سائر بلاد الإنكليزية.

غب إهدا أذكى التحيات بالإكرام وفرط الدعا المستجاب المستدام وسؤال شريف الخاطر العاطر ولطف المزاج السليم الباهر مع تقديم ما وجب ولاق إلى ذاك الذات بديع الصفات الذى حاز على رتبة العالية ونال مستأهلا ثقة مولاه عظمة جلاله سيدنا السلطان ولهفة جميع الأهالى، نعرض لحضرة سعادتكم بأن عصبتنا المذكورة جل قصدها والمرام تعديل وتصليح بكل نوع لائق ومستقيم أحوال إخواننا الإسرائيليين الموجودين فى سائر بلدان الدنيا، وهذا القصد تم غالبا بفتح مدارس علموية لأجل تنوير شباب إسرائيل، ومنذ ثلاثة سنين تشرفنا بتقديم واجباتنا لعظمة جلاله سيدنا السلطان حين جلوسه على كرسى المملكة، وترونا للآن ممنونين من الوعد الكريم الذى عظمة جلالته تفضل علينا به مع إصدارنا الجواب

وهو ما يخص تحسين أحوال رعاياه الإسرائيليين، وذلك الوعد تكرر فرمان الشريف الذى صدر من عظمة جلاله السلطان والده رحمه الله وعطى إلى سير موسى مونتفيورى فى سنة ١٨٦٤، فاستنادا على مداومة هذه الأفكار العادلة نرجو من إفضال سعادتكم أن تكرموا بلطف المناظرة على الملاحظات الآتى شرحها وتوصلوها إلى عظمة جلاله سيدنا السلطان حيث خواصها جوهرى لجميع الذين يرحموا المخلوقات .

أولا: نرجو حسن إجابة وترفق بحال إخواننا الإسرائيليين الذين فى آزمور، حيث على ما بلغنا من تقارير عمدته من بعض السواحين بأن إخواننا المذكورين مجبورين يمشوا حافين حتى بالشتا فى زقاق مليانان حصى مسنونات وذو حد، وذلك بموجب أمر حاكم المكان الذى يدعى على ما يقولوا بأن ذلك تتميم أوامر رووساه .

ثانيا: نتوسل من حضرة سعادتكم بأن حكم الغرب من كرمه يأمر بالتنبيه فى كل مدة من الزمان فى جميع أماكن الذى فيهم أهالى من ملل مختلفة، بأن هولاي الذين يتبعوا ديانة الغالبة لا يزالون يعاملوا باقى الملل فى كل فرصة بالاحتمال التام، وأن والين الأماكن حينما يحافظون على أمنية كل ملة وملة يجمعوا إليهما إخواننا الإسرائيليين^(١) .

ثالثا: نستغنى هذه الفرصة الجيدة لندير على أنظار حضرة سعادتكم على المنافع العديدة التى تنتج لإخواننا فى الصويرة إذا محلتين الملاح غير كافيتين لراحة سكنهما اتسعتا حيث تراكم السكان بزيادة فى بيوت هل قدر مضيقه غير نضيفه وغير هاوية قطعاً يحصل من ذلك أمراض وبلايا لا تصف من كل جنس عرفى وطبيعى . فبتقديمنا لحضرة سعادتكم الملاحظات المذكورة عندنا يقينا أن بذلك نكرر

(١) حافظنا على النص كما ورد فى الأصل .

فقط أرياب السخى والكرم الذى حضرة سعادتكم تشتهوا قلبيا أكثر من كل مخلوق
أمنية الأهالى ومحبتها لبعضها البعض ونجاح جميع بلاد الغرب .

تحريرا فى ٢٥ شهر تموز سنة ١٨٧٦

نحن لشريف حضرة سعادتكم متواضعين .

رايس متولى مجلس عصبة الإسرائلية

فى ساير بلاد الإنكليزية

رايس متولى تانى

رايس المالية

رايس نظارة الشورة

ناظر مصالح الأدبية

ناظر مصالح المالية

ناظر إدارة الكتبه

محل إدارة كتبه الوصية» بلفظه

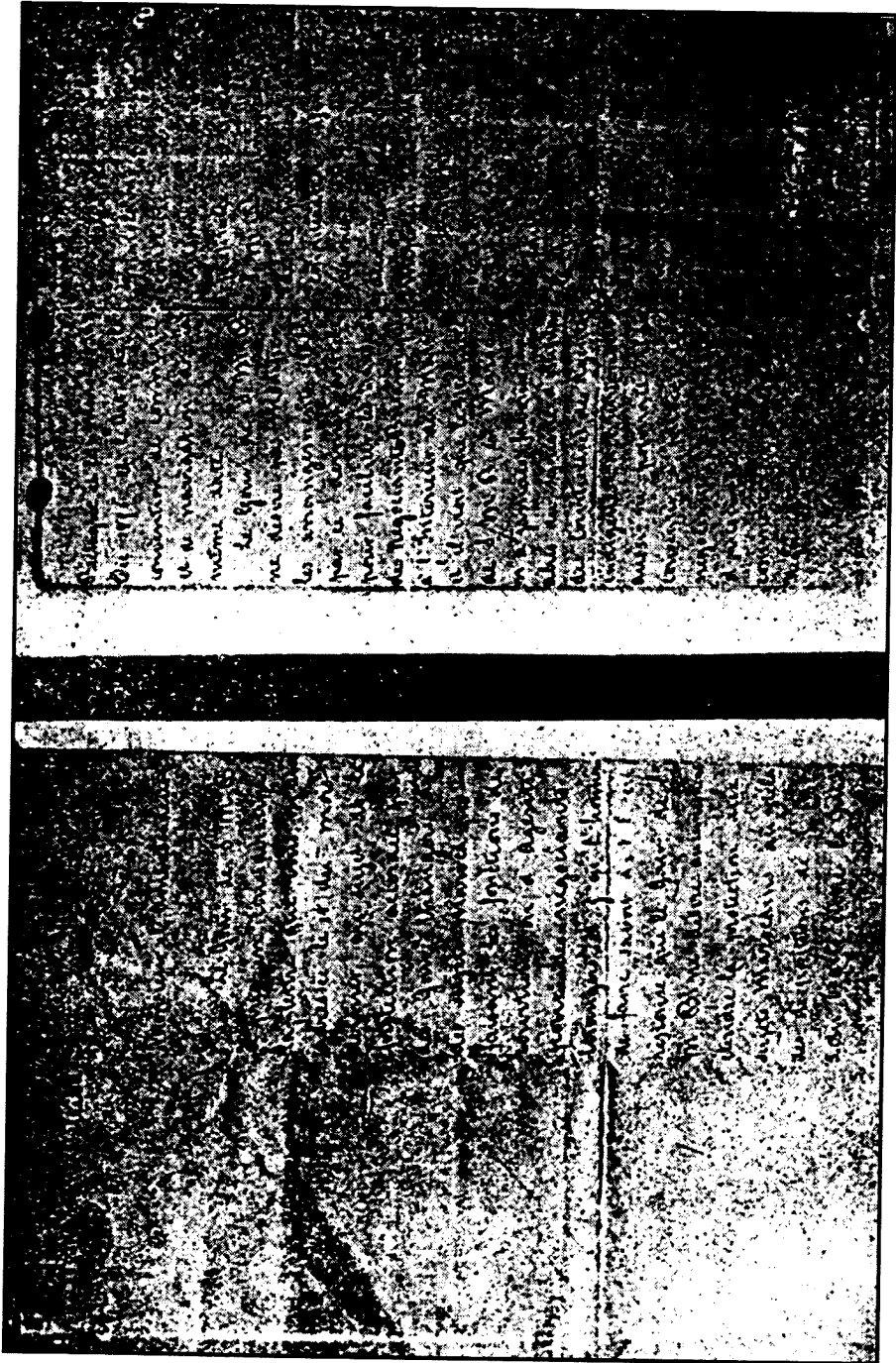
ثم وقع الشروع من السفير فى المذاكرة مع الوزير المعين لذلك وهذا كتاب
من وزارة الخارجية الإنكليزية يشرح بعض ما جرى من المفاوضات :

عاصمة إنكلترا ٨ غشت ١٨٧٦

«الوزارة الخارجية

يا جناب السفير

إن حكومة جلالة ملكة إنكلترا قد أحلت محل الاعتبار رسالتكم المؤرخة
ب١٨ الجارى فيما يخص حماية الحكومات الأجنبية لجملة المغاربة القائمين بوظائف
السمسة أو النيابة لدى التجار الأجانب .



كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدي

وردا على رسالتكم المشار إليها، أشعر سعادتكم بأن حكومة جلالة الملك ليست لها رغبة في بسط هذه الحماية على المغاربة إلا بمقتضى نصوص الفصل الثالث من الاتفاقية المبرمة بين بريطانيا العظمى والمغرب في تاريخ ٩ دجانبر ١٨٥٦، وبمقتضى الفصل الرابع من الاتفاق التجاري والبحرى الصادر فى نفس التاريخ المذكور.

وليس فى رغبة حكومة جلالة ملكة إنكلترة تغيير الاتفاقات المبرمة طبقا لهذا الفصل الأخير لتسهل على التجار الإنكليز القيام بأعمالهم داخل الإيالة المغربية، وما تعتقده الحكومة أيضا أن سفير جلالة ملك إنكلترة فى المغرب لم يقدم قط على إثارة السماسرة أو النواب التجار فى الداخلية.

فالحكومة والحالة هذه لا تستطيع أن تبخس التجار الإنكليز شيئا من الامتيازات التجارية الممنوحة لسواهم من التجار الأجانب.

وبالرغم عن هذا كله فإذا وفقت الحكومة المغربية إلى أن تعقد مع أية دولة اتفاقا يكون أفضل لها من الأول، فإن حكومة جلالة ملك إنكلترا تنيله اعتبارا صحيحا حتى تتوصل حسب الإمكان على تلبية رغبات جلالة ملك المغرب.

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعبر لسعادتكم عما حصل لجلالة الملكة ولحكومتها من الارتياح لمأموريتكم راجيا من سعادتكم أن تتقبلوا فائق الاحترام.
“.....”

ثم ودع السفير الملكة فكتوريا وطلب من الوزير كتابة صدور الأمر لباشادورهم بطنجة لتتميم المسائل هنالك، وأبحر من إنكلترا لفرنسا فقابل رئيس جمهوريتها مقابلة الوداع، وطلب صدور الأمر لباشادور الدولة الفرنسية بطنجة لتتميم المسائل التى لم تتم.

ثم ظعن من باريز لمدينة ليون، ورافقه إليها نائب الوزير والترجمان على

العادة المقررة فى سائر تنقلاته من مملكة لأخرى، وقد قبول بمدينة ليون بكل تجلة وإكرام. ومزيد إكبار واحترام. وأقام بها بضعة أيام فى ازدهاء وازدهار.

وتبرع فى هذه الرجعة لفرنسا بهبات أحر

٥٠٠ وللخدمة بمحل النزول بكالى

١٠٠٠ وللخدمة بمحل النزول بباريس

٥٠٠ ولأصحاب العربات المنفذة للسفارة

٥٠٠ وببيلد ليون محل الفبركات بطورى

٥٠٠ ولخدمة فندق النزول به

٣٠٠ ولأصحاب العربات به

٣٠٠ ولأصحاب الموسيقى

ومن ليون ظعن لمدينة مضان التى هى الحد الفاصل بين فرنسا وإيطاليا، وكتب لأميره بكل ما راج فى تنقلاته بل حركاته وسكناته، وإليك لفظ جواب الحاجب الوزير عن الكتاب المشار بعد الحمدلة والصلاة.

«محبنا الأعز الأرضى، المبجل المرتضى، الباشدور السيد الحاج محمد الزيدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه أنك نهضت من مدينة ليون بعد ما أقمتم بها حسبما تواعدتم به مع الدولة الفرنسية حسبما قدمتم شرح ذلك، وتوجه معكم ترجمانهم، إلى أن وصلتكم إلى مدينة مضان التى هى الحد بين الفرنسيين والطلين.

فوجدتم نائبه منتظراً لكم، وتلقاكم بالترحيب والتعظيم، وحملكم فى عربة متخبة من عربات كبيرهم، وصاحبكم إلى مدينة عظيمهم المسماة طورين، فأقمتم بها يومين مكرمين معظمين، وورد عليكم عامل البلد وشيخها والجنرال وكبير العسكر.

وأخبروكم بأن عظيم الدولة خارج البلد حسبما قدمتم الإعلام بذلك وأن رجوعه يكون فى أواخر غشت، وقاموا بالاعتناء بكم وطلبوا توجهكم إلى رومة عملاً بما أمروا به من قبيل كبيرهم، فدخلتم لها يوم تاريخ كتابكم بعد اجتيازكم من مدينة فرينسية، ولقيكم بها خليفة وزير الأمور البرانية مع الكبراء المذكورين.

ثم قدموا عليكم لمحل النزول برومة بقصد التسليم والتهنئة وظهركم أن قدوم الوزير عليكم يكون بعد الاستراحة، وأخبروا بوصول الهدية إلى جنوة عدا الخيل، وأنك تطلب من الوزير عند اللقاء به إتيان الهدية لتصبحها معك إلى طورين عند رجوعك إليها، وبينت ما ظهر لهم من تأخير ورود الخيل إلى أن تأتى فى البابور الذى يحملكم إلى طنجة، وأن الكتاب الشريف الذى تدفعه لعظيمهم كان وجهه لك وزير الأمور البرانية، حيث كنت بطورين، ورجوت أن يكون غشاؤه مع الهدية وقد طالعنا سيدنا أعزه الله بكتابك، وصار ما قررته بباله الشريف، ودعا لك أيدى الله بخير ونسأل الله أن يقضى بك الغرض الشريف، ويسدك فى الأقوال والأفعال وعلى المحبة والسلام فى ٤ رمضان عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به».

ولما وصل السفير لحدود إيطاليا ودعه النائب الفرنسى الذى ذهب معه مشيعاً له، واقتبله وزير خارجية إيطاليا وباشادورها بطنجة والحاكم العسكرى، وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وأداء واجب التحية، توجهوا فى مركب عظيم لمدينة طورين،

وكان ملك إيطاليا إذ ذاك متغيبا للصيد طبق ما أشرنا إليه فى خبر الباشادور للسفير، فأقاموا بطورين فى حفاوة وإكرام وتكريم.

ثم ورد عليهم الوزير وولى العهد الحالى، وطلبوا من السفير التوجه لرومة عاصمة الملك فأجابوا رغبتهم، وكان يوم دخولهم إليها من أعظم المشاهد وأفخرها.

ثم شرع السفير بمباشرة أمور المأمورية التى جاء لأجلها مع الوزير، وطالت المفاوضات بينهما أياما حتى تم الأمر وفق ما يرام ويراد، وبعد الضيافة برومة وانتهاء الوطر ونجاح المسعى، رجع السفير وولى العهد والوزير لطورين، فوجدوا الملك قد رجع من الصيد وقد اقتبلتهم الحكومة المحلية هنالك بغاية الإعظام والسرور وبمجرد ما استقر المجلس بالسفير ورد عليه رئيس التشريفات يحييه نيابة عن الملك، وصرح له بأن الملك ما عجل الأوبة إلا لأجله، وأنه بعد مقابلتهم سيرجع لتتميم فسحته ورياضته الصيدية، وعين له وقت الاستقبال، وأنه سيكون من الغد.

وهذا كتاب وزارة الخارجية الإيطالية المعين للوقت:

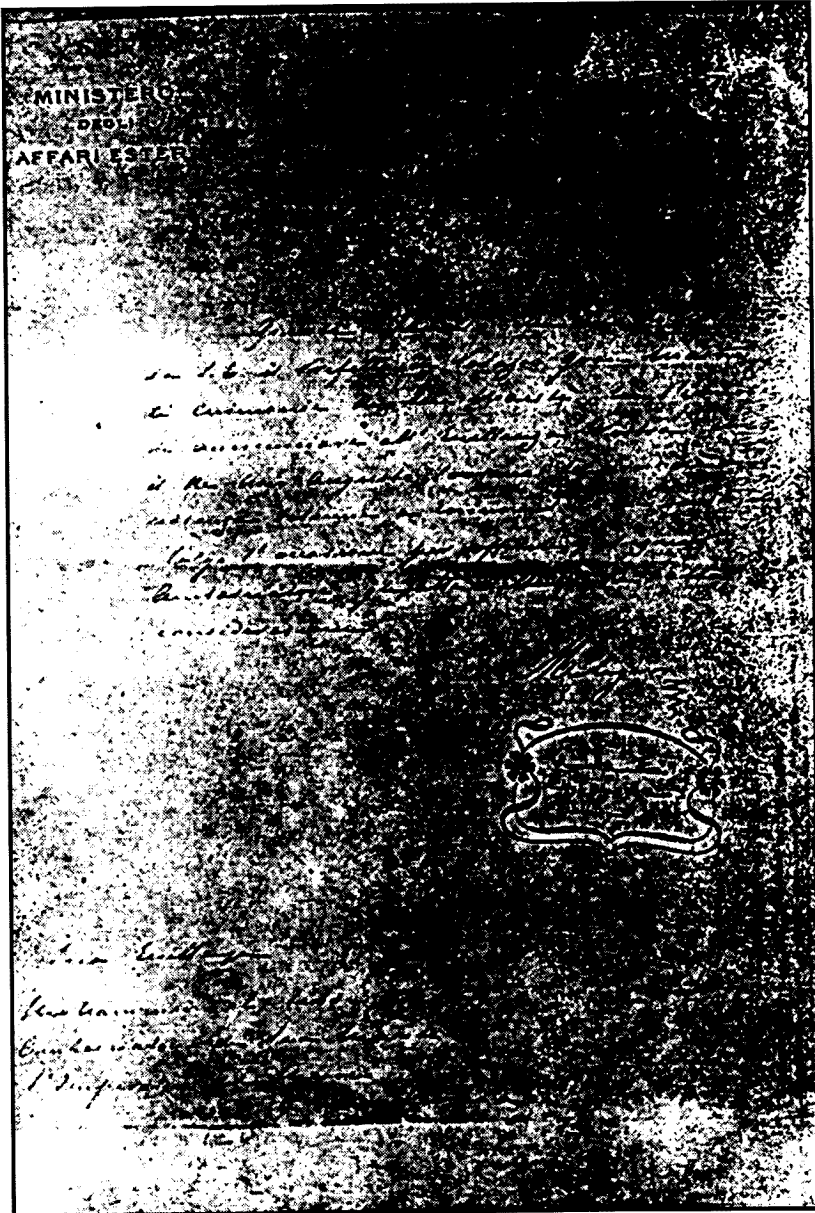
«وزارة الأمور الخارجية رومة فى ٢٠ غشت سنة ١٨٧٦

سعادة السفير:

إنه جوابا عن كتابكم الذى مكننى إياه سعادة عامل فالازيو حاجب جلالة الملك أتشرف بإخبار سعادتكم أن مولانا الملك سيستقبلكم فى حفلة رسمية بطوران فى ٢٦ من الشهر الجارى.

وأغتنم هذه الفرصة لأقدم لكم يا سعادة السفير عبارات فائق احترامى والسلام.

الإمضاء: ميليكارى»



تعيين وقت استقبال السفير

المواصلة. وتنمو وتزيد، وقد حملناه ما يذكره لكم مشافهة نيابة عن جنابنا العالى بالله من المجازات بلسان الخير والثناء على ما أظهرتموه بجنابنا العالى بالله، من المبرة والاعتناء، حيث عيتم سفيركم الكبلير المعتبر المنسطر (الكمندطرا صطبان اشكباص الرزدنص) وأوفدتموه على حضرتنا الشريفة مينا لما نعتده من صفاء المحبة. ومحققا لما نعتده من أشرط الصحبة. مما ملأ الجوانح انشراحا، وجدد لبلوغ الآمال ارتياحا.

والمعتقد عندنا أن تقابلوا سفيرنا المذكور، ومن معه بغاية الاعتناء والبرور، وتلاحظوه بعين الاغترار فى الورد والصدور، وتصدقوه فى جميع ما يذكره لكم من جانبنا العالى بالله من خالص المحبة وصفو الوداد، مما يكون بحول الله سببا فى كمال الاتصال بين الإيالتين ويعود بالنفع والخير على الدولتين العظيمتين، حتى يرجع مقتضى المطالب ناطقا بلسان الشناء على تلك المراتب، فإن محبتنا مع دولتكم الفخيمة القديمة، وطريقتنا فى التودد لعظماء الدول قويمة، والمحبة تقتضى التسهيل والتيسير، وتؤذن بكمال التوافق فى الكثير واليسير، ودمتم كما تحبون ممتعين بموجبات الهنا، مقابلين بما يليق بكم من بلوغ المنا، وبه ختم فى ٢٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٣.

وبعد انتهاء المقابلة مع جلالة الملك وتناوب الخطب استدعى الملك السفير بانفراد لمحل خصوصى بالقصر وتفاوض معه فى أمور. وأظهر له غاية الاعتناء والبرور، واستدعى وزير الخارجية بمحضره وقال له إنى أكون مسرورا إذا رجع السفير مقضى الأوطار، وحمله السلام الخاص لجلالة السلطان، وأمر ولى عهده بالقيام بإكرام السفارة إلى أن ترجع مبهجة مسرورة، فأقام لهم حفلة عظيمة تلك الليلة تناولوا العشاء فيها بدار الملك.

وإليك قائمة الهبات التي تبرعت بها السفارة فى مدة مقامها ببلاد الطليان
والأعداد بحسب النقد الإيطالى وهو الليرة:

بمدينة طورين لأصحاب الموسيقى ٣٠٠ عربات ٣٠٠ عسكر الحرس المعين
للسفارة ٥٠٠ ١١٠٠

ببلاد افرنسية موسيقى ٢٥٠ العربات ٢٥٠ الحرس ٥٠٠ ١٠٠٠

برومة أصحاب الموسيقى ١٠٠٠ الضعفاء ٣٠٠٠ العميان ٣٠٠٠ ٧٠٠٠

لأصحاب وزير الخارجية ١٥٠٠ العربات ٣٠٠ الحرس المعين للسفارة ٥٠٠
٢٣٠٠

ضعفاء مدينة برنسية عند الرجوع لها للضعفاء ٣٠٠٠٠ موسيقى ٢٥٠

العربات المنفذة للسفارة ٢٥٠ ٣٥٠٠

عند الرجوع لطورين عربات ٥٠٠ للضعفاء بها ٦٠٠٠ للخدمة يوم الضيافة

بدار السلطان ٨٥٠٠

وللحرس بدار السلطان ٢٠٠٠ ولمن عين لمقابلتها لما توجهت للصيد مع ولى

العهد والوزراء ٢٠٠٠ ٤٠٠٠

وللخدمة جنان الوحوش ٥٠٠ وبيجنوة للحرس ٥٠٠ لأصحاب العربات

٣٠٠

وللخدمة بالمركب الحربى على يد الرئيس ٥٠٠ ٦٣٠٠

وللخدمة مائدة الأكل به ٥٥٠

ونص بعض رسائل الشكر التى تلقاها السفير على بعض تلك الهبات فعن

هبة العميان:

«ماوى مارغيت دوسافوى

رومة فى ٢١ غشت ١٨٧٦

مكتب تدبير الأمور

سعادة الوزير

إن هبتكم الشريفة المحتوية على فرنك ٣٠٠٠ اللائقة حقا بكرم سعادتكم،
والملك العظيم الذى تنوبون عنه أحسن نيابة، قد أثرت فى قلب المجلس الإدارى
لماوى العميان الفقراء الذى تترأسه أميرتنا الفخيمة بسافوى.

فبالنيابة عن المجلس المذكور أعبر لسعادتكم عن كامل ممنونيتى كما أطلب
من الله أن يمد فى عمر ملككم الفخيم وشخصكم الكريم أعواما مديدة فى رفاهية
واطمئنان.

نائب السمو الملكى

الإمضاء: لا يقرأ»

وعن هبة فقراء رومة:

«رومة فى ١٢ غشت سنة ١٨٧٦

سعادة السفير

قد دفع إلى كاتب سعادتكم مبلغا قدرة ثلاثة آلاف ليرة إيطالية ذهبية تفضل
بها جنابكم على فقراء المدينة.

ولا شك أن والى مدينة رومة سيكون لدى سعادتكم خير مترجم للعواطف
السامية التى ستخامر أهل المدينة كافة، لما يتيقنوا أنه قد اجتمعت فيكم أحمد
الخصال والعواطف الكريمة، ومواهب العقل العالية التى أوجبت لكم فائق
الاحترام فى عموم الوطن، وقد بقى على أنا كذلك أن أعرب لجنابكم عن



توصيل بما وقع به التبرع على جمعية رومة

تشكراتى الخالصة على حسن صنيعكم الذى يزيد فى توطيد الدعائم والمحبة التى تربط دولتنا، وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لسعادتكم فائق الاحترام.

ميلكرى».

ثم كتبت الحكومة للسفير كتابا تبلغه طيه شكر شيخ مدينة رومة نيابة عن فقرائها وهو:

رومة فى ٢٨ غشت سنة ١٨٧٦»

إلى سعادة السفير

قد كلفنى والى مدينة رومة بأن أبلغ لسعادتكم الكتاب المبعوث لكم طى هذا يشركم فيه على عواطفكم الكريمة التى حملتكم على التبرع بثلاثة آلاف ليرة ذهبية على ضعفاء المدينة لأنهما مكننى من فرصة.

وإننى أقوم بهاته المهمة عن طيب نفس أجرد لكم فيها عبارات احترامى الفائق.

نيابة عن الوزير: مورنيلى

وهذا الكتاب المشار له:

«مدينة رومة بالكابيطول فى ٢٢ غشت سنة ١٨٧٦

مكتب شيخ البلد

سعادة الوزير

توصلت على يد سعادة وزير الأمور الخارجية بمبلغ قدره ٣٠٠٠ ليرة ذهبية التى أرادت سعادتكم الكريمة أن تفضل بها على الأعمال الخيرية برومة.

وأرى من الواجب أن أشركم الآن على تكرمكم هذا منتظرا أن أعبر لكم شفاهيا بما هو أحسن عن عواطف اعترافى بالجميل، واعتراف أهل المدينة كلهم.

فلتتقن سعادتكم بخالص احترامي والسلام

شيخ البلد

الإمضاء: لا يقرأ»

وعن هبة طورين:

«عامل طورين بطورين في ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦

أيها القائد

قد تشرفت بوصول كتابكم اللطيف المؤرخ يومه، وأبادر بإخباركم أنني توصلت بما قدرة ستة آلاف ليرة (٦٠٠٠) مركبة من ثلاثمائة نقد ذهبي قيمة كل واحد عشرون فرنكا التي تبرع بها سعادة سيدي محمد الزبيدي في سبيل البر، وأرجو منكم أن تترجموا لدى الرجل الفذ الذي أراد أن يبقى أثرا قيما عند مروره ببلدتنا عن عواطف ممنونية بؤساء مدينتنا الذين تنعموا بما أفاض عليهم من إحسانه الجزيل، وأنهم يتلون على اسمه آيات الحمد فحققوا له أن اسمه المعتبر لا ينفك يذكر ومقرونا بتمجيد الملك المعظم لدى إنابه عنه لدى جلاله ملك إيطاليا.

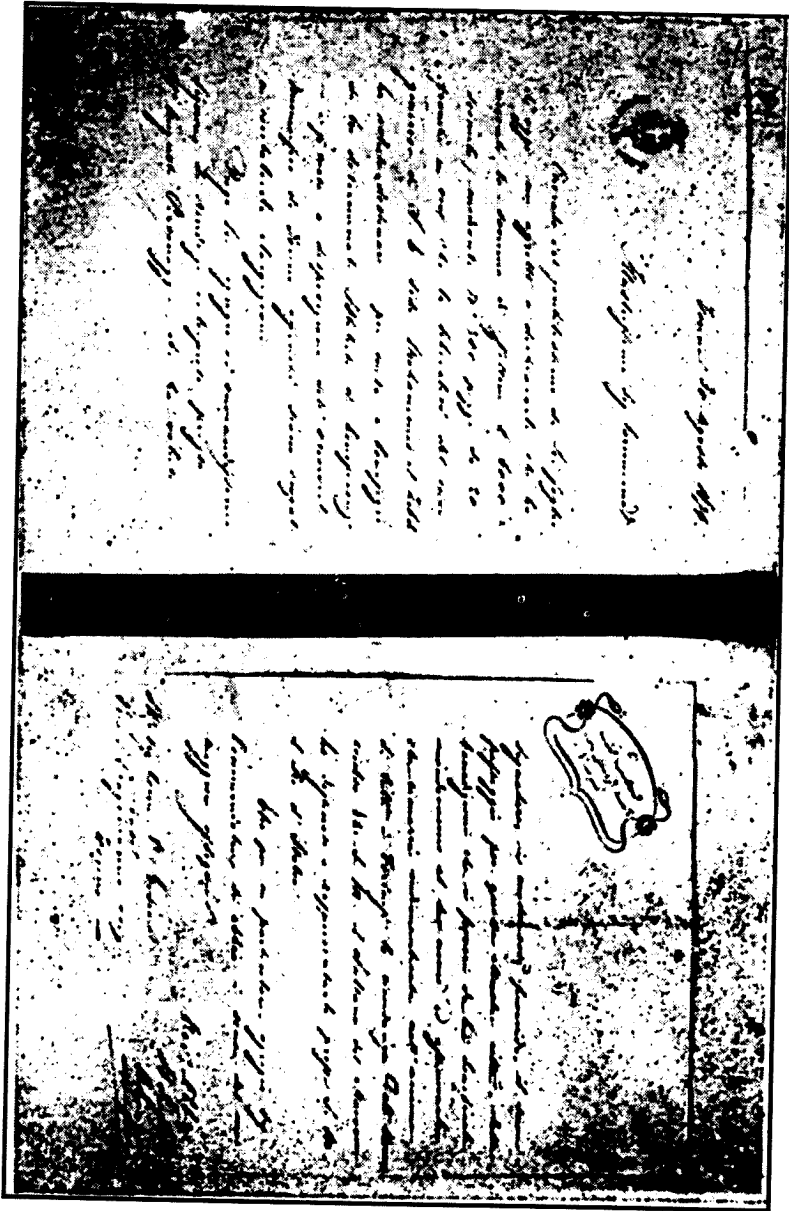
فأرجو منكم أيها القائد أن تقبلوا فائق تحياتي والسلام

والى مدينة طورين»

وعن هبة رجال الاصطبل الملوكى بطورين:

«كتب بطورين ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦»

أنا الواضع اسمى أسفله، أعترف بأنى قد حزت من الفارس بوزيد الترجمان الأول لسفير جلاله سلطان المغرب مبلغا قدره سبعمائة ليرة إيطالية ذهبية تفضل بها سعادة السفير على خدم اصطبل جلاله ملك إيطاليا مكافأة على ما قاموا به نحو سعادته مدة إقامته.



من وزارة إيطاليا بطورين للسفير الزبيدي

نيابة عن قائد اصطبل جلالة ملك إيطاليا . . . »

ثم ظعن السفير لمدينة جنوة ومنها أبحر في مركب حربى خصوصى أعدته الحكومة الاطالية له، وسار ووجهته طنجة، ورافقه إليها باشادورهم بها، وكان دخوله لطنجة فى اليوم الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وتسعين مقضى الأوطار، وخلف فى مدن أوروبا بما أبداه من السياسة وقام به من التبرعات على الجمعيات الخيرية ذكراً جميلاً حفظه التاريخ للمرسل والمرسل بل لسائر الإيالة المغربى .

ثم سافر السفير من طنجة لفاس حيث كان مشوى السلطان إذ ذاك، فأكرم وفادته وقابله بما هو له أهل من التجلة والإكرام، ولما قص عليه قصص سفارته وقرر له كل شاذة وفاذة شكر مسعاه ودعا له بخير، وأمره بالرجوع لطنجة لتتميم المسائل المحال على القناصل والباشادورات القاطنين هنالك فى حل مبرمها، ولم يزل بطنجة إلى أن كمل المراد وفق ما يراد حسبما ينبئ عن ذلك جواب الحاجب أبى عمران موسى بن أحمد للسفير على كتابه إليه فى القضية ونصه :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا .

محبتنا الأعز الأرضى وأمين مولانا الناصح الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزيبدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعلمنا منه ما آل إليه أمر ضبط الحماية وما حصل فى مباشرتها من التيسير، وأن الكلام فيها سيتم فى قريب وبينت ما دار بين النواب فيها ومن وقف منهم فى أمرها وبذل المجهود فى حصرها على القوانين، ومن توقف منهم فى تكليف السماسرة على الوجه الذى أشرت إليه، ونبهت على تمام وقوف باشادور النجليز المحب وحسن مباشرته ونصحه، وكذا نائب المركان، وما صدر من الأخير من زيادة التنبيه على أمر الحافر بالأبواب حسبما سطرته وأنهينا

ذلك كله لمولانا المنصور بالله، وسره ما أثبتت به عليهما وأمر أيده الله بالكتب
لهما بالمجازاة على ذلك بخير فكتبنا وها كتاباهما ٢ يصلانك لتدفع لكل واحد
منهما كتابه وتنوب عنا في مجازاتهما، ونسأل الله أن يسدك ويصحبك الإعانة
واللطف والتيسير ويقضى بك الغرض الشريف على وفق المراد أمين، وعلى المحبة
والسلام في ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤، ومنه، ولا تغيب عنا خبرا فإننا نتشوف
لإخبارك ولا بد صح به

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب سفير الانجليز المشار إليه :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المحب الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين والصلاح بين الإيالتين مينسطر
سلطانة اكريت بريطن الفخيمة وباشدورها المعتر بهذه الإيالة السعيدة الكبليرجان
هى درمنض هى .

أما بعد: مزيد السؤال عنك كثيرا ومحبة أن تكون بخير دائما، فإن محب
لجميع الأمين الأرضى خديم سيدنا الأنصح السيد الحاج محمد الزبيدى كتب بأنك
وفيت بما وعدت به من الوقوف فى مباشرة إتمام الكلام فى أمر الحماية بما ينحسم
به ضررها ويبنى أمرها على القانون، وأنك بذلت المجهود ونصحت ولم تقصر فى
الأخذ بيده والإشارة بما فيه المصلحة على عادتك، وأنهينا ذلك لمولانا المنصور بالله
ونشط به ودعا لك بالمجازاة بخير وتحقق لدى سيادته أنك جريت فى ذلك على ما
يعلمه أيده الله منك، وجبلت عليه من تمام المحبة فى جانبه العالى بالله وبذل
النصيحة والسعى فى جلب الخير والمصالح لهذه الإيالة السعيدة، جزيت خيرا.

فنجبك أن تزيد في وقوفك وحسن مباشرتك لیتم الأمر على يدك على وجه جميل، وتفوز بمزية سبق لإحراز هذه الفائدة والمزية، والظن بك أنك لا تقصر ولا تحتاج إلى مزيد تنبيه، فإن العاقل يحرص على تمام وإحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها وبه ختم في ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤ .

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب سفير أميركا المشار إليه أيضا بعد الحمدلة والحوقلة :

«المحب العاقل الساعى فى الخير والصلاح بين الإيالتين المعتبرتين والدولتين الفخيمتين، نائب دولة جنس المركان المفوض له بهذه الإيالة السعيدة الجنرال المعتبر فليين مطيوس .

أما بعد السؤال عنك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد أخبر أمين مولانا الأرضى السيد الحاج محمد الزبيدى أنك وقفت معه فيما توجه بصدده ولم تقصر فى الأخذ بيده فى ذلك وفاء بما وعدت به، وأنت زدت التنبيه على أمر الحافر بالأبواب، وأشرت بأن يكون الناس فيه على حد سواء مثل الرعية، وذلك مما يؤيد ما نعلمه منك من المحبة وبذل النصيحة، والإشارة بما فيه المصلحة والسعى فى جلب الخير لهذه الإيالة المحروسة بالله جزيت .

وقد سرنا ذلك وأنهيناها لمولانا المنصور بالله فنشط وأمر بالكتب لك بالمجازات بخير، وعلم أيدى الله أنك عملت أن تزيد فى وقوفك وحسن مباشرتك حتى يتم هذا الأمر على وفق المراد، فإن العاقل يحرص فى تمام عمله وإحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها، وبه ختم فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤ .

موسى ابن أحمد لطف الله به»

وليست هذه السفارة بأول مأمورية مهمة رشح لها هذا السفير الخطير القدر، الرفيع الذكر، المحبوب فى أمته المختار لديها، فى الرياسة عليها. حسبما تقف

عليه فى ظهير سلطاني عبد الرحمانى، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف فى وسطه «عبد الرحمن بن هشام الله له» وبدائثرته ومن تكن برسول الله نصرته... إلخ، من يعتصم... إلخ.

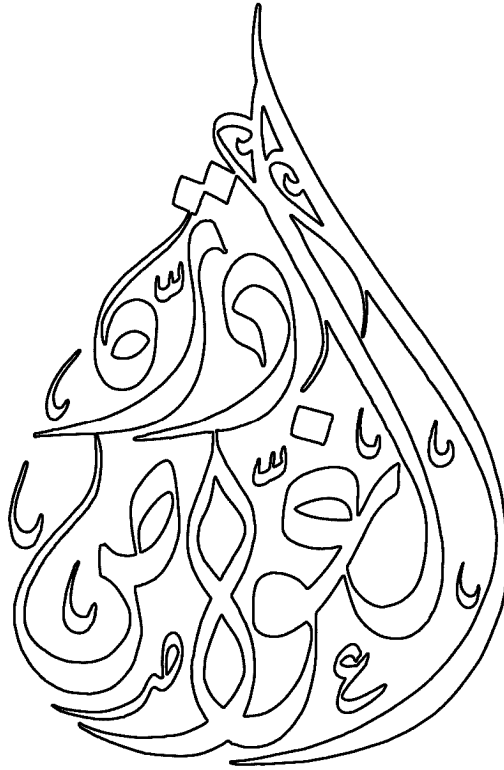
«خدامنا أهل الرباط وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا كاتبنا الطالب العربى بن المختار باختياركم للولاية عليكم خديمنا الحاج محمد الزبيدى وموافقتم على تقديمه خاصة وعامة، فقد كملنا لكم فيه ووليناه عليكم وأسندنا إليه أموركم وبسطنا له يد التصرف عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا فى جميع ما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم وجعله غرسا طيبا آمين.

فإنكم خدامنا ورعيتنا وزاوية جدنا سيدى الكبير قدسه الله، ونحن نراعى لكم جواره وحقه، ونعلم ضعفكم وعجزكم ونحب من يرفق بكم ويسير فيكم السيرة الحسنة، وقد عفونا عن هفوتكم، وصفحنا عن زلتكم، وقبلنا توبتكم وإنابتكم، فطيبوا نفساً وقرؤا عينا، فلا تروا منا إلا ما يسركم إن شاء الله تعالى، فإننا نعامل بالعمو الطغاة أهل الجرائم العظام، ونقابل بالصفح أهل الكبائر والآثام، فكيف بمن هو أعجز الناس عن الدفع عن نفسه وأولاهم بالرفق والإغضاء والشفقة اقتداءً بجدنا رسول الله ﷺ، وفى الحديث: «كان خلقه القرآن» وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى ٤٣]. ﴿... وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...﴾ [سورة البقرة ٢٣٧]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ...﴾ [سورة المؤمنون ٩٦]. وأنه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٩٩] قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك. وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وقد قال ﷺ: «اللهم اغفر لأمتي فإنهم لا يعلمون» وفي شمائله ﷺ: ولا يقابل بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ونحن بسبته مقتدون وبأنواره مهتدون، كيف وهو عليه السلام يقول: ما ازداد عبد بعفو إلا عزا، فاعفوا يعزكم الله.

وأقول ما حكى الله في كتابه على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿... لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ [سورة يوسف: ٩٢] والسلام في ٢٣ رمضان المعظم عام ١٢٦١هـ.



الكلام على بقية علائقه السياسية مع فرنسا

ثم وجه المترجم بعد هذه السفارة سفارة ثانية لفرنسا يرأسها القائد عبد المالك ابن على السعيدى خليفة باشا طنجة وباشا أصيلا استقلالا أولا ووجدة ثانيا، وكانت سفارته فى ربيع الثانى عام اثنين وثلاثمائة وألف، ورئيس الجمهورية إذ ذاك المسيو اكريفى وبتاريخ عشرى شعبان العام، وشفعه بالعلامة المدرس أحد أعيان كتاب الحضرة السلطانية السيد عبد الواحد بن المواز.

وإليك نص بعض ظهائر هذه السفارة ويوجد جميعها بمكتبتنا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وهو: الحسن بن محمد الله وليه ومولاه، أيد الله نصره ووالى سعده الدائم، ونشر على البشر شعاع شمس عزه القائم إلى المودود الحبوب الملحوظ منا بملاحظ الخطوة والإكبار، والملموح لدينا بلامح العناية والاعتبار، المميز بمزيد سبق فى ميادين السياسة، الحائز التصدير والتبريز فى ديوان الرياسة، الحامل الراية بين أولى التدبير بالأولوية، كبير جمهور الدولة المحبة الفرنساوية، المخصوصة بكل فخامة وضخامة بطريق الأحرورية، الأمير الجامع لكل فخار تليدى وطريفى. المعتمد المعظم المحترم اكريفى.

أما بعد حمدا لله الذى لا إله إلا هو، فالداعى لتحرير هذا المسطور الكريم إليكم، وإيفاد خديمتنا الأرضى الأصلح الأحظى الأنصح، القائد عبد المالك السعيدى سفيراً لديكم، هو تشييد مبانى المحبة التى لا تزداد بحول الله على طول الأباد، وتعاقب المدة إلا صفاء ونقاء وجدة.

وقد انتقينا الخديم المذكور من أولى الصدق والجدة والنصيحة والنجدة، وأذكى أقرانه، وأمثل أهل زمانه، وحملناه ما يوصله لفكرتكم النقادة، وقريحتكم الوقادة، مما لدينا من التحفظ على ما يديم بين الدولتين العظيمتين حسن المعاملة، وصدق المصارفة والمكارمة، لكونه أعرف بذلك من غيره وبأشأ أموراً أطلعتة على نجوى ذلك وسره، حيث كان واسطه بين الإيالتين مخصصاً عندنا هناكم بالكلام فى أمور الجهتين، إذ ليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالعيان كما هو مقرر فى الأذهان، وأملىنا عليه ما يشافهكم به نيابة عن جانبنا العالى بالله من المجازاة بالسنة الشكر، وثنايا الشناء وأفواه التفويق والتنويه على ما ظهر منكم لجانبنا العالى بالله، من الاعتناء وصدق الوداد، وحسن الحال وجميل الاعتقاد.

وشفعناه بكاتب حضرتنا الشريفة الأرضى الفقيه العالم المدرس الطالب عبد الواحد بن المواز رداءً لأمره وتحسيناً لوجه سفارته وشدكاً لأزره، مختاراً من كتاب حضرتنا العلية ومن على أركانها السنية.

وإننا لعلى يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه من الوفد المشكور، بغاية القبول فى الورد والصدور، جرياً على عادتكم الحسنة المشهودة، وسجاياكم المليحة السليمة المعلومة المعهودة، ومن أنكم تصدقونه فى جميع ما يقوله لكم عن مقامنا العالى بالله من خلوص الطوية، وصفاء المصافاة بالنية، وكل ما يزيد فى كمال الاتصال تأكيداً وقوة، وفى مواد التواد نتيجة منتظرة وثمرة مرجوة، من كل فائدة تكون سبباً لاسترسال خير الإيالتين الكبيرتين، وعمدة فى حصول النفع بين الدولتين العظيمتين، كما كان ذلك مع من تقدم من قبل من الجانبين.

وأرجو الله أن يكون الآن أكثر، وأنى وأشهر، وقد دلت عليه قرائن وأمارات، ولا حت له آثار وعلامات، إذا خير الخلف من قام مقام السلف وتبع

آثارهم وأحيا مآثرهم، فإن أجل مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير مع عظماء الدول سيما مع الجوار الذين عليهم فى المحبة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول.

هذا ودمتم كما تحبون مخصوصين بكل سلامة، مهتئين بكل كرامة، راتعين فى أرغد عيشة هنية، ممتعين بكمال الآمال وتمام الأمنية وختم فى ٢٠ من شعبان عام ١٣٠٢.

ووجه للدولة الفرنسية أيضا سفارة أخرى يرأسها القائد المعطى بن عبد الكبير المزمazy معززا بالكتاب السيد أحمد الكرودى والأمين ابن المدنى بنيس.

وإليك نص الكتاب السلطانى للرئيس كارنو بعد الافتتاح:

«إلى المحب سامى الرتب الموقر المنتخب الملحوظ بملامح الاحترام والأثرة والإكرام، الموصوف بين الرؤساء العظام بصميم الشناء والسياسة والذكاء كبير الجمهورية بالدولة الفرنساوية الفخيمة البهية الرئيس المعظم (كارنو).

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فلا زائد على المعهود من المحبة والمودة والصحة، إلا الإعلام بما اقتضاه جميل المعاملة، وجيليل المجاملة من توجيه خديمنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح، القائد المعطى بن عبد الكبير المزمazy سفيرا إليكم مؤديا مشافهة ما يكون بحول الله ناجحا لديكم، بعد أن انتخبناه من سليل الجماهير، خدام أعتابنا الشريفة المشاهير، الذين لهم القدم الراسخ فيها خلفا عن سلف ومن بيوتات المجد الذى ليس فيها مختلف، وحملناه ما يؤديه إليكم من حسن المجازاة، والشناء والمكافأة على ما ظهر من جانبكم الأفخم، من حسن الموالاتة التى تأكدت بتوجيه سفيركم لحضرتنا الشريفة، تأكيدا للمحبة وزيادة المودة والإعراب عما فى النية، وما تضمنته الطوية، مما حرك

نشاطا، وسروراً وانبساطاً. وعززناه بكاتبنا الأرضي الأنجد الطالب أحمد الكردودي، وبخديمتنا الأرضي الأمين الحاج محمد بن المدني بنيس، ونحن على يقين من أنكم تقابلون الجميع بمزيد المبرة والقبول. وتبلغونهم من الاعتناء غاية المأمول. وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه وفي كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالی بالله من جميل الاعتقاد، وكامل الوداد، وما يقوى أسباب الاتصال. ويحصل فوائد الاحتفال والاهتبال. مما يزيد بحول الله في الخير بين الإيالتين وتتأكد به المحبة بين الدولتين، فإن مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير بين الدول العظام سيما مع من هو مثلكم من الجوار الذين عليهم في المحبة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول، ودمتم مخصصين بالاعتبار التام، في الافتتاح والاختتام، وحرر في ٢٧ قعدة عام ١٣٠٦».

وبعث سفارة أخرى لفرنسا برياسة الحاج محمد بن سعيد السلوى.

ولقد أوفدت عليه الدولة الفرنسية في أول ولايته سفيرها الباشادور «طيسو» حاملاً لوسام فخم وإليك نص ظهير جواب المترجم لرئيس الجمهورية الفرنسية مسيو تيارس بعد البسملة والحوقة والافتتاح.

إلى المحب الزعيم، والصاحب الفخيم، كبير جمهورية الدولة الفرنسية المفخم طيرس.

أما بعد حمد الله تعالى، فقد ورد على حضرتنا العالیه بالله تعالى كتابكم صحبة باشادوركم المنيسطر الكبلير مسيو طيسو، وعلمنا ما أثبتتم به عليه، وما وصفتموه به من الصدق، وأنكم وجهتموه لتجديد عقد المحبة والعهد بين الدولتين، ولتأكيد ما يجب من حقوق الجوار الذي بين الإيالتين، فقد وصل وتلاقى مع جانبنا العالی بالله وأنهى لعلی مقامنا من محبتكم ما هو المعهود منكم، والمعتقد في جانبكم.

Handwritten text block 1, starting with a large initial letter, possibly 'بسم الله'.

Handwritten text block 2, continuing the narrative or list.

Handwritten text block 3, containing several lines of text.

Handwritten text block 4, possibly a section header or separator.

Handwritten text block 5, containing several lines of text.

Handwritten text block 6, continuing the text.

Handwritten text block 7, containing several lines of text.

Handwritten text block 8, possibly a section header or separator.

Handwritten text block 9, containing several lines of text.

Handwritten text block 10, continuing the text.

Handwritten text block 11, containing several lines of text.

Handwritten text block 12, continuing the text.

Handwritten text block 13, containing several lines of text.

Handwritten text block 14, continuing the text.

Handwritten text block 15, containing several lines of text.

Handwritten text block 16, continuing the text.

وقد تجددت بقدمه فيكم محبة عظيمة زيادة على المحبة القديمة، ودفع النيشان المعتبر الذي أشترتم إليه وقابلناه بما ينبغي أن يقابل به البرور والمراعاة والإكرام، والاعتناء والإنعام، رعيًا لجنابكم وهو عندنا ملحوظ بعين الاعتبار، ومحسوب ممن يسعى بين الدول في الخير وتأكيد المحبة التي عليها المدار وختم في غاية صفر ١٢٩٠.

كما أوفدت عليه بعد ذلك باشادورها «الكندي دوبيني» واليك لفظ ما راج بينه وبين المترجم من المطالب وأجوبة الجلالة السلطانية عنها وكان ذلك في خامس ربيع الاول عام ١٣١٠.

١- دعوى التاجر لاروش الفرنصيصى بالعرأيش على الجمالة إخوان ابن الشليح بالسكر الذى وجهه معهم لفاس وباعوه بزرهون واقتسموا ثمنه وقدره ريال ١٨٥ ودعواه أيضا على إخوان القائد أحمد الزرارى الجمالة بالسكر الذى حملوه من العرايش لفاس وباعوه بزرهون أيضا واقتسموا ثمنه وقدره ريال ٤٣٣ الجميع ٦١٨.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت عامليهم ببيع متاع إخوانهم المسجونين فى ذلك وتوجيه العدد المذكور ليدفع لكم.

٢- مطلب بناء هرى بسة فى المائة للتاجر سبراك الفرنصيصى برباط الفتح. أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء بنظر محل بالرباط فى الموضع الذى به سكنى أمثاله وبنائه له فيه بسة فى المائة بعد عقد كنطرة بنائه معه على الشروط التى تعقد عليها مع أمثاله.

٣- دعوى ما نهب للسيد الطاهر جنون الفاسى من الخوائج والبهائم الذى قيمته ريال ٢١٥٦ بالقنيطرة من بلاد بنى حسن.

أجابت الحضرة الشريفة بأن القبيلة المذكور مروعة الآن بسبب المخاصمة والفتنة الواقعة بينها وبين زمر جيرانها، وحيث يسكن روعها يستخرج ما نهب للمذكور عن يتعين استخراجهم من القبيلة المذكورة.

٤ - المطلب المتعلق بعامل تافلات.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها وجهت عليه وحيث يرد يتوجه بدله.

٥- دعوى التاجر سنجان الفرنصيصى الساكن بعرضته بالسوانى أن متعلمه محمد من أهل جبل الحبيب سرق له اثنين وتسعين ريالاً وفر ورفعت القضية لعامله القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق وكلم بإحضاره أو أداء الدراهم المذكورة فلم يظهر منه أثر فى ذلك.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت العامل المذكور بأن يوجه الدراهم المذكورة لتدفع لكم.

٦- دعوى الياه بن يوسف بطون أنه توجه للقصابى مع الحاج محمد بن الصغير فدخل آيت يزدك للقصة وأخذوا له حوائجه وثلاثة بغال حاملة لسبعة أتى بها من فاس.

أجابت الحضرة الشريفة بأن آيت يزدك غير مستقيم أمرهم الآن لأجل ما كان صدر منهم من قتل عاملهم وحيث توجه المحلة لبلادهم لاستخراج الحقوق منهم يستخرج منهم ما نهبوه للمذكور.

٧-مطلب التاجر حيم بن شمول ناظر البنك الفرنسية بطنجة ظهيرا شريفا يتضمن الإذن له فى تسمية بانكته بالبانكة المراكشية، وفى جعل كواغد مخزنية يتضمن كل كاغيد منها عدداً من الدراهم، بحيث من سافر من الناس من بلد لبلد يصحب معه كاغدا من تلك الكواغد، ولا يصحب معه الدراهم لثقلها وخشية

وقوع السرقة لها بالطريق، وإذا وصل للبلد التي توجه لها يدفع الكاغد لثابته بها ويدفع له ما تضمنه من الدراهم وتصير مصارفة الناس بها مثل الدراهم.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير كان طلب ذلك فاستفتى المخزن العلماء فيه فأجابوا بأنه حرام فى شرع ديننا.

٨- مطلب التاجر كف صاحب السكة الشرعية ضرب مليون من الريال سكة نحاسية جبرا لخسارته فى ضربه السكة الفضية.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها على نية ضرب السكة النحاسية هنا، وصيرت على جلب مكينات ضربها وبناء دار الضرب لها ما يزيد على المائة ألف ريال.

٩- مطلب مجلس نواب الدول بطنجة المكلفين بأمر السنيذة حيازة فندق الخضرة الجديد بطنجة لينوا فيه فندقا جديدا مثل الفنار.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الفندق المذكور منفذ بالكراء بظهير شريف لبعض حمايات أسبانيا.

١٠- مطلب التاجر بونط الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى عروس فى آنجرة بين سبتة وتطوان.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد لما فيه من الضرر.

١١- مطلب التاجر قرنى الفرنصوى الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى حسن بل بغاية العرايش والمعمورة.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد عليه لما فيه من الضرر.

١٢- مطلب التاجر جل الفرنصيصى بناء دور وأهرية^(١) بستة فى المائة بالدار البيضاء.

(١) الأهرى: بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام، البرّ ونحوه ليورعه السلطان.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء ببناؤها له بستة فى المائة .
١٣- مطلب التاجر لا نيل الفرانصيصى بالصيريرة بناء دار وأهرية بها كذلك
بالجديدة بستة فى المائة .

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء الصويرة وأمناء الجديدة
ببنائها له بستة فى المائة .

١٤- مطلب تسريح وسق العظام لمدة من عام .

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء المراسى بتسريح وسقها
المدة المذكورة على شرط أن من أراد وسق شىء منها يقلبه طبيب السنيذة، وبعد
تسليمه أنه لا شىء فيه من عظام الأدمى يسقه» .

وكانت مسألة الديون التى لأتباع الدولة الفرنسية على الرعايا المغاربة كثيرا ما
تؤدى إلى متاعب ومشاكل ومطالب فوضع لذلك اتفاق يحسم ما ذكر ونصه بعد
الحملة:

«لما تكررت الشكاية من رعايا دولة الفرنصيص الفخيمة بوقوع الماطلة فى
فصال ديونهم على رعية الدولة الشريفة، وقع الاتفاق بين الواضعين اسمهما عقب
تاريخه، وهما وزير الأمور الخارحية بالحضرة المولوية ومنسطر دولة الفرنصيص
الفخيمة نيابة من كل منهما فى ذلك عن دولته على حسم مادة تلك الشكايات بما
سيذكر وهو:

١- أن المخزن ييقى على قبول الرسوم المصفحة بطنجة فى تاريخ ١٣٠٤
على يد المنسطر فيروا ويد الفقيه الكاتب السيد محمد بن سليمان والأمين الحاج
قاسم جسوس التى هى الآن بفسينة الفرنصيص بطنجة .

- ٢- وأن يلزم المخزن عمال الغرماء الفارين بإحضارهم بعد مضي ستة أشهر من شهر تاريخه وإلا فيؤدوا عنهم ما بذمتهم إن لم يحضروهم.
- ٣- وأن يعرف أرباب الدين بالمجهولين تعريفاً كافياً لا يبقى معه إشكال في معرفتهم بحيث يبينون اسم كل واحد منهم واسم أبيه ونسبه، ومحل استقراره، ويدفعون بيانهم بعد مضي ستة أشهر، ليمضى المخزن في فصال ما بذمتهم في مدة قدرها ستة أشهر من حين التعريف به على نسق الفصال الواقع مع غيرهم من الغرماء من الاستيفاء من الأملاء والقبض على المفلسين، حتى يتبين فلسهم ويثبت بموجبه ويسلمه الباشادور أو رب الدين.
- ٤- وأن يؤدي كل عامل عن الغرماء من إيالته الذين أخبر بموتهم إذا وجد أحد منهم حياً زجراً له وعقوبة على كذبه.
- ٥- وأن يبحث أرباب الدين عن الموتى المفلسين هل خلفوا شيئاً، وإن عثروا عليه يعلمون به المخزن ليأمر ببيعه وتمكينهم من ثمنه لكون المخزن تقصى في البحث فلم يعثر على متخلف لهم.
- ٦- وأن يبحث أرباب الدين أيضاً في فلس من ادعى الفلاس من الغرماء، وإن وجدوا عنده متاعاً يعلموا به المخزن لبيعه عليه ويؤدي عنه ما بذمته من ثمنه لكون المخزن بالغ في البحث فلم يجد عندهم متاعاً.
- ٧- وإن تحقق وثبت على أحد من العمال أنه قبض شيئاً من الدين ولم يوجهه فيعاقب على ذلك بما يستحقه، ونائب المخزن يدفع ما وصله بمجرد وصوله لباشدور الدولة الفرنسية، ورضى كل من النائين المذكورين بهذا الفصال المشتمل على الفصول السبعة المذكورة أعلاه وقيد في ١١ رمضان المعظم من عام ١٣٠٦هـ.
- وهذا مثال مما كان يجري في قضايا الديون.

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خدیمنا الأرضی الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل جوابك بأن باشدور الفرنصیص استظهر لك بنظیر النسخة الموجهة لك من زمام متاع محمد أحم القلعی وما تحصل فی ثمنه ٤٦٥٦، وتأسف من أجل هذه الدعوی ومن القدر المشار إليه الذی تحصل فیها، وشافهك فی شأنها بما شرحته من عدم عثوره فی النسخة الذکورة علی ما كان باعه أخو المذکور وحاز ثمنه، وعدم ظهور شیء من ماله الناض، ومن دیونه ومما له مودع عند الناس.

وظهر لك أن مخرج هذه الدعوی صعب لعدم تقييد ما ذکر، وجعل رب الدين استرعاء ودفعه للباشدور وتمكين الباشدور له من خط يده به ومن نسخ المكاتب الموجهة له من حضرتنا الشريفة وتوجهه للشكاية بباريز، ولا يدرى ما يكتبون للباشدور في شأنه.

وأعلمت جانبنا العالی بالله بهذا لتكون علی بصيرة فيه فنحن علی بال منه فأما متاعه فقد بيع علی يد أمناء مليية وعمال كلبية، وخدیمنا حميدة، ولم يتحصل فيه إلا العدد المشار إليه، وأما ما باعه أخوه من متاعه فقد أمرنا المذکورين ببيانه ليحاز ممن اشتراه منه، ولا زال لم يرد جوابهم عنه.

وأما ماله من الناض فقد بلغنا أنه مودع عند أناس من كلبية فأمرنا عاملهم بالقبض عليهم، وأمرنا خدیمنا حميدة بشد عضده علی قبضهم واستخراج ذلك منهم، ولا زال لم يرد جوابهما عن ذلك.

وأما ماله من الديون فقد وقع البحث عن من هي عليهم حتى عرفوا، وأمرنا الخديم المذکور باستيفائها منهم علی يد عمالهم، وأمرنا عمالهم بذلك، ولا

زال لم يرد جوابهم عنه، ولا زال البحث والطلب فى ذلك، ومن ظهر عليه شىء منه غير أولئك يجرون مجراهم وهكذا حتى يقف الأمر فيه عند حده ومنتهاه بحول الله وقوته. وهذا غاية ما يجب على المخزن فى دعوى فاسد قبض عليه لأجل الفساد والإفساد ولم يتوصل له إلا بالحيل والمشاو ولم يحز من متاعه ولو قلامة، وقد بينا لهم موجب القبض عليه مرارا وعدم التقصير فى الوقوف فى جمع ما للتاجر عليه فأبوا إلا إلزام المخزن بما ليس بلازم من أداء ذلك عنه، وفتح الأبواب عليه بذلك كما فتحوها بغيره.

والخاص فلا مصلحة لنا فى إبقاء محمد أحم هنا عدا مصلحة كف ضرره عن قبائل الريف. وقد تقدمت لكم المساعدة على توجيهه لطنجة ليتقابل مع رب الدين لكونه يزعم أن ما يسأله له أقل من العدد الذى ادعى به عليه فلم يجيبوا لذلك، وحتى الآن إن أردتم توجيهه لكم بقصد ذلك على شرط أن يتكفل الباشدور برده لنا وعدم إفلاته يوجه لكم والسلام فى ٣ جمدى الأولى عام ١٣٠٠»

ومما يدل على حسن العلائق الحسنية الفرنسية هذا الكتاب الشريف المبعوث للرئيس اكريفى جوابا عن رسالته فى شأن تقلده الرياسة ونصه بعد الافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم. الصاحب المحترم المفخم. كبير الدولة الجمهورية الفخيمة الفرنسية الرئيس ايجول اكريفى أما بعد حمد الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم. فقد وصل كتابك المرقوم لحضرتنا الشريفة أخبرتنا فيه بالجمع الواقع عند دولتكم فى بلاد فرساي. على زيادتهم لجانبك سبع سنين فى الحكومة، وعلمنا أن قصدك بإعلامنا مزيد المحبة القائمة بين الدولتين وتأكيد الاتصال بين الجانبين فكان ذلك على حسن المحبة دليلا وعنوانا على ما فى الضمير جميلا، حيث تحققت أن ما يسرك يزيدنا سرورا، ويستخرج من القلوب فرحا منشورا، فقد

تجدد فى جناب هذه الزيادة، وقد صادفت الدولة فيها من الصواب حسن الإفادة، وذلك دليل على حسن السيرة والسياسة وأنت سلكت من طريق التدبير ما شهدت به الفراسة.

ولا شك أن الرئيس فى الدولة بمنزلة المصباح وروح القوم هو سلطانهم، ولا تتحرك الجسوم إلا بالأرواح، ومعلوم أنه لا يقوم فى كل أمر إلا من هو أعرف به وأنسب، وتقدمه أحسن فيه وأصوب، ولا يخفى أن الرياسة شجرة تبقى ناعمة ما دامت فى محلها، ومرتبة عظيمة توصف بحسب صفات أهلها.

ويسبب هذا الفرح تتجدد زيادة المحبة والاتصال، ودوام الخير بغير انفصال، لأن التهتة بين الدول حقوقها مؤكدة، وتقتضى بين أهل المجاورة مزيد المراعاة المجددة، ودمتم مخصصين بمزيد الاعتبار رافلين فى حلل الأفراح والتهانى فى الإيراد والإصدار وختم فى ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٠٣هـ.

مع إسبانيا

وفى شهر ربيع النبوى سنة ١٢٩٤ وجه المترجم خديمه أبا عبد الله محمد فتحا بن خديمه عبد الله بن أحمد سفيراً لدولة الإصبان مع أفراد لمقابلة الملك لما نزل بسبته، فقبولوا من الأمير والمأمور بكل تجلة وإكرام حسبما وقفت على بسط ذلك وشرحه فى كتاب وجهه السفير لوالده ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، سيدنا ووالدنا العلامة الأجل، الباشا الرئيس الأفضل، سيدى الحاج عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد قدمنا لسيادتك أننا ركبنا البحر بقصد التوجه لسبته يوم الاثنين الثالث من شهر التاريخ، وقد نالنا حين الركوب من أنواع المشقة والامتحان ما

يكفر الله به الأوزار لعظم البحر ذلك اليوم مما فيه من تراكم الأمواج والهيجان، ومن كون ذلك المحل محل اجتماع البحرين الصغير والكبير، وقد أدركنا ركوبا في البحر خمس ساعات.

ولما دخلنا مرصة سبتة صحبة باشادور إصبايا وترجمانه، وجدنا حاكمها متلقيا لنا بشاطئ البحر، وقابلنا بغاية الفرح بعد ما وجه لنا نائبه للبابور مقابلا أيضا بالترحيب نيابة عنه، ومنه نزلنا من البحر ووطننا الأرض ونحن ذاهبون، وأعيان البلد معنا والعساكر مصطفة، والموسيقى نُجدها في كل محل نصل إليه، زيادة على ما خرج من المدفع حتى وصلنا لدار الحاكم التي بها نزولنا، فأطلعنا لأماكن فاخرة عديدة مزينة بأنواع الفرش الرفيعة، وبديع الأثاث الفخيمة، وجلس معنا الحاكم، وصار أعيان البلد والعساكر يسلمون علينا كل واحد على انفراده منفردا، وقابلناهم بما يناسب، وأتانا بالأطعمة والأشربة المختلفة الألوان، ولا يمر ربع ساعة إلا ويقول لترجمانه قل له: إن قدومه علينا لا يوازيه شيء، وإن الفرح والسرور الذي حصل لنا بقدومه لا يكيف ونحن نقابله بما يناسب المقام.

وبتنا تلك الليلة فلما أصبح يوم الثلاثاء الرابع من شهرنا قدم سلطانهم يعني ظهرت من البعد مراكبه، وحصل المرصة في الساعة العاشرة ونصف، وبقي في البحر إلى الساعة الواحدة بعد الزوال لأن الوقت الذي وصل فيه كانت وقت أكله، وما وسعه النزول في ذلك الوقت.

وفي الوقت المذكور دخل المدينة وذهب يتطوف بأماكن البلد ويزور مواضع زيارتهم ووقف على حدود بلادهم، ورجع في الساعة الرابعة ونصف، ودخل المحل فأخذ يلبس ثياب زيتته وأمر بعد هذا بملاقتنا معه، وكانت ملاقتنا معه بالمحل الذي نحن نازلون به لأنه به نزل هو أيضا لكبره، وكان الفاصل بيننا وبينه، ولقينا

بكمال الترحب والفرح والسرور، وقد قابلته بما يناسب مقامه، وأمليت عليه وأملى على ما نشافهك به بحول الله .

وقد أخرج الشرح للاختصار، ولكون الطرس لا يسعه وللتلذذ به عند ملاقاتك، ولما أردنا الملاقاة جاء عندنا الشريف سيدي الحاج عبد السلام ولد سيدي الحاج العربي الوزاني وتأدب معنا وأعطى لمقام المخزنية ما يناسبها لتلاقيه مع سلطان إصبانية، لأنه كان قدم لسببة قبلنا بقصد الملاقاة معه، فمنعه باشادور إصبانية، وحاكم سبته وقال له: الصواب الذي يلائم السنن المخزنية هو أن تذهب عند باشادور سلطان الحضرة الشريفة، وهو الذي يلاقيك بالسلطان، ويعرفك به، فحيث أذعن وأتى، وحيث وقعت الملاقاة طلبت الإذن من سلطان إصبانيا بتعريفه بمن كان واقفا معنا، فأذن فعرفته أولا بالشريف سيدي عبد السلام من كونه رجلا خيرا عندنا، وأن دارهم عندنا دار ولاية وصلاح، وثانيا بالطلبة، وثالثا بقائدي المائة، وهما القائد الجيلاني، والقائد الحنفي بعد أن أمرته بجعله عمامة، ورحب بالجميع وسأل عن القائدين هل هما قائدا الخيل أو الرجلى؟ فأجبتهم بأنهما قائدا الخيل .

وقد كنت قدمت لك أن العدد الذاهب معنا لسببة أحد عشر، ثم انتخبنا من العدد المذكور القائدين المذكورين والطالبين وأربع خدمة: بلال، والسيد محمد بن عبد الحفيظ، ورزوق، وصالح الجزائر، الكل بإشارة السيد محمد بركاش .

ولما فض مجلس الملاقاة ذهب سلطان إصبانية لمحل مأكولاتهم ومشروباتهم وقت المغرب، فأرسل علينا لتناول معه فذهبت ومعى الشريف المذكور والطالبان، ولما فرغنا من الأكل خرج وطاف بأماكن عسكره بسبته، بعد ذلك ركب البحر بين العشاءين على نية ذهابه لقالص ليكون به صبيحة يوم الأربعاء فإذا بالأقدار لم تساعد بأن هاج عليه البحر هيجانا ما تقدمت لنا رؤيته، وبات على ظهره بالمرصة،

ولا زال به إلى الآن وحتى الآن كما كنا على نية الرجوع لطنجة بحرًا في اليوم المذكور، فإذا به رأينا ما رأينا، وتأتينا فإذا بالأمواج قد تراكمت وتكاثرت، وأخبر من له خبرة بمعرفة البحر وبفصول هيجانه أن هذا الشهر هو مارس لا يزيد إلا عتوًا، وقد تحيرنا وانقطعت حيلنا ولم يبق إلا أن أقول ما قلته لك لما كنت معك برباط الفتح وطلبت منك التوجه لصلة الرحم مع والدتي وغلقت على جميع الأبواب وما أجبت إلا بقولي: هذه رحلة ألهمنا المولى سبحانه ونظرتك الفعالة لأن نوجه على قائد المحادة فأرسلنا عليه وجاء وطلبنا منه أن ينظر لنا بهائم توصلنا لتطوان إن أصبح البحر على حاله يوم الخميس، فقال: إن له فرسين إن أردتهما فعلى الرأس والعين وليس له سواهما، ونحن مفتقرون لنحو العشرة، فتحيرنا أيضا ولم نجد سبيلا إلى الركوب في البحر ولا إلى الذهاب في البر، فقلت ما قاله الإمام الشاذلي: انقطعت آمالنا وعزتك إلا منك، وخاب رجاؤنا وحقك إلا فيك وأنشدت البيتين: إن أبطلت غارة الأرحام... إلخ.

فيسر الله بأن خرج القائد المذكور، وتلاقى مع بعض أجبائه، بأن أشاروا عليه بكراء بهائم، فاكترى لنا العدد الذي يخصنا من سبته إلى تطوان، وهو عشرة بريالين لكل بهيمة والكل بالبرادع.

ومن علامات الإذن التيسير بلغ الشريف سيدي عبد السلام الوزاني الخبر بأننا ما وجدنا إلا البهائم ذوات البرادع وهو ذاهب معنا منحنى بسبغته وركب هو على فرس، وكتبنا للقائد السيد أحمد الخضر بأن يهيئ لنا البهائم التي توصلنا إلى طنجة، وحليناه بما يناسب أن يحلى به من كونه محل الوالد، وأنه لولا محبته فينا واعتناؤه بجانبنا ما كتبنا له، وما نحن على نية الخروج من سبته يوم الخميس قاصدين المبيت بتطوان في الساعة العاشرة، ومن تطوان إلى طنجة وهو يوم الجمعة بحول الله، وفي رفقتنا الباشادور، ويوم السبت يكون خروجنا من طنجة إن شاء

الله قاصدين حضرتكم، وإن وقع نخبركم، ومروره يكون على طريق العرايش على الساحل وموجب مسيرنا بهذه الطريق هو ما بالطريق الأخرى من كثرة الوحل الذى لا نستطيعه .

ولا تسأل عما حل بنا بسبب مفارقتكم والغيبة عنكم، سيما لما حللنا بسبب عدم المجانس والموافق فى الدين، نسأل الله سبحانه أن يكمل رجاءنا بالاجتماع بسيادتكم عما قريب . إنه سميع مجيب .

ومن تمة فرح حاكم سببنا هو أنه كل ليلة يأتى ومعه رؤساء العسكر وأعيان المدينة من التجار وغيرهم ورهيبهم وموسيقاتهم ومن يعرف ضرب الستير يقال له بلغتهم ايبانو نساء ورجالا، ويشغلون بأنواع الطرب إلى وقت النوم، ونطلب من سيادتكم صالح الدعاء والسلام فى ٥ ربيع الأثور عام ١٢٩٤ .

ومنه فإن محل ما قدر لك من أن الإياب يكون برا إذا بقى البحر على ما هو عليه من الهيجان وإلا فإن ركض البحر وسكن فإن الرجوع يكون فيه بحول الله محمد بن عبد الله لطف الله به» .

وفى السنة ١٢٩٤ وجه السيد عبد السلام بن محمد السويسى عامل الرباط سفيرا لأسبانيا ردا لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية .

ثم بعث بعد هذا لدولة الإصبان أيضا بالحاج عبد الكريم بريشة سفيرا فى مسائل سوس حسبما جاء فى هذا الكتاب الوزيرى شكرا على ما لقى من الحفاوة والاعتناء :

«المحب الذكى الألمعى النبیه الكبليز دليكة دارمخوا وزير الأمور الخارجية بالدولة الصبليونية الفخيمة بعد مزيد السؤال . ومجبة أن تكونوا بخير فى جميع الأحوال . فقد ورد على حضرة سيدنا العالية بالله خديم سيدنا الأرضى الأنجد

السيد الحاج عبد الكريم بريشة وأنهى للجناب الشريف ما قابله به الحبيب الأفحم سلطانكم المعظم الفخيم من الاعتناء والبرور في الورود والصدور ومقابلتك له أنت بمثل ذلك ووقوفك معه وقوف الأحياء النصحاء الأصدقاء وبالغ في الثناء عليك بالجميل، وقد سرت الحضرة الشريفة بذلك واستدلت به على محبتكم للدولة الشريفة وسعيكم في الخير لها ووقوفكم في أغراضها المولوية وأثنى عليك مولانا نصره الله بالجميل وبالغ في مجازاتك بالخير فكان ذلك سببا وداعيا لمراسلتك ثم حمل الخديم المذكور ما يشافهك به وهماو يرد عليك بقصد ذلك وختم في ٢٠ شعبان المبارك عام ١٢٩٩».

وما جاء في الكتاب السلطاني لنائب طنجة ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك بأن خديمتنا الأمين الحاج عبد الكريم بريشة كتب لك في مدريد بما في كتابه الذي وجهت ثم ورد خليفة باشدور إسبانيا من ذلك المحل وأخبرك بأن الخديم المذكور بخير وأنه عن قريب يرد فقد ورد بحر المخيم محلتنا السعيدة بمرسى ماسا وشافه بما فعله في الغرض وبين له ما يكون فيه وتوجه من المرسى المذكورة لمباشرته في الثامن عشر من شعبان الفارط والساحل السوسى وكوشطته أوقف على عينهما إيقاف تحقق وتدقيق وستراد عليك صورة ذلك صحبة بعض من حققوه ووقفوا بالفعل على عينه وحيثئذ يقع الفصل بالفعل في ذلك والله المستعان والسلام في ٨ من رمضان عام ١٢٩٩».

ثم بعد هذا وجه لها في القضايا نفسها سفارة أخرى تشتمل على القائد بوشتى بن البغدادي والكاتب مولاي أحمد البلغيثي والحاج محمد بركاش ولد

النائب ووالد باشا الرباط الحالى ونص كتاب بعثه فى ذلك للنائب بعد الحمدلة
والصلاة والطابع :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله وبعد وصل جوابك عن توجيه كاتبنا مولاي أحمد البلغيشى وخديمنا القائد
بوشتى بن البغدادى لدولة اسبانيا . بأن الباشادور أشار بالرجوع لسوس والبحث
فى سواحله من أكادير إلى الطرفايا وإن وجد محل موافق للشرط وحصلت الموافقة
عليه يقيد بخطوط الأيدى والنظر فيه للدولتين وإن وقع الخلاف يقيد ويضع كل
واحد خط يده بما تحقق عنده والنظر فيه للدولتين أيضا . وذكرت أن إشارته بذلك
موافقة لما تضمنه الشرط الثامن أنه لا بد من اتفاق وكلاء الجانبين على المحل . وأنه
كتب بذلك كله لدولته ووجه لها نسخة من الكتاب الوارد عليه من حضرتنا العالية
بالله ونسخة كتابنا الشريف لسلطانهم الموجهة له وحين يرد له جوابها يظهر هل
لا بد من توجيه المذكورين لها أو حتى يتوجه المعينون جميعا لسوس ويقع الخلاف
بينهم على عين المحل ، وأن اكودير الرجيلة وإن كان محققا بالقرائن أنه هو
محلهم ، فلا بد من وقوف المعينين من الجانبين عليه ومشاهدتهم لتلك القرائن ، وإن
حصلت الموافقة عليه يقيدونها بخطوط أيديهم جميعا ، ويرد النظر فى ذلك
للدولتين .

وإن وقع خلاف فيه أو عين الصبنيوليون غيره يضع كل فريق خط يده بما
ثبت عنده ويرد النظر للدولتين أيضا مع صور ذلك كله ، وصار ذلك بالبال .

فأما ما أشار به الباشدور من الرجوع لسوس والبحث فهو الأولى والمتعين
والمطابق للشرط المذكور ، وبه ١ أمرنا المعينين من قبلنا قبل توجيههم من هنا وبعده
٢ ووجهنا لهم ظهيرا لعمال القبائل المجاورين لتلك السواحل بتنفيذ الظهر والمثونة
لهم وحراستهم والأخذ بأيديهم وكتبنا ٣ لهم بذلك أيضا فى أواخر رجب ووجهنا

لك نسخة من كتابنا لهم به وأجبناك به أيضا عن كتابك المؤرخ بالثانى عشر من شعبان المتضمن لطلب الدولة المساعدة عليه ٤ وبأنا جددنا الكتابة به للمعينين ولما بلغنا توجه المذكورين لطنجة بقصد التوجه لإصبايا جددنا لك الكتب به فى أواخر شعبان، وحيث كتب به الباشدور لدولته فإن رجعت إليه ينفذ وإن أذنت للمشار إليهما فى التوجه لعندها يتوجهان. وأما ما ذكرته فى شأن اكودير الرجيلة فهو المراد والسلام فى ٤ من رمضان عام ١٣٠٠».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأنك وجهت على ولدك الحاج محمد أصلحه الله لتوجهه مع كتابنا مولاي أحمد البلغيشى وخديمنا القائد بوشتى بن البغدادى لمدريد، وتكلفه بما أمرنا به أن تعين توجيه المذكورين له وذكرت أن وزير الأمور البرانية لا محالة يعلم الباشدور بالكتاب الموجه له مع من ذكر المشار بكتمه عنه، وأن إخفاءه عنه مع ما هو عليه من المحبة والوقوف فى القضية يؤثر فيه وظهر لك أن لا بأس بإعلامه به، وبأنه نسخة مما ورد له لكونه أولى من إعلام الغير، وصار بالبال.

فأما ما ذكرته من توجيه ولدك مع المذكورين للمحل المذكور إن تعين توجيههما له فالعمل عليه، وأما ما أشرت إليه من عدم إخفاء الكتب للوزير المذكور عن الباشدور فقد كان عليه عمل بريشة حتى كان منه فى شأن الباشدور ادوارد ما كان من نقله ولذلك أمرناك بكتمه عن هذا احترازاً من مثل ذلك.

والحاصل فقد رددنا لك النظر فى ذلك فما اقتضته المصلحة فيه من كتمه عنه أو إعلامه به امض عليه والسلام فى ٥ رمضان عام ١٣٠٠».

وإليك نصوص بعض الوثائق الراجعة لمسائل مراسى سوس تميميا لما أسلفناه
فى الكلام على حركات المترجم، أولها بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم
بداخله .

الحسن بن محمد الله وليه ومولاه :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلنا كتابك بأنك بعد ما كتبت لنا بما كتبت به دولة الصبنيول لباشا
دورها فى شأن الهرج الواقع بجزر كنارية لأجل مكينسى النجليزى أخبرك الباشدور
أنه وردت له مكاتيب أخر من دولته بأن الأمر قد ضاق فى ذلك، وأنه تعين
التعجيل بفتح مرسى هنالك قبل عموم الضرر لتلك النواحي، بحيث إذا لم نعجل
بذلك فإنه يحصل الضرر الفادح لمرسى الصويرة وللمغرب كله، ونكلم معك
بذلك كلاما مجملا من غير تفصيل، وأنك بعد ذلك كنت تتكلم مع خليفة
الفرانصيص فأخبرك أن عندهم المكاتيب من دولتهم بالتكلم فى أمر سوس ذاكرين
أنه لا يمكن لجنس أن يستغل تلك النواحي بدون أعشار وهم يؤدون الأعشار فى
المراسى، ففهمت من كلامه أن فرانصة تكلمت مع إسبانيا فى ذلك، ولأجله
أجمل الباشدور فى كلامه ولم يفصل، وأنك تخبرت على وجه السر بكتاب توجه
للفرانصيص من فرقة آيت باعمران يطلبون التجارة منه معهم، كما تخبرت بأن ابن
هاشم كتب له بالمخاطبة فى شأن المخالطة فلم يساعد على ذلك إلى آخر ما ذكرته،
وصار منا على بال .

فأما فتح المرسى هناك فيحتاج إلى تأويل وأمور مهمة لكون أولئك الناس
ليسوا على ما ينبغي، وانظر قضية النصرانى النبريال المقتول هنالك مع ما يصدر لمن
ينزل بوادى نون من إسبانيا من الأسر حتى نفديهم منهم بالمال، وعلى كل حال أما
الصبنيول فى هذا المعنى فقد أجبتك عنه فى غير هذا، وأما الفرنصيص فبصره

وأعلمه بأننا لم نسكت للنجليز على مكينسى بل لا زال الكلام معهم فى ذلك وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله فى شأن من ذكر والمحل الذى نزل به فادعى أن ذلك المحل خارج عن إيالتنا، فلم نقبل منه ذلك ورددناه عليه بما كنا وجهنا لك نسخة منه ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير إذننا، وتعرفه مع قبائل إيالتنا افتياتا وجعل الدرك عليه فى كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات لا فى الرعية ولا فى الديوانات ولا فى غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين وفى كل ما يقع له ولمن معه لا فى أبدانهم ولا فى أمتعتهم لنزولهم هناك من غير إذن ولا درك فيه لا على المخزن ولا على قبائل تلك الناحية .

والتأكيد عليه فى الكلام مع دولته فى غلق أبواب المضرة التى فتحها مكينسى بإنهاضه من تلك الناحية ونحن على نية توجيهه من يتكلم مع دولتهم حيث يجيب الباشادور إن لم يحصل على طائل، وأعلمه أيضا بأننا نسوس الرعية هناك بقصد تأليفهم للمفاوضة معهم فى أمر تلك المرسى، ولا زال المخازنية غائبين عندهم وصبره بأن لا يحدث أمراً هناك، ولا يتكلم فى أمر سوس حتى نكون هناك بالحوار لكونه قريبا من سوس، وحيثذ يكون كلامه معنا فى ذلك لا مع الرعية، وهذا إذا بقى مكينس هنالك، وإلا فمثونة كفيت وأنت أيضا أشر علينا بما يظهر لك فى توجيه باشادور لدولة النجلير بقصد الكلام فى ذلك وبما يظهر لك فى أمر قبائل سوس جهاراً علانية بطرد مكينسى، واجعل هذا الأمر من أهم الأمور عندك، وكن عند الظن بك ولا بد واستعن بالله ثم ببعضهم من هناك على هذا الغرض .

وإن ذكروا لك أكدير فأعلمهم بأن أكدير دشرة على حجرة ملتفة بالغبابة وسط قبيلة اذاوتان، وهم جباله لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض، لأن حكمه حكم الصويرة والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس كآيت

باعمران أو اكلو وأما افنى فهو الباب الذى يقبض فيه المستفاد وهو طرفا الجبل والبحر وكل مرة يتجاسرون فيه على الأمان، ويكثر الرد لهم معه ويثبتون لهم المنقاد وأظن أن صورة أكدير لا تخفاهم من الكارطة، وحتى إن أردت تحقيق ذلك بتوجيه صورته نوجه مهندسا لهنالك حتى يخطه ومحلّه علوا من الجبل والمساحة بينه وبين البحر ومن هو دائر به جوارا من القبائل إلى غير ذلك وتوجه لك والسلام فى ٢٢ رمضان عام ١٢٩٧» .

الثانى وجه للنائب بركاش صحبة المهندس :

«وبعد فحيث كنا بالقطر السوسى أمرنا المهندسين بالتوجه من أكدير إلى أسك مع سواحل القطر المذكور، وتقصيد ما فيها من البناء القديم والحادث العربى منه والعجمى، فرجعوا وذكروا أنهم لم يجدوا بناء قديما منسوباً للنصارى عدا محل لا بناء فيه أصلا فوق وادى أصك بينه وبين البحر خمس دقائق يسمى برج الرومى، وآخر فوق برج الرومى المشار إليه ساعة وربع، وبين البحر نصف ساعة يسمى سوس الرومى، فيه طلل بناء عفا بعض أثر تحويطه وبقي بعضه مع بعض أثر برج وأتوا بصورة الجميع، وها هى تصلك صحبة أحد ممن باشر ذلك بنفسه وعائنه زيادة فى البيان فعرف الباشدور بذلك وأطلعته على الصورة المذكورة، وإذا سلم ذلك فأعلمنا وكذلك إن لم يسلمه ليوجه من يجدد البحث عن المحل المقصود عندهم مما وراء أصك إلى رأس جوبى إن لم يسلم الباشادور ذلك والسلام فى ٤ ذى القعدة عام ١٢٩٩» .

الثالث بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم :

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليكم ورحمة

الله .

وبعد: وصل جوابك بأنك أجبت باشادور إسبانيا كتابة بما فى النسخة التى وجهت من أن جانبنا العالى بالله موجود للوفاء بالشرط الثامن من شروط المهادة وفق أمرنا الشريف، وتذاكرت معه فيما أمرناك به من أن تأنيهم وتربصهم فى توجيه المهندسين من الجانبين حتى يرد المهندسون الآخرون الموجهون من حضرتنا الشريفة لتحقيق محل مسامت لجزر كنارية أخبرته من له خبرة بتلك الناحية، وذكر أنه هو سانط كروز بكينية، فأخبرك بأن الوقت ضاق ولم يبق الكرطيل عندهم إلا نحو أربعة أيام، وأن طلب التانى والتربص فى توجيه المهندسين غير محتاج إليه، ولا ينبغى ذكره كتابه حيث كان مذكوراً فى الشروط.

مع أنه ريثما يوجه جوابك المذكور لدولته ويرد له الجواب عنه وتكتب ل حضرتنا الشريفة يكون أولئك الموجهون لتحقيق المحل المذكور وردوا ل حضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠.

الرابع بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمتنا الأرضى، الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشادور إسبانيا لك، وعلمنا ما تضمنه من طلبه تحديد المحل المعين لهم لصيادة الحوت عوضاً عن السانط كروز، وأن يكون الموجهون لذلك من طرف المخزن كالحديم بن البغدادى، وذكرت أنك استأنيته فى ذلك فتعلل بما شرحتة وصار ذلك بالبال، فالأولى هو تأخير ذلك إلى أن نكون بالخور بحول الله لكونه الآن مستعدراً بما هو واقع بين قبائل تلك الناحية من الفتنة والهرج، حتى إنهم هجموا على عمالهم وأكلوا دورهم.

وعليه فعرف الباشادور بذلك وتلطف فى مباشرة أمر تأخير ذلك معه إلى الوقت المشار إليه، ولا بد وإن أبى إلا اقتحام مشقة تنفيذ ذلك الآن ولم يقبل عذرا فيه، فأعلمنا لينفذ ويؤمر الخديم بوشتا بن البغدادى وبعض المهندسين بالتوجه مع المعينين من قبلهم لتحديد المحل المعين لهم لذلك والسلام فى ١٤ قعدة عام ١٣٠١.

ثم وجه صاحب الترجمة سفارة أخرى لإسبانيا يرأسها القائد عبد الحميد الرحمانى، ومعه الفقيه الكاتب السيد العباس الفاسى، والحاج العربى بريشة وإليك ما راج فى هذه السفارة لمدير فى عشرى حجة الحرام متم عام ١٣٠٨ من مطالب المغرب وأجوبة إسبانيا عنها ومن مطالب دولة الإصبان وأجوبة الحضرة الشريفة عنها:

المطلب الأول - تأخير قدوم الكبلير رلاندى لمراكشة بقصد استيطانها.

أجابت عنه الدولة المذكورة بأنها مساعدة على زيادة ثمان سنين فى الأجل المضروب لذلك زيادة على السبع سنين المنصرمة بعد تمام الأجل المزيدي على يد السويسى رحمه الله، إلا أن إمضاء ذلك مقيد بثلاثة شروط:

الشرط الأول: عدم مساعدة أحد من الأجناس على مثل ذلك أصلا وإلا فلهم طلب المساواة.

الشرط الثانى: تعجيل فصال دعاويكم بموجب الحق على مقتضى الشروط والتفويض للنائب السيد الحاج محمد الطريس فى حسم مادتها، وإصدار الأمر الشريف للعمال بأن يكونوا ينفذون ما يكتب لهم به من ذلك وشبهه، وذكرتم أن النائب المذكور لو كان مفوضا له لما احتاج أحد من نواب الأجناس للحضرة الشريفة ولا إلى الذهاب إليها فى شأن الدعاوى.

الشرط الثالث: تنبيه عمال المدن والبوادي التي لا قوانين لكم بها على أن يكونوا يفاصلون كل دعوى رفعها لهم أحد من رعية الصبنيول وذوى حمايتهم على وجه الحق، بحيث لا يحتاج إلى رفع الدعوى لثابهم، ليتكلم هو فيها حيثئذ بل العامل ينصف ويفاصل من أول الأمر.

أجابت الحضرة الشريفة عن الشرط الأول الذى هو عدم مساعدة أحد من الأجناس... إلخ، بأن العقلاء أمثالكم لا يخفى عليهم أن طلب الشيء يحق إذا توفر فيه أمران، أحدهما أن يكون صدر لأجل علة يسلمها ويقتضيها نظر الصلاح، والثانى أن يكون الحاصل بالطلب مصلحة جارية على حسن النظام ليس فيها ضرر على جانب الطالب ولا على جانب المطلوب، فإذا كان الطلب مبنيًا على هذين الأمرين حسنت المساعدة عليه، لأن مصلحتها تابعة لمصلحته، وعدم مساعدة أحد من الأجناس ولو كانت غير متأنية حيث ذلك من جملة الشروط المنعقدة معهم، لكن إذا ظهر التماس العذر وقبوله من حضرته الشريفة فذاك واضح ومساواتكم له أمرها مسلم نعم أنتم أولى وأحق عند الحضرة المولوية بالله بمراعاة حق المحبة وقبول العذر وحسن الموافقة والألفة، والذى تعتقده وتستحقه منكم الحضرة الشريفة أنه لا يصدر الطلب من جانبكم إلا عن جميل لأجل جميل على وجه جميل.

وعن الشرط الثانى: وهو تعجيل فصال دعاويكم بأن فصال دعاويكم لا يقع تعطيل فيه لكونها عند الحضرة الشريفة من أهم الأمور وأكدها، نعم لا يخفى على العقلاء أمثالكم أن مطلق قضية من القضايا بين خصمين حاضرين لا يتأتى الفصل بينهما فيها إلا بعد أن يؤمر كل واحد منهما بإحضار الحجة على مقاله فيها، ويضرب له الأجل لذلك، وبعد إحضارها تصفح ويقع الحكم فى القضية بما يقتضيه الحق فيها، ولو وقع الحكم فيها بينهما قبل ذلك لوقع الحيف والظلم لأحدهما، سيما إذا كانت القضية من قبل دولة عظيمة والمدعى عليه غير حاضر،

فلا بد من الكتب لعامل المدعى عليه بإحضاره لمقابلة الدعوى ومن البحث فيها من خارج وحيثند يقع الحكم عليه بما يقتضيه الحق، وإن كان له مقال مؤيد بحجة مسلمة فذاك وهذا هو موجب عدم التعجيل فى فصل بعض الدعاوى.

كما أجابت أعزها الله عن التفويض للطريس بأنه مفوض له فى فصل الدعاوى التى لا يحتاج فيها إلى مراجعة الدولة، وبأن الأمر صدر بذلك للعمال قبل وأكد بهم الآن تأكيداً وجدد تجديداً، نعم بعض النواب الذى بينه وبينهم تفاهم يمتنع من الكتب لهم ويكتب للحضرة الشريفة فى جميع أموره، ودليل ذلك كون هذا البعض يكتب لها بتوجيه سفيره للحضرة الشريفة، إذ كان بصددده ونحو ذلك من الأمور التى لا يحتاج فيها النائب المذكور إلى تفويض.

وعن الشرط الثالث الذى هو تنبيه عمال المدن والبوادرى التى لا قوانين لكم بها على أن يكونوا يفاضلون الدعاوى التى يرفعها لهم من ذكر بأنها أصدرت لهم الأمر بذلك.

المطلب الثانى - طلب الإذن لحرابة الصبنيولين الذين بالحضرة الشريفة فى التوجه لحالهم للاستغناء عنهم لتعلم العسكر ما فيه كفاية.

أجابت عنه الدولة المحبة بأنها تساعد على ذلك بمجرد سفر غيرهم من الحرابة الذين هم بالحضرة المولوية من أجناس آخرين.

وأجابت الحضرة الشريفة بأن مساعدتها على ذلك من دلائل محبتها و صداقتها وسعيها فى الخير لهذه الإيالة وذلك هو الظن بها والمعروف منها وبأنها تطلب من وزير الأمور البرانية الكلبير فلان أن يجازى الدولة المحبة على ذلك على لسانها بآتم الجزاء.

المطلب الثالث - إلزام حاكم مليلية التخلّى عما زاده فى حدادتهم من أرض بنى شيكر وإبقاء الحدود على أصلها.

أجابت عنه الدولة المحبة بأن علامات الحدود القديمة لازالت موضوعة فى أماكنها المعلومة المعينة لها بموافقة الجانبين لم يحدث فيها تبديل ولا تغيير، وتطلب من الحضرة الشريفة إصدار الأمر العالى بالله للمعينين للوقوف على تمييز الحدادة بوضع خطوط أيديهم على الرسم المتضمن بيانها حالا لأنهم تعللوا من عدم الإذن الشريف لهم فى وضع خطوط أيديهم عليه.

وكما تطلب كف قبائل الريف عن الدخول متسلحين للحدادة حذرا من الفتنة وإخراج المسلمين فى الأرض المحرمة بالحدادة، حيث يمكن ذلك لوقوع الاتفاق على عدم سكنى أحد فيها من الجانبين كما بالشروط.

أجابت الحضرة الشريفة بأن يضعوا خطوط أيديهم على رسم الحدادة، كما أصدرته لعمال قبائل الريف بكف إخوانهم عن الدخول للحدادة متسلحين، وبأن يخرجوا المسلمين الساكنين بالأرض المحرمة بالحدادة وقت إمكان، وتأتى ذلك لهم.

كما أجابت أيدها الله عما أشارت به الدولة المحبة فيما تنحسم به مادة أهل الدين الجديد من النجليز من أن الشروط تعطى السكنى لسائر الأجناس بأى بلد شاء، وما لم يحدثوا فى القوانين شيئا وهو أعظم ضررا من الإحداث فى القوانين، ومن أن لمولانا دام علاه تعريف باشادورهم بذلك ليأمرهم بالخروج من أرضنا وإلا فإن دهمتهم مصيبة فدركهم على أنفسهم ولا حجة لكبرائهم فى الكلام عليهم لتقدم الاسترعاء بأنها مجزية بخير على الإشارة بذلك الدالة على محبتها وصدقتها، وبأنها أمرت بالكلام مع باشادورهم بذلك».

كما عقد مع إسبانيا اتفاقا على حدود مليلة المشار لها فى مسائل السفارة الرحمانية وهذا نص ذلك من أصله العربى بعد الحمدلة:

«هذه شروط الحدادة الدائرة بمليلية الواقعة بتاريخ ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

على يد المكلفين من قبل الحضرة الشريفة أعزها الله، ومن قبل دولة الصبنيول
الفخيمة الواضعين أسماءهم أسفله ليقع رسم الحدادة التي رسموا في ٢٦ ينيه سنة
١٨٦٢ الموافق ٢٨ حجة سنة ١٢٧٨ :

فحضرة سلطان مراكش وحضرة سلطنة أسبانيا كلفوا المفوضين وهم من
جانب حضرة سلطان مراكش القائد العربي بن حميد الشركي، والقائد حمان
السعيدى، ومن جانب حضرة الكتولك الجنرال البر كادرضون خوسى ميرليس
كنساليس، والكماندنط دلخينروس دون اليحيوسوسى اى فرناندس دلاماسة،
والكبطان داسطاد ومايوردون، وخوان بيكاسر كنالس .

ولما أظهر بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الفصال على وفق ما
بالفصول التي سنذكرها:

فعلى جهة الشمال من عرصة محمد اقدور اشرقى بواد فرخانة، لأن فى
تلك المحل طاحت كورة المدفع الذى خرجوه من برج ببطرية الكبير على فصال
الثانى من شروط ٢٤ غشت ١٨٥٩ موافق ٢٤ محرم بالحدادة مقسومة على
جهتين، الجهة الأولى لقنت، الثانية بجهة النورط .

وعدد المواضع ما بين السور وامليلية مطروس ٢٩٠٠ فالمضروب المذكور من
قدور له درج من جهة الشرق مع إبرة البوصلة راسمة السنة درج ١٧٠٥ بين النرط
والغرب، لتلا يقع الخلاف فى هذه الخدمة بالتفويض من الجانبين تفاظلوا برشم
المواضع كل مضرب بالنمر، والذى له من شاطئ البحر جناب إلى جهة النرط
وعلى ذلك حدود الأرض السبنيولية هكذا، فمن عرصة قدور اشرقى وهو النمر
الاثنا عشر له من دج ٢٢/٥٥ وعدده مع برج بيطورية الكبير إلى جهة الشرق عند
سيدى ورياش وعدده مطروس ٤٦٠ الموضع الإحدى عشر له من درج ١٢/٢٨٠

وعدده مطروس ٢٨٠ بينه وبين المضرب العشرة الذى هو عن شمال واد سيدى ورياش وهكذا إلى البحر كما ذكرها

المضرب العاشر عن شمال واد سيدى ورياش له من درج ٢٨٨/٨٨ وعدده مطروس ٢٨٠

المضرب التاسع بوادى سيدى اورياش له من درج ١٣/٣٠ وعدده مطروس ٤٤٦

المضرب الثامن من طريق مزوجة وفرخانة له من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السابع فى أرض حد كهولة من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السادس فى كدية طاسدية برشاون له من درج ١٩٣/٣٣ وعدده من مطروس ٢٨٥

المضرب الخامس عن قريب عرصة لحسن له من درج ١٩/٢ وعدده من مطروس ٧٦٣

المضرب الرابع بواد سيدى محمد له من درج ٢٧٥/٤٠ وعدده من مطروس ٨٨٠

المضرب الثالث بكدية خربت اكديش له من درج ١١٢/٤٠ وعدده من مطروس ١١٠٠

المضرب الثانى بكدية أولاد العرب له من درج ١٧٦/٨١ وعدده من مطروس ٩٦٠

المضرب الأول فى رمل شاطئى البحر مقابل برج صبط بابويرة. ومن مضرب
الثانى عشر بعرضة قدور اشرقى الحدادة مع برج ليطورة الكبير لهما من درج
٧٧/٠٥ وعدده من مطروس ٦٠٠ بينه وبين:

المضرب الثالث عشر بكدية بن عمر اروياش له من درج ١٨٨/٦ وعدده من
مطروس ٨٨٦

المضرب الرابع عشر بالواد الغارق له من درج ١٩١/١٥ وعدده من مطروس
٩٥٠

المضرب الخامس عشر بكدية الصباب له من درج ١٩٦/١٠ وعدده من
مطروس ٧٦٠

المضرب السادس عشر بكدية روسطز وغردله من درج ١٦٤/٤٥ وعدده من
مطروس ٧٠٠

المضرب السابع عشر من جرف البحر فوق المرسى الحمرة إلى الحجر
الأحمر. انتهت الحدود المذكورة فى ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

خديم المقام العالى بالله العربى بن حميدة الشرقى وفقه الله، خديم المقام
العالى بالله محمد بن العربى السعيدى وفقه الله»

ثم يلى ذلك الإمضاءات مندوبى أسبانيا ثم الختم بطابع اسبانيا.

وإليك نصوص بعض الوثائق فيما كان يجرى من الكلام والمذاكرات على
حدود مليلية ونص الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله.

وبعد: فقد أجبناك في غير هذا عن مطلبى باشدور اصبنيول بما تظهره له من التلطف والمدافعة بالتى هى أحسن، وأنت اعمل جهدك فى ذلك وكن عند الظن بك فى مدافعته وتأخيريه عنهما بكل ما أمكنك، إذ لا يخفأك ما ينشأ عن ذلك من الهرج والفتنة وتشويش قلوب المسلمين

وإن ظهر لك شىء يكون فيه إعانة لك على المدافعة والتأخر فأعلمنا به لنرى فيه، ثم إذا لم يمكن دفاع وقطعت منهم الخير بالكلية وأيست من رجوعهم عن ذلك فأجبه عن أبراج حدود مليلية بأن البلاد سلمت لهم على حدودها وما أخرناهم عن البناء فيها إلا رغبة فى طول الهناء للجانبين، وتوقيا مما يجلب موجبات الشنآن بين الدولتين المحبتين، وإلا فالأرض المسلمة لهم يفعلون فيها ما شاءوا، ودرك ما ينشأ عن ذلك محسوب عليهم وحال قبائل الريف معروف عندهم، وعدم استقامتهم وامثالهم مشهور فى جميع الآفاق، وهو يرى كيف دافعوهم عن عمل الجير والآجر والقرمود بإزاء حصنهم كما زعم فى دعواه، فكيف بالبناء.

وما علينا إلا أن نأمرهم بالتخلى لهم عن بلادهم وتخليتهم وما يريدون فيها ونكفهم عن الشر ما أمكننا، وأما المحل الذى قرب وادى نون فقد بحثنا الجوار عنه ومن له خبرة بذلك واعتناء وولوع بالأخبار والتواريخ، فأخبرنا على وجه التحقيق أن المحل المذكور قريب من الصحراء الغير الممكن فيها الأحكام، ويسمى بالعجمية صانظكروز لبكنيا وهو الذى كان بيد الصبنيول قبل هذه لمدة بنحو المائتين سنة يصطادون فيه السمك والأمر فيها سهل إن لم يصدر لهم من أهله حرج، فتأمل فى ذلك ونسلمه لهم على شروطه ومنهم إليه بحيث لا تكون علينا عهدة ولا درك فيما يلحقهم من الجيران ومن أعانهم من المتطوعين غير المخزن، وعلى كل حال فقد عرضنا عليك نظرنا فى هذا لتتظر فيه وتأمله ولا تبدى منه إلا ما ظهر لك

مصلحته بعد التثبت ومراجعتنا فيه والله يعينك ويرشدك ويسدّدك والسلام فى ٤
ذى القعدة عام ١٢٩٣»

ونص الثانى :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله .

وبعد: فقد بلغنا أن الحاكم الذى كان بمليية عام أول ونقل منها أعيد للولاية
بها، وجعل يوجه لجوارها من قلعية بقصد الدخول فى الحماية، وطلب منهم بناء
بيوت خارج البلد لغرض لها وجعلها محلا لبيع مشروباتهم بينها وبين البلد قدر
رمى الرامى بالبندقية وجعل يبنى خارج البلد وينقل لها المدافع والبارود الكثير
ويخرق القوانين ويقبل من يريد الركوب فى البحر من غير تسريح عامله، والمعهود
عدم قبول أحد إلا بالتسريح، إذ ربما يكون يريد الركوب تعلقت به حقوق من قتل
أو نهب أو سرقة وعامله أدرى بأفعاله وقد وجه هذا الحاكم على عامل أولاد
ستوت بقصد الكلام معه فى سوق الحلفاء من هناك فنامرك أن تتكى مع نائب
دولته بإلزامه الوقوف عند الشروط والقوانين الجارية، ولا يحدث أمراً ليس بمعهود
هناكم والسلام فى شعبان الأبرك عام ١٢٩٨» .

ونص الثالث :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة
الله .

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور اسبانيا أعاد الشكاية بما قدمت الإعلام به
لحضرتنا الشريفة، من إضرار أهل الريف بأهل بادس والنكر ومليية، وذكر أن
السبب فى ذلك هو خديمتنا القائد زيان الورياغلى حسبما فى كتابه الذى وجهت،

وذكرت أنه يطلب قائدا على تلك النواحي مع ما يكفيه من الجيش، وأنت خشيت أن يصدر من أهل الريف مع جوارهم ما يكدر الخواطر حيث العامل المذكور هو الساعى فى الإفساد، وطلب الدواء النافع لذلك وصار ذلك بالبال.

فأما إضرار أهل الريف بأهل المحال المذكورة لم نرضه، وقد تكدر الخاطر عليهم من أجله فإننا لا نوافق على ما فيه خرق وضرر لمطلق الناس، وأحرى لهذه الدولة المحبة غير أنه لما وجد الحال أهل تلكم النواحي رفعوا لنا شكايتهم بجوارهم أهل الحصون المذكورة قبل أن توجه شكايتهم المتضمنة لسرقة حمار وربطة من الجلد ليهودى من مليلية وضرب العسة بالبارود التى جعلها حاكم مليلية على المسلمين الذين يختفون ليسرقوا اليهود الحاملين للبضائع من مليلية.

بحثنا من وجدهم الحال بحضرتنا الشريفة من هداية الريف عن ذلك، فأجابوا بأن حاكم مليلية جاد فى التحزب برعاع مزوجة وبنى شيكر الذين لا يسعون فى خير بين المسلمين والنصارى، وأراد أن يدفع لهم بلاد الحدود يحرثونها بالمنفعة وإسكانهم بالدور التى أدخلت فى الحدود الصبنيولية، وأن أرباب تلك الدور لما سمعوا بذلك أصابتهم الغيرة وإن رأوهم يتصرفون فيها لا محالة تقع الفتنة بينهم وبينهم، وهذا زائد على ما تشكو به قبل من كونه يبنى الحصون والأبراج بالحدادة ويستميل فساد القبيلة إليه حسبما قدمناه لك، وأن بقيوة وبنى يطففت مشتغلون بإخراج البقر للنصارى من النكور وبادس.

وحيث منعهم العامل المذكور من ذلك ولم يساعدهم عليه رماه حاكم مليلية بما ذكر، والدليل على براءته منه طلبه من الأمين الطالب محمد بن أحمد العسرى أن يتكلم مع حاكم مليلية بكف حاكم جزيرة النكر عن المخالفة مع رعاع الناس وأجلافهم، لا سيما الرجل منهم المسمى بعبد الله المشتغل بالخوض وإيقاد نار الفتنة

بالبلاد وإنزال النصارى للمحال التى لا أمان فيها حسبما تراه فى كتابه وكتاب
الأمين المذكور طيه .

إذ لو كان يسعى فى الفساد كما ذكر حاكم مليلية لما طلب شيئاً من ذلك كما
أجابوا عن الأقوات بأنها لا تقطع لهنالك ومن وجدوه يتعاطى ذلك يضربون على
يده، وعن العسة بأن تلکم القبائل يفرضونها على اعظامهم كل عظم يأتى بما ينوبه
منها ويمكث بها أياما هناكم، ثم ينصرف ويخلفه آخر، وعلى هذا عملهم فيها،
وأن النصارى ضربوهم بثلاث كورات وبمائة وثمانين بندفة .

وحيث كان الأمر كما ذكر تعين علينا توجيه ثقتين من جانبنا العالى بالله
يحققان ذلك وهما: خديمانا العربى بن الحسن الشركى، والنج أحمد بن أحمد بن
التهامى البقالى التطوانى للبحث فى ذلك والشهادة بما يتلقونه من أهل تلکم
النواحي من خبر ما ذكر .

وكذلك بما يروونه ولا نكره إن تكلم الباشدور يأذن لكبير مليلية والنكور
وبادوس فى الملاقاة مع الموجهين المذكورين بقصد المشافهة والتحاق فيما عندهم
من ذلك والمفاوضة فيما يحسم مادة الشنآن بين الجانبين، ويديم الهدنة والسكينة
بينهما، وقد أذنا لهم فيها إن توافقوا معهم عليها لما فى الإذن لهم فيها بعد جوابك
لنا من التطويل، وأمرنا عمال بنى ورياغل القائد زيان والنج حدوا والنج على
بالقدوم على حضرتنا الشريفة صحبة الموجهين المشار إليهما، ليكون الكلام معهم
فى ذلك بحول الله .

وأما ما طلبه الباشدور من توجيه قائد لتلك الناحية مع ما يكفيه من الجيش،
فقد أصدرنا أمرنا الشريف لخديمانا النج محمد الفرجانى آغا عسكر العرايش بأن
يتوجه لجنادة بجميع عسكر الثغر المذكور وينزل بها مقدمة حتى ننظر فى ذلك
والسلام فى ١٤ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨هـ .

ونص الرابع:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور إسبانيا كتب لك بما فى كتابه الذى وجهت من أن حاكم مليلية كتب له بأن عامل بنى بو كافر امتنع من رد مسجون له فر من مليلية وبرح فى الأسواق بأن كل من دفع مسجوناً هارباً من هناك يقتل وتؤخذ أمتعته، وكذلك من لم يقتل النصارى الذين يتجاوزون الحدادة، فأجبتة عن ذلك بما فى النسخة التى وجهت ووعدته بالكتابة لناحية الريف بالسؤال عن ذلك، وإطلاع علمنا الشريف بالواقع وكتبت لأحد أمناء مليلية بما فى النسخة التى وجهت وطلبت إصدار أمرنا الشريف للعامل المذكور برد المسجون الهارب على مقتضى الشروط وإبطال التبريح المشار إليه وصار ذلك بالبال .

وقد أحسنت فيما فعلته فى ذلك كله، وأصبت فى صرف وجه الاعتناء لعلاج ذلك الداء، سددك الله . نعم، كان بلغنا ذلك قبل وأصدرنا أمرنا الشريف للعامل المذكور بما ذكر ولغيره من خدامنا عمال قلعية وأمنائهم بالبحث عن النصرانى المذكور، ودفعه لحاكمه على يد الأمناء، ووجهنا من يقف حتى يدفع له .

ومن جملة من أمر بذلك من العمال المذكورين: وصيفنا الطالب عبد الله بن أحمد فأجاب بما تقف عليه فى كتابه طيه من تكليفه بعض المرابطين الخمليشين المسموعين الكلمة بتلك الناحية بالبحث عنه ورده لحاكمه على يد الأمناء المشار إليهم .

وأما نداء العامل المذكور فقد بلغنا أن سبيه ترامى الحاكم المذكور على إخوانه وقبضه عليهم فى النصرانى الذى فر له ومن جملة من قبض عليهم أخوه، وأنه وقع من القبيلة لامن العامل لكون الأئفة من فعل الحاكم المذكور ذلك بإخوانهم

حملتهم على النداء بذلك، وها نحن آخذون فى البحث ثم إن صح أن العامل هو الذى أمر بذلك يؤدب بحول الله لأنه لم يرتكب هينا، وهذا مصداق ما أجت به باشادورهم من أن أصل ذلك من حاكم مليية لارتكابه الأمور التى ينشأ عنها الشنآن كتوجه الفساد من أهل الريف لإسبانيا، وقبولهم فى مليية وتعرضه على أهل الجرائم، ووعده لأهل الريف بالحرق داخل حدادتهم وغير ذلك من الأمور المفضية للهرج والمشاحنة تولى الله أمرنا وكفانا بحوله وقوته والسلام فى ٢ محرم عام ١٣٠٠».

هذا وإن لصاحب الترجمة علائق ومراسلات مع إسبانيا غير ما تقدم، وقد تداولت بينه وبين ملوكها الرسائل الودية ككتاب الفنس الثانى عشر إليه معلما باقترانه بالأميرة النمسوية مارى كريستين زوجه الثانية، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالتهنئة مع إيفاد سفارة للقيام بذلك نيابة عن جلالتها.

ولما ولدت المذكورة بتنا بعث كتاباً ثانياً منبهاً بذلك فأجابته الجلالة الحسينية بالتهنئة والاستبشار بذلك. ولما تزوجت أخته الأميرة «مرياد لبس» بابن عمها الأمير «لويس فرندود بييرة» أرسل كتاباً معلناً بذلك مجدداً فيه المودة المتواصلة، فأجابه المترجم على ذلك بما ينبغى أن يجاب به.

ومن ذلك إهداء الملك المذكور للحضرة الشريفة علامة الافتخار وإرساله «إدوارد رمية يانكوس» سفيرا وواسطة بين الدولتين وجواب المترجم له عن كل من العلامة والسفارة بحلول الأولى محل القبول والكرامة، ومقالة الثانية بما ينبغى من المبرة والاعتناء والمسرة.

ومن ذلك كتاب المترجم للملك المذكور بالشكر له ولدولته، وأعيان رجاله وأمتة، على ما صدر منهم فى مال الصلح من الصبر والمجاملة واستيفائه على وجه التقاضى وحسن المعاملة، وختمهم ذلك بأحسن ختام، بالإذن فى نهوض أمنائهم

من المراسى قبل استيفاء الواجب من بعضها على التمام. وأن ذلك حقق للحضرة الشريفة ما كانت تسمعه عن المحبة وكمال الاتصال بين أسلافها الكرام، مثل سيدى محمد بن عبد الله وغيره.

ولما مات الملك الفنس الثانى عشر المذكور بعث بالتعزية فيه للحكومة الإسبانية وكتب لزوجه الملكة ماري بالتعزية فيه والتهئة بتبوتها مكانه، لأنها عينت وصية على العرش بعده ونص ذلك بعد البسملة والحوقلة والاستفتاح والطابع: «إلى المحبة المعظمة، المحترمة المفخمة. سلطنة دولة إسبانيا الفخيمة السلطنة دنى مرية كريستينة.

أما بعد حمد الله الذى لا يروعه الحمام المرقوب ولا يبغته الأجل المكتوب. فقد بلغ لشريف علمنا أن المحب المعظم الصاحب المحترم. سلطان إسبانيا السلطان الفنس الثانى عشر مات وانتقل من هذه الدار. إلى دار المقام والقرار. فحصل لنا من الأسف على مصابه ما الله أدرى به. لأنكم أجاؤنا وجيراننا فما يسركم يسرنا. وما يكدركم يكدرنا. ونحب الخير التام لكم. ودوام صلاح نظامكم.

وبمجرد بلوغ ذلك لشريف علمنا قبل سماعنا بتوليتك فى محلة طيرنا الكتب لدولتكم على العموم بالتعزية. فى مصابه والتسلية. وأشرنا عليهم بالثبوت فى هذا الأمر العظيم. حتى يسند الأمر فيه لأهله ويجرى على السنن المستقيم، والمقصود عندنا بذلك هو بقاء الملك فى داركم. وانتظامه وتشيد فخاره بكم. لأنكم أهله ومستحقون له ومحله، وقد تحقق ذلك القصد والحمد لله وهان علينا بعض مصابه بما بلغنا من حيازتكم لمكانته ورتبته وجلوسكم على سرير مملكته، فليرنا لكم هذا المسطور على الخصوص فى مصيبته، ودمتم محفوظين فى سربكم، ممتعين بحزبكم. وختم فى ١٧ من ربيع الأول عام ١٣٠٣.

ولما وضعت الملكة المذكورة حملها من التوفى وكان قد تركها حاملاً منه،
وبويح المولود وسمى بالفنس ليون الثالث عشر وهو الملك الحالى كتبت إليه بذلك
فأجابها بتهنئة الدولة به والتمنى له . وكذلك كاتبها جوابا عن كتابها فى التعريف
بمقام (حسنى ديزد وكستيليو) بأشدها الجديد .

وكذلك كاتب الملك الحالى الفنس الثالث عشر جوابا عن كتابه للحضرة
الشريفة فى شأن ورود بعثة الهندسة الحربية الإسبانية كما يأتى بحول الله عند
الكلام على التنظيمات الحربية . كما كتبه فى جمادى الأولى ١٣١١ بإبداء الأسف
على الحادثة الواقعة بين أهل مليلية وقبيلة قلعية والوعد بالنظر فيها . وتدارك
قضيتها وتلافيها .

ثم لم يلبث أن قدم على حضرته الشريفة القبطان جنرال (ارسينيو مرطيس
دكمبوس) سفيراً مفوضاً لتتيمم أمر الواقع من تلك القبائل الريفية فى حدود مليلية
فعمول فى تتيمم ذلك بالتسهيل حتى تمه وانقلب راجعاً بعقد فى ذلك الشأن
حسبما جاء فى جواب المترجم المؤرخ بثنانى رمضان ١٣١١ على الكتاب الملوكى
الذى جاء به السفير .

وكان قد وقع الفصال فى قضية أهل الريف مع مليلية على أربع ملايين من
الريال أخرج منها من بيت مال مراكش ستمائة ألف ريال ودفعت لأمناء الجديدة
ليدفعوها لنائب إسبانيا واستكمل الباقي فى الدولة العزيرية .

وكل الظواهر المذكورة موضوعاتها التى كان المترجم يبعث بها لدولة الإسبان
محفوظة ببعض مجموعات خزانتنا .

مع إيطاليا

وبعث لإيطاليا سفارة يرأسها القائد بوشتا بن البغدادي الجامعي وفي معيته الفقيه العلامة الأكتب السيد العربي المنيعي أحد كبراء الكتاب بالحضرة السلطانية وإليك نص الكتاب الوزيري الصادر فيها لوزير خارجيتها:

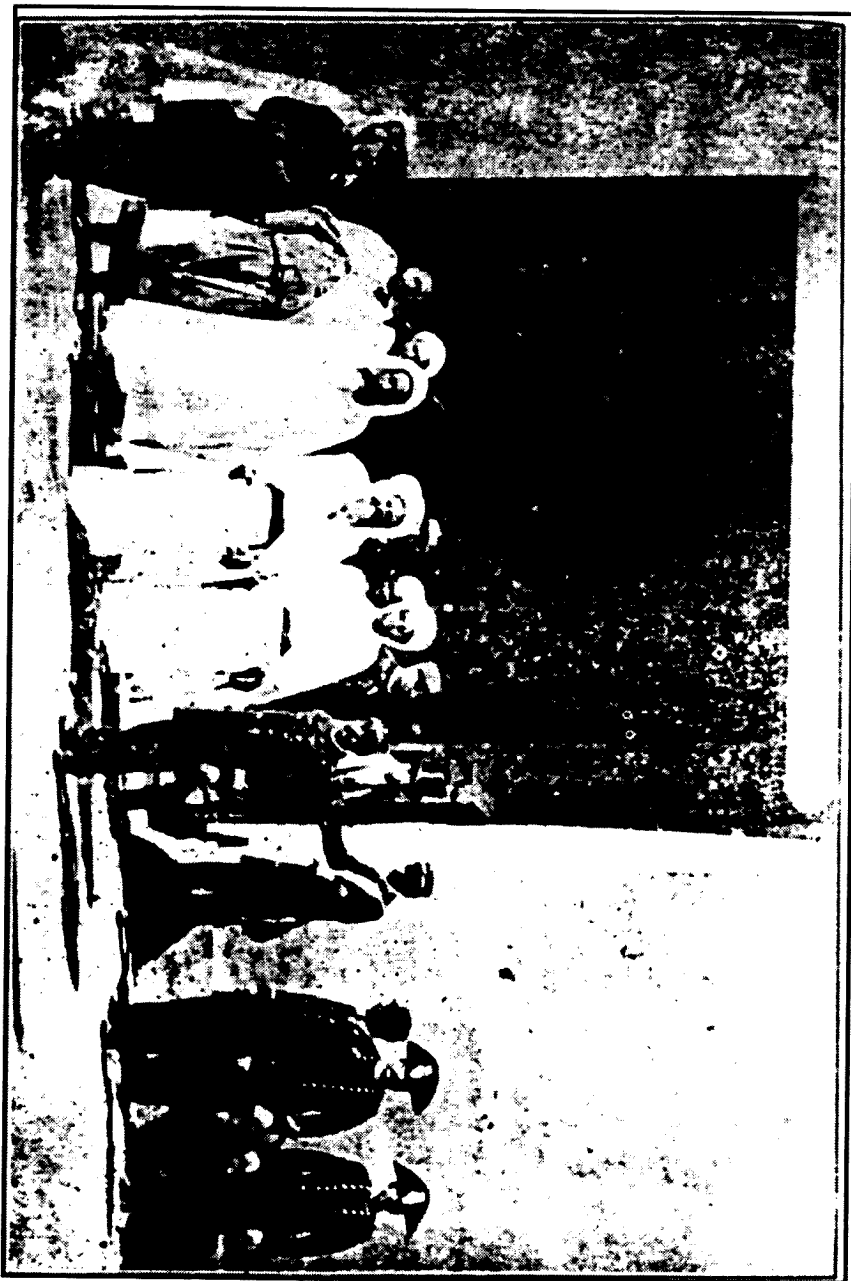
«الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عماد الدولة الطليانية الفخيمة ووزير أمورها البرانية الكبليير المعبر المحب الذكي الأملعي الحائز بحسن التدبير. التبريز في ديوان السياسة والتصدير. صاحبنا دبرينس أما بعد: السؤال عن كافة الأحوال. ومجبة الخير لكم الدائمة التوال.

فموجه تجديد العهد. وتأكيد الود. وإعلامكم بأن مولانا نصره الله اقتضى نظره الشريف توجيه خديمه الأرضى الأمجد الأنصح المعبر القائد بوشتا بن البغدادي الجامعي سفيرا لدولتك الفخيمة وتعزيزه بكتاب حضرته الشريفة الأجل الفقيه السيد العربي المنيعي بقصد تجديد المحبة بين الدولتين. ومباشرة ما يزيد بحول الله في كمال الاتصال بين الجانبين.

وإنا لعلى يقين من أنك تقابله هو ومن معه بزائد القبول والمبرة في الإيراد والإصدار. حتى يرجع مقضى الأوطار. وتصلك (كمية) إكراما من عندنا فالمراد من المحب قبولها وختم في ٧ شوال عام ١٣٠٢هـ.

وبعث لها أيضاً سفارة أخرى يرأسها القائد الكبير بن المدني الشاوي وأوفدت على جلالة الدولة الإيطالية سفيرها الكمندار (تور كنطاغلى) وإليك نص الجواب السلطاني للملك امبرتو الأول عن وصول السفير المذكور لحضرته العلية بعد البسمة والافتتاح:

«إلى المحب الملحوظ بملاحظ الإيثار. والاعتناء والاعتبار. سلطان دولة إيطاليا ذات المفاخر. والمزايا والمآثر. السلطان امبرت الأول. المعظم الأملعي الأنبل.



سفارة الحاج المعطى بن المدنى لإيطاليا

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة بأن من غاية اهتمامكم بحفظ العلاقات الاتصالية وملاحظة محبة الدولتين التى هى للتأكيد داعية. بتعيينكم للكمندار توركنطاغلى للورود على حضرتنا العلية وزير تفويض. وسفيراً بحق خالص محبتكم بمزيد التوكيد والتحضيض، وأنكم اخترتموه لما امتاز به من الخصال الحميدة. والآراء السديدة. والثقة به فى الإجراء على ما كلف به من قبلكم، وصرف همته للاهتمام بمقصدكم، وطلبتكم من جانبنا الشريف أن يقع عندنا موقع الاستحسان. وثق به فيما ينهيه عنكم من الأخبار الحسان. التى مضمونها ربط دوام المحبة بين الدولتين وتحقيق أسباب المودة الكائنة بين الدولتين.

أما حفظكم للعلاقات الاتصالية ورعيكم لما بين الدولتين من المحبة والوسائل الودادية فهو أجلى من الشمس وأشهر ونحن كذلك وأكثر، وأما تعيينكم للكمندار تور المذكور بعد انتخابكم له على الوجه المشكور، فدليل على محبتكم ومودتكم وصدافتكم وما لكم من صدق الاهتمام. وحسن المحافظة على حق المحبة الموصولة على الدوام.

وأما ما طلبتم من الثقة به فيما ينهيه لجانبنا العالى بالله مما يتضمن ربط دوام المحبة بين الجانبين وأن يقع موقع الاستحسان، فكل من هو ثقة لديكم وصدوق فهو عندنا كذلك، وقد ورد لحضرتنا الشريفة وحل بها حلول تمييز واعتبار. وألفى كما عرفتم به من أوصاف الاختيار. وجرى فى امثال إرادتكم على وفق ما ظننتموه وقرر لنا من تحقيق محبتكم الثابتة ما اعتقدتموه، وأظهرنا من الثقة به ما زاد ركن المودة تشييدا، وعد فى مقام الاعتناء فعلا حميدا، وقابلناه بما اقتضاه جميل المراعاة والامتيار، وردنا به استدلالا على بناء المحبة التى لا يعترها اهتزاز، ودمتم فى هناء وثروة وعافية، مراعين للمحبة والمودة والصدقة سرا وعلانية، وحرر فى ١٧ صفر عام ١٣٠٧.

وكانت له مع دولة إيطاليا علائق ودية فمن ذلك كتاب الملك امبرتو الأول إليه بالأفراح الملوكية التي أقيمت بتورين بمناسبة اقتران أخيه الأمير (اماديو فيريندوماريادي صابويادو كة دى اوسطا) بالأميرة كاري بنت (جيرولامو نابليون) ولما أنجبت ابنا بعث مسطور الإعلام بذلك مترقبا ابتهاج الحضرة الشريفة فأجابته على ذلك بالسرور، والتهنئة والحبور، ولم يلبث الأمير الأخ المذكور أن توفى فطير أخوه الملك رسالة بنعيه وأجابته الجلالة السلطانية على ذلك بإبداء الأسف لمصابه، وسيأتى قريبا بحول الله ذكر الرسائل الوزيرية المتعلقة بالبعثة الإيطالية الحربية والمركب الحربى المصنوع بتلك الديار.

مع إنجلترا؛

وقد أوفدت إليه سلطنة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند سفيرنا المنسطر (شارل اوان اسميد) وإليك نص الظهير الصادر جوابا عن سفارته بعد البسمة والافتتاح: «إلى المحبة المعظمة. المحترمة المفخمة الوارثة الرياسة عن الآباء والأجداد. السائر بها المثل فى الأغوار والأنجاد سلطنة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند المعظمة السلطنة فكتورية العزيزة البهية المنعوتة بالذكاء والنباهة والألمعية.

أما بعد حمد الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فموجب تحرير هذه السطور، لجنابكم المشكور، الإعلام بأننا لا زلنا معكم على المحبة المشيد بناؤها على أوثق أساس والمودة التى نمت منها فى أرض الصفاء الأغراس والصداقة الممتازة التى لا تنقضى مدتها والعهود الموثوقة العرى التى لا تبلى على مر الأيام والليالى جدهتها، ولا نزال على ذلك بحول رب العالمين. اقتداء بأسلافنا الأكرمين. وبأن المنسطر شارل اوان اسميد وفد على حضرتنا الشريفة فحمل على كاهل المبرة والإكرام. وعومل بأزيد مما يعامل به سفراء الدول العظام من الاعتناء والاعتبار والاحترام. رعيا لكونه من قبلكم. ووروده من رفيع حضرتكم. فقابل

ذلك بما لا تحبونه له ولا ترضونه فغضضنا الطرف عنه تحملا مراعاة لكم، وقابلناه
بجميل المبرة اعتناء واعتبارا لجانبكم، ولا شك أنه يتحقق لكم ذلك من غيرنا كما
يتحقق لكم أمره كذلك ونطلب الله أن يوفقنا لما فيه رضاه ودمتم في هناء وعافية
على أكمل الأوصاف. لاحظين لأهل المحبة والمودة بعين الإنصاف. وختم في ٢٠
من ذى الحجة عام ١٣٠٩هـ.

وأوفدت عليه أيضا هذه المملكمة العظيمة خليفة حاكم جبل طارق مصحوبا
بالفيل هدية إليه وجيء به بحرا لطنجة يقوده رجال من أهل الهند، ومنها أتوا به
برا للحضرة الشريفة فلاحقوا بها مخيمة بجيوشها بين أعراب السهول وحصين وبين
برابر زمور في أثناء الوجهة المولوية من مراكش لفاس فأمر السلطان بنزولهم ونفذ
لهم المؤنة ومن الغد أمرهم بإحضاره فاصطفت لذلك الجنود وحضر سائر العمال
والأعيان والرؤساء والقواد، وقدم للسلطان وعلى قفاه هندی يروضه ويلقنه، فصار
يشير للسلطان ويتقدم ويتأخر ويبرك ويقعد، وصدر الأمر الشريف بإحضار الطعام
له والشراب بعد نزع زيه وسريره فاختلف وارتشف، ثم طفق يغتسل بخرطوم ثم
انتهت الحفلة بإطلاق المدافع، وإليك نص الظهير الصادر من الجلالة السلطانية
جوابا عن وصول ذلك وحلوله محل القبول بعد البسملة والافتتاح:

«إلى المحبة العظيمة. المحترمة الفخيمة. العزيزة العيظموس المعظمة فى
النفوس. الوارثة الرياسة عن الأب والجد. السائر بها المثل فى الغور والنجد.
سلطنة دولة كرنى ابريطن وانبرير الهند السلطنة بكطورية. المنعوتة بالذكاء
والألمعية.

أما بعد حمد الله العظيم الذى لا إله إلا هو العلى الكريم. فموجب تحرير
هذه السطور. لجانبكم المشكور. هو تجديد عهد المحبة. والمودة والصحة التى

توارثها الأخلاق عن الأسلاف. ولا تزال بحول الله ثابتة راسخة جارية على منهج الاتصال والائتلاف. والإعلام بوصول خليفة حاكم جبل طارق وصول خير وهناء. فأحللناه محل الترحيب والاعتناء. واستروحنا من وروده مصحوبا بالفيل الوسيم. تحفة من جانبكم الفخيم. مسرة واحتفالا. وعددناه على رسوخ المحبة حجة واستدلالا. وأكد الخليفة المذكور ما فى الاعتقاد من محبتكم فأبدى، وبين جميل مراعاتكم فأحسن وأدى، وشيد من عهود الخير والاتصال ما ثبت أساسه، ونمت فى روضة المصادقة غراسه، وزاد بورود الفيل المذكور تصحيحات وتثبيتات لمن كان يجهل ذلك، وتشيدا لتلك المحبة وتأكيدا لرعايتها وتبيننا لفخامة دولتكم وضخامتها، إن الهدايا على قدر مهديها.

وحصل به لحضرتنا الشريفة من السرور والنشاط ما يحق به الاغتباط، وصادف وروده جل عمال القبائل مجتمعين، بالمحل الذى كنا به بمحلتنا السعيدة مخيمين. فى اليوم من محرم التاسع والعشرين، فحضرنا ساعة دفع الخليفة المذكور له هيئته الجليلة وحليته الجميلة، كما حضر لذلك الرؤساء والأعيان، وكبراء الديوان. وكان ذلك مشهدا عظيما فى الانتظام والانعقاد، ومحفلا مثل محافل الأعياد، وأظهرت الرعية من مخايل النشاط. ما وفى بحق السرور والانبساط. لكونه تحفة غريبة. وخلقة عجيبة. لم تعهد عند أهل هذا القطر، فى هذا العصر، حتى إن فقهاء حضرتنا الشريفة وأدباءها جعلوا فى محاسن الفيل. ومشهده الجليل. قصائد فائقة. وأشعارا رائقة. وتأليف متناسقة.

وها البعض من ذلك يصل جنابكم الفخيم. والباقى حيث يكمل يوجه لكم لتعرفوا منها ما حصل من مظاهر الفرح العميم، وذلك كله اعتناء بهذه المزية التى أتحفتهم بها حضرتنا العالية واهتمام بشأنها. وتنويه بأمرها. لكونها برهانا على ثبوت المحبة ودوامها والمودة المعظم بين الجانبين على مقامها لا زالت كذلك

مستمرة الاتصال والتجديد ودامت دولتكم الفخيمة فى خير دائم وهناء مزيد، ولا برحتم ملحوظين بعين الرعاية والاعتبار والعناية وحرر فى ٢٥ من ربيع الثانى عام ١٣٠٩.

ومن المؤلفات التى وضعت فى هذا الفيل المشار لها فى هذا الظهير مقامة لقاضى مكناسة خليل الخالدى سيأتى ذكر فصل منها فى ترجمته ورسالة النفائس الإبريزية فى هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة النجليزية للفقير الكاتب السيد أحمد بن عبد الواحد بن المواز ذكر أنه أنشأها بأمر شريف بمشافهة وزير الحضرة العالية السيد محمد بن أحمد الصنهاجى، والسراج الوهاج والكوكب المنير من سنا صاحب التاج مولانا الحسن الأمير لصديقنا مؤرخ سلا السيد محمد بن على الدكالى، والرسائل الثلاث محفوظة بخزانتنا وكلها بخطوط مؤلفيها:

مع ألمانيا:

ووجه للدولة الألمانية سفارة يرأسها خديمه الطيب بن هيمة عامل ثغر آسفى وعبد السلام بن رشيد ووجه لها سنة ١٣٠٢ الحاج محمد بركاش ولد النائب مع بعثة الطلبة الحربية حسبما يأتى الظهير الشريف الصادر فى ذلك الشأن.

ولما مات الإمبراطور فريدريك أرسل ولده غليوم مسطورا للحضرة الشريفة بنعيه فأجابته على ذلك بالأسف لمصابه وتتهته الولد المذكور بحيارته رياسة أبيه، وأنها ستسير معه على ما كانت عليه أيام والده من المودة والصحبة، وأنها بصدد توجيه سفير برسم النيابة عن جانبها العالى فى التسلية والتتهته.

وفى رجب ١٣٠٤ أرسل ظهيرا للإمبراطور غليوم جوابا عن كتابه الوارد فى شأن مرض سفيره (الرزيدنت تستا) بالألم الثقيل الذى اقتضى تأخيريه عن النيابة عن دولته ولما ورد بدله بالكتاب الإمبراطورى الصادر باعتماده أجابته على ذلك بما نصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح والطابع:

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، الحائز التبريز والتصدير فى ديوان
الرياسة، المنعوت بحسن التدبير والسياسة، والأوصاف المحمودة والسعى المشكور
سلطان دولة الامانيا والبروس السلطان كليوم امبيرطور.

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم فقد ورد على حضرتنا
الشريفة كتابكم المشيد من تجديد العهد أركاننا، المترجم عن تقرير الاتصالات
لسانا، منبثا بما اقتضته آراؤكم ووقع عليه اختياركم من استعمال المنسطر طراورس
بطنجة عوضا عن المنسطر الرزديط تستا لما ثبت لديكم فيه من الأهلية، والاتصاف
بالمحامد الجليلة ولما أظهرته مراتب خدمته من الثقة، والمساعى السديدة المنتسقة
وأشرتم بملاحظة رتبته بعين الاعتناء، واستماع أقواله المجددة لطيب الثناء،
وتصديقه بالثقة فيما يذكره عن جنابكم ومعاملته من الفرح بما يستدعيه حسن
مقاصدكم.

أما استعمالكم إياه فى هذه الرتبة الجديدة، وإيثاركم له بهذه المنحة الحميدة.
فلا شك عندنا أنه من حسن آرائكم معدود. ومن اجتهادكم فيما تحصل به أعمال
الصلاح غاية المقصود، لما تقرر لدينا من محبتكم التى لم يزل غصنها ناضرا
وروض عهودها بنسيم التجديد زاهرا.

وأما تنبيهكم لنا عليه فقد استفتحتم به منا عيون الملاحظة المستلزمة لحسن
القبول، وتأکید المحافظة فمرحبا به وبكل من يأتى من جانبكم، واختياركم له على
الوصف المذكور دليل على محبتكم وصدقتكم وسعيكم المبرور، وهو عندنا
مصدق معامل بما تعهدونه من مقتضيات الجميل، والاعتناء الذى هو بدوام
الاتصال بين الجانبين كفيل، ودمتم ملحوظين بعين التوقير والاحترام، من الخاص
والعام فائزين بمزيد الفخامة والثروة والضحامة وختم فى ٧ ربيع الأول عام
١٣٠٥.



السلطان مولای الحسن یستقبل باشدور المانیا

مع الدولة العثمانية:

وإليك نص ما كتبه وزير خارجية الدولة العثمانية لوزير الخارجية الحسنية طالبا إنشاء سفارة عثمانية بطنجة بلفظه:

باب عالي

دائرة خارجية

مكتوبى قلمى

عدد

من ناظر خارجية الدولة العلية العثمانية لجانب الأجل الأكمل الأفضل ناظر خارجية حكومة فاس الفخيمة المحترم.

إنه لما كان تأييد وتزويد الحب والوداد، وتأييد المخالصة والاتحاد الجارين بالطبع فيما بين الدولة العلية وحكومة فاس الفخيمة، ووقاية منافع الطرفين هو قصارى مرغوب السلطنة السنية وجل مبتغاها، وكان الحصول على هذا المقصد موقوفا على أن يكون لكل من الحكومتين الفخيمتين ونواياهما الخالصة.

ولا مرء بأن شهامة حكمدار فاس الأفخم سيتكرم بالاشتراك مع الدولة العلية بما عندها من خالص الفكر والنية بتشديد أس المخادنة والمصافاة، وتأييد بنیان المخالصة والمناسبات، وبما أن السلطنة السنية ترغب فى تشكيل هيئة سفارة فى طنجة مركز الحكمدارية الفخيمة الفاسية، فالتمنى إذا صرف جل الهمم العلية باستحصال موافقة حضرة الحكمدار المشار إليه بحصول هذا المطلب المؤدى لتأييد دعامة المصافاة وتشديد أركان الصلّات فيما بين الحكومتين والتكرم بإفادة عاجزكم عما يحسن بهذا الباب هذا مع إبراز شعائر الإخلاص لمكارمكم وأدام الله بقاءكم أفندم.

فى ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ وزير الخارجية للدولة العلية العثمانية

(ختم) محمد سعيد»

وكان جواب الخارجية الحسنية عن أمرها أنها رأت من ملاحظة حق الأخوة فى الدين أن لا تفتقر لإحداث وسيلة فى جانب الوداد، ورأت من اعتبار مراحم الإسلام فى الوصلة إجرائها مجرى الاتحاد يقينا بأن نعمة هذه الأخوة لا يقبل حكمها التشكيك، ولا يطرق مركبه تفكيك، فلا داعى لتنزيل جانبها منزلة ملل الاختلاف، حتى تحتاج لنصب وسائط تمهيد الائتلاف، ولتفهيم القواعد والقوانين والأعراف، لأن من المقرر المعلوم أن المقتضى لذلك هو ضرورة المعاملات، المتوقفة على المفاوضة بين الأجناس المحتاجة لبيان الاصطلاحات واللغات، وذلك متتف فى أهل الملة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، لاتحاد جميعهم فى أصول الأحكام والأعراف الشرعية واتفاقهم فى سلوك المساعى الصالحة على متابعة السيرة السنية.

وبأن أسلافه وأسلافكم رحم الله الجميع وقدس أرواحهم كان بينهم ما هو مشهور عند الخاص والعام، من المحبة والمودة والاتصال التام حسبما تضمنته مكاتيبهم المظنونة الوجود فى ذخائر الدولة العثمانية السنية، وأنه أيدته الله مع الدولة المعظمة على آثار أسلافه الأكرمين.

وكان شيخ الإسلام بالدولة العثمانية قد خاطب قبل هذا أبا عمران موسى ابن أحمد بإذن السلطان عبد الحميد راغبا فيما يؤدى للتواصل والاتحاد ومجددا عهدود الآباء والأجداد ونص كتابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وأصلى وأسلم على نبيه الهادى إلى سواء السبيل المستقيم، أما الذى أولاك الرأى المستقيم، والفكر المصيب القويم، وولاك الوزارة التى إذا حملق النجيد، وصلصل الحديد، وبلغت الأنفس الوريد، اعتصم بحقوقها فى الممالك المغربية من الأبطال الصارخة، اعتصام الوعول بذرى القلقل

الشامخة، وذدت عنهم كمة الرجال ذود العوزم عن الأشوال، وصرت بها عصمة الهوالك، إذا شبهت الأعجاز بالحوارك، وأفريت أديم كل كمي احتقارا له بالأزميل، وخبطت إليهم خبط السرحان نقد الغنم الذليل، وحفظت كلام العجاج، وأطفأت نار الهياج، إذا غصت الأفواه، وذبلت الشفاه.

فما استللت سيفك مذ حزتها إلا أغمدته في جثمان بطل، أو شوامت جمل، فكنت للشائنين الزعاف الممقر والليث... رر قد انقطع لسان قلمي عن تحرير مزاياك، وقصر فكري عن النظر إلى صور فضائلك المصورة من مزاياك، فلويت زمام يراعى إلى المطلوب عجزا عن ذلك الوصف المرغوب.

أما بعد إهداء السلام المقرون بالتكريم والتبجيل، والتحية المحفوفة بالتجليل: فالذي أعلم به الوزير الأعظم، والمشير الأفخم، صاحب السيف والقلم المشهور بالرأى الأتم، الذي طرز بساط السلطنة المغربية بطراز تداييره المصيبة، وأظهر عدل مولاه بحسن سيرته الخالصة عن كل معيبة، أعنى به حضرة السيد موسى نجل المرحوم السيد أحمد وفقه الله تعالى إلى ما يكون موجبا في الدارين لأن يحمد، هو أنه من المفهوم بديهية لدى كل ذى رأى صحيح ومن المعلوم ضرورة بحيث لا يحتاج إلى نظر في التوضيح، أن مدار قوة الأمة المحمدية وصولتها على سائر الملل الردية، إنما هو اتحاد جميع أفرادها الموجودة في كرة الأرض وتشابك الأيدي منها بالقبض ولاسيما عند تعاضد المشركين، وقوة أعداء الدين، كما نشاهد وتسمعون من لهم في هذا الزمان من الصولة الباهرة، والجولة والشدة القاهرة، المؤدية بحسب المآل إلى الفتك بجميع ما للأمة المحمدية من الأفراد، وإن كانوا في أقصى البلاد.

فبناء على هذا قد تجاسرت على الاستئذان من المولى العارف بالله، والمتوجه بكله إلى طاعة مولاه، السلطان الأعظم والهاقان الأجل المحترم، وارث الخلافة الكبرى، عن آبائه الخلفاء بالاستحقاق أمير المؤمنين بالاتفاق، مولانا وإمامنا إمام

المسلمين السلطان عبد الحميد خان ابن المرحوم المبرور الغازي السلطان عبد المجيد خان نصره الرحمن وأيد جنوده وحزبه أينما كان، آمين.

بتحريري إلى حضرتكم ما يورث التواصل بيننا وبينكم، ويقتضى الاتحاد الحقيقي معكم كما كان التواصل بين جد سلطاننا المشار إليه بالقلم والبنان، وبين والد سلطانكم الشريف المعظم الشأن، اقتداءً بجنابه العالی، الذي هو عن شوائب النقص خالی، حيث أرسل مالكة الوداد إلى سلطانكم المعظم الموجبة للاتحاد.

هذا والمأمول من شيمكم الدينية، وغيرتكم المقرونة بصلافة الحمية، بعد وصول ألوكة الإخلاص، ومألكة المحبة والاختصاص، أن تعرضوا مضمونها إلى أسكفة^(١) السلطان الشريف المعظم، صاحب المفاخر الهاشمية والشرف المكرم، الذي ورث المجد والسلطنة والمعالي عن آبائه السلاطين العظام، وحاز علو الشأن والمقام، سلطان الممالك المغربية، صانها الله تعالى عن كل مصيبة وبليّة، سيدنا السلطان حسن، وفقه الله تعالى إلى كل أمر حسن، وأدام سلطنته وخلد ملكه آمين.

هذا ولاعتمادنا على العالم الفاضل السيد إبراهيم السنوسي المعلوم لديكم، حملناه هذه الرسالة ليلبغها إليكم وليبلغ ما يقتضى التبليغ شفاهاً باللسان وعليكم السلام في المبدأ والختام، في غرة شهر ربيع الأول الأنور سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

شيخ الإسلام ومفتى الأنام بممالك الدولة

العالية العثمانية حميت عن الآفات والبليّة

السيد حسن خير الله عفا عنه مولاه»

(١) في الوسيط: الأسكفة: عتبة الباب. ومن العين: جفنها الأسفل.

مع البرتقال

وأوفدت عليه الدولة البرتغالية (خسى دنيل كلاص) سفيرا مزودا بكتاب صادر من الملك لويز ونص الظهير الذى أجيب به بعد الحمدة والحوقة... إلخ.
«إلى المحب المعظم المحترم المفخم الملاحظ بتلاحظ الإيثار والاعتناء والاعتبار سلطان دولة البردقيز السلطان لويز.

أما بَعْدَ حَمْدِ اللهِ المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة منبثا بتوجيهكم المتيسطر العاقل خسى دنيل كلاص لحضرتنا العالمة بقصد تجديد المحبة والمودة بين الجانبين المحبين، فقد ورد وقبول بمزيد القبول والبرور، والاعتناء فى الورود والصدور، وتلاقى بجانبنا العالى بالله وشافه بما لكم من جميل الاعتقاد، ومزيد المحبة والوداد، وبما يزيد فى الصداقة والخير بين الإيالتين، والاتصال والموالة بين الدولتين، ونحن معكم على معهود المحبة الخاصة التى توارثها الأخلاف عن الأسلاف، التى لا يعترىها شك ولا خلاف، ودمتم كما تحبون ممتعين بما يليق بكم مما تأملون وختم فى ١٦ شوال عام ١٣٠٦».

ولما مات الملك المذكور وجه لدولته سفارة يرأسها القائد محمد بن أحمد المؤذن السرخيني، ويعززه الأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة، والكاتب السيد العربى المنيعى لتتهنته ملكها الجديد كارلوس الأول بتبوا العرش، ودونك نص الكتاب الصادر فيها من الجلالة السلطانية بعد الحمدة والحوقة والافتتاح:

«إلى المحب الملاحظ بملامح التوقير والاحترام، والأثرة والاعتبار والاكرام، سلطان دولة البرتغال، المنعت بحميد الخصال، المعظم فى الأنفس، السلطان (كرلس).

أما بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فقد بلغ لشريف علمنا، ما دعا إلى الهنا، وشيد فى القلوب ما بنى، وجدد للسرور أسبابا، وأزال

عن النفوس ارتيابا من حيازتكم لمكانة والدكم ورتبته وجلوسكم على منصة مملكته، وتشبيدكم لأركان فخاره، وتعميركم لداره، وحلول الملك في أهله، ولم يخرج عن فرعه وأصله لأن الأشجار لا تثمر إلا في مواطنها، وأصناف الأحجار لا تنبت إلا في معادنها، والعين لا يبصر فيها إلا سوادها، والأجساد لا تقومها إلا أرواحها.

وحيث كانت عهود المحبة بين الجانبين ملحوظة، وحقوقها مصونة محفوظة، اقتضى ذلك أن وجهنا خديمتنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح القائد محمد بن أحمد بن المؤذن السرغيني سفيرا إليكم بقصد تهنتكم بهذه المسرة، لأنكم أجاؤنا نحب لكم دوام الهناء وخيره، ويعد أن انتخبناه من خدام أعتابنا الشريفة الراسخين القدم في الخدمة خلفا عن سلف، ومن بيوتات المجد التي ليس فيها مختلف وحملناه ما يؤديه إليكم مما يكون سببا بحول الله لتأكيد المحبة، وزيادة المودة، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنجد الأنصح الأرشد الطالب العربي المنيعي، وبخديمتنا الأرضى الأنجد الأمين الطالب محمد بن عبد الرحمن بربرة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه بمزيد المبرة والقبول، وتبلغونهم من الاعتناء غاية المأمول، وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه، وفي كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالی بالله، من جميل الاعتقاد وكامل الوداد، مما يزيد محبة الدولتين تجديدا ورسوخا وتأكيداً ونحن معكم على ما كنا عليه أيام والدكم وأكثر من المحبة والصدقة التي لا تتبدل ولا تتغير.

ودمتم رافلين في حلل التهاني، ممتعين بما يليق بكم من الأمانى، وختم في ٢٢ من ربيع الثاني عام ١٣٠٧هـ.

(خسى دنيل كلاص)

وفى هذا التاريخ نفسه بعث للملك المذكور ظهيرا أجابه فيه عن كتابه الذى أرسله فى إقرار السفير البرتقالى الذى كان فى حياة سلفه على خدمته التى كان عليها.

مع أميريكاء

وكانت له مع جمهورية أميريكاء علائق ومراسلات، فمن ذلك كتاب الرئيس هارسون إليه منبثا بتأخير القنصل لويز عن خدمته بالإيالة السعيدة وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك سنة ١٣٠٧، ومن ذلك مسطور الرئيس المذكور للجناب العالى منبثا بتوجيه نائبه (فلكيز ماطيوس) الذى كان قبل لويز ثم رجع بعده نائبا جديداً فى المملكة السعيدة مشيراً فيه بحمايته فى مدة خدمته، وإعانتته على أمور التجارة بين الرعيتين، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالترحيب بالنائب المذكور والوعد بإحلاله محله من الاعتبار والبرور، فى الورود والصدور، رعيًا لتلك الإشارة وعملا بمقتضى المحبة والمودة بين الدولتين.

وسياتى بحول الله ذكر إباحته الوسق لهذه الدولة المريكانية مثل ما أباحه لغيرها من بعض الدول.

مع البلجيك

وإليك نص ما كتبه لملك البلجيك ليبولد الثانى جوابا عن كتابه فى نعى ولد أخيه بعد البسمة والحوقة والافتتاح.

«إلى المحب المعظم، الموقر المحترم، الملحوظ بملاحظ الإيثار والاعتناء والاعتبار، سلطان دولة البلجيك الذى تأسست محبته على أوثق المباني، السلطان المفخم ليبولد الثانى.

أما بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الدائمِ البقاء، الذى لا يلحقه الفناء، فقد وصل لحضرتنا الشريفة كتابكم المنبئ بما أثر فى الخواطر، ووقع موقعا فى القلوب والضمائر، من ارتحال ولد أخيكم بريسي مملكة بودين ولد الجناب السلطانى لى كنط والكنطيس دى فلندرت من هذه الدار الفانية، وانتقاله إلى الدار الباقية، وشربه كأس المنية، الذى تذوقه جميع البرية، فى التاريخ الذى بينتم وإعلامكم بذلك على جنابنا، لما ثبت لديكم من محبتنا، فلم تأخذوا من مصابه إلا حظكم، ومن الأسف عليه إلا نصيبكم، لأنكم أحباؤنا، فما يسركم يسرنا، وما يكدركم يكدرنا، وليخفف عنكم ما حدث من رزئه كون هذه الحياة السارية فى الجسوم، إنما هى مستعارة لا تدوم، وتنقضى لأجل معلوم، فلا حدث حادث بعد هذا بناحيتمكم، ودامت السلامة من كل آفة لساحتكم، ولا زالت دولتكم بعين الاعتبار ملحوظة، ولا برحت عهود المحبة بيننا وبينكم محفوظة، وختم فى ٢٨ من ذى القعدة عام ١٣٠٨.

مع البابا

وأوفد على رئيس أساقفة النصرانية وحبرهم الأعظم البابا ليون الثالث عشر، سفارة يرؤسها القائد عبد الصادق الريفى، وفى معيته العلامة أبو العباس أحمد السكردودى أحد أعيان كتاب الحضرة الشريفة، وبرفقتهما «البدرى خوسى لرجونادى» الراهب الإسبانى بقصد تهنتته بعيدة الخمسينى، وإليك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد البسملة والحوقلة والاستفتاح.

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، رئيس أساقفة الملة النصرانية الجالس على كرسى الحوارية، لقضاء الدعاوى الدينية، الذى اشتهر علمه وانتشر، البابا ليون الثالث عشر.

أما بعد حَمْدِ اللَّهِ الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فمن المعلوم عند الناس، والخاص والعام من الأجناس، أن أسلافنا المقدسين ملوك المغرب كان بينهم

وبين الرهبان البابا ليون رؤساء الرهبنة الفرنسيسكانية مزيد المحبة، والمودة والصحة، حتى إنهم كانوا أعطوهم الحرية وإياحة السكنى حيث النصارى، وكانوا يعاملونهم ويعينوهم على أمور دينهم، ونحن بحول الله على آثار أسلافنا رحمهم الله فى معاملتهم بذلك، واقتضى نظرنا الشريف إعلامكم أيها المحب بهذا لما ينهى من محاسنكم وفضلكم إلينا، ويتلى من شهرة وصفكم بالخير والحق والعلم لدينا، وبمزيد محبتكم وبمزيد صحبتكم فى المحبة المفخمة، سلطنة دولة إسبانيا المعظمة، وأن نعطوكم أمانة ودليلا على محبتنا ومودتنا، ونوجه لكم سفيرا من شريف حضرتنا كما يوجه سائر ملوك الدول سفراءهم لعندكم برومة ليحضروا عيدكم، ويهنوا جانبكم بما من به الله القادر عليكم من بلوغ فقاهاكم إلى خمسين سنة.

فاخترنا لذلك خديمنا الأرضى الأنجد الأنصح القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنبيل الطالب أحمد الكردودى، وعينا لمرافقتهما الأساقفى البدرى خوسى لرجونادى كبير الرهبان الصببوليين الذى هو عزيز عندنا لأنه رافق غير مرة سفراءنا للدولة الصببولية المحبة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون سفيرنا المذكور، ومن معه بمثل ما تقابل به مجادتكم سفراء الأجناس المحبين من الاعتناء والبرور، فى الورود والصدور، وتصدقونه فيما يذكره لكم عنا من المحبة والمودة، ودمتم فى سرور وهناء، ملحوظين بعين الاعتبار والاعتناء، وختم فى ١٢ من ربيع الثانى عام ١٣٠٥ .»

وحيث أتينا على كثير من علاقته السياسية مع ملوك الدول ورؤسائها بين التفصيل والإجمال، ناسب أن نذيل على ذلك ببعض الظواهر الشارحة لما كان يقع مع نواب تلك الدول من الأخذ والرد والمراجعة والمباحثة ترميا للفائدة وإظهارا لما خفى، وبيانا لمكانة المترجم السياسية.

ونص أولها وهو يتعلق بدعوى مغربية على حكومة الجزائر بعد الحملة والصلاة والطابع الصغير.

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد اشتكى علينا مرابط اسمه ديدى الفيلالى بأنه كان قافلا من تلمسان فى شعبان الفارط فى رفقة وياتوا بماكورة من بلاد أولاد نهار من إيالة الرومى، فهجم عليهم قرب العشاء نحو ثلاثين من اللصوص وضربوهم بالبارود، وقتلوا من أهل الرفقة رجلا من دادس وجرحوا سبعة ونهبوا جميعها حتى الثياب كانوا ينزعونها من ظهور أهلها ما عداً البهائم فلم يأخذوها، والذي ضاع له ست وستون مائة ريال عينا، وسلعة قيمتها خمسمائة ريال وثمانون ريالا، ولولده الصديق مائتان وعشرون ريالا، ولأخيه البشير ثمان عشرة مائة ريال، ولرجل من أعراب تزيمة كان مضافا له خمسون ريالا .

واشتكى على حكاهم وعلى خديمتنا القائد بوشتى بن البغدادى، وكتب لهم أيضا فجعلوا يواعدونه بالبحث عن المفسدين وبالكتب لوالى الجزائر ونحو ذلك، فلم يحصل على طائل، وهذه دعوى كبيرة لا تكاد تخفى عليهم لاسيما مع تكلم البارود والقتل والجرح، ولا شك أن أهل المحل هم المؤاخذون بما يقع فيه منهم أو من غيرهم، لأنه فى عهدتهم .

وعليه فنأمرك بالكلام مع باشادورهم فى هذه القضية ليأمر حكاهم بالغرم له ولمن معه فى جميع ما ضاع لهم، والسلام فى ٦ صفر الخير عام ١٢٩٤ .

ونص الثانى وهو متعلق بيهودى متفرنس :

«خليفة خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فإن يهوديا من مكناسة الزيتون اسمه مير بن موسى كوهين تعدى طوده وحده واستعمل فى الترامى على الناس والجسارة عليهم جهده، وصدرت منه

أفعال شنيعة، وأمور فظيعة، وصار يتهدد على الناس بالحديد ويبدئ فى الهجوم عليهم ويعيد، ومن جملة ذلك أنه هجم على محتسب مكناس، ودخل عليه للمحل المعد للأحكام المخزنية هو ويهودى آخر، وتهدد عليه وأغلظ له فى القول وسبه وسب أصحابه وذلك بمرأى ومسمع من جماعة الناس، حسبما تراه فى الشهادة طيه، فانظر هذه الأفعال الصادرة من اليهود، ومع ذلك يتظلمون ويتشكون بعدم وقوع الحق لهم وعليه فنأمرك أن تعرف بأشدر الفرنصيص بذلك وتكلمه بكفه وتأديبه على تجاسره على الحاكم المذكور، فإن الإغضاء عنه يجرى أمثاله على التجاسر على الحكام، ويؤدى إلى انحلال عرى الأحكام والسلام فى ٢٦ جمدى الثانية عام ١٢٩٧».

ونص الثالث فى مكافأة فرنسا لبعض المغاربة بأوسمة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن نائب الفرنصيص كتب لك بأن وزير الأمور البرانية بدولته أخبر البريزدان راى البوبلكان بما صدر من عامل الدار البيضاء وكبيرى مرساها من الاعتناء، والوقوف فى إنقاذ بحرية البابور الفرانصيصى الذى حرث من الغرق، فوجه البريزدان المذكور نيشانا من الذهب للعامل المذكور، ونيشانين فضة لكبيرى المرسى مجازاة على ذلك حسبما فى كتابه الذى وجهت مع نسخة مما أجبته به، وصار ذلك بالبال وها النياشين المذكورة تصلك فادفعها لهم، والسلام فى ١٩ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨».

ونص الرابع فى قضية المخالط لنائب إسبانيا:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف أن رجلا مديونيا صهرا لعامل مديونة تجراً فبدا له فابتنى قصرا وبداخله دارا بالساحل بأولاد جرار قرب مرسى هنالك بينها وبينه نحو ربع ساعة، وبينهما وبين مرسى الدار البيضاء ثلاث ساعات، وحيث كان البناء فى ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الإضرار بالمرسى من وجوه لا تخفاك مع كون الساحل محرما لا يشغل ببناء، ولا بتزول ولا بنحو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد، فأصدرنا أمرنا الشريف بهدم ذلك البناء وإعفاء أثره، ثم ذكر لنا أن ذلك الصهر له مخالطة مع قنصل إسبانيا بالدار البيضاء، فكتبنا لخليفة العامل هنالك وأسندنا له أمور الهدم وفق ما صدر للمديونى ليكون على بصيرة فيما يعرض من الكلام مع ذلك القنصو، وأعلمناك لتكون على بال، وتتكلم مع الباشادور هنالك فى القضية والسلام فى ٢٩ محرم الحرام عام ١٢٩٩.

ونص الخامس فى شأن ورود أمير روسى للمغرب وما قوبل به من الإجلال والتكريم.

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن خديمنا عامل طنجة كتب لك بما فى كتابه الذى وجهت من أن باشدور إسبانيا استكتبه لحضرتنا الشريفة بأن ولد سلطان الموسك، ورد على يده قاصدا التوجه لحضرتنا العالمة بالله، وذكرت أن لا خبر عندك به من وجهة أخرى، وأنه ورد عليك هو وزوجته واستفهمته عن المقصود من وروده، فذكر أنه ورد بقصد الجولان، وتلمحت منه أنه يريد زيارة جنابنا الشريف وأشرت بمقابلته بما يقابل به أبناء الملوك أمثاله، فقد ورد وتلقى له كبراء الجيش والعسكر وعامل البلد عند دخوله، وقوبل بما ينبغى أن يقابل به، وأكرم هو وزوجته.

وطلب التوجه للجزائر على آزموور، والدار البيضاء، والرباط، ومكناس، وفاس، ووجدة، فسوعد ومكن من مكاتيب لعمال المحال المذكورة والقبائل التي يمر عليها بالكون على بال منه، والقيام بشئونه مؤنة وعلفا وحراسة حتى يخرج من ترابهم وتوجه بسلام، والسلام في ٢٧ صفر عام ١٢٩٩».

ونص السادس في قضية إسباني:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا ورد عليك بتقييد تضمن أناسا من الذين ضربوا الصبنيولى الهالك زيادة على العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاي إسماعيل محمد بن قاسم لتكتب بالقبض عليهم، وطلب منك بيانا بأسماء هؤلاء العشرة فأجبت بأن من ليس في تقييده من العشرة المشار إليهم يسرح، فأجابك بأن لا يسرح أحد منهم ذاكراً أن الولاة ما قبضوا عليهم حتى ثبت عندهم أنهم من الفاعلين وبأن يقبض على الأناس الذين زاد حيث ثبت عندهم أنهم من الفاعلين أيضا، ودار بينك وبينه في القضية ما شرحت، من كونه لا يقبل الشهادات التي بلغه أن الولاة يجعلونها بفاس، ليدافعوا عن أنفسهم حيث لم يفعلوا ما وجب عليهم من القبض على الفاعلين في وقته، ومن أن دولته تعين عليها طلب جعل القونص هناك ليحكم على من ورد منهم من تلك الناحية والتوصل بما في شروطهم الذي من جملة سانات كروز، وافترق معك على غير خاطره.

ثم وجه لك على وجه السر ذاكراً أن دواء هذه الدعوى هو أن تكتب له بما في النسخة التي وجهت من زجر الفاعلين، وعزل العاملين وعقوبتهما بأداء

عشرين ألف ريال لهم، ويكون ذلك عاجلا من عند المخزن من غير طلب منهم لذلك، ليجد ما يدافع به، وصار جميع ما ذكرته بالبال.

فأما ما أجابك به الباشدور عن تسريح من ليس فى تقييده من العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاى إسماعيل مع محمد بن قاسم من عدم تسريح أحد منهم ذاكراً أن الولاة لم يقبضوا عليهم، حتى ثبت عندهم أنهم من الفاعلين، فأولئك الولاة لم يتحقق عندهم حيثئذ تمييز الفعال من غيرهم، وإنما الزمنا نحن القبض على كل من تأتى لهم قبضه ممن يظهر أنهم حضروا فيما وقع، حتى يقع البحث والاستفسار، ومن تحققت براءته من ذلك الفعل يسرح، ومن لا فلا.

وأما عدم فعل الولاة ما وجب عليهم من القبض على الفاعلين، فقد قدمنا لك بيان عذرهم عن عدم التعجيل بقبضهم وهو فراغ المحل من الجيش والعسكر، وفرار الحاركين منهما من الحركة، وحصول الإرهاب والإرعاب بذلك للناس، واشتغال أهل الإرجاف وسفلة الناس بكثرة القيل والقال فى جانب المخزن بما لا ينبغى، وطيشهم وتشوفهم للفساد، حتى إن بنى حسن والبرابر جعلوا أشياخ الربيع وألغوا خلائف عمالهم ولم يلتفتوا إليهم، وهموا بالمكر بهم، فأمسك الولاة بسبب ذلك عن القبض على الفاعلين المشار إليهم خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولئك المرجفين، ويفضى الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك، لكون أهل المغرب مجانين لا يبالون ولا يتفكرون فى عواقب ما يفعلون، مع غيبة المخزن بسوس، ويتسع الخرق ويلومهم المخزن على عدم التأنى فى قبضهم، إذا لم يكن عندهم علم وقتئذ بحلولنا بمراكش.

والذى زادهم تخوفا وإحجاما عن القبض عليهم عاجلا هو ما عزروا به على حيلولتهم بين اليهود والنصرانى الصبنيولى الذى كان تخاصم مع اليهودى الجزار بحارة يهود فاس، ولطخ بقضيته ولد اب محمد حتى أدى ذلك لدفع ريال ٢٥٠ للنصرانى المذكور جبوا لحاطره.

وأما جعل القونص بالمحل المشار إليه، فما أجبته به من كون مطلب جعله لا خصوصية له فيه، وليس له فيه سوى فتح الباب لطلب غيرهم مثله، مع أن المحبة الكائنة بين الجانبين لا تقتضى ذلك، هو غاية ما يجاب به على أنه لا ضرر علينا فيه نعم أسلافنا قدسهم الله كانوا يتوقون منه لثلا يقع له ما وقع لهذا النصراني، وإلا فجعله بذلك المحل يكون وسيلة لجعلنا نظيره عندهم يقف على حقوقنا، حتى لا يقع ضياع فيها كهذه القضية التي كان لنا الحق فيها حسبما تقدم لك شرحه، وانقلب بالترهات والتلونات، وصار علينا.

وأما سانط كروز فقد كتبنا لك فى شأنها صحبة المهندس الموجه لك بما فى النسخة الواصلة إليك طيه، فالعمل عليه، وأما العدد المذكور من الريال الذى أشار الباشادور بإعطائه لهم فى فصل هذه القضية فكثير جداً لوقوع الفصل برفعه على يدك فى قضيتى النصرانيين المقتولين على وجه الحراية حياة سيدنا رحمه الله وفى مدتنا، على أن هذا لم يمت كذلك، ولما لا يخفأك ما صاروا عليه اليوم من المساواة والعناد فى كل شىء فيصير العرف عندهم فى الدية عشرين ألفاً بعد ما كانت بخمسة آلاف، وفى هذا ما جاوز الحد فى الضرر على أن أولئك ماتوا على وجه الحراية بالحديد بخلاف هذا.

فتنبه، فالنظر فى العواقب من الواجب المتعين وحتى إن كان لابد من الزيادة فتكون على وجه السر مناسبة للعدد الواقع به الفصال سابقاً فى قضيتى النصرانيين المشار إليهما، والمبيضة المذكورة التى وجهت هلا علق الفصال المذكور فيها على تصديق قولهم أو على ورود من توجه من حضرتنا الشريفة لتحقيق القضية أو على توجيه أحد من قبلك على يد الباشادور، يحقق ذلك، وعلى كل حال فالفصال الذى ظهر لنا هو ما بيناه لك والحاضر بصيرة، والله يعينك والسلام فى ٩ من ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٩هـ.

ونص السابع فى طلب نائب إيطاليا سجن محتسب طنجة وعزله :

«خدیمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن محتسب طنجة قبض على ولد امرأة عجوز
مستخدمة بدار الطليان فى والده الدلال الفار بما بيده من حوائج الناس، فذهبت
تلك المرأة عند المحتسب وأعلمته بأنها مطلقة من ذلك الرجل، وكافلة لولدها،
وأبوه لا يعرفه فى شىء، وطلبت منه أن لا يؤاخذ به بما هرب به والده ويطلب به
ضامنه، فأمر بسجنها فبلغ ذلك للبشادور المذكور، فقام وقعد ووجه لك ترجمانه
ذاكرا أنه إن لم يسجن المحتسب ينزل السنجق ويقطع العلاقات الرسمية، فأجبت
بأن لا قدرة لك على ذلك لكونه فى خدمة المخزن، والذى يتأتى لك هو عزله
ورفع القضية لحضرتنا الشريفة فقبل ذلك، وأشرت للعامل بعزله وتعيين من يقوم
مقامه ريثما تعلمنا ثم ورد عليك البشادور بعد ذلك وأكد فى سجن المحتسب ودار
بينك وبينه ما شرحته إلى أن قبل منك أن تجعل له ذلك كتابة فأجبت بأن يكتب لك
لتجيبه فكتب فأجبت بما فى النسخة التى وجهت مع كتابه لك، وأشرت بالتأمل فى
كتابه لكونه لازال طالبا سجن المحتسب، وإن لم يسجن يقطع المعاملة وفيما ادعاه
من عدم إعطاء الحق وما أجبت به من أننا موجودون لإعطائه، وصار جميع ما
ذكرته وما تضمنه كتاب المذكور ونسخة جوابك له بالبال.

أما فعلك ذلك لسد الذريعة وتسكين الروعة فجميل وسديد لكن لا يخفك
أن الجرائم متفاوتة ومتباينة، وكذلك الأدب وكل جريمة لها أدب يناسبها وتعتبر
فيها المراتب والخطط وأمر التولية والعزل مهم، فلا ينبغي الأزدراء به والتلاعب،
ويحتاج فيه إلى كثرة الكلام والمدافعة والمراجعة حتى يأسوا، أو إذا وقع ونزل به
أمر يكون على مقتضاه بعد مشقة وجهد جهيد.

كما يحتاج فيه فى بعض الأحيان إلى عزل مقابله كقضية الزمرانى بالصورة وقونص الفرنصيص حياة سيدنا رحمه الله وإلا فإذا كان كل من عرض لخادمه أو حارسه أو لامرأة أجنبية عنه كهذه شىء مع حاكم من الحكام يعزل الحاكم بسببه، فإن الخرق يتسع على الولاية وتفسد عليهم ما هو جار من الأحكام على مقتضاه وما هو جار على خلافه، وكلهم يتشوفون لمثل ما أراده المذكور ويطلبون المساواة فيه معه، ولهم الحق فى ذلك، وفى ذلك من فساد النظام فى جميع المدن والمراسى والبلدان ما لا يخفى، على أن مساعدتهم على مثل ذلك لا تنأتى.

وعليه فتأمل فى القضية وانظر فيها بعين الاعتبار والإنصاف، وفاوض فيها بعض الأجناس الذين تأمن إشارتهم، وإن أشاروا باعتذار المحتسب للبشادور وبإبقائه بمحله فافعل، وإن أشاروا بعزله وتأتت لك ملاطفة الطليان فى إبقائه بمحله إلى أجل ولو إلى الوقت الذى يكون فيه بحضرتنا العالية بالله ويقع الكلام معه فى شأنه فافعل وإلا فوجهه لحضرتنا العالية بالله غير مهان، والله يعينك والسلام فى ٢١ من شوال عام ١٢٩٧هـ.

ونص الثامن فى ذلك أيضا:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك جوابا عما أجبناك به عن قضية محتسب طنجة مع بشادور الطليان، وذكرت أنه لا يمكنك نقض ما جعلته معه كتابة وإن لم يقتض نظرنا الشريف قبوله نوجه من قبلنا من ينقضه، ويفاصل قضايا الطليان، وأنت كنت طلبت مثل هذا من سيدنا الوالد قدسه الله حين وقع لك شأن مع النجليز والصبنيول، فوجه العاجى وفاضل القضيتين.

وعلمنا ما ذكرته من أنك ما أجبت عن القضية المذكورة حتى تفاوضت مع باشادور إسبانيا لكونه ممن تؤمن إشارته وأطلعت على ذلك نائب النجليز فاستحسنه لكون الطلب المشار إليه جار على مقتضى الشرط الثالث من شروط إسبانيا والنجليز والمحتسب صدر منه تنقيص بالقول فى الباشادور، ولا يقع خرق ولا ازدراء بالولاية بإعطاء الحق فى القضية ولو كان يقع ذلك بإعطائه لقسيل وقع لإسبانيا بإعطائهم الحق بعزل حاكمى مليلية وسبتة، وأنك لا تتخلق بأخلاقهم أو تتبع أغراضهم إلا إذا لم تجد سييلا ويعظم الأمر، لأنك لا تريد أن تكون على يدك فتنة، ولو أن تقيها بنفسك وصار ذلك بالبال.

فأما توجيه من بفاصل قضايا الطليان فالكفاية فى الله ثم فىك فمثلك لا يعدل عنه إلى غيره، أعاذك الله ويسر للمسلمين على يدك كل خير، ودفع عنهم كل ضير.

نعم نريدك أن تجرد لنا قضايا الطليان المذكورة عن آخرها فى تقييد وتوجيه لحضرتنا العالية بالله.

وأما ما ذكرته من أنك لا تتخلق بأخلاقهم... إلخ، فإننا لا نظن بك إلا الخير والتخلق بأخلاق الشريعة والسنة النبوية، والسعى فى صلاح الدين قلبا وقالبا وحتى إن رددنا عليك فى شىء فإنما هو بحسب ما يظهر لنا، ومرادنا بذلك التوسعة عليك والتلقين، وإلا فليس من رأى كمن سمع.

فكن تراجع وتكرر المراجعة، فإن تكرارها منتج للمصلحة والخير، وأما كونك لا تريد أن تكون على يدك فتنة فهو كذلك بحول الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وأما المحتسب فسنجيبك عنه بعد بما يشرح الله الصدر إليه، والله غالب على أمره والسلام فى ٤ ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٧هـ.

ونص التاسع فى قضايا إيطالية :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وجهنّا كاتبنا الطالب محمد الصنهاجى للغرض الذى طلبه
باشادور الطليان وأمرناه بالكلام معك فى بعض القضايا كقضية اليهودى الذى مات
بنتيفة وزعم ولده ما زعم لدى الباشادورات هناك، حتى طلبوا عزل العامل.

وكقضية المحتسب بطنجة مع المرأة التى عمد إلى ولدها وسجنه كفافا عن
والده السمسار الذى فر بمتاع الناس، وما زعمت المرأة صدوره منه مما لم يرضه
الباشادور لمنصبه، حتى طلب سجنه بعد ما عزل.

وكقضية اليهودى عمار مع كاتبنا الفقيه الصفار، الذى زعم لدى الباشادور
المذكور أن الصفار لما وجده بالبلغة الصفراء الشبيهة بنعال المسلمين فى محل بأعتابنا
الشريفة لم يعهد وصول اليهود إليه بالنعال، أمر برفعه ورميه على الأرض، وسبه
وامتهانه ولتحقيق أمرهن لك وتقرير الواقع لك فى التى وقعت منها هنا بجنبه،
وما دار فى غيرها زيادة فى التوسعة والاطلاع على ما هو نظرنا والمستحسن عندنا
من أوجه فصال القضايا المشار إليها الذى لا يترتب عليه هضم بجانب المخزن ولا
غموز، ولا ارتكاب شىء فى الدين لا يجوز، فخذ بيده، فيما توجه بقصده،
وبصره فيه فإن المدار فى ذلك كله عليك لأنك أدرى بتلك الشعاب، ولا تخفى
عليك فيها جادة الصواب، فقد أبليت فيما هو أعظم منها البلاء الحسن، وخرج
أمره على وجه مستحسن.

فقف فى هذه كذلك، واصرف إليها عنان ذكائك ودهائك، حتى تخرج
على وجه جميل سالم مما ذكر، ويذهب عمار بخفى حنين، عاثرا فى ذيل الكذب

والمين، والله تعالى يأخذ بيدك ويجعل عنايته من مددك، حتى تصير جميع الأمور المتعسرة، لديك متيسرة، والسلام في ٢٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٧هـ.

ونص العاشر في بعثة الفقهاء الموجهين لتصفح رسوم الدعاوى الإيطالية.

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن الطلبة الثلاثة الذين عينهم القاضى مولاي محمد رحمه الله لتصفح رسوم دعاوى الطليان وردوا لطنجة فى السادس عشر من شهر تاريخه فوجهتهم للبشادور وأعلمته بورودهم، فأجابك بأنه لما كان بحضرتنا الشريفة وعد بأنه حيث يصل لطنجة يجدهم بها، وهذه شهران ونصف وهو بطنجة وأنه كان أعلم مخزنه بما وعد به من حضرتنا العلية بالله، ولا يريد المخالطة مع الطلبة الواردين حتى يرد عليه جواب مخزنه بما يكون عليه عمله، واستثنى فى كلامه أنه يطلب الفصال مثل ما وقع مع الفرنسيين والنجليز، وأنك تركت الطلبة المذكورين هناك حتى تنظر بم يرد عليه الجواب.

فقد توجه كتابنا الشريف للقاضى المذكور بانتخاب الطلبة المشار إليهم، والتعجيل بتوجيههم لطنجة بقصد ذلك والبشادور المذكور بحضرتنا الشريفة فى الوعد المذكور، والمدة التى يمكن وصول البشادور فيها من حضرتنا الشريفة لطنجة، هى التى توصل الرقاص لفاس، ويتيسر فيها سفر الطلبة لطنجة، ولا تزيد وتنقص إلا بقليل.

وإذا وقع عذر للرقاص فى الطريق أو للقاضى فى تعيين الطلبة فذلك أمر غيبى خارج عن طوق البشر، ومقدوره، والعاقلة لا يجهل هذا وتاريخ كتاب القاضى مولاي محمد فى القضية حكم يقضى به نعم من أراد تعكيس الأمور فلا

يعجزه ما يدافع به ويعتذر ويقول، فعرفه بذلك ولا يعوزك ما تجيبه به زيادة على ذلك .

وأما الفصل الواقع مع من ذكر فقد قرر له وشرح شرحا كافيا رافعا للشك والإبهام وهو بحضرتنا الشريفة، ولك أيضا في جوابنا الشريف عن كتابك فى قضية محمد أحم القلقى، ففيه كفاية ولا يخفك أن الدعاوى على قسمين: معاملة رسومية ومخزنية، أما الرسومية فلا حكم فيها ولا كلام ولا فصل لا معه ولا مع غيره بسوى الحكم والفصل المجعول معه فيها بحضرتنا الشريفة، وهو إحضار المواجه وتصفحها، وتمييز الصحيح منها والقريب من الصحة، والباطل فى تقييد كل نوع على حدته، وتبيين أسماء الغرماء وما على كل واحد منهم من المال فى ذلك التقييد ليوم عمالهم بإلزامهم فصال ما كان صحيحا من تلك الرسوم أو قريبا من الصحة، والقبض على من امتنع منهم من الفصال وبيع متاعه وأداء ما عليه من ثمنه، وكفى بك حجة فإن ما لا يحصى من الدعاوى تفاصيل على يدك بذلك، وعندك نسخ من تقاليد ما وقع به الفصل منهم فيها ونظائرها عندنا وعند الباشادورات المتكلمين عليها ومن جملتهم هذا الباشادور، وهذا وجه مفروغ منه .

وأما المخزنية فهى بحسب الوق والتراضى والمكايسة لا مساواة فيها ولا جبر، كدعاوى القتل والنهب والحدادة التى طلب الباشادور المساواة مع الفرنصيص فى فصالها أو ما علم أن الفرنصيص أبطل عددا من الدعاوى وسامح فيها هو منها من قبل الحدادة فى ستين ألف ريال على أنه لم يخرج معه فيما هو منها من قبل الرسوم عن حكمها المذكور، وحتى لو فرضنا الخروج عنه فلمصلحتنا ومصلحة رعيننا لكون همنا وشغلنا كله فى النظر فى مصالحها وما يعود نفعه وخيره عليها والدفاع عنها، أفيصل هو كذلك بقبض العشرة ويؤجل فى عشرة ويسامح فى الستين .

على أن الذى قبضه المذكور ليس من قبل الحدادة بل من قبل الدعاوى الواقع
الفصال فيها على يداكار وكذلك النجليز، مما ترتب له من الدعاوى سابقا بالشرط
المذكور حسبما فى النسخ من تقايد دعاويهما الموجهة لك سابقا المشتملة على
الفصل المذكور، وهذا الفصل الواقع مع الباشادور الطليانى وأعطى به خط يده قد
ارتضاه غيره كالنجليز والمركان الذى طلب من جانبنا العالى بالله تكليف الطلبة
المشار إليهم بتصفح رسوم دعاويهم كما يتصفحون رسوم دعاوى الطليان، وقد
قدمنا لك أمرنا الشريف بتكليفهم بذلك.

والحاصل فلا تقبل منه فى فصال دعاوى إلا ما وقع به الاتفاق معه بحضورنا
الشريفة وارتضاه وأعطى به خط يده، وهو ما ذكر أعلاه من تصفح الطلبة الرسوم
إلخ، وإن أبى إلا غير ذلك فحز منه خط يده بإبائته وأعلمنا، والطلبة المذكورون
يشرعون فى تصفح رسوم المركان إذا لم يقبل الطليان ذلك وحزت منه خطه بعدم
قبوله والسلام فى ٢٦ من شوال عام ١٢٩٩هـ.

ونص الحادى عشر فى قضية تجارية مع الانجليز:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن نائب النجليز ذكر لك أن بعض تجار الوندريز لهم
ديون على التاجر محمد بن عزوز الفاسى الذى كان يتجر بالوندريز تزيد على
خمسة وعشرين ألف ريال، وطلب منك فصال دعواه إما أن يوجه نصف الدراهم
حالا ويعطى الضامن فى الباقي وإما أن يأتى لطنجة لمقابلة صاحب دعواه على
مقتضى الشروط حسبما فى كتابه الذى وجهت، وذكرت أنك لم تجد سيلا إلى
المدافعة عن ابن عزوز لكونك لم تسمع عنه فى مدة تجارته ما يكدر لا فى تجارته
ولا فى دينه، وهو كذلك أصلحك الله ورضى عنك، وقد أحضر المذكور وأمر بما

ذكر، فذكر أن الكنائس المتضمنة للحسابات التي بينه وبين أولئك التجار بالصويرة وطلب التوجه لها بقصد جمعها والسفر بها من هناك لطنجة بقصد مقابلة صاحب دعواه، فسعد وأزعج للسفر وهو على جناحه، والسلام في ٢٤ من شوال الأبرك عام ١٢٩٧هـ.

ونص الثاني عشر في شأن تملك الأجانب الأرض والدور:

«خديمتنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمن جملة ما عثرنا عليه في مكاتيب باشدور النجليز لك التي وجهت أن الأجناس ما وافقوا رعاياهم على أداء الصاكة في الأبواب وغيرها إلا بشرط أن تكون لهم الدور والأرضون حسبما في الشروط، وغير خاف ما يقضى إليه الإذن لهم في شراء ما ذكر من اختلاط دورهم بدور المسلمين في المدن والمراسى وفساد الدين والملة بسبب ذلك، واتساع الخرق على الراقع، وقد كانوا يطلبون ذلك في حياة سيدنا رحمه الله فيدافع ويعالج أمر ذلك على يدك، فكن كذلك الآن، واجعل أمر معالجته ومدافعتهم عنه من أهم الأمور وأكدها أصلحك الله وسددك والسلام في ٢٥ من شوال عام ١٢٩٨هـ.

ونص الثالث عشر فيما يتعلق بخروج الأجانب طلبا لديونهم:

«خديمتنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن البوريادي أحد عمال حاحة أخبر مسترعيا بخروج نصراني اسمه التاجر بروم النجليزي من السويرة قاصدا بلادهم زاعما أن له بذم أناس من إخوانه ديونا من المال والجرصة، مع أنه لا يعلم أن له على أحد من إخوانه شيئا،

لأن ذم أهل حاحة خربت هذه مدة وطلب كفهم عنهم كاليهود وإن كانت لهم دعوى على أحد منهم فرضا يوجهون وكيلهم على يدك برسم الدعوى واصلا ليدنا من المدعى عليه ليحضره للفصال ويقف بنفسه تبينا للصدق من ضده، وتحريا لسلامة الفريقين .

وعليه فنأمرك لذلك، وليكن عملك عليه على أن قبيلة حاحة الآن لا يسلكها عاقل ولا يسأل أهلها سائل لأن المسغبة بلغت فيها حدا حتى خرجت صدور أهلها وضائق البلاد عنهم وهلكت مواشيهم ونفذ قوتهم، واشتدت فاقتهم، فلا ترى بها إلا من القفرة بادية على وجهه، والفقر بين عينيه فعلى الرفاق اليوم يخشى سلوكها أخرى الفرادى .

فلا بد أشع هذا الاسترعاء والعاقل يحذر على نفسه قبل حصول الداء على إن إخوان الشاكي هم أعظم جباله حاحة، وإن كانت حاحة كلها جبالا فهي كلا شئ بالنسبة لإخوان الشاكي مع زيادة عدم جريان الأحكام فيهم على مقتضاها وكون الخاطر بها مخاطرا لإخراجهم بنفاد ما عندهم، حتى صار الاغتيال لقلوبهم مخاطرا وسبع الغلاء فى وجوههم كاشرا .

والسلام فى ٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٩هـ .

ونص الرابع عشر فى القبض على كرتيس الإنجليزى المشار له سابقا المتعاطى للتجارة مع قبائل سوس بغير إذن :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فكرتيس النكليزى الخارج ببابور القوت بالسواحل السوسية شارعا فى بيعه لفساد تلکم القبائل، وكتبنا لك فى شأنه سالفًا قد وقع القبض عليه الآن،

وهو نصراني آخر على يد ابن عمنا مولاي الكبير بن محمد بن سليمان،
ووصيفنا الطالب بوغزي السريفي أحد خلائف سوس، وخدمنا القائد محمد بن
الطاهر الدليمي قائد الارحي، فأمرناهم بدفعه لعامل تزيت يوجهه لخليفة أكادير
يوصله لعامل السويرة يمكنه بيد قونصوهم، بعد أخذ خط يده بتوصله به،
والاسترعاء عليهم بأنهم إن عادوا لمثل ذلك فأصيبوا في أموالهم أو نفوسهم،
فدركهم على رءوسهم وخسارتهم بهم خاصة ومصيبتهم عليهم قاصرة وأعلمناك
لتكون على بال من ذلك فتعلم به الباشادور وتسترعى عليه بنحو ما شرح صدره،
والسلام في ٢٩ جمدى الثانية عام ١٣٠٠».

ونص الخامس عشر في القبض على صاحبي المذكور وتوجيه الأوقات
لسوس وإنشاء مرسى بها:

«خدمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر خدمنا القائد أحمد بن محمد العبوي السرخيني أن
كرطيس وجه صحبة صاحبيه الحاج محمد بوشبخه الصويري والجيلاني بن علي
الصويري كتبا لقبيلة اصبويا ومستى بأن يشدوا عضده ويقفوا في كلمتهم معه
ويحفظوا ما تركه بالزربية المدورة بالحجر التي كان جعلها بمرسى اركسيس حتى
يقدم عليهم بحرا، فقبض عليهما وأحصى ما بتلك الزربية ووجه لحضرتنا الشريفة
زمانه الواصلة إليك نسخة منه طيه، فأمرناه بتوجيه المسجونين المذكورين لأخينا
مولاي عثمان يجعلهما بالسجن، وبحيازة ما تضمنه الزمام المذكور على وجه
الكطربنض.

وأعلمناك لتكون على بال من ذلك وتعجل بما قدمناه لك من اکتراء مركب
وتوجيهها لمرسى اركسيس واسقة للألف خنشة من الشعير، ومثلها من البشنة من

مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء الصادر أمرنا الشريف لخدامنا الأمناء بهما بأن يشتري كل منهم نصف العدد المذكور ويوجه معه نائبه يبيعه بالمحل المذكور يدأ بيد لا بالطلق بالثمن الذى يجعلونه له على نسبة ما اشترى به وما صبر عليه، بحيث لا يربح فيه المخزن شيئا زائدا على رأس ماله الذى دفعه فيه، ولا تقع له خسارة فى شىء منه كما تعجل أيضا بأمور المرسى المراد إنشاؤها هناك المتقدم لك الكتب فى شأنها، وتجعل ذلك كله من أهم الأمور وأكدها، وتصرف إليه وجه الاعتناء لينقطع به التشوف لتلك المراسى، وتحصل السعة للقبائل المجاورين لها لكونهم لا زالوا فى غاية الاضطراب للقوت وغيره.

وقد أمرنا خديمنا العبوبي بأن يعجل لتيسير محل صين متصل بمحل نزوله باركيس لوضع القوت المذكور فيه وجعل العسة عليه والوقوف مع نائب الأمناء المذكورين فى بيعه مناجزة، وأعلمناك لتكون على بال، وأيضا فلا بد أخبرنا بما كان من أمر ما اشتهرته من الاسترعاء على الذاهبين لنواحى سوس افتياتا وهل كتب فى تواريخهم وظهر له أثر أم لا، لنكون على بال من الكلام فيه أو عدمه مع الدول، والسلام فى ١٠ رمضان المعظم عام ١٣٠٠.

ونص السادس عشر فى إبطال دعوى قانونية اتجاره مع سوس:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور النجليز كان تكلم معك فى شان كرتيس زيادة على ما فى كتابه الذى وجهت من أن كسانية سوس أخبرت دولتهم بأن إنزال كرتيس القوت بمرسى اركسيس كان بموافقة وصيفنا بوعزة السرىفى، وأن المتوجه من حضرتنا الشريفة لتلكم النواحى عام أول لم يتعرض لكون تلك التجارة مخالفة للقانون، وقال لكرتيس فيما ضاع له هناك حيث أنزله على الوجه المذكور، وأن

الحاج حمدان والجيلانى نائبي كبانيتهم اللذين وجهتهما لسوس يقبضان ديونهما وقبض عليهما لا درك عليهما يوجب قبضهما، حيث هما عند أمر الكبانية وأنه يطلب تسريحهما فلم يقبل منه ذلك، وأجبتة عنه بما شرحته، فأكد فى البحث فيما تقول على المذكورين، ذاكرًا أنه إذا لم يصدر البحث فيه يتبدل نظر دولته فى كون نزول كرتيس هناك خارجا عن القانون حسبما فى كتابه المذكور وطلبت أمرنا به وإعلامك بما ينتجه لتجيبه به .

أما خروج كرتيس بمرسى اركسيس وإنزاله القوت بها فلم يكن بموافقة بوعدة السريفى قطعًا وإنما كان بموافقة فساد قبيلة آيت بو عمران كالسباعى وأضرابه، وبنفس خروجه ووضع القوت بها طير لنا الإعلام بذلك السريفى، فأمرناه بالاحتيال عليه وقبضه وتوجيهه للصورة على يد عامل أكدير، ولما سمع أعيان آيت بو عمران وكبراؤهم بخروجه توجهوا لعنده وطلبوه بإذننا الشريف له فيه، فاستظهر لهم بكتاب مزور بأننا أذنا له فى جلب القوت وبيعه لتلك القبائل فسكتوا عليه .

وبحثوا فى ذلك الكتاب فألفوه مزورا وهموا بالفتك به، بمن معه، فخشى السريفى من درك ذلك لتأكيدنا عليه فى عدم النداء فى القبيلة بترك التعرض له وعدم مسه بسوء، فظنوا أن ذلك بإذننا وتأخروا عن الإيقاع به وبمن معه، وطير لنا الإعلام بذلك، فأصدرنا أمرنا الشريف له ولقبيلة آيت بو عمران بالضرب على أيدي أولئك الفساد المجتمعين عليه والقبض عليه وتوجيهه لعامل الصورة على يد عامل أكدير، ووجهنا من حضرتنا الشريفة الموجه المشار إليه وأمرناه بالاحتيال عليه حتى يحصله .

ولما سمع بقدمه فرّ للبابور حتى يذهب ويرجع للبر، فكان من جملة احتيال الموجه عليه حتى حصله قوله كن مضمئن البال، وهذا بعد أن قدمنا لك

الإعلام وللباشادور بخروجه ووضعه للقوت بتلك المرسى، وبما عزم عليه آيت بوعمران من الفتك به، وأمرناك بالاسترعاء على الباشادور، فوجهت لحضرتنا الشريفة نسخة من استرعاثك عليه، وأخرى مما كتبت به للتاجر فلمنك ليجعله بالكازيطة بالوندريز، وذكرت أن الباشادور أجابك بأنه غير موافق على فعل كرتيس، وأشار بإلزام أولئك الناس بالإتيان به للصويرة، وفهمت من كلامه أن هذا الأمر خاص بأوامر المخزن، وأنهم لا يكونون حراسا لسواحل سوس التي هي من هذه الإيالة حتى يمنعوا نزول الكطربنض فيها.

وأن المخزن يجعل الحراس مثل ما هو في غير تلك السواحل، ومن عثر عليه هناك مشتغلا بالكطربنض أو غيره فيحاز الكطربنض ويدفع المشتغل به لقونصوه، ليجرى عليه الحكم الواجب يمتضى الشروط، ومكاتيبك بذلك مع مكاتيب الباشادور ونائبه بعدم موافقتهما على توجه كرتيس لتلك السواحل السوسية، وتكليفهما قونصوهم بالصويرة بالاسترعاء عليه تحت اليد.

والحاصل فادعاء كرتيس موافقة السريفي له على إنزال القوت باركسيس وإشارة الموجه له بما ذكر واضح البطلان، لا يحتاج إلى بحث ولا إلى إقامة دليل وبرهان، ومراده بالادعاء بذلك ستر خرقه للشروط بالخروج للمرسى المذكورة وتعاطيه التجارة بغير إذن المخزن، والتليس على الكبانية، وتغطية تضييعه لمتاعها ببيعه بالطلق لأناس بلغت فيهم الفاقة والخصاصة حدها لا ترضى ذمتهم في قيراط، فإن المخزن الذى له الحكم عليهم لم يبع لهم بالطلق، وإنما باعه لهم يدا بيد.

وحتى لو فرضنا أن السريفي له فى ذلك وكذلك الموجه، فإن وسق القوت للمراسى المستخدمة لا يكون إلا بإذننا الشريف لا بإذن الولاية وأحرى المراسى الغير المستخدمة التى بطرف الإيالة ومن أذن له فى الإتيان لهنالك قبل أن ينزل وأما

المذكوران فيهما اللذان حثا كرطيس على التوجه لسواحل سوس، وطمعاه ودلياه بفرور وتوسطا بينه وبين فساد آيت بو عمران ولاقيه معهم وتوجها معه، وكان يبيع الكطربنض على يديهما، ولم يقتصرا عليه، بل حرصا غيره من التجار وطمعاه حتى توجه لتلك السواحل ولم يحصل على طائل ومشتغلان بالخوض فى أمر المعادن التى بتلكم السواحل، وهذا هو موجب القبض عليهما، والباشادور ودولته لا يوافقان على تسريحهما حيث هما على هذا الوصف.

وعلى كل حال فقد قبلنا شفاعة الباشادور - فى تسريحهما على شرط ضمانته أن لا يعودا لما كانا عليه من إدخال الكطربنض والخوض فى أمر المعادن والسعى فى الغيار بين الدولتين، وأن لا يتوجها لتلكم الناحية وإن وقع ونزل وتوجها لها يقبض عليهما ولا يتكلم فيهما الباشادور، والسلام فى ٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١».

ونص السابع عشر فى شأن سلوك قنصل البلجيك بالبيضاء:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن اشتغال قونص البلجيك بالدار البيضاء بإدخال الناس فى الحماية، وذكرت أنك كلمت باشدوره فى ذلك وتغير منه وكتب للقونص المذكور بالتويخ على ما صدر منه وأمره بالوقوف عند حده، وترك الخوض فيما لا ينبغى له، وذكر لك أن الأناس المذكورين ليسوا فى الحماية ولا يقبلهم، وأن مخالطتهم مع الترجمان من جملة مخالطة الرعية على العادة، وصار ذلك بالبال أصلحك الله ورضى عنك والسلام فى ٧ جمدى الأولى عام ١٢٩٦».

ونص الثامن عشر في مطالب سفير أميركا مع أجوبتها:

«خدمننا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك فى شأن دعوى سرقة دار نائب الماركان بأنك استكتبت فيها الباشدورات ٤ الذين سميت لدولهم لتكتب فى شأنها لدولة المذكور، فكتبوا لدولهم على وفق مرادك عدا باشدور الألمان تأخر عن الكتابة لدولته للمصلحة التى تبينت، فقد أصبت فى مباشرتك لذلك معهم أعانك الله، وبأنك تحققت أن صاحب الدعوى مراده الضرر لبحثه فى الدعاوى التى لا بال لها المبينة بطرقة، وادعائه أن عدم تيسير ما يطلبه من ذلك كله إهانة له ولجنسه، ومن جملة ما يطلبه ما قدمت الكتب به لجانبنا العالى بالله من الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران كغيرها من الدول المنعم عليها بذلك، فأما ما يحاوله من المضرة فوقاية الله تقى شره، وعنايته سبحانه تكفى أمره، وأمر كل ذى سعاية فى الإضرار والإذابة.

وأما دعوى المسجون الذى عند المديونى فقد كتبنا له بيان موجب قبضه عليه، وهل تقدمت له مخالطة مع خليفته كما زعم أم لا، وعلى فرض أنها تقدمت له فهل كان قبضه عليه فى حالها أو حتى افترقا ولم تبق بينهما مخالطة ليظهر ما يكون فى ذلك.

وأما دعواه التى بالعرايش فسينها لنا ليقع البحث فيها، وإن ألفيت ثابتة بموجب تفصل.

وأما دعوى غنم عبد الله الشبلى فقد كتبنا لخدمننا عاملى الغرب بيان موجب حيازتها وبردها له إن لم يكن موجب لها.

وأما عدم تيسير أخينا مولاي إسماعيل والعمال الأمور التي كتب لهم عليها فقد أصابوا في ذلك لأنهم لا إذن عندهم في مكاتبتهم ومباشرة الأمور لا معه ولا مع غيره، وإنما الإذن عند العمال في الكتابة لك فيما لهم من الدعاوى بإيالاتهم، وحيث خالف القانون في ذلك وهو الكتب لك بتلك الأمور لتكتب لهم أو لحضرتنا الشريفة بها وكتب لهم هو في شأنها فذاك جزاؤه.

وأما الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران، فقد كنا وجهنا لك ظهرا به طي جوابنا الشريف لك عن ذلك الموجه لك في مهل جمادى الأولى الفارطة على يد خدامنا أمناء مرسى الجديدة، وها نظيره يصلك طيه فادفعه له إن لم يصلك الأول، وإلا فردة إن وصلك، وبأنك غير متساهل في أمر هذا النائب لتخبرك بورود مكاتيب له من دولته تعده فيها بتوجيه ما ذكرته للوقوف على دعاويه أخذ الله بيدك، وجعل إعانته وعنايته من عددك، وبأنك تطلب من الله أن يكفى شره وشر غيره فأقول اللهم آمين آمين آمين والسلام في ٣ جمادى الثانية عام ١٣٠٠».

وهذه الدعاوى المبينة بطرة الظهير الأصلي:

«دعوى مسجون عند المديونى هذه نحو الأربع سنين كانت له مخالطة مع خليفة نائب المركان بالدار البيضاء.

١

ودعوى للنائب المذكور بالعرايش كتبت بفصالها مرارا وذكر الآن أنها لا زالت لم تفصل.

١

وشفاعته في عبد الله الشبلى المعروف بشوية الملازم باب داره مدة تقرب من الستين الذى ذكرت أن غنمه حيزت بغير سبب وكتبت في شأنه لحضرتنا الشريفة ولعمال الغرب مرارا.

١

وأمر كتب عليها لأخينا مولاي إسماعيل وللعمال فلم يسروها له». $\frac{1}{4}$

ونص التاسع عشر فى إباحتة وسق الثيران من المغرب لأميركا وشروطها
الأربع:

«يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره . وأعز أمره . وجعل فى الصالحات طيه
ونشره . أننا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران فى
كل سنة لعسكرهم ومراكبهم مثل ما أنعمنا به على بعض الأجناس ، على أن يؤدوا
فى صاكتها مثل ما يؤديه غيرهم وهو خمسة ريال لكل رأس ، وعلى شرط أن
يكون وسقها من مرسى طنجة ، وعلى شرط أنه إن كملت السنة وبقي لهم شىء
من الستة آلاف يلغون وسقه ويتركونه أصلا فى السنين التى بعدها ، وعلى شرط
أن يسقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم يبيعون ويشترون فيه ، فنأمر خدامنا
أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة والسلام فى ٤
جمادى الثانى عام ١٣٠٠» .

وقد كان بعض الأجناس تقدم للحضره الشريفه بطلب هذا الوسق ، فوجهت
الاستشارة فى ذلك لخواص الأمة من أهل فاس علمائها وتجارها ومرابطيها
وغيرهم ، فأجاب كل بما أداه إليه نظره حسبما أفصح عن ذلك هذا الظهير الشريف
الصادر لباشا فاس جوابا عن كتابه فى المسألة وهو العشرون مما سبق:

«وصفينا الأرضى الأنجح الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد: فقد وصل جوابك عما أصدرناه استشارة لأهل فاس ، فيما استظهرنا
المساعدة عليه لبعض الأجناس . من تطلق وسق ما طلبوه على ما قرر لكم من
الشروط ، التى اعتبار المصلحة فيها بقيد الاختبار منوط ، شارحا ما ظهر منهم عند
عرضهم عليهم من الاضطرار الدال على تخليص مناهلهم من كدر الاغترار ،
ومعلما بتوجيه الرسمين المضمن أحدهما لجواب كل عصبه من طوائفهم المتيامنة ،

والآخر لجواب أهل الزاوية الكبرى مع الزاهنة، مع تقييد فى ذلك خاص لعلماء فاس إلى آخره فأما تقييد العلماء فوصل، وبإقبال نظرنا السديد اتصل، وقد أدوا فيه الواجب تذكيرا ونصحا، وصدعوا من الحق بما شيدوا به فى منهج الهداية صرحا.

وأما الرسمان فطولع بهما علمنا الشريف كذلك. واستوعب النظر فيهما بطرق الاستقراء ما هنالك. فأعربا عن مضمن المشهود عليهم بوجه يستوفيه ومزر حكم اهتمامهم بنتيجة الاستشارة فأما أهل... فقد أحسنوا فى إشارتهم بأن يكون وسق ما أشير له من المراسى فقط، دون المدن والبوادي مع عدم التمكين من... لأحد وأدوا بذلك واجب النصيحة، عن عزائم صحيحة، ولا غرابة فى ذلك، إذ ليس من رأى كمن سمع، فجزاهم الله خيرا، وكذلك المرابطون والتجار مع من خص إحضاره من أهل الحومات الذين نَحَوْنَا نحو أهل... مع استظهار المرابطين نصب وكيل بالمراسى، وعدم الضرب على يده وزيادة التجار عدم التمكين من الحيوان مطلقا، واستدراك البعض منهم تحديد ما يوسق من الحب بمقدار لا يجاوز حده، وتنبية الحاج أحمد المراكشى على تقييد التسوق فى أشهر العام، بحيث يكون غير مجحف بالرعية فجزى الله الجميع خيرا. وعاملهم بمقتضى نياتهم سرا وجهرا.

وأما الشرفاء العلويون ومن بعدهم من أهل النسبة مع المقدم الرامى ومن تلاهم من الأمين المقرى، والحاج أحمد الرايس وأرباب البصر ومن نحا نحوهم فى رد الأمن إلينا فيما أبدينا استظهاره والموافقة والاقتصار عليه من نتيجة استشاره، فقد أدوا فى ذلك من الواجب بعضه. حيث لم يشيروا بمقتضى سبر الأمر مع مسهم نبضه.

وأما أهل زرهون. فمن قبيل هؤلاء غير أنهم معذورون. إذ لم يبلغوا مبلغهم فى الذكاء. والحدق والدهاء.

على أننا ما زلنا ولا نزال بحول الله نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن الرعاية عقربها بسمك رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنيننا عن أقيستی التدبير والاستعداد، آمين .

وها جواب العلماء عما كتبوه يصلك صحبته والسلام فى الثانى والعشرين من رمضان المعظم عام ثلاثة وثلاثمائة وألف .

وقد كان جواب العلماء يقضى بعدم الإسعاف والإسعاد مع تفويضهم له وتصريحهم بأنه: ليس لهم بين يديه كلام، ولا لهم مع وجود عزته جواب ولا خصام، وأين عقول سائر الرعية من عقله، وذكاؤها من ذكائه ونبله، وأمضاه منهم نحو الستة عشر منهم، وهو أولهم أبو محمد جعفر الكتانى، وأبو عبد الله حميد بنانى، والمولى عبد الهادى الصقلى، وأبو العباس ابن الخياط، وأبو عبد الله محمد ابن رشيد العراقى، والفقير المختار بن عبد الله وغيرهم وجوابهم بخطوطهم بخزانتنا .

فلما اتصل جوابهم بصاحب الترجمة بعث لهم بالجواب عن ذلك بما نصه وهو الظهير الحادى والعشرون:

«الفقهاء الأرضيين المبرزين من القضاة والعلماء بفاس، الحماة الهداة الذين للامة من مصباح مشكاتهم اقتباس، وفر الله جمعكم، وصان من كدر الحوادث نبعكم، وشكر سعيكم، وأدام لصالح العمل هديكم، وسلام الله عليكم ورحماته، وتحياته وبركاته .

أما بعد: فقد وصل ما قيدتموه فيما استشرتم فيه من تسريح ممنوع الوسق وذكر أن الحيوان لبعض الأجناس المقررة لكم شروطه المبنية من الاختبار والاحتياط على أساس، ناهجين فى ذلك منهج حكم الكتاب وصحيح الأخبار، على سبيل

الإطلاق الذى لا يخلو فيه لقيود المصلحة اعتبار، مستظهرين كون منعهم من ذلك إن اقتضاه النظر أولى من الإسعاد، ولو أفضى لعقد مدة تنقضى لتمام حصول القوة والاستعداد، لصدور ذلك منكم عن عقائد أمسك الإيمان زمامها، وعزائم جردت بيد التوكل حسامها، فأوريتم بذلك زنادا، وناجيتم به فى مسرح الضمائر مرادا.

إذ هو فى الحقيقة إفصاح منكم بالواجب، وصدع بأمر الله الذى ليس للعزائم عنه حاجب، فقمتم فيه بلازم الوظيف، وتخلصتم بيته من وعيد الكتمان المقرر بالذكر المحكم والحديث الشريف، وأديتم بذلك واجب النصيحة التى هى عنوان صدق العقيدة، وعضد الإيمان الذى به يمنح المفاز مقلیده.

على أن النصيحة شرط فى البيعة وفرض على كل مسلم، فكل قلب خلا من كوكبها المنير مظلم، لما أخرجه الشيخان عن جرير، قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت أبايعك على الإسلام فشرط على و النصح لكل مسلم... إلخ. وقوله ﷺ فيما أخرجه الطبرانى «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه وإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»، وتنبهكم على الحمل على مراجعة الدين، والتفصى مما ينافى سنة سيد المرسلين، أتيتم فيه بحق التذكير والموعظة، وطرده سوام التوانى عن الهمم المستيقظة.

إذ التساهل فى اتباع السنة رأس المهالك، وداعية النوائب التى تضيق بها المسالك، لقوله ﷺ لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت شرته إلى ستى فقد اهتدى، ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك، على أن من صلح فبهداية الله، ومن أساء فذلك فى الحقيقة ابتلاء بطريق العدل من مولاه، فكلا العاملين بإلهامه وتوفيقه، وكل يعمل على شاكلته وطريقه، لقوله تعالى: ﴿فَالْهَمَّهُمَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس الآية ٨]. ولقوله ﷺ: فيما أخرجه الطبرانى: «اعلموا فكل ميسر لما خلق له، من خلقه الله لواحدة من المنزلتين وفقه لعملها».

وإننا لمزيد عنايتنا بالرعية وشفقتنا عليهم لتتحمل السهر لتنام أجفانهم،
ونرضى بطول الكد لتستريح فى الآجل ولدانهم، ولا نألوا فى إرادة الخير بهم
جهدا، وإقامة معالم السنة فيهم هديا ورشدا، حيث استودعنا الله إياهم،
واسترعانا صغراهم وجلاهم.

وفيما أخرجه الإمام مسلم: ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم
وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة. فلا نهمل فى تدبيرهم نصحا ولا نهمل
بحول الله ما يثمر لهم نجحا، ويمرد لهم من قوارير العزة صرحا.

وقد أخذتم فى اهتمامكم بالمتعين، إحكاما لعمل وظيفكم المعتاد وأداء لما
طوقتموه من شد عضد الهداية والإرشاد.

هذا ولما كانت المصلحة فى هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه، وأوجبت
بطريق النظر تسكين ما ينافيه، قدمناه ريثما تقترن طواع العزم إن شاء الله فى
بروج سعده، ويأتى الله بالفتح من عنده، وما زلنا ولا نزال بحول الله نصرف
العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن جانب الرعية عقربها بسماك
رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنيننا بتدبيره
عن أقيسة التدبير والارتصاد، والسلام فى ٢٢ من رمضان عام ١٣٠٣هـ.

وقد أحسن فى تأييد ما فعله المترجم العلامة الحسن بن عبد الرحمن
السملالى فى كتابه الفتوحات الوهبية، فى سيرة مولانا الحسن السنية، وأبدى فى
ذلك فكرةً اقتصاديًّا ماهر إذ يقول: فمن تأمل ما عمله أمير المسلمين من موافقته
لبعض أجناس النصارى على ما طلبه منه من تسوق الجبوب، وذكر أن المباح من
الحيوان ومساعدته له مدة محدودة بثلاثة أشهر فى السنة على شرط الخصب بعد
بذل جهده نصره الله فى المدافعة خمس سنين فأكثر، ومخالفة رأى من أشار له
بالمنع تأمل منصف مرید لجماعة المسلمين خيرا وجد ما عمله نصره الله أسد الآراء

وأصوبها وأنجحها وأصلح لأهل الإسلام وأنفع بكل اعتبار بل ببعض اعتبار يكون واجبا لمصلحة عامة لما فيه من جبر ما نقصه العدو من شقيق الروح الذى هو المال بالخربات التى لا تعود على من استعملها إلا بالندامة، ولا ترجع لفائدة، والمال هو الذى تقوم به الدول ولا غنى للمملكة عنه والمسلمون لا سبب لهم يردون به ما خرج من يدهم إلا بذلك، وذلك يخلف ويعوض فى كل سنة عادة عودها الله لخلقها.

فأنشئ الحيوان منها ما تلد مرتين فى السنة وهى النعجة والمعزة ومنها ما تلد مرة وهى البقرة.

والحبوب تخلف كل سنة إلا فى المسغبة وهى قليلة، ومع قتلها لا تعم، فإذا أجدبت جهة تخصب أخرى دعوة سيّد البشر ﷺ لأمته بقوله: دعوت ربي أن لا تصيب أمتى سنة عامة فأعطانيها، فالعاقل من يدفع ما يخلف ويعوض فيما لا يخلف ولا يعوض إلا من الخارج، إذ لا معادن للمسلمين ولا للعدو المجاورين لهم، وإنما يجلبون الذهب والفضة من السودان أو فى البحر فى المحل البعيد الموضع الذى يقال له «لفرن» وفى عدم سعى المسلمين فى رد ما خرج من يدهم من المال الذى هو أعز الأشياء وأعظمها ضرر كبير على أهل الإسلام وذويه ونفع كبير لأهل الكفر... إلخ.

ولما أبيع لفرنسا وسق قدر من القمح إغاثة للمجاورين من أهل وهران كتب سفراء الانجليز والاطليان والألمان يطلبون مثل ذلك لهم حسبما جاء فى هذا الظهير المرسل لبركاش فى جوابهم وهو الثانى والعشرون:

«وبعد فإن نواب الأجناس الثلاثة النجليز والاطليان والألمان، كتبوا يطلبون تسريح وسق قدر من القمح لتجار رعاياهم كما سرح للفرنصيص، متمسكين بشرط التساوى فى الإنعامات ذاكرين أن ما أنعم به على الفرنصيص لم يخرج على

الوجه الذى نفذناه به من إغاثة المضطرين له من إيالة وهران المجاورة وإنما تصرف فيه التجار، وبعد وصوله لوهران صرفوه لمرسيلية وربحوا فيه ربعا طائلا .

وقد أجيئوا بالمدافعة عن ذلك بما مضمناه أننا إنما سرحناه للفرنصيص للضرورة الفادحة، وإغاثة الجار المضطر، وحيث وسق فى البحر لم يبق لنا عليه سبيل، وإن ذكروا أن لنا عليهم سيلا فى ذلك فليبينوه ويبينوا وجه الكلام مع الفرنصيص فى ذلك ليكون معه الكلام، فإن ثبت الحق على الفرنصيص فلا كلام لهم معنا، وإن ثبت علينا فيظهر ما يكون على أن الأجناس المحبين عندنا فى الإنعامات سواء، كل من حصلت له الضرورة مثل هؤلاء، واستغاث بنا نغيثه بما تيسر لنا إن كان الخير موجودا ولا يحصل بذلك الضرر للرعية.

وزيد للنجليز فى جوابه بأننا إنما أقدمنا على ذلك اعتمادا على إشارته لأننا نوافق إشارته ونستحسنها لاسيما فى أمور البحر، وأعلمناك لتكون على بصيرة وتعرف كيف تدافعهم عن ذلك بالتى هى أحسن، وقد كنت شافهت حضرتنا العالية بالله بما رتبته من وجوه التفصى منهم فى ذلك، فاعمل جهدك حتى تدافعهم عن طلب ذلك بما أمكن، والله يعينك وتصلك المكاتيب التى كتبها لك فى هذه القضية ووجهها ل حضرتنا العالية بالله».

وكما أباح الوسط من المغرب سوغ جلب الأقوات إليه لما اضطر أهل سوس لذلك واشتدت فاقتهم، فكتب للنائب بركاش بالكلام مع سفراء الدول فى الإذن لتجارهم فى جلب القوت لمرسى أكادير ووضعها بها بعد أن يؤدوا صاكته لأمناء مرسى الصويرة لكون المصلحة اقتضت أن يكون التعشير بها لا بأقدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير، وبأن تكون صاكة ذلك عشرة فى المائة لا خمسة فى المائة، لأن ذلك مخصوص بما يجلب للصويرة ويوضع فيها، ومما أصدره لبركاش فى هذا الشأن وهو الثالث والعشرون مما سبق:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الأجل المجمعول للتجار فى جلب القوت لأكدير وهو ستة أشهر
حان انصرامه وفصل الدراس لازال بعيدا، وأهل القطر السوسى لازالوا مضطرين
للقوت، فاقضى نظرنا الشريف لأجل ذلك التوسعة عليهم إلى الفصل المشار إليه
بزيادة ثلاثة أشهر للتجار على الأجل المذكور المجمعول لهم يجلب ذلك لأكدير
بالصاكة المعتادة التى يعطونها عليه، وهى عشرة فى المائة، وعليه فنأمرك أن تعلم
الباشادورات بذلك ليعلموا به تجارهم والسلام فى متم جمادى الأولى عام
١٣٠٠».

ونص الرابع والعشرين فيما كتبه للنائب المذكور مما يتعلق بإشارة بعض
السفراء إلى استنهاض الهمم للحرث والزرع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما تكلم به معك باشادورات النجليز
والصبنيول والفرنسيس والطلبيان وإشارتهم بالحض على العمال فى إعانة الرعايا
على الحرث واستنهاضهم لها بكل الوجوه وتسليف الزريعة لمن ضعف عنها لما
بلغهم من قلة الحرث فى هذه السنة فى البكرى، ووصل كتاب من كتب لك منهم
فى ذلك وصار مضمن ذلك بالبال، فجازهم على لساننا على تنبيههم واهتمامهم
بالمصالح العائدة بالخير على البلاد والعباد، ونحن بصدد ذلك إن شاء الله، وسأمر
العمال أهل الجد والفائدة بذلك ونؤكد عليهم فيه لما فى ذلك من مصالحنا ومصالح
رعيتنا والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وشبيه بهذا فى شفقتة على رعاياه ورحمته بهم ما أصدره فى شأن المكترين للأراضى المخزنية ونصه وهو الخامس والعشرون:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد اشتكى الحارثون ببلادات المخزن التى بدكالة على يد عمالهم بتضررهم من أداء جميع الكراء الواجب عليهم فيها معجلا وطلبوا التوسعة عليهم فى بعضه فساعدناهم لادعائهم الضعف، وعليه فنأمرك أن تجعل معهم سدا فى أدائه منجما عند كل فريضة قدر معلوم يؤدونه إلى انتهائه بحول الله والسلام فى ٩ صفر الخير عام ١٣٠٤».

ونص السادس والعشرون فيما يتعلق برفض أصحاب السفن قبول (الورديات) بمرسى العرائش:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تشكى خديمنا الطالب محمد بن على العرائشى بأن المراكب التى تنزل الصبورة بساحل المرسى امتنع أصحابها من قبول الورديات للحضور على ما ينزلونه ولا يخفى أن روجانهم فى المحل البعيد من السعة فيه عرضة للآفات، فنأمرك أن تتكلم مع النواب بأن يلزموا خلائفهم بالعرائش بأن يقبلوا حضور الورديات على ما يطرحونه بذلك المحل ليبعدوا من التفرير بأنفسهم ومن فتح باب الكطربنض والسلام فى ١١ صفر عام ١٢٩٤».

ونص السابع والعشرين فى إبطال ما يسمى (الكرنتينة) أى الحجر الصحى وقد صدر هذا الظهير حاد اللهجة:

«خديمتنا الأرمى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد عددنا لك الكتب فى إبطال ما بلغنا من أمر الكرنطيلة التى
أحدثتموها هناك على يد النصارى، ثم إنه لم يظهر منك أثر للتنفيذ حتى رجع
المخازنية الذين كنا وجهناهم مع المال فأخبروا أنهم حصروا عن الدخول للمدينة
وأقاموا هناك مدة، وحيزت منهم مكاتبنا الشريفة وتصرف فيها النصارى بالشق
والتبخير وغير ذلك، ورجعوا من هناك من غير دخول.

وما كنا نظن أن يبلغ بك مساعدة النصارى هذا المبلغ حتى تمكنهم من
التحكم علينا فى بلادنا والتصرف فى مكاتبنا، ومنع أصحابنا من تبليغ أوامرنا
الشريفة، حتى أفضى بك الحال إلى تفريق الأوامر على المراسى بمساعدتهم على
تحكمهم، فساعدك من استهواه ذلك وأنف منه من عنده مسكة من عقل وامتنع،
ورد الأمر لعلى جنابنا فأمرناه بعدم القبول وحتى حيث ظهرت لك مساعدتهم
بطنجة فما كان ينبغى لك أن تأمر به فى غيرها من المراسى، وتحيلهم على استئذان
جانبنا العالى بالله فإنها أقرب منا ونحن أعرف بما نقرهم عليه، وما نمنعهم منه.

وقد طالعنا ما أوجب به من الأعذار الغير المقبولة والأقوال المعلولة ولا يقبل
منك عذر فى ذلك ولا يلتفت فيه لما ذكرت من اضطرار الضعفاء لما يجلبونه من
القوت فإن رزق المسلمين بيد الله يأتيهم من حيث كتب الله لهم من أبوابه
الواسعة، وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك افسخ ما عقدته فى ذلك من غير توقف
ولا مشاورة، وقد أمرنا المخازنية الحملة بأن يدخلوا بمجرد وصولهم ولا يتوقفوا فى
ذلك على إذن ولا غيره والسلام فى ٢٤ شوال الأبرك عام ١٢٩٥هـ.

ونص الثامن والعشرين فى شأن التدليس والتحليل الذى يقع فى التعشير
على الصادر والوارد من السلع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أنه كثر وسق العدد الكثير فى مرسى العدوتين من الحنابل
والزرابى والبطنيات والبلغة ونحوها لمرسى طنجة اعتمادا على ما فى الشروط، من
أن ما يوسق من مراسى الإيالة بعضها لبعض، لا يعطى عنه أعشار لكن كان ذلك
مع القله أما الآن فتفاحش جدا، مع أن مقصود واسقيه به وهران كما كثر ورود
المراكب من بر النصرارى موسوقة بالأقوات لبعض المراسى، ومعها بطائق أمناء
طنجة بأنها دفعت أعشارها بطنجة حتى إنه ورد لمرسى العدوتين قريبا خمسة
مراكب وأربع بابورات من بر النصرارى موسوقة بالأقوات ولم يعشر فيها حتى
الثلث، زاعمين أنها عشرت بطنجة.

مع أنه لا ينزل بالمرسى من المراكب وإنما ينزل أصحابها من المراكب
ويصحبون بطائق الأمناء بأنها أدت هناك وفى بطاقة واحدة منها نحو الثمان عشرة
مائة خنشة، مع أن ما فى الشروط ما مضمونه من أنزل سلعة فى مرسى وعشرها
ولم يجد فيها بيعا وأراد وسقها لا يعطى عليها شيئا آخر، وكذلك إذا أراد إنزالها
بمرسى أخرى لا يعطى عليها، وهؤلاء لا ينزلونها أصلا حتى قل مدخول بعض
المراسى بسبب ذلك، وفيه من التليس والتخليط ما لا يخفى، وعليه، فنأمرك أن
تتكلم مع نواب فى هذه المفسدة واسع فى حسم مادتها بترتيب ذلك على أن تعشر
كل سلعة فى المرسى التى وسقت فيها أو وضعت وينسد باب التليس فى ذلك
والخيانة، واجعل ذلك من أهم أمورك حتى يرتب أحسن ترتيب والسلام فى ١٥
محرم الحرام عام ١٢٩٦».

ونص التاسع والعشرين فى قضيتى اليهود ومسألة محمى :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن يهود دمنات أخبروا من أشاع هناك عند النواب أن عاملهم بعد ما توجه له أمرنا الشريف فى شأنهم جدد عليهم ما كانوا يشتكون منه وزاد على ما كان عليه معهم.

كما شاع هناك أيضا أن يهود فاس أمروا من قبل عاملها بخلع النعال، ومن كان منهم محميا يلبس الكسوة الإفرنجية لىتميز بها.

وأشيع أيضا ثمة أن الوجدى أهين وضرب من أناس من طرف المخزن، وبعد ما قبض الفاعلون به ذلك سرحوا فى الحين بإذن من جانب المخزن، وإلى الآن لم يأتك ذلك على وجه الشكاية... إلخ ما ذكرته وصار بالبال.

أما ما ذكرته فى شأن يهود دمنات فلم يبلغنا من غير الذين منهم هنا المتقدم لك الإعلام بأنهم بعد ما حازروا الظهير برفع جميع ما تضرروا به من العامل الذى وجهت لك نسخة منه مع نسخ مما كتب به لعاملهم ولقاضى دمنات وأمين مستفادها فى شأنهم، وعين للتوجه معهم الوصيف البشير بن بريك الحبشى، ونحن بمكناسة الزيتون تغيبوا، وكان ذلك آخر العهد بهم، ولو كان حقا ما تشكوا به من العامل ثانيا لكتب به من كلفاناها بأمرهما زيادة على العامل، وهما قاضى دمنات وأمين مستفادها وبمجرد دعوى أولئك اليهود هنا بذلك عينا من يتوجه معهم لعند عاملهم زيادة على الوجه المذكور، ولا زالوا يترددون ولم يتمحض توجههم من عدمه وإن تمحض عدمه يحار منهم الظهير المشار إليه ويوجه به المعين لجامعتهم مع المكاتب فى القضية للعامل وغيره.

وأما يهود فاس فقد كان وقع بينهم وبين قاضى فاس الجديد شتآن على حكمه على بعضهم بالسجن حتى يتفصل مع خصمه فى حق ثبت له عليه وتسريحهم المحكوم عليه بذلك من يد أعوانه، وعلى منعه بعض المحتمين منهم من الدخول عليه بنعليه لمحل الشرع، ولما قبض باشاهم على الواقع منهم ذلك ورد أهلهم لحضرتنا الشريفة بمكناس يتكلمون عليهم، فألفوا أعيان تجارهم وأسافقتهم بحضرتنا العالية بالله فتشفعوا فيهم لجانبا المعتر بالله فقبلنا شفاعتهم فيهم، وسرحوا بعد أن شرط عليهم التوفية بالعهود وترك ما يؤدى إلى إضرار المسلمين بهم كلبس النعال، فقبلوا ذلك وأشهد عليهم به.

فإذا به لما حللنا بفاس ظهر من بعضهم ما يخالف ذلك من لبس النعال فى المحال المعظمة التى يخلعها فيها المسلمون فكلموا بأن لا يخلعها من كان منهم متزيا بزى النصارى لابسا لباسهم، ومن كان لابسا لباس اليهود فيخلعها، فامثل من لا حماية لهم وخلعوها، وغيرهم ترددوا فى ذلك حسبما قدم لك الإعلام به.

وأما ما وقع للوجدى فلا خبرة لنا به إلى أن ورد كتابك به، وقد وقع البحث فيه فتبين أن الواقع فيه هو أن وصيفا من الوصفان العساكرية منحاشا لكبير العسكر كان مارا فى ازدحام الناس بالرصيف ليلة عيد الأضحى وهو راكب على بغلة محمولا عليها كبشان فى شوارى، وكان محاديا له الوجدى، فعلقت كسائه بقرن أحد الكبشين اللذين بالشوارى وتمزقت ووقع الهرج بينه وبين الوصيف على ذلك، فقال المارون بتلك الطريق للوصيف إن هذا الرجل صاحب الفرنصيص فسيه، وسب الفرنصيص غشمية منه فرفعه الوجدى لعامل المدينة فرباه وسجنه ثم وقعت الشفاعة فيه للعامل فسرحه فبلغ لكبير العسكر أن الوجدى لازال لم يسامحه فرده للسجن، وبقي به أياما حتى سرحه الوجدى على يده، ووصفان السوادن لا يخفأك أنهم لا يفهمون الخطاب فضلا عن أن يعرفوا الصواب، وأنهم بمنزلة العجاوات والسلام فى ٣ المحرم فاتح عام ١٣٠٢هـ.

ونص الثلاثين فى قضية سليمان بن قدور المشاغب بالحدود وابن عمه قدر
ابن حمزة:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك مخبراً بأنه وصلك من شارل اكار كتاب فى شأن
سليمان بن قدور يخبرك فيه بأن دولته كلفته بعلاج داء المذكور، وأنه أخبرك بأنه
كتب لحضرتنا العالية بالله فى شأن من ذكر على وجه السر ووجه لك نسخة مما
كتب به وأنه طلب منك أن تكتب لحضرتنا الشريفة إعانة له على ذلك الدواء،
ووجهت كتابه لك مع النسخة المذكورة وأشارت بأنه ظهر لك أنهم حيث عينوا
الدواء وطلبوا المساعدة على درء ما يتولد منه الضرر فلا بأس بذلك، لأنه إذا لم
تقع مساعدة وحصل من ذلك عيب لم يبق ما يدافعون به وصرنا من ذلك على
بال.

فالدواء الذى طلبه اكار هو الكتب لقدور بن حمزة وسليمان بن قدور
مباشرة بأن يأتيا فى الأمان ويواعدان بالبرور والإكرام ومزيد الإحسان، والكتب
لهما بذلك مباشرة لا يناسب لما فيه من خروجهما عن طورهما ومن حل عرى
الترهيب، والذى يظهر فى علاج ذلك الداء هو أن يكتب الظهيران الشريفان
للشريف المذكور بالترغيب والترهيب والوعد والوعظ والأمان ويتحمل لهما من
قبلنا ويكون سليمان بن قدور يرجع لمكانته عندنا من غير زيادة ولا نقصان، بشرط
الوقوف عند الشرط المشترط عليه قبل من كونه يسكن مع إخوانه بالخور كما هم
الآن به، ويترك التوجه للغرب قطع عدوتى الرباط ويشتغل بما يعينه، وأنه إذا
ظهرت مخايل الغدر والهروب والتهور وانطماس البصيرة، أو تلبس بما يناقض
العهد فإنه يعامل بما يناسب بعد بحول الله وقوته، حتى يكون الإتيان به مبنيًا على
أساس صحيح، وأن قدور بن حمزة يأتى فى الأمان ويواعد بالبرور والإكرام على

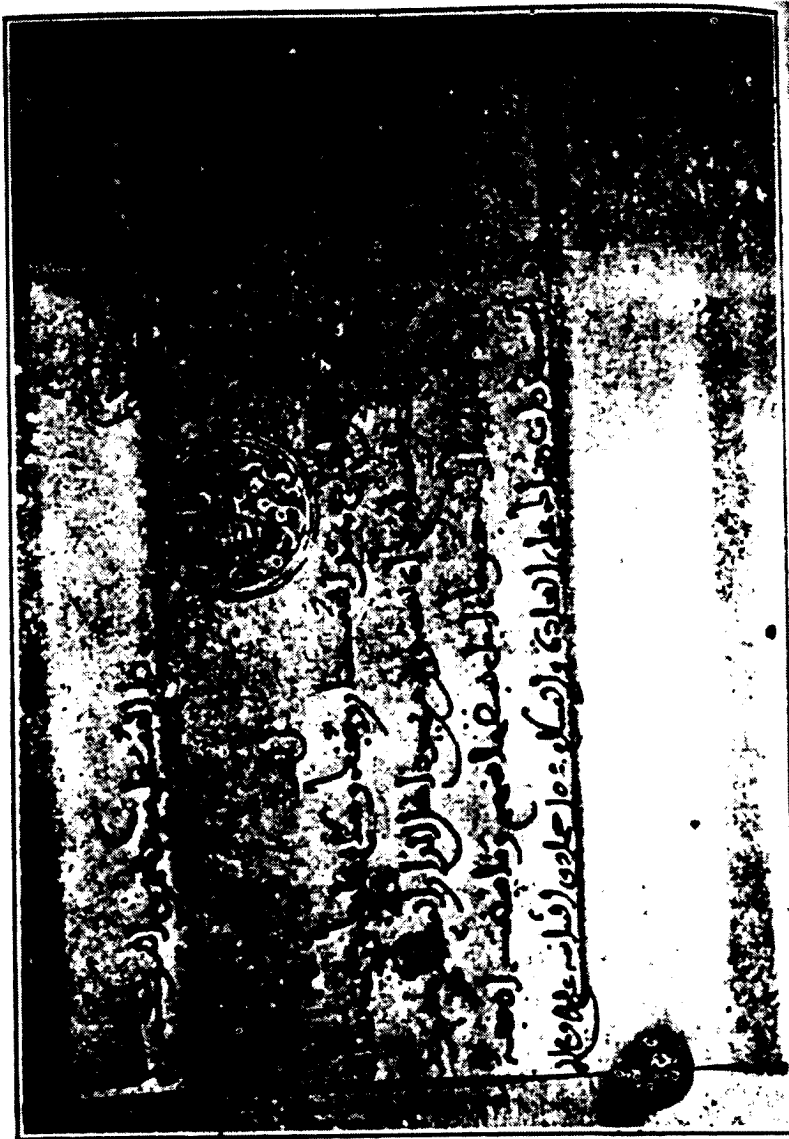
نحو الشروط المذكورة، غير أن سليمان بن قدور لا عهد له ولا ميثاق، ولا عقل له سفيه طائش، ومجيئه على يد الشريف المذكور قبل هو من جملة الأسباب المانعة من القبض عليه زيادة على ما كان يخشى توقعه من تمرد أقاربه وتشيطانهم بالصحراء، فإذا ورد بهذا الاعتناء وهذه الأبهة يزداد في حمقه وطيشه أكثر من المرة الأولى التي كنا معه فيها كمربى الطفل الأبله.

وربما يتركنا حتى نكون عنه في شغل ويعلم الاستغراق فيه كهذه الحركة التي فر فيها، ويتحين خروج ضال من إخوانه هنالك لكونهم كالدجاجيل لا ينقطعون من تلکم الصحارى ويفر لكونه يتلون ويتقلب وينقض عهده في كل مرة وتكون له هذه ثلاثة ثلاثة: الأولى في حياة سيدنا رحمه الله والثانية والثالثة في مدتنا والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

وكل من سمع بأن ذلك السفيه يفعل ذلك مع جنابنا العالی بالله يظن بالجانب بحسب الظاهر الغفلة وعدم التيقظ وغير ذلك مما لا يناسب، مع أنه لو اطلع على باطن الأمر من كونه يؤتى به في الذمة والأمان والوساطة بالشفاعات ونحو ذلك مما يقضى بغض الطرف عنه مع تركه لحالته أوباش قرابته للشيطنة بالصحراء ينظرون من يسمعون عنه، لم يظن ذلك الظن السيئ ويعرف الأمر بحقيقته.

والدولة إذا صدر منه شيء في هذه المرة الثالثة لا تعذر ويكون لها الحق علينا لكونها صبرت وقابلت بما يناسبها فهي مجازاة بما يجازى به أمثالها العظام فنحتاج إلى أن نسلك في إتيانه سبيلا لا تنبني عليه تلك المفاسد، ولاسيما وقد عرف حاله وغدره.

وقد بلغنا أنه أراد أن يتشطن في الحدادة، فكتبنا لأولئك القبائل وبصرناهم في أمره، وأعلمناهم بأنه هرب من حضرتنا العالی بالله ولم يتوجه عن إذن كما



ظهیر للحاج عبد الله حصار فی استیفاء الجزية من یهود الدار البیضاء

يموه ويقول لهم، وعرفناهم بأنه فتان وبأن من تبعه تلحقه الدعوى وترهقه البلوى، وواعدناهم مع ذلك على تحصيله بالدراهم الكثيرة.

ولما بلغه ذلك وتحقق به انتقل إلى هذه الإيالة وأكثر المكاتبه مع البعض من قبائلها ويطمعهم بالكيل، فطفق كل من كتب له كتابا يوجهه لحضرتنا العالية بالله، ومضمن تلك المكاتب لا يصدر إلا من أحق فتان.

فكتبنا لهم فيه بما يتعين حتى صاروا منه على بال، ولما ضاق عنه الفضاء، بلغنا أنه يريد التعلق بمن يأتي به لحضرتنا العالية بالله فى الأمان فغضضنا عنه الطرف قصدا حتى يذعن، ويكون بحيث إذا أتى أتى تائباً مذعنا مطأطئ الرأس ملتزماً الجلوس عند حده والاشتغال بما يعنيه، فإذا بك كتبت فى شأنه بما كتب به اكار.

وعليه فإن كان الشريف المذكور يأتي به على الشروط المذكورة فتحمل به، وبما يكون له من البرور وكذا لابن عمه المرابط الطالب قدور بن حمزة على الشروط المذكورة التى فيها صلاح الدولتين، وكان قيذاً لازماً فى مجيئهما حسبما بعضه مذكور فى مكاتبتهم فى شأنه، ولا يريان بحول الله منا حيثئذ إلا ما يسرهما.

والظهيران المشار إليهما يصلانك طى هذا مفتوحين لتطالعهما وتدفعهما لاكار يدفعهما للشريف المذكور لقضاء الغرض بهما على يد اكار وما ذكره فى كتابه من أنه يتكلف لمن يأتي به من عند الدولة، فهم مجازون عليه بالخير غير أن مثل من ذكر لا يحتاج له إلى ذلك، ويكفى فيه نحو خمسمائة ريال والسلام ١٥ قعدة عام ١٢٩٨.

ونص الحادى والثلاثين فيما أصدره فى جزية اليهود:

«خديمتنا الأرضى الحاج عبد الله حصار، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته، وبعد:

فنامرك أن تستوفى من يهود أهل الدار البيضاء جزية هذه السنة المباركة فقد

حل أجل قبضها منهم، وما قبضته ادفعه لأمين المستفادات هناك على العادة

والسلام ١٥ جمادى الثانية عام ١٢٩٤».

ونص الثانى والثلاثين فيما أصدره فى شأن قبض الزكاة:

«خديمتنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوى، وفقك الله، وسلام

عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإن الزكاة ركن من أركان الدين، أمر بها سبحانه عباده فى كتابه

الذى شرع فيه الشرائع وصانعه وزكاه فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...

﴿٤٣﴾ [البقرة: ٤٣] وأوعد مانعها بعذابه الأليم. فقال فى كتابه الحكيم: ﴿...

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

[التوبة: ٣٤]. وقال ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. الحديث. وقال ﷺ: تأتى الإبل

على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطأه بأخفافها وتأتى الغنم

على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطأه بأظلافها وتنضح

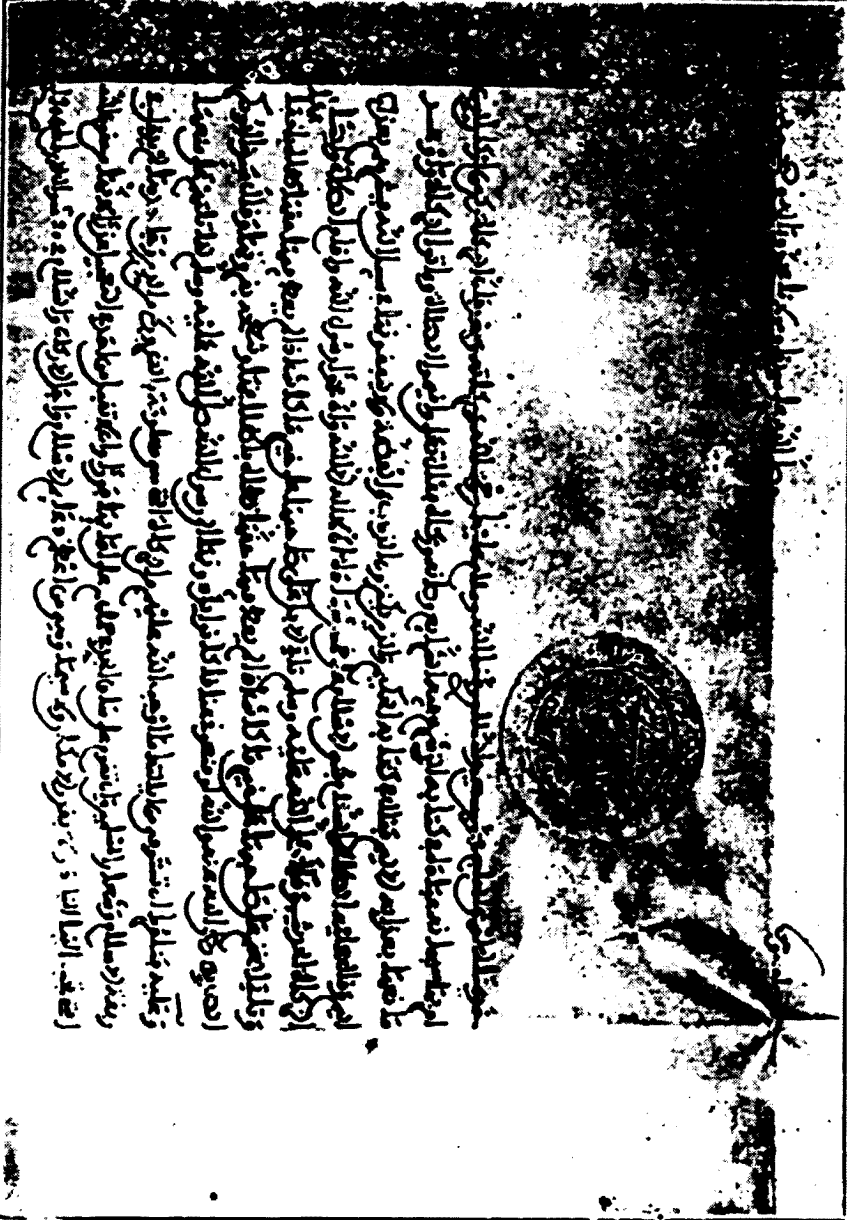
بقرونها.

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها

إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها.

وعليه فنامرك أن تستوفى من إياتك ما أوجب الله عليهم من الزكاة التى

هى معلومة بالضرورة من الدين وجاحدها لم يدخل فى ربة الإسلام وشعار



ظهیر مولای الحسن للحاج محمد بن سعید

المسلمين، وأن تقوم على ساق الجد في حملهم على أذائها فوراً، وأن لا تقبل من أحد في التعجيل عذراً، لأنها من حقوق الله التي تجب إليها المبادرة بقدر الإمكان، ولا سيما هي من أعظم دعائم الإسلام وأجل الأركان والسلام في ٢٠ شوال الأبرك عام ١٣٠٤هـ.



مؤنهر مدريد ووفقه

ولما اجتمع المؤتمر الدولي بمدريد للنظر فى مسألة الحماية بالمغرب وجه له النائب الشهير السيد محمد بركاش الرباطى لمزيد معرفته وخبرته وممارسته لمثل هذه الأمور فى الدولتين المحمدية والحسنية، وزوده بما يقتضى اعتماده نائبا عنه، وتوجه معه بقصد الاستشارة وشد العضد الحاج عبد الكريم بريشة التطوانى، وإليك ما راج بين الحضرة الشريفة ونائبها فى المؤتمر المذكور وأولها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك فى شأن سفرك لمديريه للحضور فى الجمع على قضية الحماية، وذكرت أنك لا تجد انفكاكا منهم بخاطرهم إلا بمدافعة من جانبنا العالى بالله لكونهم يذكرون أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض، غير أنه تخيل لك من كثرة إلحاحهم عليك فى التوجه أن لهم فى ذلك شيئا مع مشاهدتهم لمرضك وملازمتك للفراش، ولولا أخذ ولدك بيدك لتعذرت عليك مباشرة الأمور مع كثرة الصائر على شئونك وعلى ما هو واجب على المخزن، وكون سفرك يلزمك فى صائره على نفسك فيما لا بد منه نحو الألف ريال فى تعداد الكساوى لك وما يناسب لأصحابك والفراش والمحوت وغير ذلك، مما تظهر أبهة الإسلام وراتبك لا يكفيك لصائر بطنجة فضلا عن صائر بالرباط.

وكان سيدنا رحمه الله يعينك بتنفيذ ما تدفعه فى مثل ذلك وينفذ لك غير ذلك مما تحصل لك به الكفاية، وكانت تحصل لك بذلك قوة وإعانة على الخدمة ووجاهة على الأجناس، وطلبت الإنعام عليك بما تجبر به ما خرج من يدك فى

هذه المدة، وما تتقوى به على الخدمة، وإن اقتضى نظرنا الشريف أن تتوجه للمحل المذكور حين تحصل لك الراحة وتقدر على السفر تتوجه وصار ذلك بالبال.

فأما توجيهك للمحل المذكور فقد تقدم لك كلامه وما أخبرت به من أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض هو الذى توسمناه وهجس فى الخاطر والباطن، ولذلك شرح الله صدرنا للإذن لك فى التوجه وكتبنا لك به آخراً بعد ما خيرت أولاً فالعمل عليه، وإذا عزمت فتوكل على الله.

وأما ما تخيل لك من أن لهم فى توجيهك شيئاً فخذ فى ذلك بالحزم واحتط ما أمكنك ولا توافقهم على ما فيه ضرر أو شبهة أو مخالفة للشرع فإننا لا نقبله ولا نوافق عليه أصلاً إذ المقصود من هذا هو التطهير من هذا الرجس لا إبداله بما هو أقبح وأفظع فى المثل، كما غسل دما بدم أو بزيادة آخر عليه فى المثل جاء يطب فأعمى، وفيه أيضاً جاء ليستفيد قرنين فرجع بلا أذنين.

وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوى أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك كقضية أعراب الحدادة والصبنيولى المقتول وما كنت تفاصلت به فى قضية إعطاء أهل الحماية فى الإمكاس ينفذ لك وهلم جرا.

ولو أخبرت بغير ذلك مما يجب لنفذ لك كما مثاله إذ لم يعهد لأحد من المكلفين الذين عندهم ما يصيرون منه أن المخزن يكلفهم بالصائر عليه من عندهم وأحرى غيرهم الذين يعانون من جانب المخزن.

وعليه فبين ذلك الواجب المخزنى الذى صيرت عليه من عندك ليظهر، وبين لنا نظيره الذى تقدم الصائر عليه حياة سيدنا رحمه الله ومن أين كان يصير عليه.

وأما ما ذكرته من كون راتبك لا يكفيك لصاترك بطنجة فضلا عن صاترك
بالرباط، فإننا نعرف ذلك ونعتقده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك، وكل ما يعطى
لك فى محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان ولا يخفأك ما نخرجه كل شهر
فى مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها.

وأما ما ذكرته من كون سيدنا رحمه الله كان يعينك... إلخ فلم يتقدم منك
إعلام بذلك قبل الآن، ولو أعلمت به لوقع النظر فيه وأقررت عليه كما أقررت
على غيره كالمشاهرة وتجديد ظواهر الخدمة ونحو ذلك، وعليه فبين لنا ذلك وبكم
كان يعينك وعلى يد من كان ينفذ لك، وكم من مرة أعانك ومن أين كان يخرج
لك ذلك لئرى فيه، وأما تصيير الألف ريال فيما تتوقف عليه لسفرك فلا بأس به
والسلام فى ١٤ ربيع الأول عام ١٢٩٧هـ.

الثانى وفيه الكلام على ما راج فى إسقاط من هو زائد على الخدمة من
الحماية:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته.

ويعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك فى أحد اجتماعاتك مع نواب
الأجناس كنت تتكلم معهم فى إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، لكون
ذلك خارجا عن مقتضى الشروط، فذكروا لك أنهم إذا أسقطوهم يقع عليهم
الترامى، والحكام لا يبالون ويقع عليهم الظلم والحييف بسبب حقدهم عليهم حيث
كانوا فى الحماية، وأنت تذاكرت مع باشادور الإنجليز فى كيفية الخروج من ذلك
فاخترتم أن نجعل لهم عهداً بأن لا يقع لهم ظلم ولا حييف وكل من يسقطونه من
الحماية فى ذلك الوقت ويصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه فيعلم القونصور

الذى كان حاميه ليحضر على الحكم ولا يتكلم بشيء إلا أنه ينظر هل يقع له ظلم.

وأنت اخترت ذلك ليكون عاملنا هو الحاكم وهو أحسن من أن يكون القونصو هو الحاكم وأن باشادور النجليز حتم عليك الكتب إليهم بذلك لتسد أفواههم عما يدعون به من الظلم عند دولهم، وظهر لك أنه مصلحة، ووجهت لحضرتنا الشريفة نسخة مما كتبت لهم به ومع ذلك فلم يقبله الطليان... إلخ.

فقد عرفنا ذلك وصار ببالنا الشريف والذي اقتضاه نظرنا الشريف هو ما قدمنا لك صحبة خديمتنا الحاج عبد الكريم بريشة، من أن نكتب لمن يخرج من الحماية ظهائرتنا الشريفة، ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبا العالى بالله على وجه أوفق وأليق، ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحه جانبنا الشريف والعزبان والشركة.

ومن كان منهم من أهل المدن نستعمله فيما يناسب من خدمتنا الشريفة، حتى يكون جميعهم فى حوزة جانبنا العالى بالله ولا يجد العمال إليهم سبيلا، ولا يجدوا هم أيضا سبيلا إلى التشكى والتظلم بأمر يلحقهم، ويبقى الكل فى فسحة.

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم به فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحقق الأمر فيه معهم، واجعل ذلك فى زمام، وأعلمهم بأنه إذا ادعى البعض على أحد بعد، أنه منهم ولم يشمل ذلك الزمام فهو رد.

نعم اليهود المحميون إذا تآتى لك إدخالهم فى الضابط المذكور فلا تقصر فيه، وإذا لم يتأت لك ذلك فأجر عملهم على حضور القونصو مع العامل وقت الحكم عليه، بخلاف المسلمين، فإن العمل فيهم هو ما قررناه لك من جعل

الظهائر لهم، فامض عليه وجد في حيازة عددهم كما قدمناه لك أصلحك الله
والسلام ٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ.

الثالث وفيه الكلام على تعيين وقت انعقاد المؤتمر والبت في مسألة النائب

المغربى به ومستشاره:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك كنت قدمت الإعلام لجانبنا الشريف بما

كان أخبرك به نائب الصبنيول مما كتب له به وزيرهم في شأن الجمع بمدريد على

قضية الحماية، وأنه ظهر لهم أن يكون في خامس عشر ماية الموافق نحو خامس

جمادى الثانية الآتى مواليا لشهر تاريخه، وأنت كنت وجهت نسخة من كتاب

الوزير وترجمته، وأنت لما رأيت فيه وقوع الاتفاق على عدم حضور أحد من

النواب الذين بطنجة، وتخيل لك أنه ربما يكون شاملا لك طلبت من النائب

المذكور الاستفهام عن ذلك فكتب على طريق السلك هذه نحو الخمسة أيام من

تاريخ كتابك الذى هو عاشر شهر تاريخه، وإلى الآن لم يرد له جواب عن ذلك،

وإنه لا ينبغي السكوت عن شئوننا.

وطلبت من جانبنا الشريف أن توجه لك ظهيرا لسفرك إن كان النظر لم يزل

على سفرك. وكتابا لعظيم الصبنيول بالإعلام بذلك، وتسمية من هو متوجه من

جانبنا الشريف، وأن نعين لك من يرافقك ويشد عضدك، وتستشير معه فى

الأمور، ومن يكون على يده الصائر.

كما طلبت أن نعين لك من ينوب عنك بطنجة مدة سفرك لكون ولدك لا

غنى لك عنه فى التوجه صحبتك، ولكونك لم تزل نقها حديث عهد بمرض،

ولياخذ بيدك ويكون لك معينا فيما يتعلق بما أنت بصدده، وذكرت أن ما كنا أمرناك به من أن تستنيب عنك من كان ينوب عنك وقت سفرك للرباط وهو الطالب عبد السلام أحرضان، إنما كانت نيابته عنك فى الدراهم التى ترد ليدك لأمانته ومروءته .

وأما أمور خدمتك مع النصارى فإنهم يكتبون لك أينما كنت كأنك بطنجة، وأنت خاطبت الطالب عبد السلام المذكور بالنيابة عنك فى ذلك مرارا، فاعتذر بأنه لا يقدر على ذلك لعدم اتساع صدره، وكونه لا يقدر على شأن ولا محاورة، فقد عرفنا ذلك كله وصار ببالنا الشريف .

فأما الكتابان لك ولعظيم الصبنيول فهاتما يصلانك، وأما من يرافقتك فقد عيناه وهو خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة لما قام به من الأوصاف الموجبة لذلك، أو إما ولدك فلا بأس بتوجهه معك، وأما أحرضان فاستنبه وحتى إن اعتذر فالمسافة بحول الله قريبة والسلام فى ١٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧ .

الرابع: وفيه ضابط الخارجين من الحماية الذى تحفظ به حقوقهم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد أشار بعض الناس فى شأن من أخرجتهم الشروط والقوانين من الحماية بأن يجعل لهم ضابطاً لا يتأتى معه وقوع ضرر لهم من العمال بسبب كونهم كانوا محميين، وهو أن من ارتكب منهم ما يوجب حكم العامل عليه فالعامل يطلب من القنصو الذى كان حاميه أن يحضر فى وقت حكمه عليه ليعرف أن ليس مراده مجرد ظلمه من جهة كونه كان محميا، وهذا الضابط هو عين الحماية، فإذا جعل يكون كأنهم لا زالوا فيها مع عدم وجود من يقف معه من العمال ويعمل بمقتضاه، لأن منهم أولى العقل والذكاء والفتانة والذين لا زالوا

على فطرتهم وبدواتهم لم يجربوا الأمور، ولم يعرفوا القوانين وهم يترامون عليهم الآن.

والحالة أنهم لا زالوا فى الحماية كسمسار النجليز الذى ترامى عليه المديونى، وكصاحبى المركان الذين ترامى عليهما الحرىزى والمزمزى ونحوهم، والذى اقتضاه نظرنا الشريف هو أن تجعل مع نواب الأجناس تأويلا مناسباً فى أمر أولئك الخارجين من الحماية يسان به عرضهم ومروءتهم ويحفظ به مالهم، وهو أن نكتب لهم ظهائر شريفة ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبنا العالى بالله على وجه أوفق وأليق.

ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحه جانبنا الشريف والعزبان والشركة.

ومن كان منهم من أهل المدن نستعمله فيما يناسبه من خدمتنا الشريفة حتى يكون جميعهم فى حوزة جانبنا المعترز بالله ولا يجد العمال إليهم سبيلا، ولا يجدون لهم أيضا سبيلا إلى التشكى والتظلم بأمر يلحقهم، ويبقى الكل فى فسحة.

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم عليه فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحقق الأمر فيه معهم، وأعلمهم بأنه إذا ادعى أحد أنه منهم عند جريان الحكم عليه ولم يشمل ذلك الزمام فهو رد، وكذلك اليهود المحميون إذا تآتى لك إدخالهم فى الضابط المذكور فلا تقصر فى ذلك، وإذا لم يتأت لك ذلك يجرى عملهم على ما أشار إليه البعض من حضور القونصو مع العامل وقت الحكم عليه، بخلاف المسلمين فإن العمل فيهم هو ما قررنا لك من جعل الظهائر لهم فلا بد جد فى حيازة عددهم منهم أصلحك الله وأعانك والسلام ٢٢ جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ.

الخامس وفيه الكلام على تغيير اتفاق السماسرة المنعقد مع فرنسا وإسبانيا
سنة ١٢٨٠ :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنه لا يخفى على دول الأجناس أن مرادنا تسهيل أمور التجارة،
وتيسير طرقها وأسبابها، حتى لا يحصل لسماسرة التجار سواء كانوا من الأجناس
أو من الرعية ضرر ولا منع من أمورهم من جهة عمال البوادي ولا من غيرهم.

غير أن الاتفاق على السماسرة المجمعول مع الفرنضيص والصبنيول وغيرهم
بطنجة عام ثمانين ومائتين وألف قد اختبر فالفى فيه الضرر لهذه الإيالة، ولا سيما
إذا طلب مثل ذلك تجار جميع الأجناس من باب المساوات فيتضاعف ضرر الرعية،
لأن التجار إنما يختارون السماسرة من أشياخ البادية وكبرائها فيتعصبون ولا
يسمعون كلام المخزن فى الأمور المتعلقة بهم، وإن خوطبوا بأمر يجيبون بأنهم
مشتغلون بالبيع والشراء مع أصحابهم، ولا حكم عليهم لأحد إلا لقنصوات
المراسى، وهم وإن كانوا فى حيز القلة الآن لكن حيث يطلب ذلك تجار الأجناس
يكثُر عددهم، ويصير فى كل قبيلة أكثر من مائتين، فتفسد الأحكام، ولا يبقى
لعامل مع من يتكلم وعليه فنأمرك أن تتكلم على ذلك فى المجلس، وتنبه على أن
الاتفاق المذكور الذى وقع على السماسرة ليس من الشروط المطبوعة من جانبى
الدولتين العظيمنتين فلا تقبله فيما يستقبل، والدول من كمال عقولهم لا يوافقون
على بقاء ذلك لما فيه من الضرر الذى اتضح أمره ولم يكن فى حساب، ولا يتخيل
لهم أنه إذا ترك هذا الاتفاق لم يوقر العمال نواب سماسرة التجار ويمدوا يدهم فى
أمتعتهم وأموالهم ويظلمونهم.

فإن ذلك أمر لا نوافق عليه بحول الله ومن فعله من العمال نعاقبه ونزجره عليه، نعم هؤلاء السماسرة ينبغي أن يكونوا من المراسى لا من البادية، وكل واحد يكون بيده رسم مطبوع بطابع القنصوات وعامل المرسى يتضمن التعريف به، وأنه سمسار التاجر فلان، ولأولئك السماسرة الحرية لا يتعرض لهم أحد في بيعهم وشرائهم بأسواق البادية وغيرها.

وإذا وقع من السمسار ما يوجب الحكم عليه في البادية يقبضه عاملها، وإذا ظهر له أنه ظالم لا يعاقبه، ولا يحوز له شيئاً من أمتعته وأمتعته التاجر صاحبه ولا يقبض منه سخرة، لكن يجعل في اليوم الذي يقبضه تقييداً شاملاً لكل ما عنده من متاعه ومتاع التاجر بعدلين، وإذا كان السمسار المقبوض يخس الكتابة يعطى للعامل خط يده بأن متاعه ومتاع التاجر هو الذي قيده العامل بالعدول ويوجه العامل السمسار لعامل مرساه ليخبروا القونصو بذلك وليحضر معه في إجراء الحكم عليه، فإذا شهد العامل والقونصو بظلمه يسقط من زمام السماسرة ويجرى الحكم عليه، ويبدله التاجر بسمسار آخر، وإذا اختلف العامل والقونصو في ظلمه بأن قال العامل إنه ظالم وقال القونصو إنه ليس بظالم، يرفع الأمر لوزيرنا في الأمور البرانية بطنجة وهو يفاضل مع منيسطر دولة التاجر، وإذا وجده العامل والقونصو برىء الساحة يخبرنا بواسطة وزيرنا بطنجة ليقع الكلام مع عامل البادية الذي ظلمه.

وهؤلاء النواب يجب عليهم للمخزن كل ما هو جار بالقانون، ويدفعون ذلك لعامل المرسى على يد القونص، وإذا ترتب على أحد من السماسرة حكم لا يقبض عليه عامل المرسى إلا بعد إعلام القونصو بالدعوى، وبأنه يقبض عليه وعلى ما ذكرنا فوضنا لك في جعل اتفاق جديد في شأن هؤلاء السماسرة على خلاف الاتفاق المجمعول في التاريخ المذكور، مع من ذكر حتى يرجعوا لأصلهم

القديم الذى كانوا عليه قبل ذلك الاتفاق من غير اقتراح شىء بسبب إزالته، مما لم يكن قبله جعله، والسلام فى ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ.

السادس وفيه تعيين وقت سفر الوفد المغربى وما يتعلق بذلك:

«خدمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما قدمناه لك من أمرنا الشريف بالتأهب للسفر للحضور بالجمع بمديرد مع الأجناس لما أطلعت علمنا الشريف بكتاب وزير الصبنيول، وأنت كنت قدمت لنا أن سفرك لهنالك يكون يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر تاريخه، وإن تأخر فيوم الخميس، وأنت كنت طلبت من جانبنا الشريف أن نوجه لك كتابا شريفا لعظيم الصبنيول وظهرنا شريفا لك، وأنت لم تزل فى انتظارهما، وطلبت تعجيلهما لقرب الوقت، وأشرت بأن السفير المتوجه للتهتة من جانبنا الشريف لا يضر تأخيره عن هذا الأمر الأكيد المحدود بالأجل مع جميع الأجناس، كما أخبرت بأن كتابنا الشريف وصلك فى شأن توجيه التاجر حفيد برادة لإعانة البلغيشى، وأخبرت بذلك بأشدر الفرنصيص إلى آخر ما ذكرته.

فأما الكتابان الشريفان اللذان أحدهما لعظيم إسبانيا وثنيهما لك بالأمر بالتوجه فقد وجهناهما لك صحبة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة، مع المكاتب التى اقتضاها المقام بتاريخ ثانى عشرى شهر تاريخه الذى هو يوم الاثنين وصار بالبال ما عدى ذلك والسلام فى ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٧هـ.

السابع فى حسم الروابط التى يمكن أن تكون بين الخارجين من الحماية، والذين كانوا حامين لهم:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمما ينبغى التنبه له والتيقظ فى أمره كون المحميين إذا خرجوا من الحماية ربما لا تنحسم المادة بينهم وبين من كان حاميهما لما عسى أن يبقى حكم الحماية منسجبا بعد خروجهم منها ظاهرا لانطواء ضمائرهم على ذلك من الجانبين، فيدعى الحامى أن المال الذى بيد الخارج من حمايته هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما يقتضى إبقاء الرابطة بينهما، وقد أشار بعض الناس لما استشير فى ذلك إلى كيفية التكلم فيه بأن يقال المحمى إذا خرج من الحماية فحاميه لا يمكن أن يتوصل لحمايته بسبب، ككون المال الذى بيده هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما لا ينفك به عن وصف الحماية، مع أن الفرض أنه خرج من الحماية، ولأجل ذلك تجرى عليه الأحكام على وجه الحق.

وعليه فتكلم فى ذلك مع نواب الأجناس عند انعقاد الجمع هنالك، وبأشر علاجه على وجه منضبط تنحسم به تلك المادة، حتى يكون الخروج عن الحماية حقيقيا لا صوريا فقط، والسلام فى ٩ جمادى الثانية عام ١٢٩٧هـ.

الثامن وفيه الكلام على الخارجين من الحماية، وموقف نائب فرنسا عند طرح مسألة تغيير اتفاق السماسرة فى المؤتمر:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت أطلعت به علمنا الشريف ما دار بينك وبين النواب فى أحد اجتماعاتك معهم فى شأن إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، من أنهم ذكروا أنهم إذا أسقطوهم يقع الترامى عليهم،

واخترت أن يجعل لهم عهد بأن لا يقع لهم ظلم، وكل من يصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه يعلم القونصو الذي كان حاميه ليحضر على الحكم كما بينت ذلك لجانبنا السعيد سابقا.

ثم وجهنا لك صحيفة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة ما اقتضاه نظرنا الشريف من أن يكتب لمن يخرج من الحماية ظهائر شريفة متضمنة ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبنا العالى بالله، حتى لا يجد العمال إليه سبيلا، ولا يجدوا هم سبيلا إلى التشكى والظلم، وأمرناك بالمفاوضة معهم فى ذلك والتكلم به فى مجلس الأحكام، كما أمرناك بإجراء عمل اليهود المحميين على حضور القونصو إذا لم يتأت إدخالهم فى الضابط المذكور، وأنه إذا تأتى فلا تقصر فيه، بخلاف المسلمين فتمضى فيهم على الضابط المقرر.

وعرفنا ما ذكرته من أنك أشرت بذلك على البعض تستشير معهم هناك فأشار إليك بعدم ذكر ذلك فى الجمع، ذاكرا أنهم لا يقبلونه لما هو ثابت عندهم من عدم الثقة بالعمال، ولكونهم لا يعرفون هذه السياسة.

وأنك لما رأيت ذلك جعلته على صنف آخر تفهمه عقولهم حسبما وجهت نسخة منه لحضرتنا العالیه بالله طى كتابك، وذكرت أنك لم تدر هل يقبلونه أم لا، كما عرفنا ما ذكرته من أنا لو علمنا على ما صدر من الفرنصيص فى الجمع الواقع فى الرابع عشر جمادى الثانية فى أمر السماسرة لقضينا منه العجب، وذلك حين حاولت منه طرح القانون المجمعول عام ١٢٨٠، ولولا وزير الصبنيول عالج ذلك ولم يقصر فى الوقوف فى جانبنا السعيد لكان الأمر أشد، وأن من جملة ما ذكر لك باشدور الفرنصيص أنك تريد القباحة مع جنسه وعنده الإذن أن لا يتكلم فى ذلك، فتكلم معه وزير الصبنيول بكلام لطيف، وطلب منك ترك الكلام الذى

تكلمت به فى المجلس حتى يستشير مع دولته على طريق السلك، وتشرعون فى غير ذلك ريشما ياتيه الجواب فأحبيته لذلك وأجاب هو كذلك .

ووقع كلام كثير ظهر لك منه على ما بيدك من أوامرنا الشريفة، أنك لا تحصل على طائل، لأن الذى كان فى بالك فى هذه الوجة هو التحفظ على عدم وقوع ريبة فى ديننا والتحفظ على جانبنا العالى بالله، وعلى الرعية وجلب الخير لبيت المال، وما زاد على ذلك من أمر الحماية كله ربح، وأن الرثيل اليهودى النجليزى قدم لهنالك وصار يفد عليك ما تحاوله حتى صاروا يتكلمون فى وزير الصبنيول بما بيته وكثر الكلام فى الجوازيط وغيرها .

وذكرت أنك لازلت طامعا فى أن تحفك عناية الله تعالى وسعادتنا فى التحصيل على نيل المطلوب، وصار جميع ما ذكرته بالبال، فقد وصلت النسخة ولا بأس بجعل ذلك على الوجه الذى ذكرت أنه تفهمه عقولهم، إذ المقصود هو الوقوف فى ذلك مع الشروط والقوانين القديمة فى أمر الحمية وترك الزائد عنها كيفما تأتى .

وأما ما صدر من الفرنصييص كفانا الله شره وشر كل ذى شر ورد كيده فى نحره .

وأما اليهودى الإنجليزى انتقم الله منه عاجلا ولا بلغه مناه .

وأما ما ترتقه من حفوف عناية الله تعالى وسعادتنا بك فى نيل المطلوب كمل الله بخير وأصلحك، وأخذ بيدك آمين والسلام فى ٢٨ جمادى الثانية عام ١٢٩٧ .

التاسع وفيه الكلام على مسائل مما راج هناك وموقف نائب إيطاليا فى

المؤتمر :

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه بتمام الكلام فى أمر النظر لزيون، وأن محصل ما أدركتم فيه أن ما فات فلا رجوع فيه، وما يأتى يجعل له ترتيب وهو أن من عنده رسم النظر لزيون من جنس من الأجناس إذا رجع لإيالتنا يعد له قدر المدة التى جلسها فى بلاد الأجناس لقبض الرسم المذكور، ثم بعد ذلك إما أن يخرج من إيالتنا وإما أن يدخل تحت حكم ولاتنا، وما أدركتم هذه إلا بمشقة لما فى ذلك من معارضة شرائعهم، وبشروعكم فى الكلام فى تنحية الحماية الخارجة عن القانون وإفساد باشدور الطليان الذى هناك لكم كل ما علمتم وصدور كلام طويل منه فى المجلس فيما يجلب الضرر للمغرب، فأجبت بما يناسب كلامه واسترعت على الأمور الساقطة فلم يقبل منك ما أجبت به، فطلب منك باشدور إسبانيا أن تسقط بعض الفصول التى تكلمت بها فأجبت بأنه إذا أسقط الطليان فصلا تسقط جوابه، فتكلم مع الطليان فى ذلك فأسقط البعض فأسقطت جواب ما أسقطه فلم يقبل الطليان ذلك أيضا، وتكلم معك وزير إسبانيا فى ذلك فأجبت بأنه إذا أسقط جميع ما ذكر تسقط أنت ذلك كله، وبقي الأمر موقوفا على هذه الحالة.

ثم شرع وزير إسبانيا فى الكلام على تحديد الحماية، فقبل المجلس التحديد ولم يكن كلام فيما فات والذى هو مقيد وخارج عن القانون يبقى على حاله ومن مات تسقط حمايته ولا تورث، ولا تبقى حماية فى المستقبل إلا ما هو مذكور فى الشروط والوفى والطليان لم يقبل ذلك.

وأراد أن يستمر على إعطاء الحماية لمن شاء كيف شاء فأجبت بأنك لا تقبل ذلك، ولما رأيت عدم تقصيره فى الكلام بعدم المساعدة ووزير إسبانيا وباشدور

الفرنسيين أبذلا المجهود معه فلم يساعدهما، استرعت على جميع من فى المجلس بأنهم إذا لم يحددوا الحماية وتركوها على حالها فلا طاقة لك على الوفاء بما هو فى الشروط من الأمان والحفظ للأجناس ولأمتعتهم، لأن الحكام لم تبق لهم حرية فى تبليغ الحقوق، فقال رئيس المجلس للحاضرين به: هذا ما أردتم أن تسمعوا، والحق معه فى ذلك، فسكت الفرنسيين ولم يجب بشيء، وظهر منه استحسانه ذلك ثم انفصل المجلس وكتب وزير إسبانيا لباشدورهم الذى بإيطاليا وكذلك بعض النواب ليعينوا على المساعدة، ولما أعددتهم المجلس وسألتهم باشدور الطليان عن جواب دولته فأجاب بأنه لا زال لم يرد عليه، واعتذر بأن الكلام فى السلك يقع فيه الغلط، وأنه لا زال على كلامه الأول، فحيث جعلت الاسترعاء المذكور كتابة لتتكلم به على وجه مخزنى لكون كلامك به أولا كان على غير الوجه المخزنى، واتفق أهل المجلس فى تأخير الجمع حتى يأتى الجواب للطليان من دولته، وهذا كله سببه باشدور الطليان الذى بطنجة وصار ذلك بالبال.

فأما التأويل المذكور المجمعول فيما يأتى من النظر لزيون فى المستقبل فلا بأس به، وأما عدم الرجوع فيما فات منه وبقاء المحميين الخارجة حمايتهم عن القوانين والشروط وكذلك وفق السماسرة ففهم ضرر كبير بين، فإن كان المحيد عنه فهو الأولى، وإن لم يكن فالخير فى الواقع والله المستعان، إنما أشكوا بشى وحزنى إلى الله.

وأما ما صدر من باشدور الطليان فقد كان فى غنى وسعة عن تصديه لهذه الإذابة، الله حسيبه ووكيل عليه، ويده سبحانه فوق يده لأنه لا داعية له لذلك لولا الشهوة والغرض، ولقد كان أعظم فى العين أن يتكلم فيما لا يعنيه ولا نفع عائد عليهم منه، ويسعى فى فتح الأبواب وخرق القوانين والإضرار، والله يعينك ويصلحك ويأخذ بيدك والسلام فى متم رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٧هـ.

العاشر وفيه تنمة الكلام على ما سبق فى الذى قبله وانتهاء أعمال المؤتمر :

«خدیمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، سدّدك الله، وسلام عليك ورحمة

الله وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت قدمت الإعلام به من إتمام أمر النظرىس بعد مشقة، ونهت على محاولتك الاسترعاء على الطليان فى المجلس حيث امتنع من جعل الحد للحماية، وعرفنا أن دولته أجابته بأن يستشير مع باشدورهم بطنجة الذى قدم إلى مدريد، وهو يتم الكلام فى النازلة، وأن وزير الصبنيول تلاقى مع باشدور طنجة وبقى يتردد معه فى ذلك، وإلى أن أذعن للحد وهو إذا خدم أحد من رعية سيدنا أعزه الله خدمة غريبة نادرة الوقوع لجنس من الأجناس فيستحق الحماية، لكن لا تزيد على اثنى عشر، بحيث إذا زاد الثالث عشر فليس محميا عنده عدا اثنى عشر إلى أن يموت واحد منهم .

وعلمنا أن المحميين المقيدىن فى الزمام الخارجىن عن القانون تعذر عليك إسقاطهم ولم تجد له سبيلا، ومن مات منهم يسقط، وحين تلاقيت مع وزير الصبنيول فى ذلك عرضه عليك وبين لك أن ليس فى يدك شىء أكثر من ذلك، ورغبك فى عاقبة المساعدة فجنحت إليها وتمتم الجميع، وتأهبت إلى النهوض إلى طنجة بعد حيازة الكواغد المشتملة على ما جاز فى المجالس الأخيرة ليحمل ذلك كله خدیمنا الحاج عبد الكرىم بريشة عند وصولك إلى طنجة، ويتوجه بقصد المشافهة بما ليس بمكتوب ليتحقق الأمر لجانبنا العالى بالله، وفهمنا أن الأمور خرجت طيبة بعد أن توقعت ما تستغرب السلامة من آفات، حسبما يشرحه الخدیم المذكور، فقد صارت الإشارة منا على بال أصلح الله دينك ودينك، وأحمد مسعاك وأوبتك، والسلام فى ٨ شعبان المعظم عام ١٢٩٧ .

والحاج عبد الكرىم بريشة المذكور فى هذا الظهير الشريف والمتوجه مستشارا فى الوفد للمؤتمر، هو الذى أسلفنا لك سفارته لإسبانيا فى الكلام على العلائق

السياسية مع إسبانيا، وذكرنا لك فى الترجمة الأحمديّة سابقا سفارته لإسبانيا سنة ١٣١٢ لإدخال إصلاحات وتعديلات على الآفاق، وما وقع له فيها وذكرنا غرق البارجة الإسبانية الخصوصية التي أوصلته لطنجة بعد نزوله منها وشروعها فى الرجوع، وقد وقفنا على ظهير سلطاني عزيزى فى التعزية بمصابها رأينا استدراكه هنا قضاء للفوائت ونصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح:

«إلى المحب المفخم . المحترم المعظم . سلطان دولة إسبانيا الفخيمة المعتر، السلطان ألفنس الثالث عشر .

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى لا إله إلا هو المبدئ المعيد، العزيز الحكيم الفعال لما يريد، والدعاء لكم بسلامة النظام، والبقاء بخير على الدوام، فقد اقتضى حق ما بين الجانبين من المحبة، والمودة والصدقة الممتازة والصحة، إعلام رفيع حضرتكم بأنه بلغ لشريف علمنا أن إحدى فلكاطاتكم الحربية ذات الإتقان والرونق والبهجة، لما أنزلت خديمتنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة بثغر طنجة . رجعت منه لحمل عدد كثير من العسكر من قالص فصادفت فى طريقها له أكف الريح أزعجت مياه البحر من وكرها . ونبهت اللجج من سكرها، فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها .

وغلب البحر على الفلكاطة غاية التغلب، بكثرة الهيجان والثوران والتقلب، فلم يظهر لها خبر . ولم يقف لها على عين ولا أثر، وكنا نظن أنها إنما أخذت بالحذر، من ذلك الهول الذى لم يبق ولم يذر، وتسترت ببعض الجهات، عسى أن تسلم من الآفات، وترتقب ورود الخبر بأنها نجت وسلكت، فإذا به ورد بأنها غرقت وهلكت، فساء هذا الخبر وكدر، ووقع منا موقعا عظيما وأثر، وتأسفنا غاية الأسف . على ما أصابها من التلف . وعظم ضياعها ومصاب من كان فيها من النفوس لدينا، حتى كأنها لنا ومن أصيب بها إلينا . لأنكم عندنا من أخص الدول

المحيين، ومن الجيران الملحوظين المعبرين، يسرنا ما يسركم، ويضرنا ما يضركم، ونحب لكم الخير والسلامة، والعافية المستدامة.

وليهون هذا الحادث لديكم، وقوعه لعدد كثير من مراكب غيركم. وعدم اختصاصه بمركبكم. فإن المصيبة إذا عمت، هانت وخفت، وكون الله تعالى حفظ عسكر قاص وحاطه. بعدم الركوب في الفلكاظة، ولا يستبعد وقوع مثل هذا في البحر ولا يتغرب، فالفناء أذى إليه من البقاء وأقرب، داخله مفقود، وخارجه مولود، ومن حل في سفين فكأنه دفين، فلا حل بساحتكم بعد هذا آفات. ولا رأيتم إلا ما يسركم في جميع الأوقات. وختم في ١٩ من شوال عام ١٣١٢.

وإليك نص عقد المؤتمر المجتمع بمدريد مصدرا بإمضاء الحضرة الشريفة له بعد الحمدلة والحوقلة والطابع الشريف بداخله «الحسن بن محمد الله وليه» وبدائرتة: ومن تكن برسول الله نصرته، البيتين. ثم عن يمين الطابع بخط الجلالة السلطانية: حسن بن محمد:

«يعلم من هذا أننا طالعنا ما اتفق عليه نائبنا الأنصح، الخديم الأصلاح، الطالب محمد بركاش مع جماعة نواب الدول الفخماء المحيين بمدريد عام سبعة وتسعين ومائتين وألف تاريخه من الفصول الثمانية عشر المذكورة أسفله المتعلقة بأمور الحماية التي أولها: والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط النجليز. وآخرها: وهذا الوفق سيثبت، وتصفحناها من أولها إلى آخرها وأمضيها، وأوجبنا العمل بمقتضاها، ولا نألوا جهدا في عدم موافقة من رام خرقها ونقضها بحول الله، فأنامر الواقف عليه من عمالنا وولاية أمرنا أن يعمل بمقتضاها. ويقف عند حده ومنتهاه. صدر به أمرنا المعتر بالله في ٢٥ من ذى القعدة عام ١٢٩٧.

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه،

حضرة سلطان المغرب، وحضرة سلطان الألمان ملك البروسية، وحضرة سلطان النامسا ملك أونكرية، وحضرة سلطان البلجيك، وحضرة سلطان الدنمرك، وحضرة سلطان إسبانيا، وسعادة البريطنط المركان، وسعادة البريطنط الربوبليك الفرنسوى، وحضرة سلطنة كرننت بريطن وارلاندة، وحضرة سلطان الطليان. وحضرة سلطان الأنصا، وحضرة سلطان البرتقيز، وحضرة سلطان السويد حيث اعترفوا باحتياج نصوص ثابتة متساوية لإجراء حق الحماية فى المغرب وترتيب بعض القضايا المتعلقة بها عينوا لهذا المقصود فى الجمعية الواقعة بمديرى المفوضين الآتى ذكرهم: حضرة سلطان المغرب الطالب السيد محمد بركاش وزيرها فى الأمور البرانية وسفيرها المخصوص. حضرة سلطان الألمان ملك البروس الكمت ابرهوط دسلمس سنولد، له نيشان من الرتبة العليا من النسر الأحمر من ورق البلوط هو كبالير الصليب الأحمر إلخ، الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان النامسا ملك اونكرية الكمت منويل لدلف من أهل المشورة وله النيشان من الرتبة العليا من ليويلض هو كبالير الأول للمصباح الأحمر إلخ الموجه المخصوص، ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان البلجيك موسى دورند انسيخ فسيال نيشان ليويلض متوجهها المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان إسبانيا ضون انطون كنس دكستيليو كبالير النيشان الأعظم الطيسون المذهب إلخ ووزيرها الأعظم، وسعادة البريطنط المركان موسيوا الخنرال السيس فيرشيل الموجه المخصوص الوزير المفوض قرب الحضرة، وسعادة البريطنط الربوبليك الفرنسوى مسيوليس الميرال جوريس عضو الولى وله نيشان ليجون دنور من المرتبة الثانية إلخ، وباشدور الربوبليك الفرنسوى قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطنة كرننت بريطن وارلاندة المنستر وليونيل سكول ويست الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب

الحضرة الكاثليكية وهو مأمور أيضا بالنيابة عن حضرة سلطان الدينمرك، وحضرة سلطان الطليان الكمت يوسف كربي له نيشان قريس مورسى ولسو من الرتبة العليا وكذلك من المصباح الطليانى إلخ الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان ولانضا موسيو ليجون كيموريس ذى الدوير له نيشان من السبع السلطانى من الرتبة الثانية هو كبلير مصباح البلوط إلخ ووزيرها القاطن قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان البرطقيز الكمت قسل ريبلو شيخ المملكة وله نيشان المسيح من الرتبة العليا إلخ الموجه المخصوص ونائبها المفوض قرب الحضرة الكاثليكية، وحضرة سلطان السويد ونرويكه موسيو نرى اكر من له نيشان واسع من الصنف الأول والرتبة الثانية إلخ وزيرها القاطن قرب الحضرة الكاثليكية. وهؤلاء على مقتضى تفويضهم المعروف فى وجه صحيح ومقبول اتفقوا على الترتيب التى سيأتى ذكرها:

الفصل الأول

والشروط التى تقبل بها الحماية هى المقررة فى شروط الإنجليز والصينيول مع دولة المغرب والوفى الواقع بينهما وبين الفرنسيس والأجناس الأخر عام ١٨٦٣ سوى الترتيب التى ستقع فى هذا الوفق.

الفصل الثانى

ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختاروا ترجماناتهم وخدامهم من المسلمين أو غيرهم، وهؤلاء محميون لا يلزمهم رؤساء المحل جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما هو مقرر فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الثالث

والقناصل ويس قنصلات والاختنطس قنصلات الذين هم رؤساء المستقرين

بإيالة سلطان المغرب لا يمكن له أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزنى واحد ومتعلمين من رعية السلطان إلا إذا احتاجوا كاتباً عربياً، وهؤلاء لا يلزمهم حتى جزية ولا غرامة، ولا ما يشبه ذلك سوى ما رتب فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الرابع

إذا نائب من نواب الأجناس عين واحدا من رعية السلطان اخنط قنصل بإحدى المراسى هذا الاخنط يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين، ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما اشترط فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر، ولكن لا يقدر أن يحمى أحدا من رعية السلطان إلا عياله فقط، وله الحق ليكون عنده مخزنى محمى وبس قنصلات من رعية هذه الإيالة يتصرفون فى وقت خدمتهم فى الحقوق مثل الحقوق التى للاخنط قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس

الدولة المراكشية اعترفت للباشدورات والمنسطورس ونواب الأجناس بالخصوصية التى عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناس لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم دون الأشياخ أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية، مثل العسكر والمخازنية إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم، ولكن لا يقدرون يستخدمون حتى واحدا من رعية مراكش عليه دعوى، ومعلوم أن الدعاوى الشرعية المبديّة قبل الحماية تتم أمام المجالس التى بدئت فيها ولا يجدون مانعا فى وفاء الحكومة، نعم الولاية المراكشية يجب أن يخيروا حيناً بالحكم الصادر للكسيونس والقنصلات أو الاخنطس قنصلات الذين كان منهم ذلك المحمى والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبديّة قبل خروجهم من الحماية فدعواهم يكون الحكم فيها

فى المجلس الذى بدئت به، ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولالة البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

الفصل السادس

أهل المحمى داخلون فى الحماية أيضا وله التوقير والاحترام فى داره، ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره، والحماية لا تورث سوى استثناء واحد فى شأن أهل بن شمون من حيث هو مقرر فى وفق ١٨٦٣، وبهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب.

نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء آخر فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق فى طلب مثل ذلك.

الفصل السابع

نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة لسلطان حين يختارون متوظفا ويدفعون فى كل سنة للوزير المذكور تقييدا اسميا من الأناس المحميين الذين يحمون الاختطس فى إيالة المغرب وهذا التقييد يوجه لولاية البلد ولا يحسبون محميا سوى ما هو مذكور فيه.

الفصل الثامن

والاخذطس يمكنون فى كل سنة لولاية البلد الذين هم ساكنون بها تقييدا مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم والولاية المراكشية يعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها، وينظر هل هى غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة والفسيال القنصلية يجب عليهم يخبرون فى الحين بجميع التبديل الذى يقع فى الأناس المحميين من قنصلاتهم.

الفصل التاسع

المتعلمون والفلاحون والمتوظفون الآخرون من رعية مراكش الذين هم فى خدمة كتاب العربية والترجمات المراكشيين ما لهم حماية، وكذلك المتعلمون والخدام لرعية الأجناس، لكن فولاة المسلمين لا يقبضون متعلما أو خادما لأحد فى خدمة اللكسيون أو القنصلات أو رعية الأجناس أو محمى دون إعلام لحاكم جنسه، وإذا يوجد أحد من رعية هذه الإيالة فى خدمة أحد من رعايا الأجناس قتل أحدا أو جرحه أو هجم عليه فيقبض فى الحين، ويقع الإعلام لنائب دبلمتك أو لقنصل جنسه عاجلا.

الفصل العاشر

لا يقع تبديل فى شىء من أمر السماسرة بما هو مقرر فى الشروط وفى وفق ١٨٦٣ إلا ما يترتب فى شأن الوظائف فى الفصول التى ستأتى بعد.

الفصل الحادى عشر

حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة فى شريعة البلد، وجميع النوازل التى تقع فى هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانية كما هو مقرر فى الشروط.

الفصل الثانى عشر

رعية الأجناس والمحميون الذين لهم الملكية فى الأرضين، أو يكونون اكتروها والسماسرة الذين تكون عندهم الفلاحة يتغنون الزكاة والأعشار وفى كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييدا صحيحا بما يملكونه ويدفعون بيده ما يجب عليهم

من الزكاة والأعشار والذي يشهد بالزور يؤدي ذعيرة مرتين الأعشار الواجب عليه شرعا فى هذا الشئ الذى سكت عنه، وإذا وقع منه هذا مرة أخرى فتشنى له الذعيرة المذكورة، والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الأمور الخارجية للحضرة الشريفة .

الفصل الثالث عشر

رعية الأجناس والمحميون والسماصرة الذين عندهم بهائم الحمل يؤدون ما وجب فى الأبواب والقدر، وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون فى ذلك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس فى طنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة، وهذا القدر لا يزداد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس .

الفصل الرابع عشر

لا يقبل توسط الترجمات وكتاب العربية والمخازنية الذين هم لبعض اللكسينس والقنصوات فى أمور الناس الذين لم يستحقوا الحماية من اللكسينس والقنصوات، إلا إذا جلبوا بيدهم رسما بخط يد نواب الأجناس أو القنصوات .

الفصل الخامس عشر

جميع الرعية المراكشية الذين أخذوا النظرلريس من الأجناس ورجعوا للمغرب واجب عليهم بعد مدة من استقرارهم فيه قدر المدة التى احتاجوها شرعا للحاق هذا النظرلريس أن يختاروا إما أن يدخلوا تاما تحت حكم شريعة الإيالة أو يلزم عليهم الخروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النظرلريس لحقه بإذن الدولة المراكشية والنظرلريس الذى لحقوه الرعية المراكشية إلى الآن على مقتضى الشرائع الجارية فى كل بلد، يبقى مستحفظا فى كل وجه من غير نقص .

الفصل السادس عشر

حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى فى المستقبل والولاية المراكشية لا يعرفون أبدا حماية أخرى من أى وجه كان دون هذه الحماية الخاصة التى اتفق عليها فى هذا الوفق، ولكن إجراء حق حماية كنستدبير وهى الحماية المعتادة تستحفظ فى صورة واحدة لتكون جزءا لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشى لإحدى دول الأجناس أو لأسباب أخر غريبة الوقوع، وكيفية هذه الخدمة ونية جزائهم بالحماية يقدم الإعلام بها لوزير الأمور الخارجية بطنجة ليمنه عند الاحتجاج أن يعرض مراعاته والفصال المتمم تستحفظه الدولة التى وقعت لها الخدمة، وعدد هؤلاء المحميين لا يمكن أن يجاوز اثنى عشر لكل جنس، وهذا العدد المعين هو الأعلى إلا إذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مقتضى العوائد التى أصلحت فى هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعيالهم على السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

الفصل السابع عشر

دولة المغرب اعترفت لجميع الأجناس التى نوابها حاضرون فى هذا المجلس ليجرى لهم جميع التفصيل الذى يعم به لجنس من الأجناس.

الفصل الثامن عشر

وهذا الوفق سيثبت والتثبيات يتبدلون بطنجة فى مدة عن قريب يمكن أن يكون وبرضا مستثنى من الأجناس المتفقة ترتيبه يجرى من يوم ختمه بمدريد، ولثبوت ذلك المفوضون المذكورون وضعوا خطوط يديهم فى هذا الوفق وطبعوا بطابعهم وجعلوا ثلاث عشرة نسخة وحرر بمدريد فى ٣ يليه عام ١٨٨٠ الموافق ٢٤ من رجب عام ١٢٩٧.

ومما يتعلق بالحماية ما كتبه قنصل امريكا بطنجة فى الموضوع بلفظه:

«الحمد لله فسينة الميكان فى طنجة لمراكشة تاريخ ٢٥ أبريل عام ١٨٨٧ سمع قونصو المريكان وأن أناسا ليسوا من جنس المريكان وفى زمان قبضوا حامية المريكان وبسببها عملوا قبيحا لعمال المخزن يظلمون الناس ويأكلون أموالهم بسببهم حمايات والآخرين غير حمايات وهذا بخلاف قوانين دولة المركان.

والآن قونصو المركان يعطى الإذن وأن كل من هو محمى وله ورقة من قبل هذا التاريخ وهو من أول يوم فى يونيو عام ١٨٨٧ لا تنفعه فى ذلك اليوم ولا بعده، ومن هنا إلى الأمام لا تعطى حماية المركان إلا لمن يستحقها ليحصن بها نفسه وماله.

الشروط كما هم مكتوبون أسفله:

كل من هو نائب قنصل دولة المركان فى مراسى السلطان نصره الله يقدر أن يطلب الحماية على ١ مخزنى ١ ترجمان ١ كاتب ٢ متعلمين.

نائب القنصل إذا كان من رعية السلطان نصره الله يقدر أن يعمل الحماية على مخزنى واحد.

كل من مركان أو كمبانية المركان فى البيع والشراء فى سلوع كثيرة داخل وخارج فى إيالة مراكش يقدر أن يطلب الحماية على اثنين سماسير آخرين فى كل دار بالمراسى إن كان لهم فيها بيع وشراء.

هذه التى ستذكر أسفله لابد منها:

١- لابد من له الحماية من المذكورين أعلاه تكون له حين يكتب عليها القنصل فى طنجة لأنه هو الذى يقدر على إعطائها.

٢- لابد التاجر الذى يطلب الحماية على السمسار متاعه يرسل كاغيط باسم السمسار وعدد سنه وكم عدد الخدمة وما هى الخدمة التى يعملها السمسار، ويكون مكتوبا بخط يد التاجر .

٣- وإذا كان الذى يريد الحماية ساكن معه أحد فى داره من أقاربه لابد يذكر أسماءهم وعدد سنهم وما نسبتهم منه .

٤- ولا تكون الحماية لأحد من خدام السلطان نصره الله ولا لمن له دعوة عند الشرع وهو ظالم دون ما ذكرنا على ورقة الحماية القنصل فى طنجة يقدر على إعطاء ورقة فيها فلان هو خادم فلان المحمى، ليكون له التحصين والحفظ لأموال المحمى لا غير، والقنصل يعمل هذا ليحصن الأموال والكسب والحراثة للناس الذين هم من جنس المركان والناس الذى لهم الحماية، وهذه الورقة تعريفا للمخزن بأن فلانا لا يظلم ولا يظلم وإن كان عليه حق لأحد فيدُ المخزن عليه طويلا» .

هذا ولو تتبعنا ما لدينا ما حوته مكتبتنا من الأوراق الرسمية والظواهر المولوية الراجعة للعلائق السياسية بين الدولة المغربية الحسنية والدول الأوربية لجاى فى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله .

وقد أتينا لك أيها المطالع بالنصوص المتبادلة بين نواب الدول الأجنبية ونواب الحكومة الشريفة فى المؤتمرات السياسية والاجتماعات الرسمية على ما فيها من علل التركيب وركاكة الإنشاء وعدم التنظيم محافظة على نص الأصل وعدم تغييره واعتمادا على همة القارئ اللبيب الذى لا تعزب عنه الحقيقة وسترى بقية من ذلك بعد هذا بقريب .

على أننا بذلنا الوسع والجهد المستطاع، واستعملنا ما فى الإمكان لحشر مواد غزيرة فى الموضوع أمام نظر المطالع الكريم، ربما تستحيل عليه مطالعتها فى غير

هذا الكتاب، فيرى مثالا لكيفية ابتداء المخابرة أولا بين الحكومة المغربية والدول الأوربية، ثم المحور الذى دارت حوله تلك المخابرات إلى أن بعثت السفارات وقامت بفصل القضايا المراد فصلها، لا يخفى ما فى ذلك من فائدة إظهار الحقيقة وتفهمها.

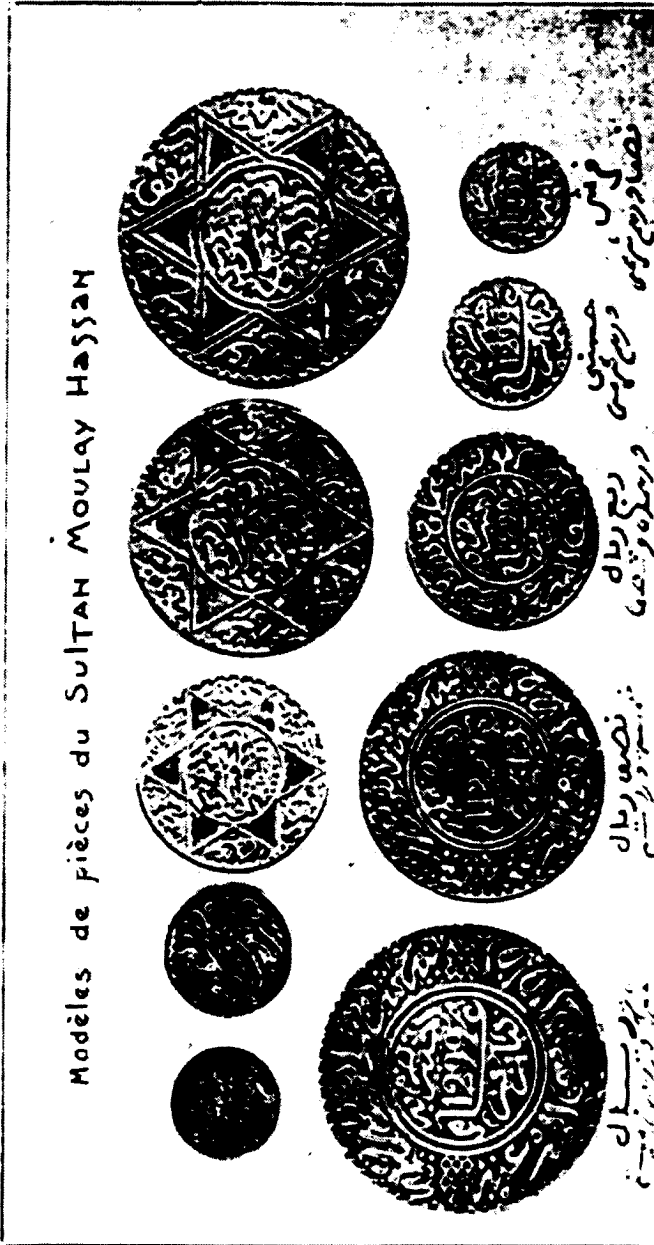
ضربه السكة الحسنية

ومن أهم أعماله وتنظيماته قيامه بضرب السكة الحسنية التى لا زال الناس يتعاملون بها فى بعض أرجاء المغرب إلى الآن حسبما هو مفصل بالظهير المولى الصادر فى ذلك الصدد للنائب السلطانى بطنجة السيد محمد فتحا بركاش، وإليك نصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا فى إيالتنا السعيدة وتكون على كيفية مخصوصة وعمل خاص موافق للشرع، مبنى أصلها على الدرهم الشرعى الذى كان فى أيام جدنا الأكبر مولاي إسماعيل رحمه الله، وجدنا الأقدس سيدى الكبير نعم الله روحه، والمنصور السعدى، وأبى الحسن المرينى، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله جارية على عرف البلد الجارى بين الناس فى المعاملات والزكاة والقسمات والفرائض والبيوعات والشراءات ونحو ذلك، وأن يضرب منها مقدار عشرين مليونا من الفرنك الفرنصيصى.

فأمرك أن تعقد كمنطرتها مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال فى ذلك وترضى ذمتهم ويقبلها باشادور الفرنصيصى بطنجة ووزير الأمور البرانية



النقود الفضية الشرعية الحسنية

بدولته، سواء كان التاجر جراميل بونى الفرنصيصى الذى تقدم الكلام معه فيها بالوسائط أو غيره.

وقد فوضنا لك فى جعل ذلك على يد المخزن أو على يد التجار، ثم إن اقتضى النظر أن يكون على يد التجار فلا بد من موافقة من ذكر وزير الأمور البرانية ونحوه، نعم من اتفقت الآراء على عقدها معه لا من المخزن ولا من التجار حتى التاجر المذكور يكون عقدها معه على شروط: وهى أن يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليوناً من الفرنك المذكورة ريالاً ووزنه عشرة دراهم شرعية يكون مائلاً لريال الفرنصيصى فى المعيار والصفاء، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال ووزنه خمسة دراهم شرعية يكون مائلاً للفرنك الفرنصيصى فى المعيار والصفاء، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب ربع ريال ووزنه درهمان شرعيان ونصف درهم شرعى يكون مائلاً أيضاً للفرنك الفرنصيصى فيما ذكر، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب عشر ريال ووزنه درهم شرعى مائلاً للفرنك المذكور فى المعيار والصفاء، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال ووزنه نصف درهم شرعى يكون كالفرنك الفرنصيصى فى المعيار والصفاء.

وأن يكون طرف هذه السكك مشروطاً وكتابتها من الجهتين على المثال الواصل إليك، وأن يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور، ولم يكن ممنوعاً فى شرعنا، وأن يعين المخزن أو التاجر الذى تعقد معه كمنطردة ذلك نائباً عنه بطنجة يكون يحوز منك المال الذى يوجه لك من حضرتنا الشريفة بقصد الضرب، ويحوز ما يرد منه مضروباً من باريز ويدفعه لك لتوجهه على يدك لحضرتنا الشريفة.

وبعد عده وتقليبه واختباره بالوزن وغيره وقبول الصافى ورد غيره إن وجد وأن يسقط المعقود معه ذلك المطالبة بجميع مصاريف ضرب السكة المذكورة،

وسامح له فى مقابلتها فى الربح الذى يتتج من ضرب العشرين مليونا المذكورة، وأن يسبق له مقدار مليون واحد من الفرنك يشرع منه ضرب السكك المذكورة لثلا يقع تعطيل فى الضرب.

وبعد ضرب التاجر المعقودة معه كنطردة ذلك تسعة عشر مليونا من العشرين مليونا من الفرنك المذكورة، وتوجيهها لحضرتنا العالية بالله يضرب المليون من الفرنك المسبق له ويوجههم لحضرتنا السعيدة على يدك كذلك، وأن يوجه بعد مضى أربعة أشهر من تاريخ كنطردة ذلك التى تعقد على يدك مقدار سبعمائة ألف وخمسين ألفا من الفرنك مضروبا من السكة الجديدة المذكورة ويحوز بدله لويزا أو ريالاً فرنصيصاً أو درهماً أو ارحاء ذهب أو فضة أى نوع تأتى من الأنواع بعضها أو مجموعها، وأنه إن كان بدلها درهماً أو ارحاء ذهباً أو فضة فيذاب ذلك هنا ويصفى على ميزان سكة الفرنانصيص ما يجعل ريالاً على نسبة معيار ريالهم، وكذلك ما يجعل أجزاء الريال على نسبة أجزاء ريالهم، ويشمن الجميع ويدفع نائب التاجر المعقود معه ذلك على يدك موزوناً مثمناً موقوفاً على المعيار المذكور.

وبعد توجيه التاجر مقدار السبعمائة والخمسين ألفاً من الفرنك من السكة الجديدة يكون يوجه مثله كل شهر ويحوز بدله على نحو ما ذكر والسلام فى ١٢ جمادى الثانية عام ١٢٩٨.

وعلى مقتضى ما ورد فى هذا الظهير المولوى انعقد الاتفاق على ضرب هذه السكة الفضية بباريس، ونص ظهير شريف مما أصدره للنائب المذكور فى شأن المليون من الفرنك الذى يسبق لأرباب الضرب بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خدمننا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك لما حللت برباط الفتح بحثت عن مشاهرة النجليز هل توجهت أم لا فوجدتها لا زالت لم تتوجه، وسألت الأمناء هل هي تحت أيديهم فذكروا لك أن ليس تحت أيديهم إلا دراهم تركها الأمين ابن جلون على وجه الحفظ والأمانة، وطلبت إصدار أمرنا الشريف بتوجيهها وتوجيه المليون من الفرنك الذى يسبق لأصحاب كنطرة السكة وصار ذلك بالبال، فأما المشاهرة فميسرة وبمجرد خروجنا من زعير بالسلامة والعافية بحول الله توجه فى الأمان. وأما المليون من الفرنك الذى يسبق لمن ذكر فموقوف توجيهه على الأمينين المكلفين بأمر السكة كما علمت، وقد كتبنا عليهما وأنت بحضرتنا الشريفة، وبمجرد وصولهما أو أحدهما يوجه ذلك على أيديهما ليقبى الأمر مضبوطا فيها على نحو ما أسس والسلام فى ٦ من رمضان عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه فى شأن سبيكة فضة وجهت بدلا من السكة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بوصول الرفقة الثالثة من سبيكة الفضة الموجهة لك بقصد بدل الدفع الثانى من السكة الجديدة السعيدة المبين لك عددها ٦٥٧٩ ووزنها ٤٨، ٤، ٣٤٥٠ صافيا من الطارة بميزان النجليز وحياسة أمينى السكة لها واختيارهم عددها ووزنها، فألفوا عددها موافقا ووزنها هناك بميزان نجليزى محقق ناقصا عن وزنها هنا المشار إليه بثلاثة وثلاثين رطلا وأربع عشرة أوقية وستة أثمان الأوقية حسبما بجوابهم الذى وجهت.

وأنت لا زلت فى انتظار جوابنا الشريف بما يكون عليه العمل فى السكة المذكورة، لكون نائب أصحاب كنطرة السكة وجه لك على يد نائب الفرنصيص الاسترعاء الذى وجهت، فقد توجه لك الجواب عن ذلك أولا فى أواخر المحرم، وثانيا فى الخامس من شهر تاريخه بأن تثمان السبيكة المذكورة بسبعة عشر ريالا

للرطل فيه بخس لكونها مصنوعة من الدرهم، والشروط المعقودة مع أصحاب الكنطرة فيها دفع بدل السكة الجديدة لويزا أو ريالاً فرنكاً أو درهماً أو أرحاء ذهب أو فضة، وبأننا لما علمنا أن هذه السكة تسلك في أجزاء الريال الشرعي ويحصل فيها الربح لهم لكون عيارهم أحسن من عيار الفرنك المشروط بمثلة عيار الأجزاء المذكورة له، تركنا التعرض لثمنها، ولو علمنا أنها لا تسلك وعيار الفرنك أحسن منها لأشرنا عليك ببيعها بالثمن الذي تقبله فيها بحيث إذا ساوته فذاك وإلا فتردد بأن تتكلم مع نائب أصحاب الكنطرة وتعرفه بذلك وتسايس معه، حتى يحوز السيكة المذكورة بثمن الريال الفرنك ويصوغها أجزاء الريال الشرعي، بحيث لا يقع فيها كسر، لأن هذا القدر منها بالنسبة للعدد الذي يضرب سكة جديدة كلاً شياً.

وحتى إن طلبوا الأجرة على صوغها أجزاء حيث ربحه قليل، فتعطاهم ارتكاباً لأخف الضررين، على أنه لا ضرر عندنا فيه لا من جهة الصرف ولا من جهة الشروط حيث عياره موافق لعيار بعض المسكوك الذي في الشروط، وفي المستقبل يوجه لهم غيرها، أو تتفاوض معه في ضربها أجزاء الريال الشرعي زيادة على العدد الذي عقدت معهم الكنطرة على ضربه بحيث يضربونها على حداثها ممتازة عنه بأجرة مناسبة.

وإن قبل منك أحد الأمرين المذكورين فذاك، وإلا فالأمناء يوجهونها لبيت المال عمره الله بفاس على يد أخيها مولاي إسماعيل وتطالع علمنا الشريف بذلك ليوجه لك بدلها، وأمرناك بأن تنظر أنت وأميننا السكة في ذلك وما ظهر لكم فيه المصلحة فيه العمل، وبأن العمل في وزنها على ما حققوه هناك حيث الذي هنا غير محقق، فامض على ذلك سددك الله والسلام في ١٧ من صفر عام ١٢٩٩هـ.

ونص الرد الشريف على جواب النائب عن الكتاب المذكور:

«خديمتنا الأَرْضِي الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد؛ وصل جوابك عما كتبناه لك في شأن سبيكة الفضة الموجهة على يدك لطنجة وفي شأن المائة والخمسة والعشرين درهما الموجهة لك لتدفعها لأميني السكة، وتبين لهم أن الريال الشرعي فيه عشرة منها، وذكرت أنك بصدد توجيهها لهم وإعلامهم بذلك، ونهت على أن السبيكة المذكورة إذا خرجت من طنجة قبل ورود بدلها يكون بدل الدفع الأول والثاني من السكة الجديدة لا زال لم يرد مع فوات وقته، وأنه حيث حصل الضيق في المحل بها تأذن للأمينين المشار إليهما في توجيهها لأمناء بيت المال بفاس ليفرغ محلها، وحيث تقع الموافقة في قبولها تطالع علمنا الشريف لنامر بردها لطنجة.

وطلبت إصدار أمرنا الشريف لأميني السكة بحياسة دفع السكة الجديدة بعد عدّه ووزنه وتقليبه ليفرغ محله، وعلمنا ما أشرت إليه من تأخير استعمال السياسة مع أصحاب الكنطرة في حيازة السبيكة المذكورة إلى تمام نحو النصف أو الثلثين من العمل، وحيث تستعملها معهم، وإن قبلوها فذاك، وإلا فتخاطبهم بالأجرة حسبما أشرنا، ومن توجيهه البديل عينا عن جميع ما ورد من السكة الجديدة ليرتفع لهم الإشكال ويقع الدفع والقبض، كما علمنا ما ذكرته من أنك كنت وجهت الأمثلة الموزونة من الفضة الموجهة لك من حضرتنا الشريفة، لمخزن الفرنصيص لتدفع لكبير دار السكة، ويكون العمل عليها في الوزن، وإن كانت الدراهم ١٢٥ المذكورة موافقة لها في الوزن فذاك، وإن كان بينهما خلاف فلا حجة عليهم لأنهم شرعوا في العمل على الأمثلة المشار إليها، وإن خالفوها فالحجة عليهم، على أنهم لا يخالفونها ولا تأتي السكة إلا على مثالها.

فأما ما ذكرته من أنك بصدد توجيه الدراهم المذكورة لأمينى السكة وما نهبت عليه فى شأن خروج السبيكة من طنجة قبل ورود بدلها فصار كله بالبال .

وأما ما أنت بصدده من الإذن لأمينى السكة فى توجيه السبيكة لأمناء بيت المال بفاس، وما طلبته من إصدار أمرنا الشريف لهما بحيازة البدل الجديد بعد عده ووزنه وتقليبه، فقد أجبناك عن ذلك فى غير هذا .

وأما ما أشرت إليه من تأخير استعمال السياسة معهم فى حيازة السبيكة المذكورة علمناه ومن توجيه البدل عينا عن جميع ما ورد من السكة الجديدة فقد وجهنا لك ثلاثمائة ألف ريال من قبل بدل الدفع الثالث والرابع من السكة الجديدة، ومائتين ألف ريال من قبل بدل العدد من السبيكة المذكورة الموجه لك بقصد بدل الدفع الأول والثانى من السكة الجديدة، والمائة ألف ريال الباقية لكمال بدل السبيكة المذكورة فى الأثر تصلك، وقد قدمنا لك الكتابة بهذا .

وأما ما نهبت عليه فى شأن الأمثلة المذكورة، فقد أحسنت فى التنبيه عليه أصلحك الله، وتلك الأمثلة كنا اتكلنا فى تحقيق وزنها بميزان الدرهم الشرعى على من لهم معرفة بذلك من جهة الشرع ومن جهة الوزن، فإذا به لما نهبت عليها أمرنا الأمناء والقضاة والفقهاء بإعادة وزن نظير الأمثلة المشار إليها الذى كان بقى بحضرتنا الشريفة، فألفوا ناقصا من مثال الريال نصف درهم شرعى، ومن مثال نصف الريال ربع درهم شرعى وربع ربه، ومن مثال ربع الريال ثمن درهم شرعى، ومثالا الدرهم الشرعى ونصفه ألفوهما موافقين لوزن الدرهم الشرعى ونصفه، وقد أجبناك عن ذلك فى غير هذا صحبة خديمتنا الأمين الطالب بناصر غنام والسلام فى ٢٥ من صفر عام ١٢٩٩هـ .

ونص ما أصدره فيما يتعلق بالسكة المضروبة على أمثلة غير محققة الوزن:

«خديمنا الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل كتابك وبطيه جواب نائب أصحاب كنطرة السكة لك بأنه ضرب الطلكراف لأصحاب الفبركة بتوقيف ضرب السكة إلى أن توجه لهم الأمثلة المحققة الوزن، وتوقف فيما هو مضروب منها، ولا زال بباريز قبل وصول الطلكراف لهم، كما توقف الأمناء فى حيازة ما هو تحت يده بطنجة ودفع بدله لكونك كنت وجهت لهم نسخة من كتابنا الشريف المذكور وفيه: أن ما كان على الأمثلة التى كانت وجهت لك قبل، يحاز على مقتضى الشروط، وذكروا لك أن الأمثلة المذكورة ليست تحت أيديهم ليحوزوا على مقتضاها، فبينت لهم الميزان الذى كنت بينته لجانبنا العالى بالله، وأذنت لهم فى الحيازة، ودفع البدل وأجبت النائب المذكور عما توقف فيه من السكة المضروبة التى لازالت بباريز بأن أمرها متوقف على اطلاع علمنا الشريف به .

وبأنك أذنت الأمناء فى حيازة ما هو منها بطنجة ودفع بدله، وصار ذلك بالبال .

فأما تبينك الميزان للأمناء وإذنتك لهم فى الحيازة ودفع البدل فالعمل عليه، وأما السكة المضروبة التى لازالت بباريز فإن كانوا يقبلونها مشاهرة تدفع لهم أو تدفع لهم على نحو ما يقع به الفصل عما هو منها بطنجة، لأن دفعه من هناك على كلا الوجهين أولى من توجيهه لطنجة ورده من وجوه التى من جملتها المصاريف والسلام فى ٢٢ من ربيع الأول النبوى عام ١٢٩٩هـ .

ونص ما كتبه فى توجيه السكة الجديدة للحضرة الشريفة وما يتعلق بذلك:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: وصل كتابك بأنك أجت جانبنا العالى بالله عما أمرناك به من توجيه ما كان ورد لطنجة من السكة الجديدة الأولى صحبة المخازنية الموجهين لك للإتيان بها بما فى النسخة التى وجهت بحرا لتكون على بصيرة فيما ذكرته فيها ريثما يصل المخازنية لحضرتنا الشريفة بأصلها برا، فقد وصلت، وعلمنا ما ذكرته فيها من أن كتابنا الشريف كان وصلك مؤرخا بالعشرين من صفر الماضى بأن تأذن لأمينى السكة فى حيازة ما ألفاه الحال وصل لطنجة من السكة الجديدة على نحو الشروط المعقودة مع أصحاب الكنطرة، فأذنت لهما فى حيازة ذلك فحازاه ودفعنا بدله غير أنه حيث كان بصدد الرجوع لباريز بأمرنا الشريف الصادر لك بدفعه لنائب أصحاب الكنطرة فى المشاهدة على حكم الشرط المقرر فى ظهيرنا الشريف المعقودة الكنطرة على مقتضاه، وإن لم يقبله تتفاصيل معه على ضربه بأجرة مناسبة مع عجز أمينى السكة عن التدقيق لعدم معرفتهم به لم تقع مبالغة فى التدقيق لكونها بصدد الرجوع، واكتفاء بما ذوقه خديمنا الأمين غنام بطنجة منها، ومن الفرنك الفرنصيصى فوجد عيارها أفضل من عيار الفرنك بشيء تافه وأنك وجهت لحضرتنا الشريفة الدراهم التى كانت وردت فى سكة أنصاف الريال وقدرها ٢٨٠٠٠٠ مائتان ألف ريال وثمانون ألف ريال فى صناديق ٢٨٠ ميزان ما بداخل كل صندوق منها بميزان الفرنصيصى سبعة وعشرون كيلو وستة وثمانون اكرام يجب فى ميزان الجميع سبعة آلاف كيلو وخمسمائة وأربعة وثمانون اكرام وهو ميزان الريال ١، ٣٠٣٦٣ الذى دفع أمينى السكة فى بدل ذلك حسبما هو مبين فى كتابهم لك الذى وجهت.

وطلبت تقليب ذلك هنا وتذويقه، وإن وجد غير موافق للفرنك الفرنصيصى نعلمك لتكلم معهم فى رجوع ذلك وتبديله، ولا يكون فى حساب المشاهرات أو ضربه بالأجرة، ويكون من حساب الكنطرة، وأن الحال اقتضى أن لا تحرك ساكنا

فيما هو مضروب من ذلك ولا زال بباريز حتى يقدم نائب أصحاب الكنطرة من سفره لكون نائبه بطنجة يسالك كل يوم هل ورد جوابنا الشريف عن المائة والستين صندوقا من السكة المعادة فتسوفه إلى أن يرد عليك جوابنا وصار ذلك بالبال .

أما عجز الأمانة عن التدقيق واعتذارهم بعدم معرفته حيث هو من شغل المعلمين الصواغة فلا مفهوم له، إذ هو روح عملهم ومركزه، وعليه مداره، وهو أول شرط في خدمتهما بل معتمد شروطهما، إذ ليس كل من أمن على شيء يكون هو حرفته بل تكون عنده الملكة فيه حتى لا تتمشى عليه حيل أهل حرفته فيه وما وجهوا لهنالك إلا بقصد ذلك، وإلا فالعد والقبض والدفع يعرفه كل أحد، ومن كلف به يقوم به .

وأما مثال أنصاف الريال من السكة الأولى الذي كنت وجهت، فقد ذوق هنا على يد المعلمين ثلاث مرات، فخرج مائلا للفرنك الفرانصيصي من غير زيادة ولا نقصان، ولم يوجد أفضل من عيار الفرنك المذكور كما ذكر الأمين غنام .

وأما المائة والثمانون ألف ريال من أنصاف ريال السكة الجديدة التي وجهت مع المخازنية الذين ذكرت فلا زالت لم تصل، وحيث تصل تجاب عنها .

وأما ما ذكرته من أن الحال اقتضى أن لا تحرك ساكنا الآن لما بقي من السكة بباريز لأجل ما ذكرته، فلا بد من توجيهه لحضرتنا العالية بالله كما قدمنا لك به أمرنا الشريف، إذ لا معنى لإبقائه بباريز، وإلا يحسب عليهم في المشاهرة، فعجل بالجواب عنه بأحد الأمرين .

وأما المائة والستون صندوقا من السكة المعادة، فقد قدمنا لك الجواب عنها في أوائل شهر تاريخه بأن تأذن لأميني السكة في حيازتها بعد التقلب الذي

تقتضيه الشروط، ودفع بدلها من السبيكة التي تحت يديهما، وتوجيهها لحضرتنا الشريفة فالعمل عليه والسلام في ٢ من ذى القعدة عام ١٢٩٩».

وإليك ما أصدره للنائب المذكور في شأن ضرب الفلوس وأمثلتها ووزنها وأنواعها:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد كنا وجهنا لك أمثلة من نصف الفلوس ١ والفلوس ٢ والفلوسين ٣ والأربعة افلس ٤ والموزونة ٥ وأمرناك بأن تجعل أمثلة عليها محققة الوزن على نسبة خمسة وعشرين ٢٥ ربحا في المائة فقط وفق ما كنت أشرت، وزدناك هذا تذكرة وتأكيذا في ذلك، وعليه فعجل بجعلها واجلب من كل مثال منها من بلاد البلجيك أو غيره نحو الخمسة والعشرين مثالا متقنة التقطيع محكمة الوزن على نسبة الربح المذكور لا نقش فيها ولا تاريخ عدى ميزان ما في كل مثال منها من الاكرام أو السنطيم فينقش في أحد وجهيه، ووجه ذلك واصلا لحضرتنا الشريفة لتقطع الفلوس على ميزانه وتجعل له الطوابع هنا، ويشرع في ضرب الفلوس لكون الناس في شدة الاحتياج إليها للمصارفة، ونحن نتظر منك ذلك يمسى أو يصبح، وعليه فقدم شغله على كل شيء ولا بد والسلام في ١٩ شوال عام ١٣٠٠».

ونص ما بعثه للنائب في مسألة الريال الناقص الوزن:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن أصحاب كنفذة السكة أخبروا بأن الثمن الذي يقبلون به عيار سكة الريال الناقص الوزن هو مائة وأربعة وستون فرنك للكيلو

يجب فيه كسر ٧٠، ٢، ١ ٣٢٧٠ اثنان وثلاثون ألف ريال وسبعمئة ريال وريال وفرنكان وسبعون سنطيمًا وفي كسر أنصافه بسوم مائة واثنين وخمسين فرنك ونصف فرنك للكيلو ٨٠، ٣، ٩٤٩٩١ أربعة وتسعون ألف ريال وتسعمائة ريال وواحد وتسعون ريالًا وثلاثة فرنك وثمانون سنطيمًا الجميع ٧٠، ١، ١٢٧٦٩٣ مائة ألف ريال وسبعة وعشرون ألف ريال وستمئة ريال وثلاثة وتسعون ريالًا وفرنك وسبعون سنطيمًا.

حسبما هو مبين في تقييد أميني السكة الذي وجهت وذكرت أن هذا باعتبار سوم الفضة الآن، ويمكن أن يزيد أو ينقص في وقت الدفع بشيء يسير وصار ذلك بالبال، وقد قبلنا دفعها لهم بالسومين المذكورين فادفعها لهم حيث يحل أجل دفعها على القاعدة من دفع البدل وحياسة المبدل منه يدا بيد بالعد والوزن والتدقيق، ولا تنتظر تمام الكلام في شأن قبول دولتهم روجان السكة التي أرادوا ضربها بإيالتها ليجدهم الحال إذا لم تقبل ذلك دولتهم قبلوا تلك المشاهرات ٤ وضربوها على نحو السوم الذي تفاصلت به معهم، وتكفي كلفة مدة تعطيل آخر وتسقط، وإذا قبلته تقبض منهم المشاهرات المذكورة مضروبة ريالًا من النوع الذي طلبوا ضربه، وتختبر وتدفع لهم في مشاهرتهم، ولا يلزم فيها كسر ولا أجره ضرب حسبما اتفق عليه معهم الخديم الزبدي والسلام في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١.

ونص ظهير شريف آخر:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأن السداد الذي ظهر للخديم الزبدي في شأن السكة فيه ترك الكسر وربح ثلاثة في المائة ومصالحة ثانی لتجار هذه الإيالة، توجيه تلك

السكة لبر النصارى فى ثمن السلع البحرية، لأنها إذا كانت مساوية لسكة الفرنضيص وزنا وعبارا مقبولة بإيالتها تكون مقبولة فى إيالات أخرى مثل سكتة، ولم يظهر لك فى ذلك ضرر، إلا أنه لابد من استفهام دولة الفرنضيص أولا هل تساعد على قبول روجانها بإيالتها أم لا؟ وصار ذلك بالبال .

وحيث كان لا ضرر فى السداد المشار إليه وفيه المصلحة التى بينت، فقد ساعدنا عليه على نحو ما عمله معهم الخديم الحاج محمد الزبدي من ضرب العشرة ملايين من الريال وأجزائه، الريال على وزن ريال الفرنضيص، وعباره وأجزاؤه على وزن أجزاء الريال الفرنضيصى وعبارها فى اسم المخزن ودفعم من عندهم جميع ما يلزم لذلك من شراء الفضة وطوابعها وصواترها وخدمتها ولا يلزم جانب المخزن شىء من الأشياء التى تتعلق بها لا ما قل ولا ما جل .

وطلب المخزن من دولتهم ضرب العدد المذكور بمحل ضرب سكتهم بباريز وقبول المصارفة بها فى إيالتهم وإعطائهم للمخزن ثلاثة فى المائة، وتقديمتهم له نصف ما يجب فيها وهو مائة وخمسون ألف ريال عند شروعهم فى العمل، وإسقاطهم جميع ما يطلبونه من الضرر والانطريس بسبب تعطيل المشاهرات، وإتيانهم بما يضربونه منها كل شهر لشجر طنجة ويوضع بيت مالها ويحسب على يد الأمناء على القاعدة وبعد تسليمه يرد لهم يتوجهون به لبلدهم ويتصارفون به مع التجار إلى أن يتم العمل، ولا يلزم جانب المخزن شىء وضربهم السكة الناقصة الوزن من نوع الريال الذى يطلبون ضربه ولا يلزم المخزن فيها كسر ولا أجرة ضرب، وإتيانهم بها بعد ضربها بقصد الاختبار ثم تدفع لهم فى مشاهرتهم ويضربون النصف من العشرة ملايين ريالا أو أكثر، عدا ما ذكره الخديم المذكور من كون روجان هذا الريال الذى يضربونه يكون بثمانية دراهم وثمان .

فإن أمكنك إسقاطه من الكنطرة فهو الأولى، لأن وزن هذا الصرف اختبر

فنقص عن وزن الفرنك بنصف درهم غير جزء من أربعين جزءا، أو تعقد الكنطرة على روجانه بما فى وزنه من الدراهم.

نعم ارتكب الحزم وانتهد الفرصة فى دفع الأربع مشاهرات من السكة الناقصة الوزن لهم على قاعدة دفع المشاهرات، ثم باشر أمر قبول دولتهم لروجان تلك السكة بإيالتها، بحيث إذا قبلته تقبض منهم المشاهرات الأربع على الكيفية المذكورة أعلاه، وإذا لم تقبله يجدهم الحال قبلوها وضربوها على نحو السوم الذى تراضيت معهم عليه وقبلوه فقد وافقنا عليه، وتكون كلفة مدة تعطيل آخر سقطت والسلام فى ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١.

ونص ما أصدره للأمين السفير الزيدى فيما وقع من الكلام مع سفير إنجلترا فى شأن سكة النحاس:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزيدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بآنك لما تلاقيت مع باشدور النجليز تكلم معك فى شأن سكة النحاس التى كان تكلم فيها وهو بحضرتنا الشريفة، وذكر لك أننا أمرناه بالمذاكرة معك فى ذلك وأطلعك على كناش صغير بعض أوراقه مطبوعة بسكك الأجناس النحاسية، مظهرا أن تلك السكك كلها مضروبة عندهم فى فبركة مخصوصة، وأنه تكلم مع صاحب تلك الفبركة ومع أرباب السلف باللندريز، وطلب منك أن تتلاقى مع نائب أرباب السلف الذى بطنجة فسوفته، وظهر لك عدم الملاقاة به والتوصل إن وجدت السبيل لذلك، وأعلمت بهذا لنكون منه على بال، وحين ترجع لحضرتنا الشريفة تشافه بما ظهر لك فى ذلك وصار ذلك بالبال والعمل على ما ظهر لك فى ذلك والسلام فى ٤ صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه الحاج السلطاني للزيدى المذكور فى مفاوضته مع نائب
سفير فرنسا فى شأن السكة:

«محبنا وأمين سيدنا الأعز الأرضى السيد الحاج محمد الزيدى، سلام
عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك تلاقيت مع خليفة باشدور الفرنصيص
شارل اكار فى شأن السكة عملا بما قدمناه لك من الإذن الشريف فى ذلك،
وتفاوضت معه فى ضربها على ثلاثة أصناف بين ذهب وفضة ونحاس.

وبعد أن تأملت فى أمرها وخضت معه بالقاعدة فيها والوجوه التى لا بد من
الكلام فيها، ظهر لك أن ضربها متعين من وجوه بينها، وأن الربح فى ضربها
الآن ظاهر لبيت المال فى الحال والاستقبال.

وقيدت ما دار بينكما فيها فى ورقة خاصة وجهتها ووجهت التقيدين
المتضمنين للوجهين فى عقد الكنطرة فيها أحدهما بما يجب لجانب سيدنا أيده الله
وعليه فيها والثانى كرجة لا يعرف سيدنا أعزه الله إلا السكة، وما يجب لسيادته
من الربح من غير شىء يلزمه ووقع اختيارك على الوجه الثانى لما فيه من السلامة
والدفع يدا بيد، بحيث لا نقدم لهم من عندنا مالا ولا يلزمنا فى توجيهه ولا على
ما يأتى من عندهم مضروبا صوائر، وتقديم الربح أولا.

وذكرت أن ذلك تيسير من الله بسعادة سيدنا نصره الله نعم ذكرت أن
الدرهم المضروب عند سيدنا أيده الله لم يقبله لأجل تلك الزيادة الزائدة فيه على
عيار افرانصة وغيرها من الأجناس، فقد أطلعنا بذلك كله علم مولانا نصره الله
فتأمله واختبره ورأى أيده الله عدة ما تضمنه من الملايين، فقال أعزه الله: وجود
الشرط وهو عدة الملايين مفقود فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط والمقصود هو

صوغ الدرهم والحلى الموجود تحت اليد هنا ريبالا وسكة مختلفة شيئا فشيئا، ومع طول المدة يوجد العدد المذكور بحول الله من غير شرط ولا حصر، هذا جوابه نصره الله بلفظه الشريف وعلى المحبة والسلام فى ٤ ربيع الأول ١٢٩٨ .

أحمد بن موسى لطف الله به .

ونص ما كتبه سفير الانجليز للزبيدى فى شأن السكة النحاسية التى أراد السفير أن تضرب ببلاده الانجليزية فأحاطته الحضرة الشريفة على خديمتها المذكور، والكتاب بنصه ولفظه وقد أمضاه بخطه العربى، لأنه كان يعرف العربية .

«إلى الخديم النصيح للحضرة الشريفة الأمين الرضى المحب السيد الحاج محمد الزبدي، إنا نسأل عنك ومحبة أن تكون بخير وعافية وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، بدوام الخير وتمام العافية .

وبعد: فوقت كنا فى الحضرة الشريفة فى إبان الربيع الفارط كنا أطلعنا العلم الشريف بالضرر الصادر للعامه فى رواج سكة النحاس القبيحة التى كل واحد قادر على تزويرها، ويسعى بذلك الربح لنفسه، ويركب أخلاطها كمثل ما يجعله المخزن، فهذا التدويب لهذه السكة النحاس يجعل فى بعض المواضع والصراف فى كل يوم فى الزيادة، فبيت المال والتجارة وأهل الإيالة يصدر لهم الضرر الكثير من ذلك، فقد كنا أشرنا على السلطان أيده الله يجعل أن تضرب فبريكة سكة النحاس فى مدينة برمنك هام، كما جعل ذلك دولة كريت ابريطن، وكثير من دول الأجناس .

فنطلب أن يجدد النظر فى التقييد الذى مكناه للحضرة الشريفة فإن السلطان أيده الله كان أجابنى بأنه استحسن نصيحتنا وعزم على العمل بمقتضى إشارتنا وقت الإمكان وذكر لنا اسمكم بأنكم أنتم إن شاء الله مكلفون بتأمل هذا الأمر . . .

فوقت كنا فى بلادنا وقصدنا تمكنا بزيادة الإعلام فى هذا الأمر، لنعلم بذلك السلطان أيدى الله توجهنا بأنفسنا لمحل فبركت مصرص هيلى فى المدينة المذكورة، ونظرنا إلى الأشغال الكبار التى فىها ألوف الخدامين... فأرباب السلف مستر فلمنك ونائبهم مستر سميد هنا كانوا مشوا معى إلى المكان المذكور، فنظرت إلى سكة النحاس والفضة التى تضرب ح والتى ضربت لبعض من دول الأجناس، ونظرنا شهادات تلك الدول المقررة بأن ذاك أتى على وفق مرادهم لفبركت مسز مستر هيلى المذكور، وكنا تحققتنا من جميع ما نظرنا وما سمعنا وما أخبرنا به أن هؤلاء أرباب الفبركة المذكورة الذين هم أهل ثروة وأهل أموال كثيرة هم أهل ثقة وصدق، ومروءة تامة كما تشهد بذلك دولتنا وغيرها، ورب الفبركة مستر هيلى أخبرنى أن مستر فلمنك الذى من أرباب السلف هو نائبهم وحيث مستر سميد الذى هو مستقر هنا هو نائب أرباب السلف وله الإعلام التام فى هذه القضية وبميدى كناش متولى السكة مع شهادات من بعض السلاطين والدول الذى مراده يمكن لك ذلك لإعلام السلطان أيدى الله، فنطلب منكم رفعه للسلطان أيدى الله، وتخبر جانبه الشريف أن هذا هو بمطلوبنا ومرادنا به خيرى أيدى الله، وتذكر لسيادته أنا طلبنا منكم الملاقات بهذا نائب الفبركة المذكورة فى غد فى السعة عشر من النهار بقصد الإعلام لسيادته بصحة الخبر وثمره هذا الأمر المهم... ونطلب منكم لما ترفع هذا الأمر للحضرة الشريفة تجاوبنا بما اقتضى نظره فى ذلك... فترجمان هذا اللكاصيون فى الأمور السرية مستر هارون امنسور يصحب مع مستر سميد المذكور... وحيث سمعنا بأن قصدك ترجع للحضرة الشريفة نريد نجدد لك كتابة ما به طابت نفسنا وفرحت له من كونك عينك السلطان لفصال أمور الحسابات فنحن محققون بنصيحتك فى الخدمة الشريفة لكمال عقلك وثمره تدبيرك.

والحمد لله الذى تفاعلت الأمور فى شأن الحسابات بالجد والحق كما مراد
الجانبيين، فالحمد لله على ذلك حيث لم يبق تعليق فى الحسابات الذى كان يحصل
الغيار لأهله ولدولتنا أيضا والسلام فى ٢٠ مارس عام ١٨٨١ موافق ١٩ ربيع
الثانى عام ١٢٩٨ .

جان هى در منض هى» .

ونص ما كتبه الوزير الأكبر الجامعى للزبيدى فيما كان يدور من الكلام فى
أمر السكة مع نائب سفير فرنسا:

«محبتنا الأرضى الأمين السيد الحاج محمد الزبيدى، سلام عليك ورحمة الله
عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فأمر السكة الذى كان يدور بيننا وبين نائب باشدور الفرنضيص، كنا
بصدد المفاوضة فيه فى عشية اليوم، فإذا بك حيث لم تطلع لدار المخزن لم نتبعك
بالتوجيه عليك ودفعتنا الظهير الذى يطلبه النائب للكبانية فى ذلك والزمم الراجع
لها لسيدى مأمون، وشافهناه بما ينهيه إليك فى ذلك فنحبتك بارك الله فيك أن
تتقصى الأمر فى ذلك وتمعن النظر فى أحوال ذلك، وما ينبى عليه حالا ومآلا،
فإن أمكنك الطلوع بكرة غد فى الخامسة ونصف ومعك ما نشفى به الغليل فى
ذلك فهو المراد، وإلا فوجه ذلك فى الوقت المذكور لدار المخزن ليدنا ولا بد بارك
الله فيك، وعلى المحبة والسلام ٢٤ جمادى الأولى عام ١٢٩٨ وذلك عن أمر
مولانا نصره الله .

محمد بن العربى خار الله له» .

ونص الكتاب السرى الذى وجهه سفير الإنجليز للزبيدى فيما بلغه من ضرب
السكة النحاسية بفرنسا مع أولوية بلاده بالقيام بذلك وما وصله من خرق الترجمان
الفرنسى لمعاهدة مدريد ببيعه الحماية ليهود مكناس:

«خديم الحضرة الشريفة الفقيه المحب الأمين النبيه الرضى السيد الحاج محمد الزبدي، إنا نسأل عنك غاية ومحبة أن تكون بخير وعافية مع السلام التام.

وبعد: فقد أخبرنا بوجه السر أن ترجمان الفرنضيص الذي هو الآن بالحضرة الشريفة خاطب بأن يسلف من جهة دولة الفرنضيص عددًا من المال ليجعل بها سكة النحاس بافرانصة، لكن السلطان لم يقبل ذلك فإذا السلطان أيده الله يفعل ما كنا أشرنا به في سكة النحاس فمنسطر الفرنضيص أو الترجمان أشاروا بذلك، فجوابهما قريب، وهو أننا كنا أشرنا بهذا هذه مدة سنين، وحتى إن ذلك كان منا للسلطان المقدس وجددناه للسلطان مولاي الحسن مدة كنا بالحضرة الشريفة هذه مدة من عام فعليها نحن الأولى بذلك الظاهر لنا أن هذه الإشارة ليس هي من جهة دولة الفرنضيص، وإنما هي من كبانية للفرنضيص الذين يريدوا يسلفوا المال لكي يربحوا في هذه الفدلكة فالكبانية الانجليزية التزموا أن يجعلوا مثل ذلك للسلطان

فحتى الفرنضيصي بمرسيلية مستر اسميط يجعل له القوالب لذلك كما تجدوه في ذلك الكناش الصغير، ويجعلوه أرخص وأرفق من إيلات أخر بحيث نحن تكتبوا لك هذا الكتاب سرا نريد نزيدوا لكم لإعلام السلطان أنه وصل خبر هنا أن ترجمان الفرنضيص سائر يبيع الحمية ليهود مكناس، فإذا فعل ذلك فهو خرق للشرط السادس عشر من شروط مدريد الذي نصحب لكم نسخة منه.

فاذكر للسلطان أيده يجعل جهده ليفضح هؤلاء الناس الذين يطلبون الحمية ويحضرهم لدى العامل وقت خروج الترجمان الفرنضيص من هناك وحين يذكروا أنهم حمية الفرنضيصي يسألوا عن السبب الحامل لهم لذلك، وحين يستظهروا بالكواغض فإن وجدوا تاريخ ذلك بعد الاتفاق بمدريد في شهر يوليوز من السنة الماضية، فتحاز منهم ويوجهوا بها للفقيه السيد محمد بركاش مع شكاية من ذلك

الفعل، نعم إلا إذا كانوا سماسير معينين من التجار... فهؤلاء الناس ح لا تكن لهم عقوبة ولا ضرر إلى فصال القضية...

فإذا هذا الترجمان الفرنصيص أعطى كواغيض الحمية فهو قد خرق الشروط ويستوجب العزل من دولة الفرنصيص بأن تصدر الشكاية به، فلا بد أن السيد محمد بركاش أن توجد منه زعامة ليفضح هذا ويورى ويظهر هذه الكواغض للغير... فالتاس الذين بيدهم هذه الكواغض لا بد أن يلحقهم لا تهديد ولا ضرر قط...

فقد سمعنا أن الترجمان الفرنصيص ذكر بأنه محب على وجه السر لدى البرزذنت ولغيره من كبار الفرنصيص فهذا هذيان وإفك، نعم إنما هو قائد بزمام المنسطر الفرنصيص فعلها يستطيع أن يفعل ما يريد...

فهذا الكتاب لا نجهه يقع بيد أحد إلا بيد السلطان أيده الله... فيمكن أن هذا الخبر الذى وصلنا أنه غير صحيح لكن على كل حال ظهر لنا أن نعلم به السلطان على وجه السر... بقى إلى الآن لم يرد شىء من مال السلف، فمن اليوم إلى ما أقل من شهرين يحل دفع ستة أشهر فليترك هذا التغافل وهذا عدم القانون فى أداء المال المذكور والسلام فى ٢٦ ابريل عام ١٨٨١ موافق ٢٦ عام ١٢٩٨.

جان هى در منض هى».

«استدراك إذن هذه كواغيض الحماية المعطاة من الترجمان اكار تاريخهم بعد شروط مدريد فح يوجه منها نسخ للفقيه السيد محمد باركاش والأصل يبقى تحت أيديهم، أى تحت يد دار المخزن والنسخ يطلع بها المنسطر الفرنصيص لأنه إذا مزقت النسخ يبقى الأصل تحت الأيدى شاهد والسلام.

هى».

ونص ما كتبه السفير المذكور للأمين المتقدم الذكر ليبلغه الحضرة السلطانية سرا فيما بلغه من عدم مساعدتها فيما أراه هو من ضرب السكة النحاسية بإجلترا:

«حضرة المحب الفاضل المبجل الأمين الرضى السيد الحاج محمد الزبدي رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فوقت رجوعنا إلى طنجة منذ أيام قلائل القونص مستر وايط طالعنى بكتابكم المؤرخ به ٨ من ج ٢ ذاكرا لنا أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوض الفلوس الزائفة التى من معدن ردىء، والسلطان أیده الله أمر ترجمان الفرنسيس بمقتضى مطلوبه ليجعل عشرين مليوناً فرنك سكة فضة ولم يساعد أیده الله الترجمان المذكور فى أربعين مليوناً فرنك من سكة الذهب والفضة والنحاس.

فقد عزى حيث سمعت أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوضاً عن سكة النحاس الزائفة الحاضرة اليوم هنا إما أولاً بعد ما يصنع العدد الكثير منها من معدن فيذب مثل ما يصنع لدى المخزن، فداثما يزورون ذلك ويتورث منه صعود الصرف والضرر لبيت المال والتجارة ولجميع خلق الله . . .

فلا نحتاج نجدد ونقول فى هذا الكتاب النفع الشهير الثابت الذى يكون للسلطان كما سبق منا لك، وهو عدد كثير من الفضل لبيت المال حين يتم الأمر. وهذه السكة الفاسدة يجمعها ويبيعها وأرباب فبريكة سكة النحاس يجعلون الفلوس لبلادنا وللطليان ولعدد دول آخر هذه مدة سنين معددة بدون شكاية من أحد لا من حيثية المعدن ولا من السكة كما يقع عند الغير، والسلطان يكون مطمئن البال أن لا يصدر ضرر له من هذا، وأيضا ذكرنا لسيادته إذا لم يكن عنده

مال موجود يعطيه على هذه السكة، فيأخذ سلفا بوجه مناسب من عند أرباب السلف... راج على ما ذكر لمنفعة السلطان ورعيته أن سيادته يجدد التأمل ويرجع عما قال أولا، ولا يعز بالفرنصيص ذاك حيث أننا كنا أشرنا بذلك قبل منهم هذه سنين...

وفي شأن سكة الفضة فلم نكن أشرنا بها قط حيث سكة الفرنصيص والصبنيول هما رائجان في هذه الإيالة بكثرة، حيث كنا ظننا أن لا وجود في بيت المال عدد ليخلص عن هذه السكة الجديدة، وإذا وقع سلف كثير فيتورث منه مصاريف كبيرة ويصدر منه الضرر أيضا، ويجعل السلطان ودولته في منزلة صعبة إن لم توف شروط الدفع في وقته...

فلو كان في بين المال عشرون مليوناً وهذه سكة الفضة تكون صافية جيدة مثل ما عند الفرنصيص والصبنيول يكن لنا الغرض ننظر مثل السكة القديمة في هذه السكة المذكورة مثل ما عمل ذلك في بر الترك وفي إيالات أخرى، فحيث يصدر الضرر الكثير في منفعة لسلطان وللتجارة، نعم يتمول من يعمل ذلك ومن أكد على السلطان بقبوله.

والسلطان أيده الله ح يجعل نفسه غريماً لأحد الدول بدون احتياج والظاهر لنا أن ذلك ليس على وجه الأدب، حيث يستطاع منه مطالب عن ساق الجد والدخول الذي يصدر منه المحاكمة والمشاحنة...

فتقدر تطلع بهذا السلطان أيده الله بوجه السر وتذكر أن هذا الرأي صدر من محب صدوق بدون طمع... هأننا نكتب لك بهذا ولا للوزير ولا للسيد محمد برকাশ، حيث إن سيادة السلطان أمرك بالكتابة لنا في أمر السكة والسلام في ١٤ يوليو عام ١٨٨١ الموافق ١٦ شعبان-الأبرك عام ١٢٩٨.

جان هي درمنض هي.

ونص ما كتبه الوزير الجامعي للزيدي جوابا عن كتابه إليه في شأن ما دار بينه وبين فرنسا من الكلام في أمر السكة :

«محبنا الأعز الأرضى وأمين سيدنا الأعز المرتضى الخير البركة السيد الحاج محمد الزبدي، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: وافانا كتابك في الرابع والعشرين من شهر تاريخه في شأن ما يطلبه أصحاب كنطرة السكة على التعطيل وبسفس وصوله أطلعنا به شريف علم مولانا نصره الله، وعلم دام علاه ما شرحته فيه مما دار بينك وبين باشدور الفرنصيص في ذلك وما حاججته به حتى قال لك وهل المشاهرات الست موجودة عندكم، فأجبت به بأن أربعا منها هناك حاضرة وياقيها في الأثر، فقال: وهل تدفعون المشاهرات التي بعدها كل شهر؟ فأجبت بأنها موجودة بما تساويه الفضة وفق شرط الكنطرة.

كما علم أعزه ما ذكرته من أن الأمر لا يتم إلا بخير بحول الله مع التعجيل بالمشاهرتين من مكناس وبالسكة الناقصة الوزن بأثرهما لتقطع حججهم، ولا يبقى لهم ما يقولون، وسر نصره الله بذلك واستبشر وعلم أنه نبه لهذا الأمر عمر وقال نصره الله ما نصه: لا شك أنه مفتاح خير، وفيك نظرة سيدنا جده وسيدنا والده قدسهما الله، ودعا لك أيده الله بخير تقبل الله من سيادته آمين.

وأمر دام علاه بأن تزيد في سياستك وتلطفك حتى تفاضل معهم مدة التعطيل الثاني على نسبة العشرة آلاف ريال التي كان وقع الفصال بها معهم على يد السيد محمد بركاش في مدة التعطيل الأول التي قدرها سبعة أشهر أو بخمسة في المائة، وهي غاية ما يكون لي إن لم يقبلوا ذلك.

وأما المشاهرات فقد وجهت ثلاث من مكناس ولا تكون اليوم إلا وصلت لطنجة وكذلك السكة الناقصة الوزن صدر الأمر الشريف بتفسيرها لطنجة ولا تكون إلا سافرت اليوم وعلى المحبة والسلام في ٢٩ صفر عام ١٣٠١ .

محمد بن العربي بن المختار خار الله له .

والحق بطرته «وما أشرت به في شأن لأخ ولدك البار علمناه فكلامك مقبول والاعتناء به من الأمور الواجبة علينا وطبعا ومن جهتك بالخصوص وبالاستحقاق من وجه الله صح».

ولما أراد إبراز هذه السكة الجديدة للناس للتعامل بها وجه بأمثلة منها أولا لأبواب السادة الكرام حسبما ينبئ عن ذلك هذا الظهير المولوى المختوم بالختم الكبير، الذى بعثه لأمناء ثغر آسفى للحضور مع عاملها عند وضعه ذلك بضريح الشيخ أبى محمد صالح:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى آسفى حرسها الله، وفقكم الله، وسلام ورحمة الله.

وبعد: فقد شرح الله صدرنا لنشر أعلام السكة الجديدة الميمونة ذات الصفة المحمودة الشرعية المسنونة والإذن بالصفق بها بإيمان المتاجر وتعمير الأسواق الرابعة بها، بحول الله فى الأضاحى والهواجر، وقاد الإلهام الإلهى إلى إيداعها بالزوايا العظام والأسفار بغرتها أول ما تطلع بسماء أبواب السادات الكرام، ومنهم: الولى الصالح ذو الضريح الأنور النافع سيدى أبى محمد صالح.

وعليه فقد وجهنا للعامل ٥٠ خمسين ريالاً منها على التفصيل الذى يذكر فمن الريال الصحيح ثلاثة عشر، ومن أنصافه ثلاث ريالات ونصف ريال، ومن أرباعه عشر ريالات وربيع، ومن دراهمه عشر ريالات وربيع ريال أيضاً، ومن أنصاف الدرهم ثلاثة عشر ريالاً.

وقد أمرناه بأن يضعها بريعة السيد المذكور بيده ويدكم بمحضر عدلين فلتحضروا معه على ذلك، ثم تفرق على أولاد السيد المذكور وعلى سائر أرباب الوظائف وكل من له نفحة من هاتيك العوارف كالإمام والمؤذن والحزابة والذكاره

والمصلين على النبي ﷺ، وكل من له قيام بوظيف، أو له عمل عائد نفعه على ذلك المقام الأنور المنيف، والله سبحانه يسعد بها الرعية، ويبلغ بها الأمانة، ويجعلها من الكسب الطيب والعمل المتقبل الرائح والمتجر الرابع والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٣٠٢» .

وقد وقفت على كمنطرة تتعلق بالسكة الفضية المذكورة إليك نصها:

«الحمد لله، بيان وإلحاق بكنطرة السكة الفضية الشرعية المعقودة على يد باشدور الفرنصيص يوم الاثنين الحادى عشر رمضان المعظم عام ١٣٠٨ الموافق ٢٠ من ابريل الفرنجى سنة ١٨٩١ :

قد وقع الوفق على أن ما يخرج من الزيادة والنقصان فيما يضرب من السكة الفضية الشرعية بدار سكة مخزن الفرنصيص على يد التاجر قف الفرنصيصى، من حيث إن مساواة أعدادها فى تحقيق الوزن لا تعقل يحصر فى خمسة فى الألف من أنصاف الريال وأرباعه، وفى سبعة فى الألف من أعشار الريال، وفى عشرة فى الألف من أنصاف أعشاره.

فالمشاهرة الى تدفع مضروبة من أنواع ٤ السكة الشرعية أنصافا وأرباعا وأعشارا أو أنصاف أعشار وزنها كما بالعقد الواقع مع التاجر المذكور عليها على يد باشدور جنسية ثمانمائة وثلاثة وثلاثون كيلو وثلث الكيلو ٣، ١، ٨٣٣، وجب فيها من الريال الشرعى ثمانية وعشرون ألفا وستمائة وخمسة وعشرون ريالا .٢٨٦٢٥

فإذا كانت من الأنصاف وزاد عددها على ما ذكر فتقبل إلى أن تبلغ الزيادة فيها مائة وثلاثة وأربعين ريالا وثمان ريال ٨ / ١٤٣١ بحسب نهاية الزيادة لخمسة فى الألف، فإن زاد عدد المشاهرة على ذلك فترد ولا تقبل، وإن نقص عددها عما ذكر فتقبل أيضا إلى أن يبلغ النقصان العدد المذكور فإن نقص أكثر فترد كذلك ولا تقبل .

وإذا كانت من الأرباع فتكون مثل الأنصاف في القبول زيادة أو نقصا.

وإذا كانت من أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ الزيد أو النقص مائتين ريالاً وثلاثة أعشار الريال وثلاثة أرباع العشر ٧٥، ٣، ٢٠٠ نهاية لزيادة أو نقص سبعة في الألف، فإذا كانت الزيادة أو النقصان أكثر من ذلك فترد مشاهرتة ولا تقبل.

وإذا كانت من أنصاف أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ ذلك مائتين وستة وثمانين ريالاً وربع ريال ٢٨٦١/٤ انتهاء للفرق في عشرة في الألف، فإن كان أكثر من ذلك زيادة أو نقصا فترد مشاهرتة ولا تقبل.

هذا والبدل مع ذلك كله لا يدفع إلا على مقتضى العدد الخارج في المشاهرة مطابقا لضابط الزيد والنقص أعلاه، زاد الخارج فيها على القدر المعين لها أعلاه أو نقص عنه.

وافق على ذلك وسلمه الواضعان اسمهما عقب تاريخه الفقيه الوزير السيد محمد المفضل غريط نيابة الجانب العالي بالله والكبير لويس خليفة باشدور الفرنصيص وختم بفاس في جمادى الأولى عام ١٣٠٩هـ.

وكيفية ورود السكة الجديدة من طنجة إلى العواصم الداخلية أنه كانت تأتي السكة من باريز كل شهر بواسطة النائب السلطاني بطنجة والأمناء المكلفين فيها في صناديق منمرة مع ورقة تتضمن بيان موازينها بالكيلو والاكرام والإرشاد على الطارة والصفى وبيان أنواع السكة والتنبيه على اسم الشهر وتاريخ اليوم والسنة، وكل صندوق وما بداخله من ريال وأنصاف ريال وأرباع الريال وأعشار الريال وأنصاف أعشار الريال، ويكتب لأمناء القوس والمكلف المخزنى معهم كتاب ممضى من

النائب والأمناء المذكورين بطنجة بالبيان الشافى طبق الورقة المذكورة، واسم الحمار الحامل لتلك الكمية، ويعزز الحمار بنائب المكلفين المذكورين وأصحاب عامل طنجة إلى أن يصل كل لمحله وتسليم الصناديق للمكلفين بذلك، وهم عامل البلد أو الخليفة السلطاني والأمناء ثم يحمل للقوس المعد له ويحضر العدول والعامل بمفتاحه والأمناء بمفاتيحهم ووصيف الدار العالية بمفتاحه، ويفتحون القوس ويدخلون إليه المال ويقيد بشهادة العدول في كناش خاص معد لذلك.

ثم بعد الإشهاد بذلك كما يجب يضع كل من أصحاب المفاتيح المذكورين خط يده بحضوره والمصادقة على الكمية، ثم يضع إمضاءه ويوضع ذلك الكناش بالقوس، ثم يغلقون ويتوجه كل بمفتاحه، ويجيبون نائب المكلفين بطنجة بالتوصل وعلى هذا كان العمل جاريا كل شهر، ولم يزل معمولا به إلى آخر نفس من الدولة العزيرية فبمكثتنا عدة أوراق شاهدة لذلك وإليك نص أحدها بلفظه:

«أدام الله بمنه مجادة سيدنا وخليفة مولانا الأسعد مولاي عرفة أمنك الله وسلام تام على سيادتك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: يوصلك في حفظ الله صحبة الحمار المختار العلامى وأصحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى أحمد بنيس مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر تاريخه فى تسعة وعشرين صندوق مشتملة على ثمانية وعشرين ألف ريال، وستة مائة وثمانية وعشرين ريال ٢٨٦٨ سكة ربع الريال الشرعى، وبطيه توافى سيادتك ورقة تتضمن بيان موازنها على العادة فى ذلك وعلى خدمة سيدنا الشريفة طالبين من فضلكم صالح الدعاء والسلام قيده فى ٢١ قعدة الحرام عام ١٣١٨.

محمد بن العربى الطريس لطف الله به

محمد بنيس لطف الله به

محمد الزكارى لطف الله به

ونص ثانياها:

«الحمد لله وحده بيان مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣١٨ هـ وهى سكة ربع الريال فى تسعة وعشرين صندوق نمر ٣٤٥٤ إلى نمر ٣٤٨٢، قدرها ريال ٢٦٨٢٨ المتوجهة لخليفة سيدنا مولاي عرفة ولامين القوس السعيد صحبة الحمار سيدى المختار العلمى وأصحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى الحاج أحمد بنيس بتاريخ ٢١ قعدة عام تاريخه.

| نمر صناديق | كرام بط | كيل بط | كرام صافى | كيل صافى | ريال |
|------------|---------|--------|-----------|----------|------|
| ٣٤٥٤ | ٧٧ | ٣٣ | ٩٠ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٥٥ | ٢٧٢ | ٣٣ | ٨٤ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٥٦ | ٩٤٥ | ٣٢ | ٧٥ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٥٧ | ٨٢٢ | ٣٢ | ٨٧ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٥٨ | ١٦٠ | ٣٣ | ٨٧ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٥٩ | ٨٧٢ | ٣٢ | ٨٠ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٠ | ٩٣٧ | ٣٢ | ٨٧ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦١ | ٢١٠ | ٣٣ | ٨٩ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٢ | ١٧٢ | ٣٣ | ٨٩ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٣ | ١٨٢ | ٣٣ | ٨٧ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٤ | ٩٨٥ | ٣٢ | ٨٤ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٥ | ٣١ | ٣٣ | ٨٩ | ٢٩ | ١٠٠٠ |
| ٣٤٦٦ | ٧٢ | ٣٣ | ٨٥ | ٢٩ | ١٠٠٠ |

| | | | | | |
|--------|-------|-------|----|-------|------|
| 1. . . | 29 | 80 | 32 | 970 | 3277 |
| 1. . . | 29 | 8. | 32 | 827 | 3278 |
| 1. . . | 29 | 89 | 33 | 22 | 3279 |
| 1. . . | 29 | 88 | 33 | 19. | 328. |
| 1. . . | 29 | 88 | 32 | 980 | 3281 |
| 1. . . | 29 | 88 | 32 | 970 | 3282 |
| 1. . . | 29 | 82 | 33 | 223 | 3283 |
| 1. . . | 29 | 70 | 33 | . . 7 | 3282 |
| 1. . . | 29 | 79 | 32 | 802 | 3280 |
| 1. . . | 29 | 82 | 33 | 210 | 3286 |
| 1. . . | 29 | 83 | 33 | 92 | 3287 |
| 1. . . | 29 | 91 | 33 | 17 | 3288 |
| 1. . . | 29 | 89 | 32 | 970 | 3289 |
| 1. . . | 29 | 83 | 33 | 202 | 328. |
| 1. . . | 29 | 9. | 33 | 272 | 3281 |
| 728 | 18 | 272 | 22 | 320 | 3282 |
| <hr/> | <hr/> | <hr/> | | | |
| 28728 | 832 | 703 | | | |

والقوس المذكور عبارة عن بيت كبير يدخل فيه ما هو معد للصوائر اليومية والشهرية، أما بيوت الأموال فلا يخرج منها شيء، وإذا عمرت تغلق غلقا محكما وربما بنى على أبوابها، وللقوس مفاتيح أربع يكون أحدها عند الباشا، والثاني عند أمين العتبة وآخر عند أمناء الصائر وآخر عند كبير عبيد الدار، ولا يخرج منه شيء إلا بمحضهم أو من يقوم مقامهم ومحضر الشهود، ثم يشهدون على ذلك في كناش أعد لذلك، وبخزانتنا كناش قوس مكناس ذكر فيه ما يخرج منه وما يدخل له من المال من ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٠٥ إلى ١٤ حجة الحرام ١٣٢٧، ومما يصرف فيه الخارج منه الصائر السعيد والبناءات السلطانية والصلوات والإعانات وشراء الأملاك التي تحار لجانب المخزن، وشعير العلف، ومنه ما كان يبعث لبيت مال فاس.

وأما الداخل إليه فكان مما يبعثه أمين الداخل الحاج على بن الحاج من الصناديق المكتوب عليها عدد ما فيها أو مما يأتي من بيت مال فاس أو من قوسها أو مما يجتمع في غلة الأجنة السعيدة أو مما حيز من بعض الأفراد في العهد العزيزي، كالقائد ابن العلام والوزير أحمد بن موسى، وإليك أمثلة مما بذلك الكناش ونص أوله:

«محضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه من الأمناء وغيرهم أخرج من القوس السعيد ستة آلاف ريال وخمسمائة ريال عين عنها يجب بحسب ٨ / ٨١ ريال ٨٠٠٠ وحازها معاينة أمين الربيعة السعيدة السيد الطاهر التازي بقصد الصائر السعيد عرف قدره وبأتمه وعرفه، وفي التاريخ أعلاه عبيد ربه تعالى فلان وفلان. المهدي بن عبد الرحمن الحلو وفقه الله. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعز بن العربي لطف الله به.

وصيف المقام العالي بالله حم بن الجيلالي وفقه الله.

ونص آخر:

«بمحضّر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أدخل للقوس السعيد على يد الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطواني ما يذكر:

صناديق ٤٣ بها ريال بحسب ألفى ريال فى الصندوق ٨٦٠٠٠

صناديق ١٣ بها درهم جديد بحسب ٥٠٠٠ سوم / ٨ / ٨١ يجب ريال ٢٠٠٠٠

صناديق ٠٧ بها درهم قديم بحسب ٥٠٠٠ سوم / ٨ / ٨١ يجب ريال ١٠٧٦٩

صندوق ١ به ريال ٢٠٠٠ درهم قديم ٠٢٠٠٠

١١٨,٧٦٩

الجميع مائة ألف ريال وثمانية عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وتسعة وستون ريالا وربع ريال فى أربعة وستين صندوقا على شدها، من غير فتح ولا عد مرقوم على كل صندوق اسم الأمين المذكور، والعدد الذى فيه بخط يده عرف قدره وبأكملة وعرفه فى رابع عشرى شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثمائة وألف عبيد ربه تعالى فلان وفلان بناصر بن محمد. محمد بن بوعز بن العربى لطف الله به. نائب الوصيف بنعيسى لطف الله به.

الحاج قاسم الديورى لطف الله به».

ونص ثالث:

«بمحضّر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج من القوس السعيد مائة صندوق وثلاثة عشر صندوقا منها اثنان وثمانون

- صندوقا بها ريال عين يجب ١٥٩٥٢٠
 وسبعة صناديق بها ريال عين فرنصيص ٠١٣٢٠٠
 وصندوق واحد به ذهب يجب ريال ٠٢٦٦١٨
 وصناديق ٢٣ من سكة الدرهم القديم يجب ريال ٠٤١٩٦٠

٢٤١٢٩٨ :

اجتمع من ذلك مائتا ألف ريال بالثنائية وواحد وأربعون ألف ريال ومائتا ريال بالثنائية وثمانية وتسعون ريالاً ونصف ريال وحاز الجميع الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطواني، وقائد الرحي القائد أحمد بن المكى الشرقى بقصد التوجه بها لبيت المال عمره الله بفاس، وعرفا قدره وبأتمه، وعرفهما في ٢٦ محرم عام ١٣٠٦ عبد ربه محمد... وعبيد ربه محمد المنونى... بناصر بن محمد وفقه الله. نائب الوصيف حم بن الجيلانى لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به».

ونص رابع:

«بمحضر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه ادخل للقوس السعيد خمسة آلاف ريال فحسب ٨ / ٨١ الواردة من القوس السعيد بفاس بقصد شراء الشعير للعلف وقيد فى تاسع عشر حجة الحرام عام ثمانية بميم وثلاثمائة وألف عبيد ربه محمد... وعبيد ربه محمد المنونى. ابن عبد الرحمن التراب لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به، بناصر بن محمد وفقه الله.

ونص خامس:

«بمحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج عن القوس السعيد ستة عشرة ألف مثقال وستمائة مثقال وثمانية وتسعون مثقالاً وأوقية، وحازها معاينة الأمين الناظر الأرشد السيد الحاج محمد بن الطالب المرحوم السيد عمرو الصنهاجي من المدرك الذي له على صائر البناءات السعيدة عن شهر صفر المتصل الفروط وقدره سبعة عشر ألف مثقال وخمسمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالاً وثلاث موزونات: ١٧٥٨٣٠، يبقى مدركاً له ثمانمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالاً وخمسون أوقية عدى موزونة: ٨٨٤٩٠، إلى أن يستوفيهما من الجانب العالى بالله لكون القوس السعيد لم يبق فيه شيء من مال البناء عرف قدره وأشهد به بأتمه وعرفه فى التاريخ أعلاه... وعبيد ربه محمد... ومحمد بن عمرو الصنهاجي آمنه الله بمنه. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به. قاسم الديورى لطف الله به».

اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها

يدل على ذلك ما كتبه لنائبه السلطاني بطنجة فى شأن قدوم المهندس سيليه الانجليزى لاختبار بعض المعادن بقرب مراكش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: فقد دعت الحاجة لقدوم المهندس سيليه الإنجليزى الواقف على بناء أبراج طنجة لحضرتنا العالمة بالله بحرا على طريق الجديدة بقصد اختيار بعض المعادن بقرب مراكش، وقد كتب لنائبهم هناك فى شأن قدومه على شرط أن يساعد عليه وأحلناه فى توجيهه عليك وأعلمناه بأن أمور سفره منفذة له على يدك، وأمرنا خدامنا أمناء مرسى طنجة بإركابه للجديدة وأمناء الجديدة بإنزاله

والقيام بمثوته التي يمان بها أمثاله مدة استراحته وتوجيهه وعاملها بتمكينه من فرس بسرجه جيدين لركوبه .

ومكاتينا الشريفة لهم بذلك تصلك فإن ظهر لكم توجيهه فادفعها لهم، وإلا فردها لحضرتنا الشريفة وإذا توجه وكان لا بد من إبقاء نائب عنه هناك في مقابلة البناء المذكور فأمر الزبير سكيرج بالإتيان من الدار البيضاء لطنجة للنيابة عنه في ذلك في ٢٤ قعدة الحرام عام ١٢٩٩هـ .

ونص ما أصدره للنائب المذكور في المعدن الذي عثر عليه بالنجرة:

«خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد: وصل جوابك بأن القبطان ورن النجليزي عثر على معدن في قبيلة أنجرة بين طنجة وتطوان، وذكر أنه على مسافة نحو خمس ساعات من طريق تطوان ونحو إحدى عشرة ساعة من طنجة، ودار بينك وبينه وبين الباشدور ما شرحته، ولما رأيت غاية الأمر إنما هو بيع تراب ووسقه من إحدى المراسى ظهر لك أن ذلك لا بأس فيه، فطالبتهم بجعل ابلانات متعددة ليدفع لكل واحد من النواب مثال منها، وحيث وصلت للرباط كتب لك الباشدور مخبرا بأنهم يسروا المثالات المذكورة وألح عليك في الكتابة للنواب في ذلك حسبما في كتابه الذي وجهت بطى غير هذا فكتبت لهم بإشهار ما ذكر على مقتضى ما أشرنا به، وجعلت لذلك الشروط المينة في النسخة من كتابك لهم التي وجهت، وصار بالبال، فقد وصلت وسلمت والعمل على ما باشرته مع النواب في ذلك وعلى الشروط المذكورة، نعم إن ظهر لك أن تزيد فيها أن يكون دفع الواجب المشتري به مشاهرة كل شهر يحوز المخزن من المشتريين وجيبته بمجرد انسلاخه زيادة على ما يدفعونه تسبقا يحسب

لهم من واجب آخر المدة حسبما أشرت بذلك فى الفصل السابع مما كتبت به للنواب فهو الأولى والسلام فى ٥ ربيع الثانى عام ١٣٠٢».

ونص ما كتبه الوزير الجامعى للأمين الزيدى فى المعدن الصالح لصنع الصوانى والبراريد:

«محبنا الأرضى وخديم مولانا الأمين السيد الحاج محمد الزيدى سلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصل كتابك فى شأن المعدن الذى يصلح لصنع الصوانى والبراريد وعرفنا ما شرحته من أمر من ورد لاشترائه قدر منه وما دار بينك وبينه فى ذلك إلى أن حصل الوفاق على ما بينت إلى آخر ما ذكرته، وأطلعنا به علم مولانا وصار ببالة الشريف، إلا أنه كان من حقه أن تبين القبيلة وعاملها والمحل الذى هو فيه من سهل أو جبل، وهل أهله تنالهم الأحكام أم لا إلى غير ذلك من الأمور التى لا بد منها.

ومع ذلك فلم يستحسن سيدنا أيدى الله ذلك قائلاً ما دام أمر معدن الفحم الذى الكلام فيه هذه مدة من ثلاث سنين لم يصف فلا يحسن الكلام فى غيره، نعم إن تم كلامه وشرع فى خدمته فحيثذ ينظر فى أمر هذا المعدن.

وأما الفصول التى جعلتها مع من ذكرت فكلها لا بأس بها، وفيها نفع لبيت المال، وذلك دليل على رجاحة عقلك، ومبالغة نصحك وعلى المحبة والسلام فى فاتح جمادى الأولى عام ١٣٠١.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له».

ومما كتبه العلامة اكنسوس للحاجب أبى عمران موسى بن أحمد فى هذا

الموضوع:

«الأخ الفاضل الناسك المرابط الفقيه. الذى يحفظه الله وبقية. وزير الحضرة العالية وحاجبها. وقهرمانها الأكبر وكاتبها، أبو عمران سيدى موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله وبركاته بوجود مولانا نصره الله، وأدام عزه وعلاه.

وبعد: فقد بلغنا كتابك الأعز المتضمن لأمر مولانا المنصور بالله بتصفح الكتاب الموضوع فى شأن المعادن وما يناسبها، وقد تصفحت الكتاب المذكور من أوله لآخره فلا شك أنه من الذخائر والنفائس الملوكية لا ينبغي أن لا تخلو منها الخزائن السلطانية التى تعدها عظماء السلاطين، لا سيما العلماء منهم والأساطين، لأنها لا بد أن يوجد فيها ما يتتفع به فى الجملة، ولكن كنت أظن أنه قد بين فيه ما يتوقف عليه الأمر من بيان كيفية استخلاص المعادن من مقارها والذى لا بد منه فى ذلك من الآلات والعقاقير والتناكير التى تسيل القاسى منها وما يخرج متعاصيا عن السبك والذوبان، فإنها كثيرا ما تخرج كذلك فيظن أنها مجرد تراب فيزهد فيها كما ذكر ذلك من جربه، مع أنها إنما تحتاج إلى تنكار أو عقار مخصوص فتجيب إلى ما يراد منها من الانسباك والانتفاع بها فى الأعمال الضروريات على السبيل الأسهل دون مشقة كثيرة، ولا كبير عمل، هذا هو المطلوب الأهم.

وأما كون الحديد أو النحاس مثلا تكون منه سبائك وشبابك وأوانى كذا وثمنه كذا ويوجد فى البلاد الفلانية كثيرا والخارج المستفاد المحصل منه فى كل عام كذا ونحو ذلك من هذه الأخبار فلا فائدة فيه ولا كبير جدوى، وهذا هو القدر الذى عليه مدار هذا الكتاب، على أنه لو ذكر ما هو الأهم الذى أشرنا إليه فإنه لا بد من حضور شخص عارف قد باشر تلك الأمور بيده، فتؤخذ منه الكيفية كفاحا عيانا، وأما العلم المجرد عن العمل فإنه لا يفيد قلامة ظفر كما قال الإمام ابن رشد الحفيد رحمه الله:

العلم فى الرأس وفى العينين لكن تبقى صنعة اليدين

وأما ما ذكره هذا المؤلف فى هذا الوضع من إصلاح المزارع والمغارس فالظاهر أن ذلك خاص بالبلاد الشديدة البرد الكثيرة الثلوج كالجزر المتوغلة فى الشمال بدليل أن المعتمد عنده فى ذلك هو التبغير بالجير والجبص والأملاح المستخرجة من أبوال الأدميين وغيرهم، ونحن إذا غبرنا موضع الحرث بالجير لا يثبت شيئاً بالمشاهدة والله أعلم، والله يديم لنا عز مولانا نصره الله ويبارك فى عمره ويحفظ به نظام هذا الدين آمين والسلام.

محمد بن أحمد اكنسوس لطف الله به.

سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية

وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية

ولم تقف همة المترجم عند هذا الحد، بل فإنه لما نظر إلى الأمم الراقية وما أفادها العلم الرياضى والطبيعى من القوة والسلطان والشفوف على الأقران فى معترك الحياة، أراد أن يزج ببلاده فى ذلك الميدان الواسع، فعضد إرسالية الشبان المتخرجين من مدرسة والده وتوجهوا لعواصم أوربا لتتيمم دروسهم، فعين لكل فريق رجلا من أهل الدين والعلم لمرافقتهم وصيانتهم، وأجرى عليهم النفقات الكافية.

ولما زاولوا دروسهم وملئوا بكل نافع حقائبهم يمموا بلادهم ليثوا فيها ما ينفع مستقبلهم، فلم يعدموا معاكسا وقف فى سبيلهم، وحرّم البلاد والعباد وما كان يرجى من فوائد معارفهم بفتح المدارس وسلوك هذا السبيل كما سلكه أهل اليابان، لذلك العهد الذين رافقوهم فى دروسهم، فكانت النتيجة أن تقدم اليابانيون وتأخرنا والله فى خلقه شئون.

ففى سنة ١٢٩١ انتخب خمسة عشر من الطلبة لتتذيبهم وتدريبهم وتعليمهم ما يستطيعون به خدمة أمتهم ودولتهم، ووجه جميعهم لشجر طنجة تحت رئاسة

كبيرهم السيد محمد الجباص الذى صار بعد ذلك وزيرا صدرا، فأخذوا بها مبادئ الحساب واللغات الإفرنجية، وأقاموا فيها ثلاث سنين وفى سنة ٩٣ توجّهوا على نفقة المخزن لأروبا لإكمال دروسهم متفرقين فى مدارس إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا لكل واحدة منهن بعثة تشتمل على طلبة ثلاثة:

فالتوجهون لإنجلترا هم الجباص المذكور، والسيد الزبير سكيرج مدير الأملاك المخزنية بتطوان حالا، والحاج إدريس بن عبد الواحد الشاوى أحد كبار الطبجية ذهبوا لتلقى متنوع العلوم فى صف ضباط الإنجليز بمدرسة (شاطم) وهى مدينة هناك تبنى بها المدرعات الحربية، فأقاموا فيها ثلاث سنوات حصلوا أثناءها على الإجازة فى الفنون التى أتقنها، وبعد مشولهم بين يدى الملكة فكتوريا قفلوا راجعين للحضرة الشريفة سنة ٩٦ وفيها توجه سكيرج المذكور مع الوفد الغربى لمؤتمر مدريد.

والتوجهون لفرنسا هم السيد محمد بن الكعاب الأودى، والسيد قاسم الأودى، والسيد محمد بن الحاج الأودى.

والتوجهون لألمانيا هم السيد عبد السلام التولى، والسيد الميلودى الزيدى الرباطى، والسيد محمد النجار السلوى.

والتوجهون لإيطاليا هم السيد المختار الرغاي والسيد محمد بنانى الفاسى، والسيد عبد السلام عينوس الأودى.

والتوجهون لإسبانيا هم الحاج أحمد بن شقرون الفاسى، والسيد عبد السلام الفاسى لقبا الرباطى أصلا، والسيد محمد الشدادى الرباطى.

وكل بعثة منهم رجعت للحضرة الشريفة بعد أخذها من لغة الأمة التى ذهبت للتعلم بمدارسها وتلقى الدروس الرياضية عندها وكان مكوّتهم هناك نحو خمسة أعوام.

وفى سنة ١٢٩٢ وجه لجبل طارق بعثة عسكرية تشتمل على خمس وعشرين من الجنود برياسة السيد على بن بله المراكشى فأقاموا هناك نحو السنة وتعلموا فيها من الفنون الحربية والحركات العسكرية ثم رجعوا للحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٣ عين بعثة عسكرية أخرى للتوجه للجبل المذكور تتركب من خمس وثمانين من الطلبة سبعون من الجنود وعشرة من الطبجية وخمسة من أطباء الجيش، وهم: القائد الجليلى بن التهامى الشرادى الزرارى قائد الشراودة كافة سابقا، ومولاي أحمد الزواق العلوى المراكشى، وإدريس بن المكى الشرادى، ومحمد المدعو حمان الجامعى، والجيلالى بن العربى البخارى فتعلم هؤلاء الأطباء الطب وأخذ الطبجية الفنون المدفعية وتلقى الجنود الحركات العسكرية وبقوا هناك نحو العام ثم رجعوا للحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٤ أوفد بعثة عسكرية ثالثة لجبل طارق بها مائة سبعون من الجنود يرأسهم الحاج محمد الزروالى الفاسى تعلم فن المدفعية خمس وأربعون منهم، وأخذت بقيتهم الحركات الحربية وأقاموا هناك كالبعثتين الحربيتين قبلهم نحو السنة ثم يموا الحضرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٩٥ اتفق مع حكومة إيطاليا على إرسال بعثة علمية تتركب من ثلاثة عشر من الطلبة من أبناء بعض المراسى للمدرسة الدولية بمدينة طورين بقصد تعلم اللسان والفنون العسكرية والملاحة فتوجهوا فى شهر ربيع النبوى من السنة، ومكثوا هناك عاكفين على التعلم خمسة أعوام .

وكان منهم من الرباط السيد أحمد الجبلى، والسيد محمد بن الحاج على بن طوجة، والسيد محمد بن سالم، والسيد محمد بن العياشى، والسيد محمد البهالى وكلهم أخذوا الفنون البحرية، إلا أولهم فإنه أخذ المدفعية .

وكان منهم من سلا السيد الحسين الزعرى الذى صار بعد خليفة لباشا سلا ثم قائدا لزعرير - أخذ علم السياسة، والسيد العربى حركات، والسيد عبد الله التيال، والسيد محمد بن حيمى، والسيد محمد بن إسماعيل، وكان منهم من العرايش السيد فضول بن صالح، والسيد مصطفى الأودى والسيد على السوسى .

ثم وجه بعثة حربية لفرنسا وبلجيكا فمكثت هناك سبع سنوات، أربع منها بفرنسا وثلاث ببلجيكا تخرجت فيها في صناعة الذخائر الحربية، ثم عادت للمغرب سنة ١٣٠٥ فلاحقت بالحضرة الشريفة برباط الفتح، وأتت معه مكناسة الزيتون وأقامت بها ستة أشهر ثم توجهت لفاس لتطبيق العلم على العمل.

فدخلت للعمل في دار السلاح الآتى الكلام عليها، وكانت هذه البعثة تتركب من: الطاهر بن الحاج الأودي رئيس العملة بدار السلاح، ومعه من فاس محمد المنقرى رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار، ومحمد بن علي الحداد ومن مكناس عباس بن قاسم رئيس قسم صناعة الجعاب بالدار المذكورة، والمعلم أحمد ابن صالح وإدريس بن الحداد، ومحمد بن أحمد المدعو المشطون، والمعلم حمان، وبو سلهم بن حم، ومحمد بن العباس وكلهم نجحوا في علومهم واستخدموا بدار السلاح.

وفي سنة ١٣٠١ وجه بعثة حربية تتركب من أربعة أفراد من طابور الحراية إلى بلاد الألمان، ووجه معهم خديمه الحاج محمد بركاش نجل النائب السلطاني، وقد وقفت على الظهير السلطاني الصادر لسultan الألمان في هذا المقصد الحميد دونك لفظه بعد البسملة والحوقة والافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم، المحترم المفخم، الشهير الخطير ذي المآثر والمزايا والمفاخر، حامل راية السياسة، الحائز قصبات السبق في ميادين الرياسة. المميز بملاحظ الأثرة والاعتنا، المقصود بين السلاطين العظام بلسان الثنا. ملك الألمانية وسلطان البروص الأصعد الأزهر السلطان كليوم.

أما بعد: فإن المحبة والصحة والصدقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الإيالة لبلادكم الرفيعة المصونة، بقصد الزيادة في تنقيح ذكائهم، وتهذيب أخلاقهم بآداب السياسة العلانية، والعلوم

العسكرية والطبجية، وما فى معناهما التى فقتم بها وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها.

وانتخبنا من يتوجهون معه، وهو خديمنا الأرضى الأنجد الحاج محمد بن خديمنا الأرضى الأنصح الأرشد الخير النائب محمد بركاش ونحن على يقين من أنكم تقابلونه بزائد القبول، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول، ويحظى من معه من المتعلمين المشار إليهم من جانبكم الرفيع بتمام القبول، والبرور والاعتناء حتى يحصلوا فى أقرب مدة على المراد، كما ينبغى ويراد، ودمتم كما تحبون مخصوصين بمزيد الاعتبار، مهتئين بالمراد فى الإيراد والإصدار، وحرر فى ٢٤ من المحرم فاتح ١٣٠٢».

ثم بعد ذلك بعث بعثة حربية أخرى لبلاد الألمان تتألف من عشرة من الجنود لأخذ ما عندهم هناك من الفنون الحربية وأقاموا ثم نحو العشرة أشهر ثم قدموا على الحضرة الشريفة.

ومن الوثائق الرسمية والظواهر السلطانية فى هذا الباب ما أصدره للنائب السلطانى فى شأن الطلبة الذين كانوا بطنجة ثم توجهوا لأوربا ونصه:
«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

ويعد: وصلنا كتابك بأنك اختبرت الطلبة الذين كانوا وجهوا لطنجة لتعلم اللسان والقلم فألفت فيهم من لا يقبل التعليم أصلاً وثقيل الفهم مع أجنبيته من التمدن وبينت كلا الفريقين بطرته ومن عداهم نجيب يحصل المراد منه فى المستقبل، وطلبت إبدال من لا قابلية فيه بغيره، وزيادة نحو الخمسة على الاثنين المبدلين لما فى زيادتهم من المصلحة التى ذكرت، ويكون الجميع من صغار أبناء

الحاضرة النجباء فقد أمرنا خديمتنا الطالب عبد السلام السويسى بانتخاب سبعة من أبناء أهل الرباط على الوصف المذكور وتوجيههم على يدك للمحل المذكور والأمناء بأن ينفذوا لهم ما يتوقفون عليه لسفرهم، واللذان لا قابلية فيهما وجههما لحضرتنا العالية بالله والسلام فى ٢٠ محرم فاتح عام ١٢٩٣».

وما أصدره للنائب المذكور فى شأن نفقة المتعلمين بفرنسا:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك بأن نائب الفرنضيص طلب منك مشاهرة المتعلمين الذين بباريز عن تسعة أشهر وقدرها خمس عشرة مائة ريال وأربعة وستون ريالاً، وطلبت تنفيذ ذلك له، وإصدار أمرنا الشريف للأمناء بدفع واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، فقد أمرناهم بتنفيذ العدد المذكور له، وبأن يكونوا يدفعون واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، وكتابتنا الشريف لهم بذلك يصلك طيه والسلام فى ٧ رمضان عام ١٢٩٧».

وما أصدره له فى العزم على بعث طلبة لتعلم الفنون البحرية:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس لتعليم ترايست والمكينة وعلم البحر وأن يفرقوا على نواب بابورات الإنجليز والفرنضيص والصبنيول والألمان والطلبيان، وعددهم ستة لكل جنس واثان من الستة المذكورين يخصصون بتعليم ترايست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر، وأربعة لتعلم علم البحر وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ويكون صائرهم على

جانب المخزن، إذ المقصود هو تعلمهم وعليه فكلم نواب الأجناس المذكورين في ذلك وتفاوض معهم فيه، وأعلمنا بجوابهم لك فيه لأنمر بما يكون عليه العمل في ذلك وعجل ولا بد والسلام في ١٠ رجب عام ١٢٩٩»

قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية

وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية

واستخدام المتخرجين في الهندسة من البعثة المغربية

وقد كان له اعتناء عظيم واهتمام كبير بتحسين الثغور وبناء أبراجها وإقامة معداتها، وجلب لذلك مهرة المهندسين من الأجانب ألمان وإنجليز وعين أخيرا بكل مرسى مهندسا لتفقد قوتها وبيان أحوالها، وأنفق على ذلك أموالا، ولم يأل جهدا في الاستعداد وأخذ الأهبة والاحتياط فاشترى لطنجة ستة من كبار المدافع العظام من معامل (ارم سطرונك) من بلاد الإنجليز وأمر بإصلاح أبراجها وبناء خزائنها المعدة للذخائر وتركيب مدافعها، وكلف بذلك المهندس الإنجليزى (ضولان) ثم (إدوارد سيلبه) ثم مساعده السيد الزبير سكيرج، وجلب لها ما تحتاج إليه من المقومات الحربية من بارود وكور وغير ذلك حسبما تشرحه لك الظهائر المولوية والرسائل الوزيرية الصادرة في هذا الموضوع.

وإليك نص أحدها وهو ما كتبه الحاجب السلطاني للأمين الزبيدي في شأن تقرير المهندس الكبير الذى قدم من جبل طارق لتفقد حالة طنجة الحربية:

«محبتنا الأعز الأرضى الأمين الأجل المرتضى السيد الحاج محمد الزبيدي،
رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما ذكرته في شأن المهندس الكبير الذى وجهه قائد جبل طارق من طوافه بأبراج طنجة كلها وبسورها، ونظره البناء الذى

فيه ورجوعه لجبل طارق ليبين ما تستحقه الأبراج من تجديد بناء أساسها، والمخازن لإقامتها وغير ذلك، وتوجيهه بعد ذلك تقييد ما ذكر الموجه تعريبه مع كتاب الباشادور، كما علمنا ما أشار به الباشادور من إجابته بما تضمنه التقييد الذي وجهت ليطالع به قائد جبل طارق والكرنيل المهندس، فقد أجبناه بما تضمنه وها الجواب يصلك، وقد وصل كتاب زوجة العباس امقشد وأطلعنا به المعلم الشريف فأمر سيدنا أيده الله بإحضار زمام متروكه وبحثنا عنه هنا فلم نعثر عليه، فإن كان على يدك فوجهه، وأما تعريب تقييد المهندس الكبير فقد أحاط سيدنا نصره الله علما بما فيه وأجبناه عنه الباشادور وعلى المحبة والسلام فى ٩ شعبان عام ١٢٩٤ .

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص الظهير الصادر للنائب السلطاني فى شأن تعطيل العمل فى الأبراج:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر باشادور الإنجليز أن الخدمة فى إصلاح الأبراج هذه مدة وهى معطلة مع قرب ورود المدافع التى تهباً لأجلها وقد كتبنا للأمناء وأمرناهم بالقيام على ساق الجد فى أمرها وأن يجعلوها من الأکید المهم، فلا بد أكد عليهم فى ذلك، وليكن عملهم فى أمر الصائر عليها أن يكون كله بموافقة المهندس ضولان الإنجليزى الواقف على مباشرة إصلاحها وعلى يده، سواء فى ذلك ثمن الإقامة وأجرة العملة ويقيده عنده فى كناشه ذلك الصائر ويعطى نسخة منه للباشادور لينضبط ذلك على ما ينبغى، فقف معهم حتى يرتب ذلك على الوجه المذكور ولا بد والسلام فى ٩ ربيع الأول عام ١٢٩٦».

ونص آخر فى جلب آلة جر المدافع :

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من جلب آلة جر المدافع الاثنى عشر المجلوبة على يد باشادور الفرنصيص، وذكرت أنك كلفته بذلك فأجاب بأنه يكتب بالسؤال عن ثمنها أولا لثلا تأتى بأغلى الثمن، ثم بعد ذلك يكتب عليها، وقد أحسن فى ذلك وهو عين الصواب والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص آخر فيما يتعلق بالأبراج:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا باشدور الإنجليز أن الأمانء هناك يعاكسونه فيما يشير به عليهم من الصائر على الأبراج والأمر المهمة لورود المدافع المكلف بجلبها على يده، وبعد ما يكون عندهم من الوفير ما يصيرونه فى ذلك يدافعونه بالأعذار الواهية، وإذا طلب منك الكلام معهم تعتذر له بعدم الإذن وعليه فنأمرك أن تكون تشد عضده عليهم فيما يشير به من الأمور الأكيدة فى ذلك التى إن أخروها يتعذر تداركها أو تبنى عليها مفسدة فى ذلك، ويجعلون بناء الأبراج والصائر على ما يتعلق بها من جملة الأمور المهمة التى يقدمونها كمثونة الطبجية والعسكرية والملازم التى لا مندوحة عنها ولا بد والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص الظهير الصادر للزبيدى وفيه الكلام على المدافع والأبراج:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبيدى، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بالإعلام بأنك لما حللت ثغر طنجة تلاقيت بخديمتنا الطالب محمد بركاش، وبعده مع باشدور النجليز، وتكلمتم فى أمر حساب السلف وحساب المدافع والأبراج، وأنكم تفاوضتم فى تقديم الأهم فالأهم، ووجدته حريصا على المبادرة بحساب السلف لكون مشاهرتة حلت، وعزم على توجيه نائب أرباب السلف لأعمال الحساب معك فيه، وأنتك أجبتة بأن أول ما يقدم أعمال المحاسبة مع خديمتنا بركاش فى جميع ما وصله منه من المراسى وغيرها مرتبة على التواريخ، وحيث يصفوا معه يقع الحساب مع نائب أرباب السلف فساعد على ذلك وافترقتم، وأنتك بعد ذلك شرعت فيه مع بركاش على ترتيب التاريخ والمقابلة وأنكم مجتهدون فيه، غير أن بركاش فى بعض الأوقات لا يمكنه الوصول إليك لما يعرض له من الأشغال، كما أعلمت أن التسعة عشر ألف ريال التى هى من حساب المدافع وردت من الجديدة، إلا أنتك أخرت بركاش عن دفعها للباشادور حتى تجدد معهم الحساب وتبحث فى آلات المدافع كلها المقيدة عندكم من مكاتبهم وحساباتهم لتعرف ما وصل منها وما لم يصل، فالواصل يؤدي له ثمنه، وما لا فلا، وكذلك الإقامة المجلوبة للأبراج وصار الكل ببالنا الشريف.

فأما ترتيبك للحساب مع من ذكر على التواريخ واجتهادكم فيه فذلك هو المراد منك، وقد أحسنت فيه أصلحك الله، وأما كون خديمتنا بركاش تعرض له أشغال فهو معذور والله يعينه ويسدده، وأما ما فعلت من تأخير دفع المال الوارد من الجديدة للباشادور إلى أن تجدد الحساب معه فالعمل على ذلك سدك الله والسلام فى ٢٠ حجة الحرام خاتم ١٢٩٧.

ونص ظهير آخر فى الأبراج ومعداتها من بارود وكور:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك

ورحمة الله وبركاته.

وبعد: وصل كتابك أخبرت فيه بتوقفك فى حساب السلف على ورود بعض حسابات اللندريز وأخذك فى حساب ما يتعلق بالمدافع، ووجه لك باشدور النجليز نائبه ويده حساب ٢ ورد من أرباب الفبركة باللندريز مدركا على جانبنا العالى بالله فيه ابرات / : ٧٨٩٠١١ فعربتموه، فألفيتم فيه صوائر قدرها ابرات / ١٤٣٥١٠ ليست عندك فى الحساب منها ما ذكروه صار ومنها ما قدروه لما بقى عندهم هناك فطلبت منهم بيان ما ورد من آلات المدافع وما بقى منها فبينوه، فألفيت قدر ثمن الباقي هناك ابرات / : ١٣٠٦، ١١٣٣١، ومن هذا الباقي الكور والبارود وغيرهما حسبما فى ورقة الحساب الذى وجهت لحضرتنا الشريفة.

ثم بعد ذلك وجه لك الباشدور نائبه أيضا بحساب ٣ ثمن الإقامة التى كانت وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغيره مضمن جميعها ريال ٤٠١٠ كبير بزيادة الربح فحزته منه لتطالعه وتلاقيت مع الباشدور وتذاكرت معه فى حساب اللندريز بما هو محسوب على جانبنا الشريف فيه ولم تأت، فأجاب بأن سبب تأخيره هو عدم محل نزوله وإن أردنا إنزال البارود بدار البارود والكور بأحد المخازن إلى أن يتها محل نزول ذلك ويأتى فسكت عنه، ثم قال لك: هذه التسعة عشر ألف ريال التى وردت من الجديدة وهى تحت يد الأمانة يدفعون منها ثمن الإقامة المجلوبة للأبراج فإن أربابها يترددون فى طلب ثمنها وطالت مدتها حتى حسبوا عليها ما ذكر، والباقي يبقى تحت يد الأمانة حتى يكمل عليه ما بقى لأرباب الفبركة.

فظهر لك أن ذلك هو الصواب فأجبتة لدفعها، ووقع الكلام مع الأمانة بعد ما اعترفوا بوصولها وحازوا حساب أربابها ودفعوه وأثبتوه داخلا وخارجا فى صائر الأبراج حسبما فى الورقة التى وجهت ملخصا فيها صائر الأبراج كل شهر، وما صار فيه مع بيان زيادة السكة فيه من ابتداء الخدمة فيها إلى منسلخ الحجة الفارط متمم عام ٩٧، كما وجهت أيضا ورقة حساب المدافع بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز مينا فى وجه منها ما كان مقيدا عندك من مكاتيب الباشادور ونائبه وفى الوجه المقابل له نسخة من حساب اللوندريز، لنعلم منها الفرق الزائد.

وفىها أيضا بيان ما بقى باللوندريز وما بقى يخصهم لتمام المال بعد حسابك فيه ما هو تحت يد الأمانة من مال الجديدة، وقدر ما بقى يخصهم ريال ٢٥١٤٢ كبير.

ووجهت لحضرتنا الشريفة حساب اللوندريز وورقة تعريبه وورقة حساب إقامة الأبراج وما معها، وإن اقتضى نظرنا الشريف نزول البارود المذكور بدار البارود والكور بأحد المخازن تأمر بالتوجيه ٤ على ما بقى منهما باللوندريز وبأداء ٥ ما بقى يخصهم لتمام المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه.

فأما توقفك ١ فى حساب السلف على ورود بعض حسابات اللوندريز وأخذك فى حساب ما يتعلق بالمدافع فصار بالبال، وقد وصلت الحسابات التى وجهت وعرفنا مضمونها، فأما الحساب ٢ الوارد من أرباب الفبركة فقد علمنا منه ما زاد به على الحساب الذى توجهت به من هنا وهو أربع عشرة مائة ابرة وخمس وثلاثون ابرة وشلن وأحد عشر بنك مع ما زيد فى ثمن البرود بعد حظ ثمن السلسلة منه، فبقى منه مائة ابرة وثمان وثلاثون ابرة، وأن هذا العدد المزيد مصروف فى مسائل ليست فى حسابنا حقا كما ذكرت وأن الستة آلاف ابرة،

والثلاثمائة ابرة، والخمسة عشر شلين مندرجة في الحساب وبقيت مدركة علينا من جميع المسائل .

وأن هذا المثلثن الذى قسطوها عليه لم يفهم إلا تقديرا كما ذكرت لا حقيقة، وهى أن تلك الأثمان المقسطة عليه هى أثمانه بعينها وأما حساب ٣ الإقامة التى وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغير المتضمن جميعه أربعة آلاف ريال وعشرة ريال التى أوجب الباشدور لدفع مضمينه المذكور والتسعة عشر ألف ريال الواردة من الجديدة علمناه ونظر سديد كما علمنا أنه فضل من التسعة عشر ألف ريال المذكورة أربعة عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وخمسة ريال باندرج صرف السكة فيها، وهو ستمائة ريال وخمسة وستون ريالا، وأن هذا العدد إذا حط مما بقى من ثمن المدافع وهو تسعة وثلاثون ألف ريال وثمانمائة ابرة والتسعون ابرة المذكورة أعلاه، يبقى يخصهم من ثمنها خمسة وعشرون ألف ريال ومائة ريال واثنان وأربعون ريالا حسبما تضمنته ورقة حساب المدافع التى بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز .

وأما التوجيه ٤ على ما بقى من البارود والكور وإنزال البارود بدار البارود والكور بأحد المخازن فنعم يوجه عليه، وأما أداء ٥ ما بقى يخصهم لكمال المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه فقد أمرنا الأمناء هنا كم بأن يدافعوا لكم مما تحت أيديهم من دين أولاد الدكالى، سبعة آلاف ريال وستمائة ريال وتسعة عشر ريالا وثلاثة أرباع الريال ٧٦١٩١/٣، وبأن يدفعوا لكم أيضا الأربعمائة ريال والثمانية والستين ريالا ٤٦٨ الباقية عندهم من الخمس والعشرين مائة ريال التى كانوا استسلفوها، وأمروا بالتصيير منها على الأبراج فقد راجع أمناء أعتابنا الشريفة حساب صائر الأبراج فآلفوا مدركا علينا من الخمس والعشرين مائة ريال المذكورة ألفين ريالا واثنين وثلاثين ريالا، وباقيا عندهم منها الأربعمائة ريال والثمانية والستون ريالا المذكورة، كما يدفعون لكم الخمسة آلاف ريال، التى كنا قدمنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى أسفى بتوجيهها لهم

وأصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى العدوتين بأن يوجهوا لكم مما تحت أيديهم من الوفر اثني عشر ألف ريال وأربعة وخمسين ريالاً وربع ريال ١/١٢٠٥٤، يصير الجميع خمسة وعشرين ألف ريال ومائة ريال واثنين وأربعين ريالاً.

لكن ينبغي لك أن تحوز خطهم بأنه لم يبق لهم صائر على شيء من المدافع لا سابق ولا لاحق، وأن صائرهما تم، واحسم مادة ذلك معهم، وكذلك صائر الأبراج فإنه لا يجلب في المستقبل شيء لبنائها من بر النصارى، وإنما تبنى بما هو موجود في البلاد من الآجر والجير، ولم يبق صائر إلا على الأجرة والإقامة البلدية فقط والسلام في ١١ صفر الخير عام ١٢٩٨.

ونص آخر:

«خديمتنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزيدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.»

وبعد: وصل كتابك وبطيه ورقة حساب مال السلف مبينا فيها جميع ما دخل على خديمتنا الطالب محمد بركاش إجمالاً ومضمن ما دفع لأرباب السلف إجمالاً كذلك وما بقى منه وأصل مال السلف وما وصلهم منه وما تحصل فيه بعد حظ صائر جبل طارق والندريز من الأبرار بزيادة الربح إلى أن بقى لهم مائة ألف ريال وستة وسبعون ألف ريال ومائتان ريالاً وثمانية وخمسون ريالاً، وذلك بعد مراجعة حساب الندرير ومناقشة فرينسية الصرف مرتين مع نائب أرباب السلف إلى أن أوقفتموه على حقيقته، وأفردت لهذا الحساب كناشاً خاصاً ورتبته على فصول ثلاثة على سبيل التفصيل لتصحبه معك لحضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال.

وقد أمرنا أمناء أعتابنا الشريفة بمقابلة الحساب المذكور مع الذى تحت أيديهم فأخبروا أنهم قبلوا ما هو مقيد بالكناش من مال السلف الموجه مع اعتراف خديمتنا

بركاش بوصوله له من ذلك، فألفوا ما اعترف به ناقصا عما هو مقيد بالكناش المذكور بخمس وستين مائة ريال وواحد وثمانين ريالا ٦٥٨١، وفاضلا تحت يده إحدى وثلاثين مائة ريال وستة وتسعين ريالا ٣١٩٦ مصيرا منها على الطلبة المتعلمين ببلاد النجيز ثمان عشرة مائة ريال وستة وثلاثون ريالا ١٨٣٦، والباقي وهو ثلاث عشرة مائة ريال وستون ريالا زائف ونحاس ١٣٦٠، كما ألفوا اثني عشر ألف ريال ومائتين ريالا وستة عشر ريالا ١٢٢١٦ مصيرة بطنجة وجبل طارق والوندريز.

فأما العدد المذكور الذي نقص به ما اعترف خديمتنا بركاش بوصوله عما هو مقيد بالكناش هنا فنأمرك أن تتلقى معه وتحقق سبب هذا النقص.

وأما ما صير على الطلبة المتعلمين من الفاضل المذكور فقد أصدرنا أمرنا الشريف للأمناء بتصويره مما عهد دفعه منه ليقى أمر السلف مضبوطا لكون إدخال ما ليس منه فيه وإخراجه منه يؤدي إلى التخليط.

وأما ما هو زائف ونحاس فلا بد من بيان الوقت الذي وجد فيه ذلك، فإن كان في هذه المدة فقد كان في كل مشاهرة يرجع منها ما هو زائف ونحاس ويوجه بدله، وإن كان قديما فيحقق ويبين من كان توجه على يده ومن حسبه هنا، فإن ذلك مبين على ظهر الفئاتق والبطائق التي بداخلها.

وأما ما صير بطنجة وجبل طارق والوندريز فلا بد من معرفة هل هذا الصائر مشروط من أول الأمر أو حادث وهل هو في المدة من أولها إلى آخرها أو في بعضها وفي أي شيء صير؟ فحقق ذلك تحقيقا وبينه بيانا شافيا لا لبس فيه ولا إجمال أصلحك الله والسلام في ١٤ من صفر الخير عام ١٢٩٨هـ.

ونص آخر فى ثمن المدافع الكبار المجلوبة:

«خديمنا الأرضى الأمين الطالب محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: فقد اعتذر أمناء مرسى العدوتين عن الاثنى عشر ألف ريال والأربعة والخمسين ريالاً والربع ريال التى قدمنا لكم الإعلام بأننا أمرناهم بتوجيهها لكم مما تحت أيديهم من الوفرة على يد أمناء طنجة من قبل ثمن المدافع الكبار بأن المحصل تحت أيديهم خارجاً عما بالذمم هو تسع وأربعون مائة ريال وواحد وأربعون ريالاً وربع ريال مندرجاً فيها اثنا عشر مائة ريال وتسعة وسبعون ريالاً وثلاثة أرباع الريال تحصلت من غير الوفرة، وأن بعض ذلك من سكة الدرهم فأمرناهم بأن يوجهوا لكم على يد الأمناء ما هو ريال من ذلك، وما هو من سكة الدرهم يبدلونه هناك ريالاً، ويوجهونه لكم إن تيسر لهم إبداله ثمة، وإلا فيوجهونه لحضرتنا الشريفة ليوجه لكم بدله ريالاً.

ونص كتاب الوزير الجامعى فى شأن ثمن المدافع والبارود والكور والأبراج:

«محسبنا الأعز الأرضى، الأمين الحازم السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصل جوابك عما كتبنا لك به عن أمر مولانا أعزه الله من أن تبني الأمر فى ورقة حساب السلف التى وجهت على التحقيق واليقين حتى لا يتطرق لما تؤسسه فيه احتمال وهم أو غلط أو نحو ذلك مما يضاد المراد من حسم مادة المطالبة بعدما أخبرت بأنك قد بنيت ما كان بينك وبين أرباب السلف على أساس مع نائبهم بعد ما عملت جهدك وطاقتك مرتين، فالحساب الأول معه بعد ما أثبتته فى الكناش وسطرته بقيت فى قلبك الحزاة ولم يسلمه خاطرك فوجهت عليه ثانياً، وقلت له: هذا الحساب غير مسلم فلا بد من مراجعته، وجلستم له

أيضا نحو ستة أيام لأن حساب الكنبي صعب لا يدركه ويحققه إلا من ومن فانتج لك الحساب الثاني اثني عشر ألف ريال وزيادة ربخًا، وكلاهما مسطران عندك في الكناش الأول والثاني وسلمه، وبعد ورود جواب سيدنا على حساب المدافع وورود المشاهدة كتبت لبرقاش في شأن الملاقاة مع باشادور النجليز لتمام الكلام معه في أمر شأن السلف والمدافع، وحثمت على برقاش يحضرها.

وبعد الملاقاة معه بينت له بمحضر برقاش أن الباقي لهم من السلف مشاهرتان، وعينت له قدرهما، وأن ما كان بقي لهم من ثمن المدافع نفذه له سيدنا أعزه الله بعد ورود ٥٠٠٠ ريال من آسفى، وأن سيدنا نصره الله أمر بإتيان ما بقي بالنديز من البارود والكور وغيره وتم الأمر بينك وبينه بوجه جميل والحمد لله بسعادة سيدنا.

ثم إن الخزائن ببرج الريشة المعدة للبارود والكور قد تم عملهم بناء وقبوا وتلبيسا، وما بقي في برج الريشة إلا شيء يسير وذلك في غاية ما يكون من الإلتقان والتوثيق، وهذه هي الأثرات التي تذكر بها الملوك على عمر الأزمان.

وبرج القصبة خزائنه ما بقي لهم إلا القبو وإقامته التي تكفيه من الأجور وغيره موجودة فيه إلا أنه اليوم لا خدمة عندهم فيه لقصر النهار، وكثرة الأمطار، بخلاف برج الريشة فالخدمة فيه لا تبطل، لكنها بصائر يسير، وقد شرعوا في تجليد بيوته بالخشب لنزول ما يرد من الكور فيهم إذا ورد ومدافعه سيركبونها في محلها فيه بعد أيام قلائل، وإن هذه حسنة عظيمة في صحيفة سيدنا أعزه الله وعرفنا ما ذكرته في ذلك وصار بالبال، وبعد أن طلعتنا به العلم الشريف دعا لك أعزه الله بخير وأمر بأن تأتي معك بصورة الأبراج والخزائن وما كمل بناؤه منها وما لم يكمل بناؤه فاصحب معك ذلك ولا بد عن أمره الشريف أسماء الله وعلى المحبة والسلام في ١٣ من ربيع ١ النبوى عام ١٢٩٨.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له»

ونص آخر:

«خديمتنا الأرمى الأمين الحاج محمد الزبى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك جوابا عما أنتجته مراجعة أمناء أعتابنا الشريفة ورقة حساب مال السلف التى وجهت لحضرتنا العالفة بالله من نقصان ما اعترف به بركاش عما قيد بكناش بريال ٦٥٨١ وبقاء ريال ٣١٩٦ فاضلا عنده مصيرا منه على الطلبة المتعلمين ببلاد النجلز ريال ١٨٣٢ والباقى ١٣٦٤ فى زائف ونحاس وتصيير ريال ١٢٢١٦ بطنجة وجبل طارق واللوندريز.

وذكرت أن أمر الفرق محقق عندك ومثبت فى الكناش الذى رتبت هناك، وأخرت الكلام فىه كتابة بقصد المشافهة به، وبعد ما وجهت ورقة الحساب على الإجمال علمت أننا نجيبك ببيان هذا الفرق وعرفنا ما ذكرته من أن سببه وقوع الخطأ عندكم فى مشاهرتين إحداهما عشرت عليها مقيدة عند خديمتنا الطالب محمد بركاش بتاريخ صفر عام ٩١ وردت له على الصويرة قدرها ريال ١٠، ٧، ٢٩١٥١ كبير وليست مقيدة عندكم فى كتابكم فأثبتها فى محلها، والثانية لما بلغت فى المقابلة للمشاهرة التى توجهت له من مكناس بتاريخ ١٢ من شعبان عام ٩٦ قدرها ريال ٣، ٣٥٢٣٨ كبير عن شهور ٣ والتى تليها مقيدة عندكم فى كناشكم بتاريخ ٢٩ شوال عام ٩٦ مثلها ذكرتها لخديمتنا بركاش، فأنكرها وذكر أنها لم تكن فحاججته فىها، فأجابك بأن حججتك لا تقوم عليه إلا بجوابه عنها على العادة بتاريخ القعدة عام ٩٦.

ثم أدلى بحجته وهى مكاتيبنا الشريفة مصرحا فى أولها وآخرها وتاريخ توجيهها فى المحرم حسبما فى النسخة منها التى وجهت بتاريخ وقت الكلام فيها بينك وبينه، ووجهت على كناش صائر المرسى فىه على مئونة الواردين بها من

الخيل والحمار على العادة فلم تقف فيه على شيء في ذلك التاريخ، وليس عندك حجة تحتج بها عليه سوى جوابه عنها، وحيث لم تقف في كناش المرسى على ما ذكر تحققت بعد إتيانها في ذلك التاريخ، وأنها تأخرت إلى شهر المحرم حسبما هو مصرح به في كتابنا الشريف وتقييدها عندكم بتاريخ ٢٩ شوال خطأ منكم.

وتأملت في سبب تقييدها فتذكرت أن السؤال كان وقع على حلول وقت المشاهرة في آخر شوال، وأجبت بأنها تحل في أول القعدة وقيدتها على أنها خارجة، فتأخر خروجها وبقيت مقيدة عندك سهواً، وبعد ذلك أمرناك بإعمال حساب السلف تفصيلاً فأعملته وقيدت من جملة المقيد بعد بحثنا لكم فيها مرتين فلم يحصل لكم شعور، فأمرناكم بتقييد ذلك في كناشنا فقيدت فيه كذلك خطأ ونسياناً، وكان خصه على يد أمناء دار عدليل في مشاهرة محرم عام ٩٢ ريال ٣٢٢ وفي مشاهرة جمادى الأولى عامه ١٦٧ وفي جمادى الأولى عام ٩٣ على يدهم أيضاً ريال ١٤، حسبما في الورقة التي وجهت.

وعلمنا أن صائر الطلبة باللوندريز أضيف للمشاهرة التي وردت لخديمتنا بركاش ودفع معها، والزائف والنحاس الذي على يده من المشاهرات التي كانت توجه قبل أبدال البعض منها والباقي لا زال بيت المال وقدره ريال ٥٥٥ بين خاص ٣ ونحاس ١٣ وزائف ٥٣٩، وأن هذا الزائف لا خسارة فيه وستصحبه معك ويدفع في الصائر.

وسألت الأمناء الذين كانوا يتولون حساب ذلك عن البطائق فذكروا أن بعض الخناشي يجدون فيها البطائق وجلها لا يجدونها فيها، وأن الصائر على المال بطنجة وبجبل طارق واللوندريز ليس بمشروط في الكنطرة التي كانت على يد العاجي، ولما تولى بركاش دفع المشاهرة من أول الأمر قال لهم: إنما لكم علينا سكة الابرة فعينها فييدل الريال بالابرات باللوندريز وتدفع لهم هنالك يطالبوه بالصائر على

توجيهه فيما يلزمه من كراء وطرفة البحر وكموسيون، فأجابهم لذلك ليتوصل إلى ما يفضل من الربح بعد الإبدال المجرد بالورقة التي وجهت، ولولا ذلك لما توصل لذلك الربح.

وطلبت إصدار أمرنا الشريف لبركاش بأن يدفع لك أصول حسابات اللوندريز تصحبهم معك لحضرتنا الشريفة، لأنك طلبتهم منه فظهر لك منه أنه يريد بقاءها عنده، والأولى بقاءها بحضرتنا العالية بالله وصار ذلك بالبال وعرفنا أن الفرق وستين مائة ريال واحد وثمانين ريالاً بين الحساب الذي وجهت وبين الحساب الذي سبب وقوعه هو ما شرحته.

غير أن الأمانة لما راجعوا حساب هذا السبب الذي بينت ألفوا خاصاً لكمال العدد المذكور ٥ خمسة ريال، كما ألفوا عدد الزائف والنحاس الموجود في المشاهرات السالفة ثلاثة عشر مائة ريال وأربعة وستين ريالاً، وعليه فنأمرك أن تصحبها معك مع بيان تاريخ كل مشاهرة وعلى يد من توجهت من الأمانة والعدد الموجود فيها من ذلك، كما تصحب معك أيضاً ٥٥٣ ما وجد زائفاً ونحاساً في هذه المشاهرة الموجهة آنفاً، وقد كتبنا لخدمنا بركاش يدفع أصول حسابات اللوندريز لك لتصحبها معك لحضرتنا الشريفة إن لم يبق له غرض متعلق بها والسلام في ١٦ ربيع ١ النبوي عام ١٢٩٨».

ونص آخر في شأن ثمن المدافع:

«خدمنا الأرضي الأمين الحاج محمد الزبدي، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أصدرنا أمرنا الشريف لأمانة العدوتين بتوجيه ما تحت يدهم من الوفر لأمانة طنجة بقصد أداء ما بقي من ثمن المدافع حسبما تقدم لك الإعلام

به، وقد أخبروا بأنهم وجهوا لأمناء طنجة من الريال الكبير ٢ ألفى ريال وتسعمائة ريال وأربعة ريال ونصف ريال ومن الصغير ألف ريال وثلاثمائة ريال واثنين وعشرين ريالاً.

ووجد تحت يدهم من سكة الدرهم أربعة آلاف مثقال ومائتى مثقال وجهوا ذلك لحضرتنا الشريفة بقصد إبداله بالريال، وقد أبدل فى عدد من الريال قدره ألف ريال ومائتا ريال واثنان وتسعون ريالاً، وها هو يرد عليكم صحبته والسلام فى ٢٩ من ربيع النبوى عام ١٢٩٨هـ.

ونص ما كتبه المهندس سكيرج للزبدى ترجمة لتقرير معلم الطبجية الانجليزية ليرفعه للحضرة الشريفة:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه النزيه السيد محمد الزبدى.

أما بعد: فقد طلب منى حاكم الطبجية الإنجليزية ومعلمهم أن أترجم له المكتوب الإنجليزية حوله إلى العربية وأسلمه لسعادتك لتطالعوا عليه العلم الشريف، وهو مشتمل على ما استحسنته المعلم الموما إليه وما تقتضيه المصلحة إجراءه وهذا ملخصه لى.

يرى المعلم المشار إليه من المستحسن أنه لا بد من إمعان النظر فى إجراء أمر مهم لا غنى عنه أبداً بوجه، حسب ما تقتضيه الحالة الحاضرة وذلك تقوية الجند بهذا الثغر المبارك المهم، فهو لا شك أمر ضرورى بلا خلاف، فمن المعلوم أن المدافع الجديدة متوقفة ومفتقرة على من يقوم بواجباتها حق القيام، ولو فرضنا أن هذه المدافع كلها مركبة بمحلاتها على التمام دون من يقوم ويحق خدمتهم بالتحقيق والتدقيق فهم حيثئذ والوجود والعدم على حد سواء.

فيلزم إذن ذلك لانتخاب عدد وافر من الرجال قادرين على الخدمة الشاقة ليقوموا بواجباتهم ويلتزمون طول المدة والمواظبة في التعليم، ليعلموا كيفية استعمال المدافع الجديدة تماما، وإلا فيقتصرون على واجبته وتعدم النتيجة ولا ريب أن تعلموا كيفية خدمته كانوا قادرين على تعليم غيرهم وقد قدر ذلك العدد الوافر المذكور أن لا يكون أقل من ١٠٠ رجل و ٧ قياد ليقوموا بواجبات المدافع الستة، ويستحسن زيادة ٢٠٠ عسكري و ٨ قياد للإعانة عندما تمس الحاجة إليه وتأذن لى الحضرة السنية أن أعلمهم حرب الرجولية وبعده حرب المدفع القديم حتى يتمرسوا فيه، فيكون قادرين على مساعدة الطبجية فى أى عمل من الأعمال المطلوبة، فلا يخفى ما يحصل للجانبين من النفع الجزيل، لأن الطبجية يزدادون علما بتعليم العسكر المذكور، ويتمرنون فى أعمالهم أكثر مما أدركوه فى حالة تعليمهم سابقا، وكذا العسكر يكون قادرا على استعمال سلاحه وعلى خدمة المدافع القديمة، وعلى مساعدة الطبجية فى مباشرة المدافع الجديدة، وزيادة على ذلك النفع العام الذى هو أحق بالانتباه إلى غير ذلك مما يطول شرحه بهذا الموضوع الجليل.

أما المدافع الجديدة منزلة قرب محلاتها فبمجرد الفراغ منها تركيب على محاورها وفى مدة شهر ونصف تركيبا مدفعى برج دار البارود واطلب من الحضرة العالية أن ترخص لى بزيارة اعتبارها الشريفة بعد تركيب المدفعين فى المدة المذكورة وهذا ما حرره الطبجى الإنجليزى وبالله التوفيق قيد فى ١٢ مرص الموافق ١١ ربيع الثانى ١٢٩٨.

محرره خديم الأعتاب الشريفة الزبير بن

عبد الوهاب سكيرج آمنه الله»

ونص كتاب سكيرج للزبدى فى شأن الإنعام السلطانى على المهندس المكلف بالأبراج وما وصل إليه العمل فيها:

«وعلى جناب أمين الحضرة العالية الفقيه النزيه عوض الوالد سيدى ج محمد الزبدى، السلام التام، ورحمة الله عن خير مولانا دام بالله نصره.

أما بعد: فقد شرفتنى سعادتك بمكتوبها الوارد على يد نائب سيدنا المعظم الفقيه السيد محمد بركاش فاستدعانى لمحلله حيثنذ، وكذا المهندس، وسلم إلى المكتوب المومى إليه، وأخبر المهندس أن سيدنا أيده الله أنعم عليه بكسوة مثل ما أنعم بها على الحراب بجبل طارق، فشكر فضل الحضرة السنية وكذا فضلكم، فإن شكر الوسيطة واجب. وعندما انصرفت من منزله قرأت كريم مكتوبكم وفهمت مضمونه ووضحته للمهندس فحصل له سرور كبير، ولنا أكثر منه، فلولا الوسيطة لذهب كما قيل الموسوط، فلا طاقة لى على مجازة عالى همتمكم فى الأمر الذى أنهت سيادتكم للحضرة السنية ووعدتكم بالخير إن شاء الله فى شأنى وقد قيل أنجز حر ما وعد.

ثم نعلم سيادتكم عن التعطيل الذى أنشئ للطبج فى تركيب المدفع الثانى الفقانى من برج الريشة خلاف ما وعد به، وهو أن إقامة المدافع الجديدة وردت من إنكلترا فكان وزنها... طونا منها ٤٤ طون من البارود والباقي من الكور ومكينات أخرى المعدة لتعمير المدفع فجعل البارود المشار إليه فى خزنة دار البارود الكبيرة بعد ما أصلحها المهندس، وباقى الأقيام فى برج المرسة وطبانه وفى برج الريشة، وقد حاول هذه الأيام فى تركيب الآلات التى يتركب بها المدفع وسأخبر سيادتكم عن ذلك إن شاء الله عما قليل.

وأما البناء فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف الدائرة من المدفع الفقانى، فلا يمكن بناؤه قبل تركيب المدفع حسبما ظهر للطبج، وأمور فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف للطبج، وأمور أخرى كالتجصيص وتلبيس بعض المحلات وتركيب أبواب الخزانات القديمة، وكذا باب البرج وأمر ذلك سهل قريب.

وأما التراب قد أنجز العمل فيه فى الجمعة الماضية، وما أخرجنا عن إتمامه قبل الوقت المذكور إلا شدة الأرياح التى صدت الناس عن الخدمة فيه، ثم إن مكينة الوزن قد ركبها المهندس بالدوانة وترشح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار، وأن البناء مستمر ببرج النعام، وكذا برج طبانه فى تعمير التراب وتخصيص أرضه وعلى محبة سعادتكم والسلام فى ١٣ رجب عام ١٢٩٨ .

عوض ولدك الزبير اسكيرج لطف الله به»

ونص كتاب المهندس المذكور فى الموضوع:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه النزيه السيد الحاج محمد الزيدى، أسأل عن صالح أحوال سيادتكم أجزاها المولى وفق ما تريدون، هذا وقد تشرفت بكريم إعلامكم أن سيادتكم قد أنهت أمرى لسيدنا أعزه الله فيما أنى عليه من الحزم والاعتناء فى بناء الأبراج وبحسن وسيطتكم العظماء أنعمت على الحضرة السنينة بكسوة جنديية، فعلمت حينئذ بدون شك أن سيادتكم افتكرتنى عند حضورها مع الباب العالى وشرفت اسمى فى ذلك المنزل الفخيم وذاك بذكر جميل جزيت سيادتكم خيرا فقد حصل لى من السرور الكبير وتقوية بحسن صنيعكم الجليل .

ثم أعلم سيادتكم أن تعمير التراب ببرج الريشة قد انتهى العمل فيه فى الجمعة الماضية وأن برج النعام متقدم فى الخدمة، وبرج طبانه فى تجهيز حفر الأساسات، وأن مدفع برج الريشة الثانى لم يتركب إلى الآن والعائق عن ذلك ورود إقامة المدافع الجديدة الستة من إنكلترا وأن مكينة الوزن ركبها بالدوانة وهى توزن الآن على التمام ومن جملة تحقيقها ترشيح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار وهذا ما وجب به الإعلام فى ٣ رجب ١٢٩٨ .

عن اذن المهندس المكلف ببناء الأبراج

إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمنة»

ونص توصية المذكور بمساعده سكيرج :

«استدرك خير فقد خصصت هذا لسعادتكم لأطلب من كريم فضلکم وعظيم تأثيرکم أن لا تنسوا خدمة خليفتي السيد الزبير اسكيرج، فلا يخفى سيادتکم من ما فيه من الحزم والنجابة والمواظبة على التعليم، وأظن أن سيادتکم على بصيرة من ذلك وشاهدته بهذا الطرف ولا ريب أن خدمته ستكون نافعة جدا للخدمة السلطانية، فلهذا أشکر جميل أوصافه وأوصى به خيرا لسيادتکم، وفي الوقت نفسه أعلمه هنا ما يمكن تعليمه وأرجوكم السلام في ٣ رجب عام ١٢٩٨ .

عن اذن المهندس المكلف ببناء الأبراج

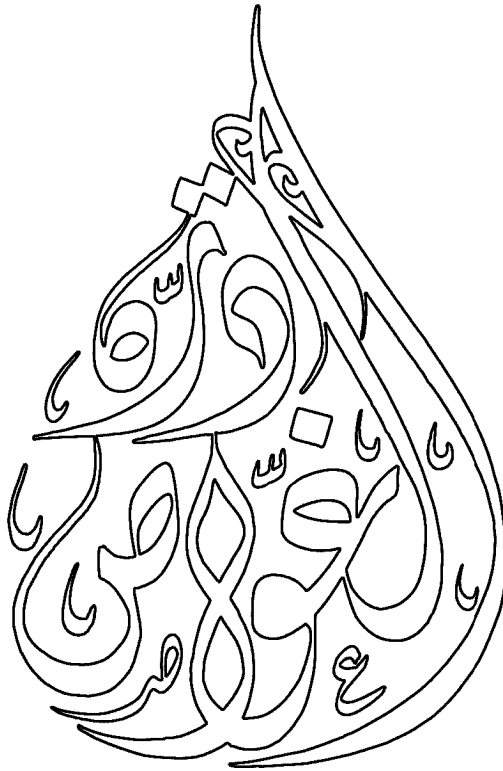
إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمنة»

هذا وقد بنى صاحب الترجمة برباط الفتح خارج باب العلو على ساحل البحر برجا عظيما هائلا يسمى بالبرج الكبير أو البرج الألماني لقيام بعض مهندسى الألمان ببنائه وتخطيطه وجلب مدافعه من بلادهم، وقد تولى مساعدة المهندس المذكور فى بنائه منذ سنة ١٣٠٣ السيد الزبير سكيرج المهندس المغربى الذى تولى قبل ذلك مساعدة المهندس الإنجليزى فى أبراج طنجة .

وكان القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شئونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك الأمين الصدوق الوطنى الغيور السيد الحاج عبد الخالق فرج محتسب الرباط وناظره، وبقيت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظى، وفى سنة ١٣٠٧ وجه

المترجم بعثة لألمانيا للمفاوضة فى شراء المدفعين العظيمين البالغ وزن كل منهما ثلاثين طنا اللذين أراد جلبهما من معامل كروب الشهيرة باسن من تلك الديار وتركيبهما بالبرج المذكور، فتوجهت متركبة من الأمين الحاج محمد الزكاوى، والمهندس سكيرج، والمهندس الألمانى وفى سنة ١٣٠٨ وجههم صحبة بعض رجال العسكرية من كبار الطبجية، وهم الحاج إدريس بن عبد الواحد، والقائد محمد الشديد، والقائد محمد سباطة الرباطيان إلى مدينة مبين من بلاد الألمان لحضور اختبار المدفعين المذكورين، ثم رجعوا وطرحوا نتيجة عملهم على البساط العالى.



الكلام على بقية استعداداته الحربية

وذكر قوته العسكرية

واهتمامه بالإطلاع على المخترعات العصرية

وما كان على عهدِه بالعدائر والهواتر المخزنية

ومما يتعلق بجلبه الذخائر الحربية من الديار الأروبية غير ما سلف ما أصدره
لنائبه السلطاني بطنجة فى شأن البارود المجلوب من إنجلترا ونصه:

«خدیمنا الأرضی الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته

وبعد: فقد أخبر مولای أحمد الصویری كبير الطبجية بحضرتنا العالیة بالله
أن سيدنا المقدس بالله كان كلفك بجلب خمسمائة قنطار من البارود النجلیزی،
وكننت وجهت عربونه وقلب وسلم، وأمرت بجلب العدد المذكور منه ولم یدر فى
أى مرسى من المراسى وضع ذلك حين ورد، وعليه فلا بد بین لنا المرسى الموضوع
فيها ذلك والسلام فى ١٥ من ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وما بعثه له فى شأن حبة التلحيق المجلوبة من بلجيكا ونصه:

«خدیمنا الأرضی الطالب محمد بركاش، وفقك الله.

وبعد: وصل كتابك بأن المليون من حبة التلحيق الذى أمرناك بجلبه ورد
وأنزل بالدار البيضاء وحازه أمناؤها فى عشرة صناديق وطلبت أمرنا الشريف لهم
بتوجيه ذلك لحضرتنا العالیة بالله، وتنفيذ ثمنه لباشادور البلجيك لوروده على يده
وقدره ثمان وأربعون مائة وتسعة وتسعون من الفرنك ٤٨٩٩ حسبما بحساب
المكلف بجلب ذلك الذى وجهت، فقد أمرنا الأمناء المذكورين بتوجيه ذلك
لحضرتنا الشريفة وأداء ثمنه للبشادور المذكور على يدك، وكتابنا الشريف لهم
بذلك يصلك والسلام فى ٤ المحرم فاتح عام ١٢٩٩».

وما كتبه قنصل البلجيك للأمين الزبدي فيما يتعلق بجلب الذخائر من
معامل بلاده ونصه بلفظه:

«إلى حضرة المبجل المعظم المنتخب الأعز الأحب الأود الفقيه المصيب اللبيب
سيدى الحاج محمد الزبدي، بعد السؤال عن كافة أحوالك المرضية الزكية وأنفع
السلام وأجله على سيادتك المعظمة المحترمة، ومحبة أن تكون بخير وعافية ونعمة
شاملة مرضية، ليكن فى كريم علمكم أيها المحب أنه قد أخبرنى محب الجميع
السيد بوبكر أنك على خير وعافية وذلك هو بغيتنا دائما وأبدا... هذا وإننا لما
نعرفه من منزلتكم المعظمة لدى السلطان أيده الله، هأنا نكتب لك اليوم على شأن
أمر أوقعنى فى غيبنة كبيرة وهو أننى كنت هذه مدة من عام كتبت كتابا للوزير
السيد محمد بن العربى ولم يكثرث به ولا رد لى جوابه إلى الآن، وحتى الآن وها
بطى هذا نسخة منه تنظرها... حيث كان ظهر لى ما هو منفعة للسلطان أيده الله
وأنه يقبل ذلك الكلام المعروض من صاحب فبركة الحرب ببلاد الياج بلاد البلجيك
الذى هو عين الصواب غاية، ويكون عند السلطان الحرب الجيد الرفيع الذى يقرب
أن يكون جديدا وثمنه موافق كثيرا على الذى بسواه الحرب الجديد إذا لم يرد يرسل
فى مرة واحدة عدد ٥٠٠ لبلجيك فيقدر يرسل مائة أو مائتين يجرب بها، وبعده
ينظر إذا وجد ذلك يعنى هذا الإصلاح يليق يكمل يرسل الباقي...»

فنحن عندنا غرض وشهوة كثيرا أن السلطان يقبل هذا الأمر ويعمل هذا
التبديل الذى يعرضه صاحب الفبركة، لأننى تغيرت كثيرا لما سمعت أن السلطان
أيده الله ليس هو على خاطره من أجل هذا الحرب الذى هو من بلادى بعد ما
عملت جهدى وكتبت لصاحب الفبركة الذى هو منتخب ومن أعلى أصحاب هذا
الشأن غاية...»

فأنتم أعزكم الله الذى عندكم العقل التام وسافرتم لبلاد أروبة، لا تخفى عليكم جميع الأمور، إذ تعرفوا أن هذه أمور الحرب هى مسألة نحيفة لطيفة، وأن جميع الدول يقع فيها الآفات فى مبادئ تخديم الحرب الجديد... فنعلمك على وجه السر أن عندى أمارات أثبتت لى أن القائد مكلين لا يعجبه هذا التبديل، لكن الذى يظهر لى أن المنفعة للجانب الشريف تقدم قبل كل شىء، وهو الذى نرتضيه لسيادته كما فى اعتقادى، إذا يوافق السلطان يعمل تجربة فيقدر يرسل المكاحل مغلفة مربوطة للتاجر ردمان خليفة البلجيك الجديدة، وأنا نكتب له يرسلها لبلجيكة قاصدة لكيلا يلزم على ذلك كثرة مصاريف فنطلب أن يبيكم الله على خير وعافية وطول عمر فى الخير والهناء ودوام محبتنا، لأننا دائما نتفكر ما كنا فيه متباسطين ونتحلى به غاية ودمتم بخير وعافية والسلام وفى ٦ إبريل عام ١٨٨٣ موافق ٢٧ ج لى عام ١٣٠٠ .

عن إذن منسطر البلجيك بإيالة مراكش

انرسط دلوان»

ونص كتاب وزيرى فى تكليف سفير فرنسا الكندى درينى بجلب المدافع الجبلية من بلاده على يد حكومته بعد الافتتاح:

«وبعد فقد أمرنى مولانا نصره الله بالكتابة لك أيها المحب بأن تطلب من دولتك الفخيمة أن تأذن لوزير الحرب عندها فى أن يشتري على يده لجنابه الشريف بطريتين من مدافع الجبل ذات فرمة أربعة تكون تعمير من أفواهما وفق ما كتب عليه الحراب الطبجى الفرنصيصى الذى هنا للوزير المشار إليه، وتكون مع كل بطرية من هاتين البطريتين إقامتها المبنية بطرته وروضاتها من الحديد، فإن ما جلب ويجلب على يدها من ذلك جيد متقن العمل والصنعة لا محالة جزيت خيرا على اعتنائها وبقيت كما تحب والكتاب الشريف لأمناء مرسى طنجة بقبول البطريتين

المذكورتين ودفع ثمنهما لك مع ثمن إقامتها المذكورة الذى ذكره الحراب المذكور وهو خمسة آلاف ريال، وثمان الرويضات من الحديد التى تجعل لها بدلا عن رويضات العود الذى تبينه لهم: يصلك طيه ودمت بخير وختم فى ٨ صفر عام ١٣١١.

ونص المكتوب بطرته المشار لها:

(ستة وستون صندوقا للعمائر يجب للبطريتين معا من الصناديق ١٣٢ صندوقان للإقامة والماعون.

سنة وأربعون بردعة

وخمسمائة عمارة لكل مدفع)

ونص الكتاب الشريف لأمناء طنجة المشار له:

«وبعد فقد كلفنا باشادور الفرنسيس بجلب بطريتين من مدافع الجبل التى تعمر من أفواها ذات فرمة أربعة مع إقامتها المبنية بطرته فأنمركم: أن تقبلوها منه وتجعلوها مع إقامتها فى محل صين لا برودة فيه وأعلمونا، وأن تدفعوا له الخمسة آلاف ريال الواجبة فى ثمنها وثمان إقامتها مع ما يجب فى ثمن رويضات من الحديد كلف بجعلها لها بدلا عن التى من العود الذى بينه لكم وأعلمونا به والسلام فى ٨ صفر عام ١٣١١».

ومن استعداداته الحربية وتنظيماته العسكرية استقدامه من أوروبا الحراة الإنجليز والفرنسيس والإسبان واستخدامه إياهم فى تدريب جيشه وجنوده على الحركات المستحدثة والتمارين الجديدة، زيادة على إرساله البعثة تلو البعثة من ذلك الجيش لأروبا بقصد الاقتباس من فنونها العسكرية كما مر بك قريبا، ومما يتعلق بهذا الموضوع ما أصدره لثابته السلطانى بطنجة فى عقد شروط الحراب الإنجليزى:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه جواب الإنجليزى الحراب العسكر بحضرتنا العالية بالله عن الشروط التى كتبت له بها، وذكرت أنه قبلها كلها إلا العقدة عن سنة واحدة لم يقبلها، وذكر أنه إذا استغنى عنه عند تمام السنة يعطاه ألف ريال لضرورياته ويتوجه، وقد وصل خط يده الملتزم فيه أنه إذا طلب التوجه هو بطيب نفسه بعد السنة فلا يطلب شيئاً من ذلك، وقد قبلنا ما شرطه من ذلك على الوجه الذى بينه والسلام فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤».

وما أصدره له فى أمر الحرابة الفرنسيس:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك من حلول إبان ما كنت تذاكرت فيه مع جانبنا الشريف فى شأن الحرابة إن صح ما بلغنا من تبديل الفرنصيص إلخ، وذكرت أن الأمر أشكل عليك ولم تدر هل المراد بذلك حتى الحراب الفرنصيصى الذى بحضرتنا الشريفة أو الحرابة الفرنصيصون الذين بالرباط، وطلبت بيان ذلك لتكون على بصيرة فيما تتكلم به، فالناقل لنا ذلك على لسان كبيرهم الذى هنا ذكر أنه هو المقصود لا غيره والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠».

ولما أشرف نجم حياته على الأفول استغنى عن أولئك الحرابة لكون العسكر الذين وردوا بقصد تعليمه حصل له التعلم، وكتب لسفراء دولهم بذلك ليبلغوه حكوماتهم، فتأذن لحرابتها فى السفر لبلادهم فى الوقت الذى تعينه لهم الحضرة الشريفة، وكان ذلك على اللسان الوزيرى قبيل وفاته بنحو الشهرين.

وقد مر بك فى العلاقات السياسية مع إسبانيا أن من جملة المطالب التى ذهبت لأجلها سفارة القائد عبد الحميد الرحمانى طلب الإذن للحراية الإسبان فى الانسحاب مما هم فيه للاستغناء عنهم لتعلم المعسكر ما فيه الكفاية، وجواب إسبانيا عن ذلك بأنها تساعد عليه بمجرد سفر غيرهم من الحراية من أجناس أخرى.

ومن أهم استعداداته وأعظمها إنشاؤه دارا لصناعة السلاح بفاس داخل باب الساكمة، وصرفه همته إليها حتى أسسها على أبداع طرز، وأرقى نظام، وأنفق عليها أموالا طائلة، وجلب إليها العملة والصناع من الديار الأوربية، وكان ابتداء العمل فى بنائها سنة ١٣٠٥ وانهاءه سنة ١٣٠٨ وكتب بأعلى بابها:

دار السلاح

منشئها الأمير مولاي الحسن

وكان الذى تولى تخطيطه هو المهندس الإيطالى (نوطيرا) الذى وجهته حكومة الطليان مع غيره إجابة لطلب الدولة الشريفة، وقد وقفت على نص كتاب وزير الخارجية الذى أجلب به سفير إيطاليا عن توجيه حكومته البعثة المذكورة، وفيه بيان مكانة أفرادها فى بلادهم وأنهم أخرجوا من معامل الأسلحة هناك، وذكر ما رتب لهم على مراتبهم ومن عين لمرافقتهم، ثم طوافهم على بعض المعامل كمكينة العدة التى بفاس ومعمل السكر والقرطوس اللذين بمراكش وغير ذلك ولفظه:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين مينسطر دولة الطليان الفخيمة الكبلير المعبر روميو كنطاكلى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، وصلنا كتابك بأنك وجهت لحضرة سيدنا العالى بالله

الفسيايات الثلاثة الموجهين من قبل دولتك الفخيمة بقصد الفبركات المعلومة صحبة الكبلي جتيني، وأن هؤلاء الفسيايات انتخبوا من مهرة فسيالاتكم وأعقلهم وأخرجوا من فبركات الأسلحة ببلادكم، وبينت اسم كل واحد منهم ومرتبته وأشرت بالاستيحاء خيراً بهم، والثقة بهم فى جميع الأمور، وتنفيذ المسائل لهم التى يتوقفون عليها لخدمتهم المكلف بيانها، والوقوف على تمكينهم منها الكبلي جتيني، وذكرت أن جميع ما يوافق عليه من أمور خدمتهم توافق عليه وتقبله لكونه ثقة عندكم، ومن أهل المحبة فى الجنا ب الشريف.

فقد أطلعت بكتابك شريف علم مولانا نصره الله وعلم مضمينه ووصل الفسيايات المذكورون صحبة الكبلي جتيني ورحب بهم وبه مولانا أيدى الله، وأنزلوا وأنفذ لهم مولانا دام عزه مراتبهم الشهرى وقدره أربعمائة ريال للكونيل، وثلاثمائة ريال للماجور، ومائتان وأربعون ريالاً للمهندس، وحازوا ما وجب لهم فى مرتب شهر شعبان الفارط، كما نفذ لهم أعزه الله المحل بنزولهم بالمحل الذى يتوجهون له، والخيل لركوبهم والبهايم لحمل حوائجهم والخزائن لسفرهم وأربعة من العساكرية للأخذ بأيديهم، وأحد الطلبة الذين كانوا يتعلمون بإيطاليا للترجمة، والعلف لخيلهم.

وكلفنى أعزه الله بمباشرة أمرهم، وهم إلى نظره الشريف وفق ما أشار به الكبلي جتيني وهم بصدد السفر لفاس لرؤية مكينة العدة التى بها وسرد آلتها واختيارها والتطوف بوادى فاس ورؤية المحل منه الذى يصلح لفبركة الأسلحة وبعد ذلك يتوجهون لمراكش لنظر المحل بنواحيها الذى يصلح لمكينة الأسلحة، ورؤية فبركة السكر والقرطوس واختبارهما، وكما أن جتيني ثقة عندكم فكذلك عند الجنا ب الشريف. ومعدود عند سيادته من الأحياء النصحاء الساعين فى الخير، وقد أمرنى مولانا نصره الله بإجابتك بما ذكر ومجازاتك بخير على وقوفك واعتنائك

بأغراض جنابه الشريف، كما أمرنى دام تأييده بالكتابة لك بأن تنوب عن سيادته فى مجازاة دولتك الفخيمة على ما ظهر منها من دلائل المحبة والصدقة بوقوفها واعتنائها بأمره المولوية وسعيها فى الخير لإيالاته السعيدة سرا وعلانية ودمت بخير .

وختم فى ١٠ رمضان عام ١٣٠٥ ومنه: ومرتبهم المذكور عن شهر رمضان وما بعده أمناء مرسى طنجة يكونون يدفعونه لهم فقد صدر لهم الأمر الشريف بذلك صح به محمد المفضل بن محمد غريط الله له»
ونص كتاب وزيرى آخر قبل ذلك فى الموضوع:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين نائب دولة الطليان الفخيمة الكبليير مايسى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد وصل كتابك بأن المحب الباشدور الصائر إلى ما تصير إليه كل نفس كان أخبر سلطانكم المعظم بما طلبته الحضرة الشريفة من جلب مهندسين طليانيين... بقصد النظر فى أمر جعل فبركة الأسلحة وغيرها فأذنت دولتكم الفخيمة فى توجيه ثلاثة فسيالات مهندسين من الجيش الطليانى للحضرة الشريفة، وأن هؤلاء الفسيالات يطلبون أن يسبق لهم الجناح الشريف العدد الذى بينت من قبل صائر سفرهم من إيطاليا لطنجة واشتراء ما يحتاجون من الحوائج لقدمهم، وأشرت بإنهاء ذلك لشريف علم مولانا نصره الله ليأمر أيدى الله بتنفيذ العدد المشار إليه لهم إن اقتضى نظره الشريف المساعدة على مطلبهم، وذكرت أنهم حيث يردون لطنجة يكون صائرهم على المخزن والمال المسبق لهم لا يحسب عليهم، لكونه من قبل صائر السفر، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا فرحب نصره الله بالفسيالات المذكورين وقبلهم وأثنى على دولتك الفخيمة ودعا لها بمزيد الضخامة والشامة والثروة والفخامة.

وأمرني أيده الله أن تحببك بأن تجازيها خيرا على لسانه الشريف على اعتنائها بأموره الدال على محبتها و صداقتها وبأن تحببها عن الفسيالات بأن المصلحة اقتضت تأخير توجيههم في هذا الوقت إلى أن ينصرف من هنا الفسيال المحترف بمثل حرفتهم، لأنهم إذا وردوا قبل انصرافه يجعل ورودهم سببا للإقامة هنا وعدم الانصراف، وحيث ينصرف يصدر لك الإذن الشريف بالتوجيه عليهم فمرحبا بهم وبكل من يأت من دولتكم المحبة، وينفذ لهم أيده الله صائر سفرهم على يدك ودمت بخير وختم في ٢ ربيع الأول عام ١٣٠٥هـ.

وقد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا وبلجيكا السالف الكلام عليهم قريبا وكان رئيسها الكولونيل الإيطالي بريكليف وكبراؤها السيد محمد الصغير والسيد المختار الرغاي والسيد محمد بن الكعاب والسيد إدريس الفاسي والسيد الطاهر بن الحاج الأودي الذي لا زال حيا يرزق الآن، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل من فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلوان وغير ذلك.

وكانوا ينقسمون إلى أقسام لكل قسم قائد مائة ومقدم وملازم وأجرتهم اليومية من اثني عشر مثقالا إلى مثقال واحد والعشرة مثاقيل تساوى بحساب صرف اليوم ثلاث فرنكات ونصف وعشر سنتيمات - وكان يصرف لهم اللباس سنويا، وكذلك اللباس الذي يباشرون به العمل، وكانوا لا يخرجون منها إلا بإذن الكولونيل رئيسها، وقد وقفت على إذنين أصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه ونص أولهما:

دار السلاح بفاس

تسريح المتعلم علال بن العربي لصلة الرحم بمكناس على عشرة أيام فاس
فى ١٣ شعبان عام ١٣٠٩ يوافق ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

كبير الفبريكة الكرنيل

الطليانى»

ونص ثانيهما بلفظه:

«الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله

فى ١٤ ذى الحجة عام ١٣١٠

الواضع خط يديه تحته أنه وجه صاحبه السيد محمد المكناسى بن الحسن
لداره بمكناسة الزيتون ويبقى بداره سبعة أيام هناك بقصد صلة رحمه مع أهله
ويرجع لمحل خدمته بحول الله وقد آذنته بالسفر والسلام.

أمير الفبركة بفاس عن إذن سيدنا أعزه الله

الكرنيل الطليانى بريكليف»

وكان عدد ما يقبضه الأمناء من مصنوعات الدار فى كل جمعة صندوقين
داخل كل واحد منهما ثمانية عشر بندقية بحرابها، وبلغ عدد ما كانت تدفعه من
القرطاس شهريا ثلاثمائة ألف وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج (بوحفرة)
وبالإفرنجى (مرطنى).

ولما توفى منشئها المترجم ذهب المهندس نوطيرا المذكور لحال سبيله وجاء
بدلا عنه المهندسان الإيطاليان (اطرونيلى) و (كابا)، ثم جاء بعدهما (بابونى) وبقي
العمل مستمرا بها إلى حدود سنة ١٣٢١ وتقلبت بها الأحوال بعد ذلك إلى أن
صارت الآن بالكراء ليد شركة (لادورسبو).

هذا ما وقفت عليه مما يتعلق بمعمل السلاح الفاسى وأعيان العملة به وتلقيته من بعض الرؤساء المتخرجين من فرنسا فى الترجمة والهندسة الذين كانت لهم الرياسة فى المعمل المذكور.

وقد ضربت بهذا المعمل السكة النحاسية (الصولدى) على عهد المترجم سنة ١٣١٠ ثم فى دور خلفه من بعده سنة ١٣٢١ و١٣٢٢ ولا زال التعامل به إلى الآن بقلة وندور، وكان بمراكش دار معمل القرطوس ودار معمل لصنع البارود المزرج، ودار معمل لصنع سكر القالب، غير أن منشىء هذه الأخيرة والد المترجم واستعملها ولده المترجم وكان القالب يخرج منها أحمر، وقد مر بك ذكر بعض هذه المعامل فى كتاب الوزير غريط لسفير إيطاليا.

أما القوة العسكرية التى كانت عنده فإنه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة من الوصفاء الأقوياء الذين كان كبيرهم الوصيف الشهير ابن المزوار، ومن أهل سوس الأقوياء الذين كان كبيرهم الحاج منو الشهير، ومن غيرهم كطابور الحاج عزوز بن الفتوح، والحاج محمد الزروالى وغيرهم: أصدر أمره الشريف لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم، وعين ح وزير العسكر الفقيه السيد محمد الصغير الجامعى للتوجه لدكالة للإتيان بما فرض عليهم وهو ألفان والله أعلم.

ومن الشاوية كذلك، ومن الرحامنة كذلك، ومن حاحا كذلك، ومن قبائل الدير ما عين لكل قبيلة منها زيادة على عدد الطبجية الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة، وبالأخص عند تحرك الركاب الشريف لكل ناحية من إيالته الشريفة، زيادة على قوة خيل القبائل ورماتها التى كانت ترد أفواجا أفواجا.

وقد كان مهتما بأمر رعيته وتحسينها وقوتها العسكرية، فقد كان يتفقد أبراج المراسى بنفسه ويأمر بالاهتمام بشأنها، وقد عين أخيرا بكل مرسى مهندسا لمقابلة

قوتها والطواف عليها والإخبار بواسطة الشريف مولاي أحمد الصويرى كل حين بالصالح منها والمفتقر للإصلاح.

وعندما يصل الإعلام بذلك يصدر الأمر الشريف بتنفيذه حالا، وكان رحمه الله له اهتمام كبير بفابركة السلاح بفاس يتفقدتها فى غالب الأوقات بنفسه.

وقد أبدى قدس الله روحه فى وجهته السوسية الأخيرة التى وصل فيها إلى اركسيس وآصاكة الجرتين ما لا يزيد عليه من الاهتمام، وأبدى من أفكاره الصائبة ما لم يبده أحد من أهل العقول الراجحة وكذا بحركة تفيلاط والحركة الجبلية وغيرهما.

كما كان رحمه الله له اهتمام كبير بالاطلاع على الاختراعات الوقتية، فقد جلب له أحد السفراء وهو بمراكش آلات للضوء الكهربائى فركبها المهندسون الأهليون مع بعض المهندسين الواردين مع السفير المذكور حتى أثار الضوء بأماكنه المنيفة بالقصير (بالتصغير)، كما جاء له بعض السفراء بالسكة الحديدية وعرباتها ونصبت بأكدال بمكناس وياشر نصبها بعض المهندسين الأهلين ومن كان معهم من الأجانب واستخدمها وركب بها حاشية المخزن الشريف.

وبعد استيفاء الغرض منها جمع الجميع بخزائن الأروى، كما جاء له بعض الأجانب بآلات للكلام من بعد فكان يستخدمها المهندسون بحضور جلالتة الشريفة.

وكانت إنكلترا قد طلبت من حضرته الشريفة جعل بابور البر ومد السكة الحديدية ببعض النواحي المغربية، كما طلب غيرها إدخال غير ذلك من الاختراعات العصرية، فكان يجيبهم بالشكر لهم على الاقتراح مع إرجاء تنفيذه ببعض الأعذار، أو الإشارة إلى عدم تيسر ذلك فى الوقت أو نحو ذلك.

وكل هذا كان اتقاء منه لما يؤدى إليه ذلك من التداخل الأجنبى والتنافس الدولى، وكان هذا دأبه معهم دائما فى كل أمر له مندوحة عنه رأى فيه مَسًا ما

باستقلال المغرب وسيادة سلطانه وشريعته، وإليك مثالا ما كان يصدره في مدافعتهم عما يريدون وكم له من نظير:

«خديمتنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة

الله .

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشدور النجليز لك بما أشار به من استخدام آلة الشمس التي لجانبنا الشريف بطنجة للناس بالخلاص كما بينه في تقييد صحبة كتابه المذكورة، وصار بالبال، فدافعه عن ذلك بما أمكنك فإنه لا يخفاك ما ينشأ عن ذلك من تشوف الغير، سيما والصبنيول يطلب جعل الطلكراف من طنجة لطريف بحرا، وحتى إن كان لابد من استخدام الآلة المذكورة فيكون بداخل إيالتنا وخدمتها من رعيتنا والسلام في ٢٣ شوال الأبرك عام ١٣٠٠».

وأما العذائر المخزنية والهواثر السلطانية في عهده فكثيرة.

ومنها عذير المليحا بالمرجة قرب العرائش وكان فيه في أوائل عام ١٣١١ من البقر الأهلى المؤلف ٢٨٠٠ ومن الوحشى تقديرا ٢٤٠٠ ومن الحجر وهى أنشى الفرس بما معها من التاج تقديرا ١٤٠٠ .

وكان بعذير مشرع الحضر من البقر المؤلف نحو ١٨٠٠

ومن إناث الفرس وما معها من التاج نحو ٧٠٠

وكان بعذيرى الشراودة وأولاد مروان من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذائر الصوير (تصغير صور) وشرق العقاب والخندقيين بين طنجة

وأصيلا من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذير تحمينه بنى حسن من البقر نحو ٧٠٠

وكان بعذير جربة نحو ٣٠٠



بشير الإسلام بخوافق الأعلام

وكان بعذير الرميثة نحو ٢٠٠

وكان بقرب الجديدة عذير الشياظمة والحويرة بهما نحو ٤٠٠

وأما هوائر الخيل والبغال وعزائبها وهى التى يصرف إليها ما يستغنى عنه من ذلك بعد أخذ المحتاج إليه للحمل فى الحركات والتنقلات وغير ذلك، فقد كانت مفرقة فى نحو خمس وثلاثين قبيلة لحفظها وصيانتها، ومن أتلف شيئاً منها فعليه غرمه وسائر البغال المخزنية يكون موسوماً بميسم خاص وقد كان منها بالخور عدد كثير.

فمن خصوص الموسم من البغال بصورة الثمانية مزدوجة نحو أربعة عشر ألف بغلة، وهى إلى نظر قائدها القائد محمد بن على، وبعده القائد العربى الهلالى.

ومن المطبوع بصورة ثمانية نحو العشرة آلاف وهى إلى نظر قائدها القائد سيدى عبد السلام الحيانى.

ومن المطبوع بصورة الثلاثة وهى إلى نظر قائدها القائد محمد الشاونى نحو العشرة آلاف.

ومن المطبوع بصورة منه روام العيال السعيد ومراكبها وهى إلى نظر القائد بن القائد العربى السوسى والقائد العربى الطفور، وهى نحو الثمانية آلاف وقد أصبح الكل اليوم فى خبر كان.

ومن خيل الأروى السعيد ما يناهز العشرة آلاف، والمراد من خيل الأروى خيل الغرض والخيال التابعة للمراكب لا المراكب، فإنها لا تخرج قط.

ومن خيل الفراجية ما يقرب من ذلك.

وكان عند تأهبه لسفر ما يكون خارج علفه يومياً ما يناهز العشرين وسقاً.

استعداده البحري

واتفق مع حكومة إيطاليا على صنع مركب حربي للدولة الشريفة بطرسخانة «الأخوات أورلانزو» الموجودة بـ «ليفورنو» من تلك البلاد وسمى هذا المركب البحري الماخر ببشير الإسلام، بخوافق الأعلام.

وعما يتعلق بصنع هذا المركب الحربي ما جاء في كتاب وزير الخارجية الحسنية لوزير الخارجية الطليانية «إكريسي» بتاريخ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ أنه: وصلنا كتابكم بأن المركب الحربي الذي تصنعه دولتكم الفخيمة على يدها للحضرة الشريفة أعزها الله يكون في كفالة الله وكفالة دولتكم المحبة، ويكون استخدامه على يدها، غير أنه لا يمكن أن يبقى دائما مسافرا في البحر، ولا بد من توجهه للساحل حين يكون في البحر الهيجان، وجعل مرسى حربية له يكون فيها أمان من ذلك وغيره وهذه المرسى التي تجعل له يكون يتوجه إليها المركب والمراكب الشريفة لتجديد الفحم وقوت البحرية وركوب الدائرة الشريفة منها التي تريد السفر في المركب المذكور.

وأن دولتكم صرفت همتها لهذا الغرض لما فيه من المصلحة الواضحة ولكون هذا المركب في كفالة الله وكفالتها ورياسه طليانيون واستخدامه على يدها وعهدته عليها، ولا يمكن جعل هذه المرسى البحرية على وجه حسن إلا على يد من لهم المعرفة التامة بمثل ذلك كالمهندسين الطليانيين وأن الكبليز جتيني ينوب عنكم وعن المنسطر كنطاغلي في بيان المسائل للحضرة الشريفة المتعلقة بهذا الغرض، وأشرتكم بتصديقه في ذلك وقبوله منه لكونه صدوقا محبا في الجانبين.

وأطلعت بكتابكم شريف علم مولانا نصره الله فاعترف أعزه الله باعتنائكم الدال على محبتكم ومحبة دولتكم الصادقة، وقد بين الكبليز جتيني للحضرة

الشريفة المواضع التي تصلح لجعل المرسى الحربية بها التي نهتم عليها، وأشار بأن يكون يصنع للحضرة الشريفة ما تريده من المراكب الحربية فى المستقبل ببلادكم، فأمرنى مولانا نصره أن نجيبك عن ذلك بأن المصلحة الوقتية اقتضت عدم الاشتغال ببناء التحصينات الحربية كما لا يخفى على العقلاء أمثالكم حسبما شافهت به حضرته الشريفة نائبكم المذكور.

وأما المراكب الحربية فأجاب عنها سيدنا أيده الله بأن الذى يمكن سيادته ويعطيكم القول به هو أن لا يصنع مركب آخر قبل وجود هذا الذى يصنع على يدكم، وإذا كمل ووجد ولم تحصل به الكفاية يصنع ما يراد من ذلك حيث يشاء الله ويختار، إذ لا اختيار للعبد مع مولاه.

وتصلكم سكين مذهب من عمل هذه الإيالة السعيدة على يد المحب المنسطر الكبير كقطاغلى إكراما لكم من الحضرة المولوية.

وإليك نص ظهير شريف عزيزى يتضمن الأوامر المولوية لرجال المركب المذكور بالقيام بوظائفهم الدينية والبحرية نقلا عن كناشة الفقيه السيد محمد بن المعطى بنونة الرباطى الكاتب الأول بالمالية فى العهدين الحسنى والعزيزى والكاتب العام للوفد المغربى فى مؤتمر الجزيرة بعد ذلك.

«يعلم من كتابنا هذا لا زالت سفائن الصلاح به فى بحار السعادة جارية، وكواكب الإقبال منه للمسترشدين هادية، أننا بحول الله شامل الطول والإنعام، وجاعل الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام، أسندنا النظر لخدمنا الأرضى النائب الحاج محمد بن العربى الطريس فى أمور مركبنا الحربى السعيد. المحفوف بريح الظفر والتأييد، المسمى بشير الإسلام بخوافق الأعلام، وكلفناه برد البال لجماعة المسلمين المرتبين فيه من رؤساء وأعيان ونوتية، وعسكر وخدام وبحرية، وأمرناه أن يلزمهم القيام بما كلفوا به من العمل ورتبوا عليه، وامثال أمر كبيرهم فيما يدعوهم

بحكم المصلحة إليه، وأن يحملهم على الواجب عليهم من إقامة شعائر الدين، والاعتصام بتقوى الله التي هي سنن المهتدين، والتحفظ على الصلوات في أوقاتها، والتمسك بطاعة الله ورسوله والتعرض لنفحاتها، وعدم التهاون بعمل من أعمال الديانة، وترك التكاثر في كل ما يقتضى النصيحة والأمانة، حتى لا يدخلهم تفريط في أمر من قواعد الإسلام ولا يشينهم اختلال عمل في طاعة وصلاة وصيام، وليبقى حزبهم بكمال الإسلام منعوتاً، ويكونوا موفين بقوله تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٣]. ففي الحديث الشريف: موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد، وعن عبادة بن الصامت قال: أوصانى خليلي ﷺ بسبع خلال قال. لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا. . الحديث.

وفى حديث البيهقي: إن من حفظ إقامة الصلاة قالت له حفظك الله كما حفظتني وإذا لم يتم ركوعها وسجودها ولا القراءة فيها قالت له: ضيعك الله كما ضيعتني.

وأن يحضهم على ضبط أوقات الطاعة. ليحتفظوا على سنة الأذان ويلتزموا صلاة الفرائض جماعة، فقد جعل الله أوقات الصلاة مقارنة لحركة الشمس، فعند زوالها يجب الظهر وعند صيرورة ظلها مثلى القائم بعد ظل نصف النهار يجب العصر، وعند غروبها تجب المغرب، وعند ذهاب حمرة شعاعها الباقي تجب العتمة وعند ابتداء حمرة شعاعها بالمشرق يجب الصبح.

وليحتاطوا في الاستدلال على القبلة بالعلامات الراجحة، والأدلة الواضحة، وليستقبلوا القبلة في الفريضة والنافلة معا لكون الاستقبال شرطا مع الذكر والقدرة

ويدوروا مع القبلة فى حال صلاتهم إن دارت بهم المركب لغير جهتها، إلا إذا تعذر عليهم الدوران ولم يمكنهم حصول مشقة، فيتعادون على صلاتهم حيثما توجهت المركب بهم.

وإذا صلوا مرة إلى جهة اجتهادهم ثم تبين خطأهم فى القبلة فإن كان تحريمهم مع ظهور العلامات أعادوا فى الوقت إن استدبروا أو غربوا أو شرقوا، وإن كان مع عدم ظهورها فلا إعادة.

ولا يخالفون الجهة التى أداها الاجتهاد إليها عمداً فإن خالفوها بطلت وأعادوا أبداً، وأن لا يتهاونوا فى الفطرة الدينية من النظافة والطهارة بعدا وقربا، والتوقى من كل ما يحرم أكلا وشربا. وأن يحرضهم على حسن السيرة مع بعضهم لبعض بدوام الأخوة والاتلاف. والتعاون على الخدمة والنصيحة وتوطئة الأكناف، حتى يبقى سلك ألفتهم مأمونا، وعقدهم بحفظ الديانة والطاعة مصونا.

ومن الواجب المتعين عليهم أن يكونوا على الدوام آخذين بالحزم والحذر، والتلبس بهيئة الاستعداد الذى هو من وسائل الظفر، مع زيادة التمرن فى سير البحر ومعرفة قواعده، والتمهر فى كيفية مصادر المركب وموارده، وضبط أحوال سكون البحر وهيجانه، وأوقات اضطراب الموج واطمئنانه، وحفظ حصته الضابطة لمدته وجزره، والساعات المناسبة لإقامة المركب أو سيره.

أخذا بالأسباب المشروعة العادية، مع اعتقاد التوكل على عناية الله المتوالية، وكذلك ممارسة علم الجهات الأربع، واستدلال عليها بالقطب وكرة الثوابت أو بالآلة التى دلالتها فى ذلك تنفع، فقد قال تعالى فى الكواكب الزهر ﴿... لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٧] وأن يلزمهم الاشتغال بما يعينهم فى أوقات فراغهم على أن يكونوا دائما مستحضرين عناية الله ورسوله. ومعتقدين تيسير لطفه ومطمئنين على حصوله، وليعرفوا أنهم مستخدمون فى آية

كان فضل الله بها على عباده جزيلا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة
الإسراء: آية ٧٠].

ولا يغفلوا عن الاستمسك بذكر الله والاعتصام بحبله، إذ هو ربكم الذى
يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله، وليستروحووا فى حركاتهم مواهب
التوفيق التى فاز من تلقاها، تالية ألسنتهم قول الله تعالى: ﴿... بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا
وَمُرْسَاهَا...﴾ [سورة هود: آية ٤١] وليشاهدوا السلامة من الله بعين
الانتباه ويعترفوا بحمده امتثالا لقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله، وليعلموا أن هذه تبصرة لا يسعهم إغفالها، وأوامر مؤكدة
لا يمكن المؤمنين إهمالها، والله سبحانه يقضى بهم كل غرض، ويحرس الظرف
والمظروف من كل آفة وعرض، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم ﴿... وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ
هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠١].

كما نأمر خديمتنا المذكور بالتأكيد على أهل المركب فى قراءة حزب البحر
مساء وصباحا لما تضمنه من أسرار الابتهاال الكفيلة بنيل الإجابة سلامة ونجاحا،
وعلى الواقف عليه أن يعلم منظوقه وفحواه، ويعمل بمصدوقه ومقتضاه والسلام.
صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله تعالى فى تاسع عشرى رجب الفرد الحرام
عام ١٣١٧هـ.

هذا وبالجملة فمن تأمل أعمال هذا السلطان الجليل بان له سفه الرأى الملصق
بجانبه ما لا يليق القائل بعدم قيامه بأعباء المملكة كما ينبغى، وإهماله للاستعداد،
فقد رأيت أنه لما تولى لم يأل جهدا فى تمهيد البلاد، وتطمين العباد، وتدارك
الخلل، وإزاحة العلل، ونشر الأمن بين القبائل والخلل، وتدريب الجيش وتحصين
الثغور وجلب الذخائر، وإنشاء المعامل وبعث الطلاب، وتفقد المغرب من أقصى

حدوده، والجولان فى أنحاء المملكة ودواخلها وتنظيم جباية المال، ومراقبة أعمال الموظفين والعمال، ومكافأة المخلصين من الرجال، والإصغاء للشكايات والاهتمام بالعلم والعلماء واستشارتهم - وهم خلاصة الأمة - فى كبار النوازل والمسائل وبعث السفارات للدول العظمى لفصل القضايا ورفع ذكر هذه المملكة فى الآفاق والدعاية لها وغير ذلك من جلائل الأعمال التى صدرت عنه على قيام العقبات الداخلية والخارجية فى وجهه.

فقد وجد مداخل المراسى مرهونة، والديون الأجنبية متراكمة، وبيوت الأموال فارغة، وأحوال الرعية مضطربة، وأعين الدول متطلعة مترقبة والامتيازات الأجنبية قائمة وأصوات المحتمين بالصخب مرتفعة، والثائرون فى كل جهة، كلما أحمد ثورة واحد منهم اشتعلت ضده أخرى، والمجاورون من الأوروبيين ملحون فى مسائل الحدود وغيرها إلى غير ذلك مما يظهر للمنصف ولا يخفى إلا على المتعسف.



ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته

كان قدس الله روحه مقسما أوقاته النهارية والليلية تقسيما عجيبا بحيث لم يضع له وقت، فكان له جماعة مكلفون بالتوقيت وضبط الأوقات لا يرحون من أعباه حضرا وسفرا ولهم رئيس من عليه رعوس أهل الفن وفي كل يوم يجعلون له حصة بمعرفة الأوقات تدخل إليه كل صباح، وكان له عبد من عبيد داره (الطواشين) مكلف كذلك بضبط الأوقات ورصدها وإعلام السلطان بها.

كان إذا بقى للفجر ساعتان أعلم الموقت الوصيف المذكور بواسطة العساس من أصحاب الضوء فيعلم ذلك العساس الطواشى ويعلم الطواشى إحدى الإماء المعينات للقيام بذلك فتعلم المترجم، وقلما تجده في ذلك الوقت غير مصل أو ذاكر، ولم يزل يتهدد إلى أن يطلع الفجر فيصلى ركعتى الفجر ويخرج، وبمجرد وصوله لباب المسجد يقوم الموقت لإقامة الصلاة ويتقدم الإمام فيصلى في جماعة من حاشيته الداخلية كأنجاله وبنى عمه المستخدمين في حنطة السجادة.

وهذه الحنطة عبارة عن جماعة مخصوصة ذوى هيئة جميلة تحمل سجادته للصلاة كما سيأتى، ولم يترك المترجم الصلاة فى الجماعة سائر أيامه إلا لعذر، فإذا صلى الصبح جلس فى مصلاه إلى أن يفرغ من الباقيات الصالحات، ثم يفتح الحزب ويقرأ فيه مع الحزابين بعض آيات نحو الثمن.

ثم يقوم ويدخل قصره العامر، فيجد الفطور مهيبا فيفطر ثم يتناول أشغال الوزراء ويوقع على المكاتب ثم يدفعها لوصيف الدار فيوصلها للحاجب - وهو فى صدر مملكته حاجب والده أبو عمران موسى بن أحمد، ثم بعد وفاته ولى مكانه ولده أبو العباس أحمد مار الترجمة، ووظيفته الرسمية القيام بشئون السلطان

الداخلية وأموره الخاصة به، وأموره دوره وعائلته وطبع المكاتب المولوية، ويديه مفاتيح الخزائن، وإليه النظر في أصحاب الضوء والفراش والسجادة والماء والأتاي وصاحب السكن والجزار وصاحب الأروى والمحفة، وهؤلاء المذكورون هم الحناطى الداخلون - ثم الحاجب يوجه بواسطة صاحب الضوء لكل وزير شغله المتعلق به، وذلك بعد أن يضمن تلك المكاتب جميعها بدفتر خاص كما يقيد التواقيع السلطانية بدفتر خاص يحفظان عنده كما يقيد كل وزير ما ذكر بدفتره الخاص ثم تختتم تلك المكاتب وتسلم لقائد المشور ليوجه بها لأربابها.

ثم يخرج المترجم ويجلس على أريكة ملكه بالمحل المعد لمقابلة الوزراء، لابساً كساء بدون برنوس وعمامة متقنة التصفيف محكمة اللّي، فيمر أولاً بحنطة الشويردات (الأطفال الصغار من أبناء الجيش) فيجدهم مصطفين فيؤدون له التحية الملوكية بأصوات عالية جداً، ثم يمر بحنطة أصحاب الضوء وهم جماعة من الوصفان يبلغون عنه أوامره إلى الوزراء مشافهة وكتابة فيؤدون له التحية كذلك، ثم بحنطة أصحاب الأتاي، ثم بحنطة الجزارة ثم بحنطة أصحاب الفراش، ثم يجلس على أريكة ملكه، فإذا جلس خرج أحد الفرائجية وهم جماعة من العبيد مكلفون بحراسة أبواب داره وبناء قبيه في سفره، فيتطوف على بنائق الوزراء قائلاً سيدى قعد فيقول الوزير مجيباً له جلوس عز وسلامة إلى أن يعلم الجميع بذلك.

ثم ينادى أحد أصحاب الضوء قائد المشور قائلاً كلم سيدى يا فلان باسمه من غير سيادة، فيدخل قائد المشور ويدفع للسلطان المكاتب والأجوبة الواردة من النواحي مختومة، وتقيد الوفود الطالبين مقابلته وما بأيديهم من الهدايا، فيوقع بالإذن في مقابلة من اقتضى نظره مقابلته ويرجع له التقيد فيخرج لمباشرة أشغاله.

ووظيفة قائد المشور هذا قبض سائر المكاتب الصادرة والواردة ممن كانت ولن كانت، فيقيد المكاتب الواردة للجلالة السلطانية ويبين عددها والمحل الذى وردت منه، ثم يقدمها مع التقيد للجلالة المولوية مختومة.

والسلطان هو الذى يتولى فض ختامها بنفسه ويستوعبها قراءة ثم يوقع عليها، ثم لما مرض عام ١٣٠٤ وصار يشق عليه الفض والاستيعاب أمر الحاجب بفض ختامها واستدعاء كاتبين من مكتب الصدارة لمكتبه بقصد تقييد مضمن المكاتيب الواردة لجلالته الكريمة، ثم بعد تقييد المضمن على ظهر نفس الكتاب يقدم الحاجب ذلك للجلالة الشريفة فيستوعب المضمن، وربما استوعب الكتاب إن كان ذا أهمية ثم يوقع على تلك المكاتيب ويردها للحاجب ليوزعها على الوزراء كل وما يرجع إليه.

ثم يستدعى السلطان الوزير الصدر بواسطة قائد أصحاب الضوء تميزا له بذلك فيدخل عليه ويباشر أشغال مأموريته، ثم يخرج ثم يستدعى وزير المالية فيباشر أشغال مأموريته، ثم يستدعى وزير الخارجية فيباشر أشغال مأموريته، ثم يدخل قائد المشور بمن أذن لهم فى مقابلة الجلالة السلطانية.

فإذا فرغ من ذلك دخل داره وأزال الكساء والعمامة ولبس جلابة وقلنسوة، ثم يتغدى ثم يتطوف على البنائين والخياطين والنساخين والذميين السكاكين، فإذا حان وقت الظهر تهيأ للصلاة، فإذا أدى المكتوبة رجع لقصره العامر للاستراحة وربما نام.

ثم إذا حان وقت العصر تهيأ لصلاته فإذا أداها جلس على أريكة ملكه، فيكون شأنه مساء كشأنه صباحا، ثم إذا حان وقت المغرب دخل المسجد فصلاها، ثم صلى بعدها ست ركعات، ثم رجع لداره فتعشى، ثم خرج للمسجد فصلى به العشاء، ثم يرجع لداره فيستدعى بأشغال الوزراء فيستوعبها مطالعة ثم يوقع على كل شغل بما اقتضاه نظره، ثم يطالع من كتب السير والسياسة وتاريخ الأمم السالفة ما شاء الله، ثم ينام إلى نصف الليل الآخر، ثم يستيقظ ويتبتل ما شاء الله ويصلى ركعتي التهجد اللتين هما من شروط ورده الكتلى.

وكان فى كل جمعة يستدعى أعمامه وإخوانه وأصهاره وأعيان الشرفاء للغداء
بجامع الصلاة من قصره العامر، ويفرق الطعام فى ذلك اليوم على سائر الوزراء
وأعيان الجيش حضرا وسفرا، وذلك بعد الفراغ من صلاة الجمعة.

وكان له ولوع بحليب النوق، وكان يفرقه على ذوى الخصوصيات لديه،
وكان فى كل عيد مولد يفرق الكسى على الأقارب والأباعد كل وما يناسبه.

وكانت ذخائره وآلاته المملوكية التى زادت أضعافا على ذخائر أسلافه الكرام
مضبوطة مصونة مرتبة فى أماكن خاصة مقيدة بكناش صغير لا يفارقه غالبا، ولا
يمكن اختلاس شىء منها، وكذلك أمواله الخاصة به ذهبية وفضية، وعدد جيوشه
القديمة والجديدة النظام، وعدد خيله وجماله وبهائمه وآلاته الحربية من مدافع
ومكاحل وبارود وقرطوس مثبتة بذلك الكناش اللطيف الجرم الرقيق الورق.

وكانت رواتب جيوشه وكتبته وخدامه ومؤون عسكره مياومة ومشاهرة
مضبوطة، وكذلك صوائره اليومية، وكانت صوائر أبنيته لا يدخل فيها شىء من
بيت المال، وإنما كانت من المستفادات وغلل الأملاك المخزنية.

وكان محافظا على العوائد فى إنعاماته وحفلاته الرسمية وسائر تصرفاته،
بحيث كان خرق عادة من العوائد عنده من الخطأ العظيم، حتى إن بعض الوزراء
سها فنذ لأولاد البقال الكسوة والصلة معا، وكانت عادتهم قبض الصلة فقط،
فلما اطلع السلطان على ورقة الصائر وجد فيها ثمن الكسوة المذكورة فلم يسلمه
وألزم بأدائه من خاص ماله عقوبة له على خرق العادة.

وكان النظر فى أمور داخلية ومباشرة أشغاله مسندا إلى وزراء وأمناء كل
واحد منهم مكلف بأشغال لا يتعدها، ولا يدخل معه غيره فيها:

فالوزير الصدر - وهو فى أول إمارته وزير أبيه الفقيه السيد إدريس
بوعشرين، ثم استعفى فأعفى وتصدر مكانه الحاجب أبو عمران موسى بن أحمد،

ثم توفى وولى بعده الفقيه السيد محمد بن العربي الجامعي، ثم مرض مرضه المزمّن فولى بعده بحكم النيابة الفقيه السيد محمد الصنهاجي، ثم توفى السلطان المترجم وحل به ما تلى عليك - مكلف بالنظر في أمور الولاية من قضاة ونظار ونقباء وباشوات وعمال وبتنفيذ الإنعامات والصوائر وكتابة الظهائر السلطانية كيفما كانت، وإقطاعات وولايات وعزل وغير ذلك، وإبلاغ الأوامر لقائد المشور بما اقتضاه النظر السلطاني في الحركات، وتسيير الجيوش من الجهات وتقدير المؤن والنفقات وله المراقبة في الجملة على أعمال غيره من الوزراء.

وزير الشكايات (العدلية) - وهو في أول إمارته الفقيه السيد محمد بن عبد الله الصفار، ثم بعد وفاته ولى الفقيه السيد على المسفيوي ولم يزل على وظيفة إلى أن توفى المترجم - وظيفة النظر في الشكايات بأنواعها وإصدار الأوامر فيها بما اقتضاه النظر السلطاني مع موافقة حكم الشرع فيها.

والعلاف الكبير (وزير الحرب) - وهو في أول إمارته الفقيه السيد عبد الله ابن أحمد ثم أعفى وولى مكانه الحاج المعطى الجامعي المذكور ثم لما ولى الصدارة ولى مكانه أخوه السيد المدعو الصغير إلى أن توفى المترجم وحل بالجامعيين ما حل مما مر شرحه - وظيفة النظر في أمر العسكر ومؤنته ومؤن الجيش المخزني كلها تخرج على يده وهو المكلف بمباشرتها مع السلطان، وعليه العهدة في السلاح والذخائر الحربية واختيار من يوجه من فرقه وقواده إلى ما اقتضاه النظر السلطاني لنواحي مملكته واختيار أعداده وتقييدها بقائمة يومية تدفع للجلالة السلطانية بعد إشراف الوزير الصدر عليها وإمضائها باسمه.

ووزير الخارجية - وأول من وليها استقلالاً الفقيه السيد محمد المفضل غريط - مكلف بالنظر في أمور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم، وكتابة الرسائل إليهم وإصدار الأوامر

للعمال فيما يتعلق بإيالاتهم من دعاوى أهل الحماية ومباشرة أمر كل وافد أجنبي للإيالة المغربية .

وأمين الأمناء (وزير المالية) وهو لأول إمارته السيد محمد التازى الرباطى، ثم بعد وفاته ولى أخوه السيد عبد السلام، ووظيفة النظر فى تعيين أمناء المراسى والأملاك المخزنية والمستفادات .

وأمين الحسابات العام وهو السيد العربى الزبيدى، ووظيفة مراجعات الحسابات الواردة من المراسى والأملاك المخزنية والمستفادات وأمناء الرباع والنظار ووكلاء الغياب وإجراء القوانين المؤسسة لذلك طبق المعاهدات والخرص، ومحاسبة قواد القبائل على ما يترتب على إيالتهم من الجبايات المخزنية وعلى العذائر وجميع ما فيها من الماشية المدفوعة فى الخرص والبهائم والأفراس، وتبيين العوائد فى الإنعامات السلطانية ومراقبة الداخل والخارج فى جميع ما تملكه الدولة، وجميع دفاتر الدولة تكون تحت يده، وفى كل سنة يجعل لما راج فيها من الدفاتر برنامج بعد ختمها ثم تجعل فى صناديق ويشرع فى آخر وهكذا .

وكان يحمل فى الظعن مع الركاب السلطانى نحو الأربعين وقرا من الدفاتر لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بذممهم من الزكوات والأعشار، فيقيد المقبوض والباقى فى الذمم، ويختم العمال على ذلك بأختامهم ويحوز ذلك أمين الحسابات المذكور .

وأمين الصائر - وهو اللبادى ثم السيد أحمد بن شقرون، ثم الحاج عبد السلام الحلوى، ثم السيد الطاهر التازى، ثم الحاج بناصر التويمى - مكلف بدفع ما ينفذه الوزير الصدر عن الأمر السلطانى غالبا وغيره نادرا، والإنعامات والصوائر والرواتب المخزنية والعسكرية بعد مصادقة أمين الأمناء عليها .

وأمين الداخل - وهو الحاج علي بن الحاج التطواني - مكلف بتنفيذ كل داخل من الهدايا والجبايات والمغارم وحياسة خطوط أيدي العمال بما يبقى في ذممهم من الأموال.

وسياتى ذكر ما لهؤلاء الوزراء والرؤساء والأمناء من الخلفاء النواب والكتاب عند ذكر الهيئة الرسمية وما تتألف منه قريبا.

وأمين الفرقوش - وهو أولا الحاج محمد جنون الفاسى، ثم السيد محمد بن موسى الرباطى، ثم ولده المصطفى - مكلف بالنظر فى شئون خيل المخزن وجماله وبغاله وضبط أعدادها وتخليف ما نقص منها والنظر فى الأمور الراجعة لصيانتها من صفائح وأكف^(١) ورباطات وما شاكل ذلك.

وأمين العتبة الشريفة - وهو أولا فى عهد المترجم السيد بوعزة الفشار مار الترجمة، ثم ولى بعد وفاته ولده السيد محمد، ثم بعد وفاته أخوه الأستاذ السيد عبد السلام الفشار - ووظيفته تنفيذ ما يحدث من الزيادة والنقصان فى المؤن الشهرية للدور السلطانية، وتقييد ضحية عيد النحر الموجهة لها والوقوف عليها حتى تصل محلها، والخليع اللازم لها وما يلزم من ضرورياته ودفعه فى إبانها، وتنفيذ ما عهد لها من عوائد مواسم الليالى الكبار ولمن فى حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدور وغير ذلك من متعلقاتها، ومطالعة الأمناء له على قائمة صائر الدور وإمضاؤه لها باسمه، ويأخذ نسخة منها قبل توجيه الأمناء إياها لشريف الأعتاب وحياسة مفاتيح الخزائن السلطانية، والإشراف على ما يجعل فيها، وحياسة ما يفرض على البرابر من حطب وفحم وخزنه على يده وتنفيذ الزيادة والنقص فى رواتب الجيش البخارى ومن فى حكمه ومؤنته كذلك، والنظر فى أمور البوابين وما أشبه ذلك مما هو راجع للدور السلطانية أو مضاف إليها.

(١) الوكاف: برذعة الحمار.

هذا وعادة المترجم فى تقسيم أيام الأسبوع أنه كان قدس الله روحه يقابل أصحاب المظالم وأرباب الشكايات بنفسه يوم الأحد، يقدم له الوزير المكلف بسماع المظالم وتقييد دعاويهم زمام المشتكين كل باسمه ونسبه ومحل استيظانه وتقرير دعواه، فىأخذ المترجم الزمام وينادى المقيدىن به واحدا بعد واحد، ويبحث كلا على حدته بحثا مدققا حتى يأتى على جميعهم، فمن وافق مقاله ما هو مقيد عنه وقع بما يراه نظره الأسد فى إنصافه ممن ظلمه، ومن وقعت منه أدنى مخالفة يتبع قضيته ويحلل كلامه أدق تحليل حتى يتضح له وجه الحق فيها، فيقضى بما يراه هذا كله ووزير الشكاية واقف بإزاء المترجم وييده تقييده مثل التى بيد صاحب الترجمة . وفى يوم الاثنين يخرج للرماية بالمدافع ويباشر الرمى بنفسه .

ويوم الثلاثاء يعود فيه لسماع المظالم على نحو ما وصف لك فى يوم الأحد .

ويوم الأربعاء لاستعراض الجيوش أمامه، وكيفية ذلك أنه يصدر أوامره المطاعة لقائد المشور والعلاف يعنى وزير الحرب بتعيين اليوم والساعة والمحل، فيقع الإعلام لكافة الجيش بالحضور فيحضر ويقف كل فريق على حدته، هذا وراء هذا إلى آخره مرتبًا وفق ما بالكناش المخزنى، ومع كل فريق عون من أعوان قائد المشور مكلف بإحصاء عدده، وعندما يخرج السلطان يكون راكبا جواده بهيئته الرسمية إلى المحل المعد لجلوسه، فيترجل ويجلس على عرشه، وبعد هنيئة يستدعى وزير الحرب بواسطة صاحب الوضوء ويستلم منه قوائم عدد رواتب الجيش فيطالعها ويأمر قائد المشور بالاستعراض، فينادى قائد المشور بأعلى صوته بهاتين اللفظتين: زيدوا اتسرطوا قال لكم سيدى، فيجيب أصحاب الفريق الأول كلهم بصوت واحد: نعم سيدى .

ويتقدمون إلى أمام السلطان فيعرفه قائد المشور بهم بقوله هذه الفرقة الفلانية نعم سيدى فيطالبه السلطان بالعدد فينادى: العدد قال لكم سيدى فيتقدم الشرطى المكلف لدى قائد المشور، ويقول له: عدد الخيل كذا والرماة كذا فيبلغ ذلك السلطان، فإذا وجده مطابقا للقائمة يدعو لهم ويأمرهم بالانصراف، ويتبعهم من خلفهم طبق ما سطر وإن وجد خلاف ذلك يتباحث مع الوزير المذكور فيه، فإن استدل أو اعتذر بما يقبل فذاك، وإلا فاللاماة على رئيس الفرقة، وعند الانتهاء يركب السلطان جواده راجعا إلى قصره.

ويوم الخميس يخرج المترجم لبعض أجنته المتصلة بداره مع حرمة الكريم، فإذا كان بالعاصمة المكناسية يخرج لجنان ابن حليلة الذى صار جنانا عموميا وتضرب القباب بأجدال المتصل به الشهير، ويظل السلطان مع سائر حرمة وحرم العائلة اليوم كله، والناس ما بين راكب وراجل، فإذا كان الغروب رجع الكل للقصور المولوية وربما بات السلطان هنالك مع الخاصة من حرمة.

وفى يوم الجمعة قبل بزوغ الشمس يأتى لباب القصر الفاخر الطبال (المعروف بالكومى) بمزاميره فيضرب إلى أن تطلع الشمس، ثم تعقبه الموسيقى بألحانها العربية الشجية وتدوم نحو ساعة ويذهب الجميع.

وفى الساعة الحادية عشرة تجتمع الهيئة المخزنية بدار المخزن وتصطف العساكر والموسيقى، وعند خروج السلطان يقف كل من الوزراء تحت رياسة الصدر والمسخرون كل فريق على حدته والباشوات والحناطى البرانيون منهم أصحاب المظلة والمزارق والمكاحل يقفون على الباب الذى يخرج منه ليؤدوا التحية، ويأتوا خلفه وأمامه على عادتهم، وكبير المشور وأتباعه يقفون على الباب الذى يدخل منه لأداء التحية، ثم يخرج السلطان من داره العالية لابسا أجمل الثياب بكساء وبرنوس وعمامة متقنة التصفيف كأنما كساؤه وبرنوسه خيطا عليه من إتقانه

لبسهما، متقلداً تحت برنوسه سيفاً قصيراً، فإذا وصل إلى الباب الأول من الدار أدى له التحية الملوكية وصفان الدار الخصيان وأتباعهم من الصبيان المسمون بالشويردات، ثم يجد الحناطى مصطفىين وأمامهم رئيسهم الحاجب، وخيل القادة بأيدي خدمتها فيؤدى له الحاجب والحناطى التحية الملوكية.

فيجلس فى محل المقابلة ويستدعى الوزير الصدر أو وزير الخارجية فيحادثونه ريثما ترتب الصفوف، ثم يركب فى بعض الأحيان فرسا من تلك الأفراس السبعة ذات السروج الملونة والأسقاط المذهبة، وفى بعض الأحيان يركب عربة فى غاية الزخرفة والزينة يجرها فرس أو فرسان عتيقان، ثم تقاد خيل القادة الستة أمامه، ثم قائد المشور جاعلاً مكحلته على عاتقه، ثم الجنب الشريف ثم العربة، ثم الحاجب وراءه الحناطى إلى الباب الأوسط، فيجد الوزراء والكتبة والأمناء مصطفىين صفاً واحداً عن يمين الباب، فإذا حاذى الوزراء ومن معهم سلم عليهم بواسطة قائد الأروى فيردون عليه بخفض أعناقهم وهم ساكتون، ثم يحاذى أصحاب المكحلة فيؤدون له التحية الملوكية ثم يصدح أصحاب الموسيقى بما يكون فالأحسنا كقوله:

لك الهنا والسرور دائم يا أيها الطالع السعيد

ثم يؤدى له الباشوات التحية الملوكية، وتكون صفوف العسكر المنظم وراء الجميع ثم يدخل المسجد من باب المقصورة فيصلى تحية المسجد، فإذا أذن المؤذن وخطب الخطيب وقضيت الصلاة رجع راكباً على فرس من تلك الأفراس منشورة مظلته على رأسه، ويصدح أصحاب الموسيقى بالألحان المطربة ويقرع أصحاب الكومى طبولهم وينفخون فى مزاميرهم.

ويكون ترتيب التحية معكوساً بحيث يكون الوصفان الخصيان اللذين كانوا فى التحية أولاً هم الآخرون فيها، وبعد دخوله لقصره العامر يقف كبير المشور

ليجيب نيابة عن السلطان كل الجيوش الحاضرين ووزير الحرب يقف لاستعراض العساكر، فإذا كان السلطان بمكناس جلس وزير الحرب لاستعراض العساكر حذاء الباشا بياب منصور العليج والموسيقى أمامه تصدح بألحانها، ثم بعد انتهاء الاستعراض تنفض حفلة الجمعة.

ومن العوائد المقررة في الأعياد وفود الوفود على الأعتاب الشريفة قبل العيد بنحو العشرة أيام فأزيد لمنافسة العمال في الحصول على ملاقة الجلالة السلطانية، كل يود سبقية غيره، إذ العادة جارية بتقديم أول قادم على غيره فيتلقى ساعة وصوله أو يومه على الأقل، ويقدم أيضا أول قادم على دار المخزن، ولو جاء عدد عديد في اليوم ومن جاء ليلة العيد فلا حظ له في ملاقة القدم.

والعادة جارية إذا كان السلطان بالحوز تفد على أعتابه من قواد أهل الحوز من وادي أم الربيع إلى أقصى سوس.

وأما أهل الغرب فلا يوجهون غير الخلائف، وكذلك إذا كان في الغرب يأتي القواد من أم الربيع إلى وجدة، ويأتي من الحوز الخلائف، فإن رام أحد من عمال الحوز القدم على السلطان للغرب بنفسه لا بد له من الاستئذان، فإن أذن له أتى، وإلا فلا، وكذا بالنسبة لأهل الغرب ومن كانت له دار نزل بها وإلا أنزله السلطان على يد الوزير الصدر، أو قائد المشور، أو باشا البلد كل على قدر مكانته، وما قدمه من الهدايا فيعين لكل محلا مناسبا لمقامه.

فإذا كان العيد عيد فطر يصدر الأمر للشرفاء والقضاة والعلماء بواسطة بطائق ممضاة من الصدارة العظمى وللأمراء والنظار والأعيان والعمال الكبار بواسطة قائد المشور بالحضور لإحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان مع الجلالة السلطانية بالمسجد المعد لصلاة الخمس من القصر الملوكي، وذلك قبيل العشاء، وعند خروج السلطان يصدر الأمر بدخول المستدعين للمسجد بواسطة قائد المشور والحاجب،

فيتولى إدخال المشفعين للمحراب والإخراج منه فى وقت الصلاة، فإذا قرئت عشرة أحزاب دخل السلطان لداره وخرج من بالمسجد للبنائق ثم تفاض عليهم أنواع الأطعمة الفاخرة والأتاي والحلوى على يد أصحاب الأتاي، وخليفة قائد المشور، وخليفة وزير الحرب وقائد الجزارة، وقائد أفراك، فإذا تسحروا وبقي لوقت الصبح نحو ساعة رجع الناس للمسجد فيخرج السلطان وتختم السلوك إذ تكون وقفت على سورة قل أو حى أو سورة عم.

فإذا ختمت وأديت فريضة الصبح فتح الأمير الحزب وقرأ ما شاء الله ثم يقوم ويدخل لداره، وبعد الفراغ من الحزب يخرج الناس أفواجا طبقات كل جنس ينادى على حدته، فيجدون الحاجب وقائد المشور أمام باب المسجد يدفع الحاجب أو نائبه لكل فرد ريالاً واحداً، ثم يقع الإعلام بالبروز للمصلى على ما سيبين فى عيد المولد، فإذا وصل السلطان للمصلى وقف كل من بها وتقام الصلاة، وإذا تمت الصلاة وصعد الخطيب المنبر لتشريف المسامع بالخطبة خرج خليفة قائد المشور لترتيب القبائل لأداء التحية للجلالة السلطانية.

فإذا كان عيد الأضحى تقدم السلطان بعد الفراغ من الخطبة لذبح أضحيته بيده، ثم يذبح الخطيب أضحيته.

أما ليلة المولد فإنها تزيد بتوزيع الكساوى فى صبيحتها على العائلة وقواد الجيش وكبراء العمال وبعض الأعيان، كما تزيد هذه الليلة بإحضار المنشدين ذوى الأصوات الحسنة من سائر مدن الإيالة الشريفة ومراسيها، فإذا وصل وقت العشاء خرج السلطان لأداء فريضتها ثم بعد الفراغ منها يصدر الإذن بدخول المذكورين للمسجد بواسطة قائد المشور.

ثم يجلس السلطان يمين المحراب ويجلس خاصة العائلة الكريمة عن يساره والقضاة والعلماء عن يمينه، ثم يستدعى المنشدين فيجلسهم أمام الجلالة، ثم

يستدعى بقية الشرفاء من غير العائلة المملوكية فيجلسون وراء العائلة، ثم يجلس الأعيان والكتاب ومن ذكر معهم وراء الجميع، ويجلس الوزراء وراء الكل، ويجلس الباشوات والعمال ورؤساء الجيش بصحن المسجد.

ثم يجيء الحاجب بمبخرة يضعها قريبا من السلطان بينه وبين المنشدين، ثم يضع فيها قطعة من العنبر، ولا يزال يجدد البخور ما دام الإنشاد ويتناول السلطان مجموعا مزخرفا مشتملا على البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية فينشد المنشدون البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية بأطيب نغمة وأحسن تخليل، فإذا حان وقوفه على قول البوصيرى الأمان الأمان نهض السلطان فتقدمه قائد المشور والفرايجية وقائدهم إلى الباب وأدوا له التحية المملوكية ودخل داره.

ثم خرج الناس من المسجد إلى المشور فجلس الشرفاء من العائلة المملوكية بمحل يناسبهم، ثم أخرج لهم الحلويات والأناى والأطعمة ويخص الشرفاء الأقربون بطعام من طعام السلطان الخاص بعد تناوله منه تناولا لطيفا فإذا شربوا وطعموا وكان الليل طويلا، خرج من كان محله قريبا فرقد به هنيئة ثم يرجع ومن كان محله بعيدا نام بموضعه، فإذا بقى للفجر نحو الساعة ونصف رجع كل إلى محله من المسجد، ثم يخرج السلطان فيجلس يسار المحراب، ثم يأخذ مجموع المديح ويبتدئ المنشدون من حيث انتهوا إلى أن يختموا الهمزية والبردة، ثم يقرءون بانة سعاد، ثم يسردون ما تيسر من مختار القصائد المملوكية التي قدمت للجلالة السلطانية من فحول شعرائه بمناسبة تلك الليلة، فإذا طلع الفجر أطلق العسكر عدة طلقات بارودية، ثم يصلى السلطان والحاضرون الفجر.

وبعد الفراغ من أداء فريضة الصبح يفتح السلطان الحزب ويقرأ مع الطلبة ما شاء الله أن يقرأ ثم يدخل داره الكريمة على الهيئة المتقدمة، ثم يخرج الشرفاء

فيجدون الحاجب بالباب فيناول كل واحد منهم ربالا مختوما عليه باللَّك^(١) يكون عمله كذلك مع كل فرد من تلك الجماهير إلى أن يخرج جميع من المسجد.

ويصدر الأمر الشريف لقائد المشور بالإعلام للبروز إلى المصلى، فيعلم بواسطة المشاورية كافة رجال المخزن الشريف وبقية الموظفين وكافة القبائل والعمال، ثم يخرج خليفة قائد المشور في لفيف من أصحابه لترتيب هيئة المصلى فيجد كافة القبائل واقفة فيجعلها صفا واحدا من الباب الذي يكون منه خرج السلطان للمصلى عن اليمين، ويجعل المكلف بالعسكر صفا آخر مقابلا للأول من رماة العسكر وخيلها، تكون منهم قلعة مربعة خالية الوسط في آخر صف الخيل خارجة عن المصلى، ثم بعد ذلك يعلم الخليفة المذكور رئيسه بإتمام تنظيم هيئة المصلى، فيعلم هو السلطان بذلك فيخرج لمحل الاقتبال ويستدعى الصدر الأعظم فيحادثه هنيئة، ثم ينصرف الوزير ويركب بغلته كسائر الوزراء والموظفين وذوى الحشيات.

فإذا أخذوا مراكزهم ركب السلطان فرسه وقدمت أمامه القادة وتبعه الحاجب والحناطى الداخلية وأصحاب المكاحل والمشاورين والقضاة والذكارة، ثم إذا بلغ باب البلد الذي يخرج منه لبطحاء المصلى وجد على اليمين الوزراء والكتاب والشرفاء والكبراء وذوى الحشيات راكبين صافناتهم الجياد وبغالهم الفارهة وبزتهم الرسمية البهية التى تسر الناظرين وتخرس المناظرين، فيحييهم السلطان بالسلام بواسطة قائد الأروى، ثم يردون التحية بانحناء الرؤوس، ثم تصدع الموسيقى بألحانها المطربة ونغماتها المرقصة، فيسير الأمير وأمامه قائد المشور راكبا جواده متقلدا سيفه لابسا برنوسا واضعا بندقته على عاتقه الأيمن، وأمامه فرقة من الجيش يسمون الأربعاويات فى ثياب حمر وخضر وقلانس بدون برنوس مصطفىين أربعا أربعا وقائد الأروى بدون برنوس أمامه وباقى أتباعه من أهل حنطته محتفون بالجلالة يمينا وشمالا مسامتون لركابه الشريف.

(١) اللك: صبغ أحمر.

ويصطف المذكورون وراه و صفوف العسكر خيلا ورماة عن اليمين والشمال، وتكون الرماة العسكريون مما يلي الجلالة ووراء الصفوف العسكرية صفوف خيول القبائل ورماتها، ووراء الجميع خيول (الطبيعية) أصحاب المدافع يجرون مدافعهم فى كراسيها، وتبقى الجهة الرابعة فارغة يدخل المترجم منها للمصلى إن كانت صلاة، وتتقدم منها القبائل والوفود لتهتة جنبه الكريم إن لم تكن صلاة كعيد المولد، فتحيه القبائل قبيلة قبيلة وكل قبيلة تقدمت أمام جلالتة يسميها قائد المشور باسمها أو اسم عاملها، فإذا أدت تحيتها كما يجب رفع السلطان أكفه بالدعاء لهم بالرشاد والصلاح، وقائد المشور يبلغ ذلك لهم عنه بأرفع صوت، ثم تذهب تلك القبيلة لأخذ مركزها الذى كانت فيه عند خروج الأمير، وتتقدم أخرى لأداء التحية كما ذكرنا وهكذا إلى أن يأتى على تلك الوفود الضافية العدد.

فإذا رام الرجوع تقدمت أمامه أعلام مسخرى البخارى وما أضيف إليهم لأداء التحية اللازمة، ومن العوائد أن يكون فى مقدمتهم أحد أعمام الأمير أو أنجاله يرأسهم، جاعلا مكحلته على عاتقه الأيمن، وبعد أداء التحية يرجعون خلفه، وتكون أمامهم المحفة، ونقيب آل وزان إن كان، ورئيس الزاوية الناصرية، ثم الوراء والكتاب والشرفاء فى صف خلف أعلام البخارى، ووراءهم بقية الجيش، ثم تتقدم أعلام شراكة، وبعد أدائهم واجب التحية يتقدمون أمام الأمير فإن كان السلطان بالناحية الحوزية تتقدم الرحامنة على من عداها من القبائل لأداء التحية الملوكية، وإذا كان فى الناحية الغربية تتقدم قبيلتا الغرب وبنى حسن.

ثم بعد الفراغ من استقبال السلطان للقبائل تضرب المدافع وتصدح الموسيقى والطبول والزماير والولاول، ثم ينقلب فى موكبه الراق إلى قصره العامر والخيل والرماة من عساكر وقبائل مصطفة عن اليمين والشمال كأنها بنيان مرصوص على

نحو ما وصفنا فى الخروج والتهاتف بالدعاء للجلالة المولوية بالنصر والتمكين حيشما مر، إلى أن يحل ركابه الشريف بداره العالفة، فإذا دخل الباب الأول وجد الشرفاء مصطفىن على اليمين فيزدلفون لتقبيل ركابه الشريف، ويهتئون بالعيد المنيف، فإذا فرغ منهم وجد الوزراء والكتاب مصطفىن أمامه فيحييهم بواسطة قائد الأروى ثم يتقدمون واحدا بعد واحد لتقبيل ركابه، ثم إذا دخل الباب الثانى وجد الجزارين مستقبليين له بأوانى الحليب وطيافير التمر فيتناول من ذلك، ثم يوجه به للشرفاء الذين يرأسون العلامات من أعمام وأصناء وقواد الجيش والأعيان والباشوات، وبمجرد دخول السلطان لداره يخرج صلة للذكارة والشرفاء، وتلك عادة جارية كانت لا تتخلف فى كل عيد، ثم يودع قائد المشور الباشوات والقواد والجيش المخزنية ويدعو لهم نيابة عن السلطان وهم يخفضون رءوسهم ويرفعونها.

ثم تنفض الحفلة ويذهب كل لحال سبيله فرحا مسرورا إلى أن يبقى للعصر نحو ساعة، فترجع الهيئة المخزنية لشريف الأعتاب ويطلع أهل البلد التى بها السلطان لتتهنته بالعيد متأبطين لهداياهم المعتادة، فإذا صلى السلطان العصر استقبلهم.

وقد كانت العادة جارية فى هدية أهل مراکش بتقديم أربعين سرجا، أما الذميون فهديتهم الملف والأثواب القطنية والحريير، ثم يعمر المشور وتقدم تلك الهدايا بصفة رسمية، أما العائلة السلطانية كالأنجال والأصناء والأعمام وبنى العم فمنهم من يتلاقى مع الجلالة عشية يوم العيد نفسه، ومنهم من يتلاقى صبيحة الغد.

كيفية ترتيب الملاقاة

إذا حضر المذكورون من الأشراف وغيرهم بشريف الأعتاب يجعل قائد المشور تقييدا يجرى فيه أسماء الحاضرين للملاقاة مع الجناب العالى وتعيين وظائفهم، ويقدمه للجلالة السلطانية لتحيط به علما فتستلمه منه وتجعله حذاءها، ثم تأذن له فى تقديمهم إليها فيقدمهم طبق التقييد الذى قدمه إليها، فيتلقى أولا الخليفة السلطانى ثم الأنجال ثم الأصناء الأكبر فالأكبر، فنقيب العلويين وحده، فدار مولاي عبد الله فباقي العلويين مع النقيب المذكور، فالشرفاء الأدارسة، فالقضاة والعلماء فالشرفاء أهل تلمسان فالبدراويون فالحموميون فأهل وزان، فالأفراد فالباشوات فالاحتسب فالنظار والأمناء، وكل يخاطبه السلطان بما يليق به حتى يصدر الجميع عنه منشرح الصدر طيب الخاطر رطب اللسان بالدعاء والثناء.

وفى ثالث يوم العيد يتلقى عمال الحوز إن كان السلطان بالغرب، وفى رابع العيد يتلقى عمال الغرب إن كان السلطان بالحوز والعكس بالعكس.

ويقسم تعمير المشور ثلاثة أقسام: قسم اليوم الأول من أم الربيع إلى أقصى سوس، واليوم الثانى من أم الربيع إلى سلا والرباط، واليوم الثالث من سلا والرباط إلى وجدة.

ولما اتسع النطاق وكثرت العمال وتعددت القواد ووقع التنافس بينهم فى الهدايا التى يقدمونها، صار المشور يعمر سبعة أيام فقسمت تلك الأثلاث أسبعا.

كيفية تعمير المشور

يستأذن قائد المشور الجلالة السلطانية فى الاحتفال بالتعمير ويقدم له زماما فيه أصحاب الهدايا التى تقدم مع بيان الهدية اسما وقدرها، وتقسيمها على الأيام الثلاثة أو السبعة، كل يوم وما يقدم فيه.

وقد جرت العادة بأن أول مشور يعمر تقدم فيه هدية أهل فاس تعظيما لمولانا إدريس وتيمنا به، ثم بعد هذا يعزل من العمال من يستحق العزل ويولى من قضت المصلحة بتوليته، ويلقى القبض على أهل الجرائم والمدلسين من القواد وغيرهم ثم تودع تلك الوفود.

أما الخلائف الذين لم ترد عمالهم فتفد لهم المؤنة مياومة مدة مقامهم بشريف الأعتاب، وعند إرادة انصرافهم لمحالهم تكتب لهم أجوبة عمالهم وتنفذ لهم الصلة والكسوة على أمناء البلد الذين هم منها أو المجاورين لها.

الهيئة الرسمية وما تتألف منه

الوزير الصدر وله خليفتان، أولهما عن يمينه يستلم الأشغال من الوزير ويفرقها على الكتاب كل وما يناسبه، فإن غاب الوزير ناب عنه فى سائر الشئون المنوطة به، وثانيهما عن شماله وعدد من الكتاب غير منحصر. فمن الكتاب من ينشئ الرسائل المهمة، ومنهم من يكتب ما أنشئ، ومنهم من يختم المكاتب بالملك، ومنهم من يقيد الصادر والوارد فى الكنائش المعدة لذلك، ومنهم من يكتب العناوين، ومنهم من يفصل الكاغد ويطوى المكاتب، ومنهم من يلخص الكتاب ويقيد مضمونه ومنهم من يقيد التواقيع.

قائد المشور وخليفتان عنه ومعاونون ثلاثة.

وزير الشكايات وهو بمثابة العدلية والجنایات اليوم، وكاتب أول بمنزلة خليفة عنه، يقوم بأشغاله إذا غاب وكتاب لكل منهم شغل يختص به غالبا.

ووزير الحرب وخليفة عنه وكتاب.

ووزير الخارجية وخليفة عنه وكتاب.

أمين الأمناء (وزير المالية) وخليفة عنه وكتاب.

الحاجب وخليفة عنه وكاتب أو كاتبان .

أمين الداخل وكاتبان أو ثلاثة .

أمين الصائر وكاتب أول ومعينان .

قواد الجيش العامل لا الاحتياطى

قائد رحى مسخرى البخارى، وقائد رحى مسخرى شراكة، وقائد رحى مسخرى الشراردة سكان ازغار، وقائد رحى مسخرى الأودية المغافرة، وقائد رحى مسخرى أهل سوس سكان المنشية، وقائد رحى مسخرى أولاد دليم، وقائد رحى مسخرى الرحامنة ولكل من هؤلاء القواد خليفة وقواد مئين ومقدمون على حسب كثرة جيشه وقلته خيلا ورماة .

قواد الحناطى البرانيين

قائد الشرفاء الفرادى (فرقة من المشاوريين)، وقائد المظل والمزراق، وقائد المكاحل وحنطة هذا القائد تتألف من أبناء الكبراء والقواد المعزولين ومشاورى البخارى والمشاورية سكان فاس، والمشاورية سكان المنشية، والمشاورية الأحرار والإضافات وهؤلاء منهم ينفذ قائد المشور أصحاب الصدر الأعظم وغيره من باقى الوزراء والمكلفين بفتح قبب الوزراء وغلقها وقمها .

قواد الحناطى الداخلىين

قائد الأتاي ووظيفة هذه الحنطة القيام بأوانى الأتاي وتهيتها فى كل وقت، وقائد الفراش ووظيفة هذه الحنطة من أعلى الوظائف، بيده مفاتيح الخزائن المولوية وأصحابها هم المكلفون بتنظيف المحال الخاصة بالسلطان وتفريشها، فإذا وجد من كانت فيه نوبة المباشرة لذلك فى حال تنظيفه أشياء متفرقة بالمحل يجمع ذلك ويجعله فى محل خاص، فإذا تم أشغاله رد كل حاجة لمحلها الذى كانت فيه على

الهيئة التي وجدت عليها، وعليه العهدة فى الأثقال الخاصة بالسلطان وحرمة فى الأسفار، فإذا رام السلطان الظعن يعين قائد الفراش أحد الأعيان النبهاء لتقييد الأثقال كل فى كناش خاص يفتح الصناديق ويقيّد سائر ما بداخلها من الحوائج والأثاث والحلى والحلل.

فإذا استوعب التقييد تمام الاستيعاب جعل ورقة جامعة لسائر ما حواه ذلك الصندوق ويضعها فوقه ثم يسده ويغلفه فى غشاء وينمره ويقيده فى كناشه الخاص بكل إيضاح وبيان، وهكذا إلى أن يأتى على جميع الصناديق وأوعية القش، ثم إذا تم التقييد على نحو ما ذكرنا يجعل قائمة ذات أضلاع ضلع يقيّد فيه عدد البهائم اللازمة لحمل ذلك من بغال وحمال، وضلع يقيّد به المكلفين بذلك القش الذين يسافرون معه.

وتقدم هذه القائمة للجلالة السلطانية وبسبب هذا يتيسر الوصول لما عسى أن يحتاج إليه مما بداخل تلك الصناديق بكل سهولة، ومن يد صاحب الفراش تأخذ سائر الحناطى أشغالها يأخذ صاحب الوضوء الشمع والمناديل وكلما يحتاج إليه فى وظيفه ويأخذ صاحب الماء الفواكه والحلويات وصاحب الأتاي السكر والأتاي وكل ما هو من لوازم شغله، ويضاف لهذه الحنطة أصحاب السجادة والموقتون وطبال الكومى، والحلاق، وأصحاب السكين.

قد كانت العادة جارية بأن صاحب السكين هو الذى يحمل بلغة السلطان إذا خلعها، ثم صار يحملها قائد الوضوء أو خليفته إن غاب هو، وربما حملها الحاجب.

وقائد الماء ووظيفته طبخ الماء وتبخيره واستعدابه.

وقائد الوضوء ووظيفته تنظيف الحمام والكنف وإيقاد الشريات والحسك، ويحمل الفئار أمام الأمير، ويأخذ ما فضل من الشمع بعد الإيقاد، أما الذى ينظف

الثريات ويضع فيها الشمع فهو صاحب الفراش وليس له أن يوقدها ولا أن يأخذ ما فضل بها من الشمع، ولا يمكن لصاحب الوضوء الذهاب لتنظيف الحمام والكنف إذا كان مروره إليهما على باب محل مفروش إلا إذا كان صاحب الفراش حاضرا أمام المحل المرور عليه، كما أنه لا يمكن لصاحب الفراش أن يبارح ذلك المحل ما دام صاحب الوضوء لم يتم أشغاله فإذا فرغ صاحب الفراش والوضوء من التنظيف الداخلى يناول الفرائجى بقية التنظيف الخارجى وما منهم إلا له مقام معلوم.

وقائد الجزارة ووظيف هذه الخنطة ذبح شياه الطعام السلطانى وغيرها من سائر المذبوحات والطبخ والشى، وفتل الكسكوسون مناوبة ببيت أصحاب النوبة بباب قبة الموقت، فإذا بقى للفجر ساعتان أيقظه الموقت فيقوم يذبح ويوقد النار ويوقظ المكلفين معه بالطبخ ليكون الفطور مهيبا بعيد صلاة الصبح، ولا يكون هؤلاء الجزارون إلا من الوصفان الأرقاء كأصحاب الوضوء والاروى.

وقائد المحفة ووظيفه القيام بشئون المحفة والعربة وقائد افراك ولا يكون إلا من الجيش البخارى، أو هو مضاف إليه ووظيف هذه الخنطة حراسة الأبواب وتنظيفها والنظر فى القبب والأخبية السلطانية وتشبيدها فى الأسفار والتفسحات.

وقائد الاروى وله خليفتان أول وثان ومقدم وعوامون وكناسون ووظيفه النظر فى شئون المراكب السلطانية وصيانتها ومقابلة سائر ما يرجع إليها.

وقائد الحمارة وله خليفة وأعوان عديدون، وهو من مضافات الأروى ووظيفه النظر فى بغال مخصوصين لحمل الأثقال المخزنية جميعها، وأثقال رجال المخزن وموظفيه فى سائر الحركات والتنقلات، وجلب الحطب والفحم من الغابات للخزائن المخزنية، وحمل الأضحية فى العيد وحمل الشعير والقمح من الأمراس السلطانية وإليها، وكانت البغال التى إلى نظره تعد بالألوف، والعادة فيما يستغنى

عنه منها يفرق على العزائب (الهواتر) والغيض فى نحو خمس وثلاثين قبيلة بقصد حفظها وصيانتها، ومن أتلّف شيئاً منها فعليه غرمه وتكون سائر البغال المخزنية موسومة بميسم خاص .

وقائد الجمالين وله خليفة وأعوان، ووظيفه النظر فى الجمال المخزنية المعدة لحمل تموين المحلة وأثقالها وتوزيعها على من جرت العادة بصيانتها لها عند عدم الاحتياج إليها، وكانت هذه الجمال تعد بالألوف أيضا موسومة بالميسم الخاص بوسم دواب الحضرة السلطانية .

ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه

كان إذا رام تلك الرياضة أصدر أوامره بانتخاب الفرسان الماهرين العارفين بركوب الخيل وإعلامهم بالتهيؤ للعب على الخيل فى وقت يعين لهم فتجتمع خيول حناطى الداخلىين والبرانيين المتقدم ذكرهم وخيول العسكر والقبائل، وذلك داخل المشور (محل متسع مستو من مرافق القصور السلطانية) ويرتبون صفوفًا صفا خلف صف تحت رياسة قائد المشور، ويأتى كل لابس لبزته الرسمية السارة للنظرين، فإذا تم الترتيب يخرج السلطان ممتطيا ظهر جواده، وبمجرد ما يلوح سنا بدر محياه المشرق من باب القصر المولوى تصدح الموسيقى بألحانها العربية إلى أن يصل إلى أول تلك الصفوف، فيتناول مكحلته من يد الحاجب ويتقى من يكون فى صفه من الفرسان الماهرين فى المسابقة من قواد الحناطى وأفراد الحاشية، ثم يفتح المسابقة وبمجرد ما يطلق عمارة مكحلته يتناولها الحاجب من يده ليمسحها ويعمرها، ثم تقتفى أثره فى المسابقة تلك الصفوف صفا بعد صف وكل من قضى نوبته يرجع لمركزه وليس لأحد كائنا من كان أن يتعداه، ولا أن يحيد عنه إلا السلطان، وكلما سابق حيته المدافع من الأبراج بأربع طلقات والموسيقى وهكذا إلى انتهاء اللعب .

اللباس الرسمي

أما الوزراء والكتاب والأمناء فيلبسون القفطان والفرجية والكساء والبرنس والعمامة والقلنسوة، وأما القواد والحاجب ووزير الحرب والباشوات فلباسهم مثل من ذكرنا إلا الكساء فلا يرخص لواحد منهم في لبسها، ويقتصرون على لبس البرنس.

ويزيد قائد المشور عليهم بالتقلد بالسيف وأخذ عصا بيده ويزيد قواد اراحي الجيش المسخر وأصحاب المكاحل بقبض مناديل حمر وجعل (الجرافات) أغشية تشبه الجراب وتكون تلك الجرافات بحسب رتب الحاملين لها، فما يحمله قائد الأرحى منها يكون من الموير المزركش بالحرير، ومحل وضع هذه الجرافات بمنطقة الحزام، وهؤلاء يحملون المكاحل في الأوقات الرسمية، وليس لأحد من القواد كائنا من كان لبس العمامة إلا بإذن خاص من السلطان، وإنما يلبسون القلانس فقط.

وأما أصحاب الاروى والمحفة فلا يلبسون البرنس في أوقات ركوب السلطان، وإنما يمشون متجردين في القفطان والفرجية.

وأما الحمارة فلباسهم القشابة والجلابة من الصوف، وليس لواحد غيرهم لبس الجلابة في الأوقات الرسمية ولو كان ولد السلطان أو أخاه أو عمه، ولبسها من الكبائر التي لا تغفر في النظام المخزنى والهيئة الرسمية، كما يمنع بتاتا لبس الأسود.

وأما الأربعاويات فيلبسون القفاطين الحمر بدون فرجيات، ويشدون عليهم الحزم وتكون قلانسهم طوالا، ويحملون على عواتقهم مكاحل طوالا جدا، ويتقدمون أمام السلطان في الأعياد.

وأما الفرايكية فيلبسون البرنس، إلا في أوقات السفر أو إذا أضيفوا إلى الأربعاويات في الأعياد.

ثم الذين يلبسون الكساء لا يسوغ لهم تغطية رؤوسهم بالبرنس في الأوقات الرسمية، إذ تغطية الرأس به من خواص السلطان في الأوقات الرسمية، ثم إن الذين يقتصرون على لبس البرنس أو الجلابه لا يسوغ لهم أيضا تغطية رؤوسهم وكل من افتات أو تجاوز حده المحدود له تجرى عليه الأحكام المخزنية.

كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن

أما قواد الأراحي فتأديبهم وعزلهم لا بد فيه من أمر السلطان، وأما قواد الحناطى الداخلين وقائد المظل وقائد المكاحل وقواد المثين والمقدمون فتجرى عليهم أحكام قوادهم إن ثبت عليهم ما يوجب ذلك بغير إذن، وأما مطلق المخازنية فتتألف الأحكام حتى من المقدمين.

كيفية ورود سفراء الدول على السلطان

عندما يرد الإعلام من طنجة من النائب السلطاني إلى المخزن الشريف يأمر بتهيئ من يتوجه للإتيان بالممثل فيكتب الصدر الأعظم لقائد المشور ليفرض لفيفا من المحلة لذلك، وللحاجب بتنفيذ الخيل والبغال، ولأمين الصائر بتنفيذ ملازم السفر، ويكتب ظهيرا شريفا لكافة العمال والقبائل الممرور بها بالقيام والتموين وإظهار الفرح والتلاقي بكل بشاشة في الذهاب والإياب وبيان هذا سيرسم بعد بحول الله.

كيفية دخول ممثلي الدول من السفر

صبيحة دخوله تخرج العساكر وتصطف على جانبي الطريق التي يكون مرور السفير بها مع الموسيقى السلطانية، ويخرج قائد المشور ووزير الحرب للقاءه في أبهة

عظيمة من الخيل ووجوه الرجال، وعندما يلتقيان به يسلمان عليه راكبين ويتوجهان به لمحل نزوله.

كيفية ملاقاتة الأجانب مع جلالة السلطان

يقف الترجمان عن يمين السلطان مقاربا له، ويقف الصدر الأعظم ووزير الخارجية عن يساره مقاربين له، ويقف السفير أمام الترجمان وترجمانه أمام الصدر الأعظم ووزير الخارجية، ويقف الملحقون بالسفير وراءه، ويقف أصحاب المكاحل قريبا منهم، ويقف قائد المشور عن اليسار قريبا من الملحقين بالسفير، ثم الحاجب قريبا من قائد المشور، ثم الخناطى الداخليون، ويقف أصحاب المكاحل مقابلين للواقفين منهم عن اليمين، ويقف خليفة قائد المشور عن اليسار أمام صف من المشاورة آخذا من اليمين إلى اليسار.

ويسلم السفير السلام الأول عند هذا الصف، ثم السلام الثانى عند صف أصحاب المكاحل، ثم السلام الثالث عند صف بقية الوزراء والكتاب.

ولما تكون الهيئة المذكورة تامة، يتوجه قائد المشور فى نحو العشرة من أعوانه إلى منزل الممثل ليؤذنه بالطلوع لدار المخزن ويتوجه فى رفقته قائد الرحى المكلف بحراسته فى محل نزوله مع بعض أعوانه، وعند وصوله يكون قائد المشور فى انتظاره خارج الباب ليتقدم أمامه لدى جلالة السلطان ولما يقابل جلالته يؤدى التحية الأولى بانحناء، والثانية والثالثة كذلك وفق ما تقدم، إلى أن تكون الهيئة موافقة لما ذكر، وعند انقضاء الحفلة يتوجه على الكيفية التى أمر بها.

كيفية تقديم هديته للسلطان

بعد المقابلة فى اليوم نفسه عشية تحمل الهدية إلى دار السلطان، ويتوجه الممثل فى هيئته بعدها فتخرج من صناديقها، وتوضع فى محل جلوس السلطان

أمام صاحبها فيخرج السلطان بغير الهيئة الرسمية حتى تعرض عليه الهدية ويقبلها،
وينصرف كل واحد لحال سبيله .

زيارة السلطان للأولياء

عند حلول السلطان بأى بلدة وعند خروجه منها يقع الإعلام لنقباء ومقدمى
الأضرحة بيوم الزيارة ليتهيئوا، وفي صباح اليوم يتوجه عريف الجزارة بالقدر
المأذون له فيه من رءوس البقر ويوزعه على عدد الأولياء، ويبقى كل فريق فى
محلّه إلى أن يأتى السلطان، وعند دخوله للضريح المزور يتقدم كبير الجزارة
بالحضرة السلطانية ويتولى أمر الذبح إلى انتهاء الزيارة، وفى تلك الهيئة لا يستعمل
السلطان المظلة بل تكون محمولة صحبته .

حركة السلطان من بلد إلى أخرى

عندما يشتد عزمه على الحركة يأمر الصدر الأعظم لكل من جرت العادة
باستدعائه للحركة، فتكتب المكاتيب الشريفة وتسلم للحاجب ليختمها بخاتم
السلطان، وبعد ذلك يطلعه عليها ليسلمها بعلامة التسليم، وترجع للصدر الأعظم
لتجعل فى أغشيتها وتسلم لقائد المشور ليوجهها صحبة أعوانه لأربابها من قواد
القبائل والمدن والمراسى .

وعندما يحين وقت قدوم الحراك يأمر السلطان بإخراج الافراك ويعين يوم
نصبه فينصب بأبهة عظيمة يحضرها أكابر علماء البلد والقضاة وأعيان الشرفاء
وقائد المشور ووزير الحرب والباشوات وكبار الجيش وقواد العساكر، وهؤلاء هم
الذين يتولون نصبه بأيديهم مع إعانة المكلفين به وهم الفرائجية وقائدهم ويحضر
الطعام الخاص من عند السلطان للقضاة والعلماء مدة مبيتهم بقبة السلطان بقصد
قراءة صحيح الإمام البخارى بعد أداء الفريضة، وقراءة القرآن، وهى ثلاث ليال

كما كان يتقى المسنين من أهل الفضل والصلاح لقراءة اسم الله تعالى (اللطيف) ١٠٦٦٦ كل ليلة من الليالي المذكورة، ويفتحون ذلك بعدد من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك من محكم العوائد حتى صار أصحاب اللطيف علما بالغلبة على تلك الجماعة المعدة لذلك.

كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيوش

تكون قبة السلطان الكبرى وسطا ويحاط بها قبب ووثاقات ويدار بالجميع سياج يسمى افراك، وتكون الأروى عن يمين افراك، ثم محل الحاجب ثم محل الحناطى الداخلية، ثم محل الصدر الأعظم وبالقرب منه محل الجيوش الرماة القائمين بالعسة الداخلية ليلا، وخيلهم تقوم بالطواف على المحلة من بعد صلاة العشاء حتى الصباح، ثم محل بقية الوزراء، ويكون أمام افراك محل جلوس وزير الحرب ثم الخيمة حذاءه، وهى محل جلوس الصدر الأعظم وغيره من الوزراء وقائد المشور.

ويكون بمقربة منها مخيم قائد المشور ثم خليفته ثم الحناطى البرانيون.

وبمقربة منهم محل عسة العسكر القائمة ليلا ونهارا، ويكون عن يسار افراك محل الحمارة، ثم مسجد الصلاة، ويقربه الصيوان، ثم المدافع ويقربها محل جلوس المشاورية فالقيام بالعسة فى أوقات عمارة المشور.

وبمقربة منه محل عسة الوطن وعلى سمتهم مخيم القبائل وعندما يجتد الحراك، ويتحرك السلطان قاصدا وجهته تتلقاه القبائل على حدود ترابها بالألعاب والأفراح وأقداح الحليب تفاؤلا والهدايا وفق عوائدها فى ذلك.

كيفية خروج السلطان يوم السفر

فى اليوم الذى قبل يوم السفر يتوجه أحد المهندسين مع الموقت لينظرا المحل الذى يصلح لنزول المحلة وقدر المسافة، ويجعلا بذلك تقييدا لجلالة السلطان يدخل على يد الحاجب ليوقع عليه السلطان بما يظهر له من الاستحسان أو عدمه، وفى صبيحة يوم السفر يتقدم من ذكر صحبة قائد الافراك ليعينا له محل النزول، وتخرج جميع الأثقال المخزنية والأروى ثم عيال السلطان، ثم يخرج السلطان بعد وداعه لأهل البلد بدار المخزن، ثم يخرج الجميع خارج البلد مع عامله وقضاته وعلمائه وأعيانه حتى يمر الموكب المخزنى أمامهم.

كيفية نهوض السلطان من المحلة

يقع الإعلام ليلا بالرحيل لولاية الأمر، وعند الفجر لما يسمع طبال (الكومى) الخاص بالسلطان الذى هو علامة الرحيل يشرع الناس إذ ذاك فى الرحيل، فيخرج السلطان بعد أداء فريضة الصبح ويجلس على عرشه مسندا ظهره للمحفة وهو ينظر للافراك حتى يجمع، ثم يأمر قائد المشور بأن يأمر الجيوش الميين تفصيلها بجمع القبة على ما جرت به العادة من أخذ كل فريق منهم جبلا من حبالها الوثقى المعبر عنها بالكمنة، ثم بعد جمعها فى أقل من عشرين دقيقة لكثرة الجيوش مع كبر القبة واتساعها تحمل على البهائم.

ثم يأمر قائد المشور بأن يأذن لهم فى التوجه نحو الأمام، فيأذن لهم بعد أدائهم ما يجب من تقديم الاحترامات للسلطان، فيتقدم نصف الجيش وهو الجيش الشرقى بقواده وأعلامه فيتبعهم قائد الافراك بأعلامه وخيله أمام قبة السلطان، ثم القبائل قبيلة فقبيلة، ثم يأذن السلطان المخزن بالركوب فيركب ويصطف الجميع ثم يركب السلطان جواده.

كيفية مسير السلطان فى السفر

عندما يركب السلطان يتقدم أمامه بعض من أهل القبيلة التى هو بها أدلاء على الطريق حتى يخرج من ترابهم، ثم يتقدم غيرهم من أهل القبيل الذى حل به، ثم تتبعهم فرقة من الطبجية بمدافعهم محمولة على الدواب، ثم الموسيقى، ثم خليفة قائد المشور مع الراية الخاصة والطرادة البيضاء فى شردمة من الخيل حاملين للسلاح، ثم المراكب الستة المعروفة بـ (الكادة) ثم قائد المشور وأصحاب المزاريق، ثم جلالة السلطان محوطة بعييد الأروى وقائدهم، ثم صاحب المظلة متأخر قليلا عن السلطان، ثم الحاجب وراءه، ثم أصحاب المكاحل محيطين بالجمع، ثم الفرس الحامل لصحيح الإمام البخارى محوطا بأعلام جيش البخارى وقواده، ثم الوزراء يتقدمهم الصدر، ثم بقية الجيوش وراء الكل مع المال المحمول فى رفقة السلطان، الذى من عادته فى الحركة أن يكون تحت حراسة الجيش البخارى، وكذلك المساجين.

كيفية دخول السلطان للمحلة

عندما يقرب للمحلة تكون جميع خيل القبائل مصطفىة عن اليمين، وخيل العسكر عن الشمال، فيؤدون له التحية ويحييهم قائد المشور إلى أن يدخل السلطان لإفراك.

خروجه للأحكام فى السفر

إن كان مقيما يخرج صباحا ويجلس على كرسى ملكه بالصيوان لمباشرة الأشغال، فيدخل عليه قائد المشور بغير استئذان ليسلم له المكاتيب الواردة من الإيالة مع لائحة ببيان المحال التى وردت منها تلك اللائحة بتاريخ اليوم والشهر الذى قدمت فيه، وبعد خروجه يستدعى السلطان الصدر بواسطة صاحب

الوضوء، ثم بقية الوزراء أفراداً، ثم أمين الداخل، وأمين الصائتر، وعند الزوال ينهض متوهجاً نحو المسجد لأداء فريضة الظهر.

ومن العوائد التي لا تتخلف اتخاذ مسجد للسفر تقام فيه الصلوات الخمس جماعة، ثم إذا فرغ السلطان من الصلاة يتوجه لإدارة الشئون واستقبال الوزراء طبق ما شرحنا، فإذا حان وقت المغرب وأدى فريضتها بالمسجد يتوجه لفسطاطه الكريم فيتناول العشاء، ثم إذا أذن المؤذن العشاء خرج لصلاتها بغير الهيئة الرسمية التي يخرج بها نهاراً وكذلك لصلاة الصبح.

ومن العوائد المقررة في سائر أسفار السلطان إتيان الطبالين بطبولهم ومزاميرهم والموسيقى والمغنيين أصحاب الملحون كل يوم بعد صلاة العشاء لباب الفسطاط السلطاني فيضرب كل من المذكورين برهة من الزمان، ثم يعقبه الآخر ويدوم ذلك مدة من الزمان ثم ينصرفون.

وأما باقى أصحاب المحلة وفرقها فكل يعمل على شاكلته، فمن تال ومن ذاكر ومن مبتل ومن مغن ومن إلى انشقاق الفجر أو ما يقرب منه، كما أن العادة جارية بضرب الطبول والمزامير والموسيقى والدفوف خلف موكب السلطان كل صباح عندما يظعن ويدوم ذلك نحو الساعة.

كيفية تموين المحلة الشريفة

عندما تنزل المحلة يأذن قائد المشور أعوانه بالتوجه مع الحمارين وأصحاب الماء ليستقوا ويأتوا بالكلاً للبهائم والحطب للإيقاد، فإذا انتصف النهار يأتى أهل تلك القبيلة بعدد وافر من الشعير والدقيق والسمن وراءوس الضأن، وعدد وافر من الدجاج ويقفون خارج المحلة حتى يستأذن عليهم قائد المشور، فيوجه من قبله مكلفاً بتقييد فيه بيان كيفية تفريق ذلك حسب العادة المقررة فيه، أولاً الكشينة

المولوية، ثم الأروى، ثم الوزير الصدر، ثم قائد المشور، ثم وزير الحرب، ثم وزير الشكايات، ثم وزير الخارجية، ثم الحاجب، ثم أمين الأمان، ثم خليفة قائد المشور، ثم كبير المحلة، ثم يوزع الباقي على سائر من بالمحلة.

كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة السعيدة

الجيش البخارى وأصحاب الأعيان، المنشية، ابن سالم، شراكة، جيش أرغار، مسخروهم، جيش المغافرة، مسخروهم، الفرايكية، المشاورية الطلبة وأصحاب الفراش، أصحاب الأتاي، أصحاب الماء، أصحاب الوضوء، الجزارة، أصحاب الأروى، أصحاب المحفة، الشاونى، مزور الجمالة، الشرفاء، الطبجية والموسيقى، الحاج امنو، الحاج أحمد، الوصفان، الخيالة، الحاج عزوز، مكانة، الغرناطى، الحاج عمر، آيت يمور، آيت الربع.

كيفية وصول الجناب السلطانى إلى المحل المقصود بالإقامة

يتقدم الإعلام لأولى الأمر بتعيين اليوم والساعة لدخول السلطان ليأخذوا فى التهيؤ والتأهب لاستقبال جلالته المعظمة، فإذا خيم ركابه الشريف بضواحي البلد خرج العامل فى أعيان أتباعه، وكذا جل الموظفين والأعيان لاستقبال جلالته وتهنته بسلامة القدم.

فإذا أسعدهم الحظ بالمشول بين يديه وأدوا واجب التحية والتهنته، منهم من يثوب إلى البلد ومنهم من يبيت مع الجلالة السلطانية بمحلته السعيدة ليلة أو ليلتين، فإذا كانت صبيحة يوم الدخول تسابق الناس على اختلاف طبقاتهم إلى خارج البلد، ثم تصطف العساكر ويخرج عامل البلد مع الموظفين والأعيان ويقفون على حد الباب الذى يكون منه دخول السلطان، وهو باب منصور العلج بالحضرة الكناسية، ويقف الشرفاء العلويون وفى مقدمتهم نقيهم أمام ضريح جد العائلة

السلطانية الأكبر مولانا إسماعيل، والقضاة والعلماء، والعدول بالعقبة التي فوق الضريح الإسماعيلي، ثم ليف من المخازنية ثم الشويردات، وتتصل الصفوف إلى باب قصر المدرسة العامر، ويداخل باب القصر يكون بعض أفراد العائلة الذين لا زالوا تحت ثقافة الحجر وأمين العتبة والعبيد المقيمين بضرورات من بالقصر من الحرم، ويداخل الباب الداخلى يكون وقوف عبيد الدار (الطواشين) ثم العيال الشريف، والسلطان يحيى كل طائفة وفريق بما يناسبه ويليق به ويرفع أكفه بالدعاء لهم، إلى أن يدخل لقصره العامر.

وبعد حلوله البلد بنحو ثلاثة أيام يصدر أوامره بالإعلام بالزيارة والتطوف على أضرحة الأولياء، فيعلم عامل البلد والموظفون من نقباء وأمناء ونظار، فيأتون للأعتاب الشريفة فى الوقت المعين لهم، ثم تخرج الجلالة السلطانية ممتطية متن جوادها وتسير فى موكبها الزاهى الزاهر بعد أن تقدم أمامها عددا من البقر للضعفاء الملتجئين بالأضرحة المزورة والسدنة القيمين بها، وكذلك يفعل عند إرادته النهوض من البلاد التي أقام بها وتلك عادة كانت لا تتخلف.

فإذا كان السلطان ابتداء فى زيارته بضريح البضعة الطرية مولانا إدريس الأكبر دفين جبل زرهون، فيحتفل سكان ذلك الجبل وبالأخص القاطنين بالزاوية الإدريسية لزيارته بقدر إمكانهم، فيزور ويرجع من يومه غالبا، وربما قدم زيارته فى بعض الأحيان على دخول مكناس.

وأما أضرحة صلحاء العاصمة المكناسية فيتدئ بزيارة أبى زكرياء الصبان، ويختتم بضريح جده الأكبر مولانا إسماعيل، وضجيعه جده دنية مولانا عبد الرحمن بن هشام، وعندما يدخل للضريح المذكور يجد الشرفاء والطلبة مصطفىين أمام المحراب فى انتظاره، وبمجرد ما يلوح عليهم سنا بدر محياه يفتتحون قراءة سورة: إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

وعند ختمهم إياها يصلهم بنحو ألفى فرنك ويمنح المقدمين به بما يقرب من ذلك، ثم يتوجه لقصره العامر، وألسنة الضعفاء رطبة بالدعاء له والثناء عليه بما أفاض عليهم من سجال العطايا.

العادة فى الولايم السلطانية

إذا أراد السلطان جعل عرس أو ختان، أمر خاصة بنى عمه وأقاربه وذوى الحيشة من رؤساء جيشه بإدخال أبنائهم للختان أو بناتهم للتزوج، وأمر عامل البلد بتعيين أبناء الضعاف الذين لا يستطيعون الاحتفال بعرس أولادهم أو ختانهم، ويعين لهم اليوم فيأتون ويختنون وينفذ لوالديهم أو من هم إلى نظرهم ما يكفيهم لجعل وليمة كل على قدر منصبه ومكانته، وهكذا فى العرس ويصدر الأمر بالاستدعاء للعمال والموظفين على اختلاف طبقاتهم فى سائر أنحاء الإيالة، فتأتى عمال المدن والقبائل بالهدايا الضافية وتفاض عليهم فى أيام الوليمة أنواع الإنعامات، فإذا تمت الوليمة ودعوا ونفذت لهم الكساوى كل وما يناسب حاله وينصرفون فرحين مبتهجين.

كيفية العقيقة

إذا كانت عند السلطان عقيقة أو عند أحد من بنيه أو أقاربه الذين بداخل قصره، يأمر قائد مشوره بجعل قائمة بأسماء الذين يحضرون فى تلك العقيقة، وعندما يقدمها يوقع عليها بالتسليم، ويلاحظ على من تجرى العادة بإحضاره فيقدم أولا أصناؤه ثم أعمامه وأصهاره ثم النقباء فوجهاء عائلته فالقضاة والعلماء فكبراء الزوايا وباشا المدينة وبعض الأعيان والموظفون من كتاب وأمناء ونظار ثم قواد المسخرين والعسكر والجيش.

نزهة شعبانة

فإذا كانت العشر الأواخر من شعبان أمر السلطان وزيره الصدر باستدعاء الشرفاء والعلماء والأعيان والباشوات والقواد، فيكتب لهم بطائق الاستدعاء للحضور بشريف الأعتاب بقصد حضور وليمة شعبانة مع الجناب العالى، فتضرب الأخيية والفساطيط بأحد أجنة المخزن وتعين المحال للمستدعين كل وما يناسبه، وتفاض عليهم أنواع الأطعمة الشهية والحلويات والأتاي، ويكون المطربون بينهم مناوبة وذلك كل يوم من الصباح إلى العشى، وربما خرج السلطان إليهم بنفسه ورحب ويدوم ذلك سبعة أيام آخر يوم منها هو آخر يوم من شعبان، أما الوزراء والكتاب فإنهم يستدعون مشافهة بواسطة الوزير الصدر.

العادة فى الجنائز

إذا كانت الجنازة من ذوى الأقدار العالية يحضرها جميع الوزراء والقواد وأصحاب الهيئات، ويحضرها السلطان بنفسه ويقع الإعلان بالنداء لعامة أهل البلد فيحضرونها ومن تخلف يعزر، وإلا بأن كانت الجنازة من مطلق الحاشية فيحضرها الحاجب أو خليفته وعامة أهل البلد.

بيان تموين الدار العالية بالله بمكناس

مياومة ومشاهرة ومسانهة

فمن لحم الضأن مياومة أربعة قناطير، وست وسبعون رطلا، ومن الخضر المختلفة ستون قفة.

ومن الدقيق مشاهرة مائة قنطار، وأربعة وأربعون قنطارا، وسبع وعشرون رطلا ونصف الرطل.

ومن السمن المذاب سبعة قناطير وسبع وسبعون رطلا.

ومن الصابون ستة قناطير وستون رطلا .

ومن الفحم خمسمائة قنطار وسبعة أرطال .

ومن الحطب خمسمائة حمل وأربع وخمسون .

ومن السكر تسعون قالبا .

ومن الأتاي تسع وعشرون رطلا .

ومن الشمع خمس وعشرون ابرة .

ومن الفلفل الأسود ست وأربعون رطلا .

ومن الفلفل الأحمر أحد عشر رطلا .

ومن الكمون أربعة عشر رطلا .

ومن القرفة خمسة أرطال .

ومن أثمان الزعفران مائة وسبعة عشر ثمنا .

ومن الزيت خمسمائة وثمانية عشر رطلا .

ومن الملح أربعون مدا .

ومن الشطاطيب ثلاثمائة وخمس وخمسون شطابة .

ومن الشراييل (نعال النساء) تسعة وتسعون شرييلا .

ومن البلاغى (نعال الرجال) اثنا عشر .

ومن الدراهم نحو الخمسة عشر مائة فرنك .

ومن الخليج مسانهة مائة وثلاث وعشرون ثورا وثمانية عشر قنطارا وخمس

وأربعون عنها ثمانية وعشرون ثورا .



ومن الشحم ثمانية عشر قنطارا وخمس وأربعون رطلا.

ومن الزيت لتقلية الخليع مائتا قلة واثنان وثمانون قلة كل قلة كيلها عشرون ليتر وما يكفى لذلك من الثوم والكمون وزريعة القزبور.

ومن رءوس الضأن للأضحية فى عيد الأضحى نحو الثلاثة آلاف، وفى أول خميس من رجب خمسة عشر قنطارا وخمسة أرطال من الحلواء، وخمسة عشر مائة طير من الدجاج، ونيف وكذلك فى النصف، وفى السابع وعشرين من الشهر المذكور، ومثل ذلك فى منتصف شعبان، ومنتصف رمضان والسابع والعشرين منه، وفى يوم عاشوراء، ويزاد فى هذا اليوم على ما ذكر خمسون حملا من أنواع آلات اللعب والطرب للصبيان والنساء، ومن القمح لزكاة عيد الفطر أربعة أوسق.

ومن الشعير لعلف إناث الخيل التى بأجدال بقصد الإنتاج وعددها خمسمائة وسبعون فرسة من أعتق موجود وفحولها وعددها ستة وعشرون أوسق تسعة وأربعون وستة وعشرون مدا مشاهرة.

ومن شعير علف النعم ثلاثة أمداد مياومة.

ومن شعير علف ذكور الضأن المعدة للشواء للجناب السلطانى عندما تكون جلالته بالعاصمة المكناسية ستة عشر مدا فى كل يوم.

وفى أيام الشتاء ينفذ للدار العالية بالله عدد وافر من الشكلاط وقدور السكنجير المرقد فى السكر والعسل ومعاجين التفاح والإجاص^(١) والسفّرَجَل^(٢)، ويخص الأعيان من الشرفاء والشريفات بالعنبر.

(١) الإجاص: شجر من الفصيلة الوردية، ثمره حلو لذيد، يطلق فى سورية وفلسطين وسيناء على الكمثرى وشجرها، وكان يطلق فى مصر على البرقوق وشجره.

(٢) السفّرَجَل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية.

وفى كل عاشوراء يوجد عدد وافر من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف فرنك، يوزع على من بالدار العالية حتى وخش الرقيق صلة.

كما تنفذ للدار العالية ومن فى حكمها الكسوة النسوية صيفاء وشتاء الطبقة الأولى تقاصيص خمس من الملف الرفيع فى كل تقصيصة أربعة أذرع ونصف، وخمسة أطراف من رفيع الكتان، وعشرة شقق من ثياب الحرير والقطن، ومائة وخمسون فرنكا.

الطبقة الثانية ثلاثة تقاصيص ملفا، وثلاثة أطراف كتان، وستة دفائن من القطن ومائة فرنك.

الطبقة الثالثة تقصيصة من الملف وطرف من الكتان وطرف من الشيت (كتان غليظ مزوق بالألوان) وكلما ورد السلطان من أسفاره ينفذ لمن ذكر الصلة بقدر صلة الزكاة المذكورة عادة محكمة لا تتخلف.

وليس ما بين قاصراً على مكناس بل يعم سائر الدور السلطانية وما هو مضاف إليها ومحسوب عليها بفاس ومراكش وتافيلالت، ولم يكن لهذا القدر حد ممدود بل من طلب شيئا من السباني أو حزم الزردخان أو الفلوس أو الكسوة ينفذ له.

أما باقى العائلة من الشرفاء القاطنين بالدار الكبرى والستينية فقد كان لهم من الخبز فى كل يوم مائتان يقتسمونها بينهم، وفى كل عاشوراء ألف ريال، ومثلها فى عيى الفطر والأضحى، وكذلك فى عيد المولد النبوى.

وكذلك ثلاثمائة رأس من ذكور الضأن أضحية لهم فى كل عيد أضحى، والكسوة للأرامل والأيتام، ودار مولاى عبد الله، وحزابة الضريح الإسماعيلى ومن فى حكمهم كل سنة.

ومن أراد أن يتزوج أو يزوج أو يعق أو يجعل ختانا ينفذ له ما يكفيه فى وليمته مع الكسوة لعائلته .

ولم يزل العمل جاريا بجميع ما سطرناه إلى آخر نفس من الدولة العزيرية، أما الآن فإن مؤنة الدور السلطانية والعائلات الملوكية صارت تدفع نقودا، كما أن الخليع والكسوة السنوية والصلوات الاعتيادية قد أبطل العمل بها، كما عطل استعراض السلطان جيوشه بنفسه، وكذلك جميع الجيش السلطانى لم يبق منه اليوم عدا نحو المائتين والخمسين بضميمة الإضافات والملحقات كما أنه لم يبق اليوم سوى (طابور العبيد) المسمى بالحرس الملوكى .

وليس مستندنا فى ذلك مجرد السماع بل المشاهدة والعيان والخيارة للواجب من ذلك من الصنف الأول وبمكتبتنا من الأوراق الرسمية التى هى أكبر دليل وأوضح برهان عليه ما لو تتبعنا بعضه من جلب النصوص لاحتجنا إلى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، وما عندنا بالنسبة لما غاب عنا قل من كثر، فإن الكنائيس المعدة لتقييد ذلك وضبطه من العصر الإسماعيلى إلى آخر الدولة العزيرية فرقته أيدى سبكا، كم أوقدت به من فرن وسختت به من حمامات الشىء الذى تخر له الجبال هداً .

وقد ألم محبنا وابن محبنا ومحب سلفنا القائد المصطفى بن يعيش رئيس مشور الخليفة السلطانى بتطاوين ببعض هذه الفصول فى كناشته المتفرعة من كناشتى والده وجده، وهما ممن كانت له رياسة قيادة المشور وتربى فى الخدمات السلطانية منذ نعومة الأظفار إلى أن شب وشاب .

مشيخته: منهم صاحب شكاياته أبو الحسن على المسفيوى وستأتى ترجمته، وأبو العباس أحمد بن الحاج السلمى الفاسى محشى المكودى والأزهري على الأجرومية، ومؤلف التاريخ المسمى بالدر المنتخب المستحسن، وأبو عبد الله محمد ابن عزوز الرباطى الأصل المراكشى الدار .

بنياته: قد أتينا على ماله من المآثر بالعاصمة المكناسية عند تعرضنا لما للملوك فيها من الآثار، وقد أنفق في ذلك أموالاً كثيرة حسبما يدل لذلك كناش قوس مكناس المحفوظ بخزانتنا، كما قدمنا قريبا ذكر ما شيد وجدد من الأبراج والحصون بثغرى طنجة والرباط، ومن آثاره أيضا بالرباط بناؤه مرساها وتجديد ديوانتيها والزيادة في رصيفها قبل إصلاحها الحادث بعد، وكذلك بنى قسبة الحاجب بجوحة برابرة بنى مطير وقسبة تيزنيت، ومن تأسيساته باب قبيلة السمن كما يدل لذلك ما هو مكتوب بأعلى الباب المذكور في نقش زليج أسود بخط بارع ولفظه:

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| باب السعادة أشرفت أنوارها | لما ارتقت أوج العلا أسوارها |
| أضحى على الفتح المبين بناؤها | فلذاك جلت جملة أخطارها |
| قامت بسعد مليكنا الحسن الرضى | فعلا به فوق السهى مقدارها |
| لازال نصر الله منها داخلا | لجناب من عزت به أنصارها |
| والعز والتمكين يغشاه بها | حتى تتم لنفسه أوطارها |
| ما قال سعد تمامها تاريخها | «كملت مبان بابها آثارها» |

١٢٩٣

ما خلفه من الأولاد رحمه الله

مولانا محمد - فتحا - الخليفة بمراكش سابقا، وهو أكبر الذكور وشقيقاه مولاي زين العابدين الخليفة السلطاني بتزيت حينه، ولال أمينة أمهم الشريفة المصونة مولاتنا زينب بنت العلامة مولاي العباس بن عبد الرحمن بن هشام.

مولای عبد الحفیظ السلطان السابق، وشقیقاه مولای بو بکر خلیفته بمراکش سابقا، ولال حبیبیة أمهم الحرة المكنونة السيدة العالیة بنت صالح بن الغازی الشاوی الشهیر .

مولای إسماعیل وشقیقته لال خدیجة المدعوه لال سیدی أمهما الشریفیة لال هنیة بنت ابن عمنا النقیب مولای أحمد بن زیدان .

مولای المصطفی وشقیقته السیده نزهة أمهما الشریفیة لال أم الغیث بنت مولای الأمين بن عبد الرحمن بن هشام .

مولای الكبیر وشقیقته لال شریف أمهما میمونة .

مولای عبد العزیز السلطان من بعده وشقیقه سیدی محمد المهدی أمهما المولاة رقیة ترکیة .

السلطان مولانا یوسف والسیده زینب أمهما الصینة المولاة آمنة ترکیة توفیت فی عهد ولدها سنة ۱۳۳۶ وقال الشعراء فی رثائها .

مولای المأمون الخلیفة السلطانی حینه بفاس . أمه المولاة الیاسمین صرغینیة .

مولای عثمان وشقیقته السیده ربیعة أمهما المولاة طویمو .

مولای جعفر أمه المولاة عویشة .

مولای بلغیث وشقیقته السیده أسماء أمهما المولاة زهراء بوزکری شاویة .

مولای الطاهر وأشقاؤه، مولای أحمد، ومولای التهامی وسمى جده سیدی محمد دعی المکناسی، والسیده لبابة ولال ملیكة أمهما المولاة حسن الملك ترکیة .

مولای موسی، وشقیقه مولای الأمين أمهما المولاة طویمو السید موسی .

مولای العباس وشقیقته السیده سکینه أمهما المولاة کنزة .

مولاي إدريس أمه المولاة حبيقة .

مولاي الطيب أمه المولاة فائدة الشركية .

مولاي على أمه المولاة جمعة .

مولاي عبد الله وشقيقه المولى الحسن أمهما المولاة فتح الزهر مولاي عمر
الخليفة السلطاني بفاس سالفا وشقيقته لال أم الخير أمهما المولاة خويرة عبد
الكامل .

السيدة حفصة وشقيقتها السيدة أم هانى أمهما المولاة عبلة .

السيدة أم كلثوم أمها المولاة عائشة التركية .

السيدة كنزة أمها المولاة الدامي عبدية .

السيدة فخيتة أمها لبيبة تركية .

السيدة الباتول والسيدة عائشة والسيدة فاطمة الزهراء أمهن الضاوية شلحة .

السيدة السعدية أمها زهرة شيطمية .

السيدة صفية والسيدة جمالة أمهما المولاة فتح الزهر الصغيرة .

السيدة فضيلة أمها المولاة بحر الزين .

السيدة زهور أمها المولاة نضار تركية .

السيدة فاطمة وهي أكبر أولاده ذكورا وإناثا أمها زهوة شيطمية .

السيدة مريم والسيدة عتيكة أمهن المولاة فتح الزهر عبد الكامل .

السيدة ستي أمها المولاة خديجة تركية .

الشريفات من نسائه

الشريفة السيدة زينب المذكورة، والشريفة السيدة هنية المذكورة، والشريفة السيدة حليلة بنت مولاى العباس بن عبد الرحمن، والشريفة السيدة مليكة، والشريفة السيدة أم الغيث بنت مولاى الأمين، والشريفة السيدة ستى بنت مولاى على بن عبد الرحمن بن هشام.

الحرائر منهن

السيدة العالية المذكورة، والسيدة خديجة بنت الكبير بن المدنى الشاويتين والمذكورات من الشريفات.

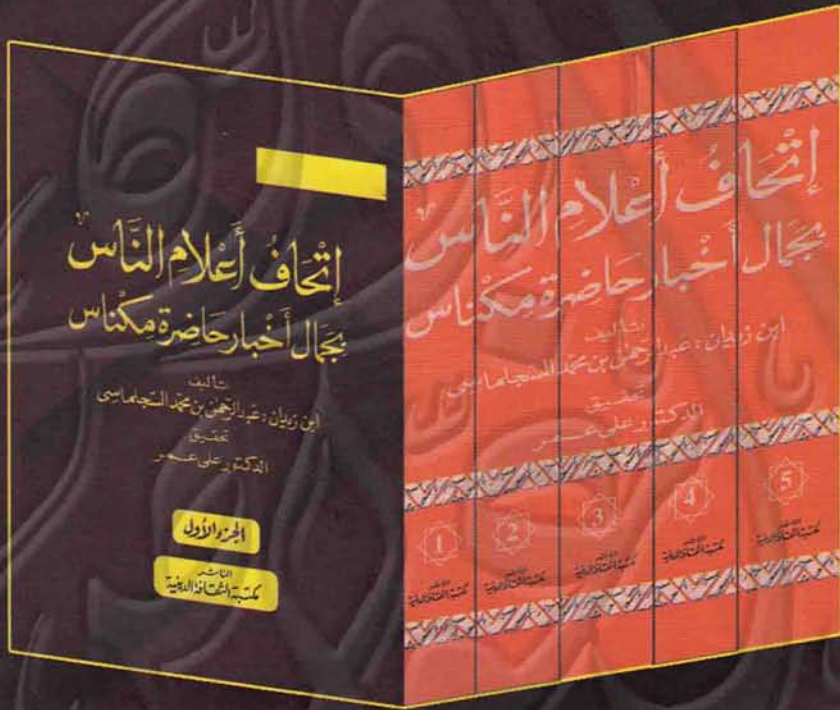
المطلقات منهن

١ الزيدانية، ٢ والسيدة زينب، ٣ والسيدة العالية، ٤ وبنت ابن المدنى: والباقيات ٤ مات وهن فى عصمته وما عداهن من المذكورات مستولدات.

وفاته: توفى أثناء طريقه لدا منقلبه من مراکش لمكناس وفاس عقب أوبته من الحركة الفيلاية المارة الذكر بالمحل المعروف بدار ولد زيدوح من قبيلة بنى موسى من الصقع التادلى فى الساعة الحادية عشرة من ليلة يوم الخميس ثانى ذى الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، وكنتم ذلك عن الخاصة والعامه داهية الحجاب والوزراء أحمد بن موسى مار الترجمة، ولم يفش الأمر لأحد وأمر الحرم بالتجلد والصبر، وإلا فلإنهن يوقعن أنفسهن فى الفضيحة والعار لعدم أمن غائلة تلك القبيلة، وصار يصدر الأوامر والنواهى للوزراء وغيرهم على لسان المترجم وأمر من يناديه كل آونة ليكلم السلطان ولم يزل يرتكب وجوه التدبير والسياسة حتى قطعت المحال المهامة المخوفة وخيمت بالمحل المعروف بالبروج من بلاد بنى مسكين، فعند ذلك باح للناس بما كنتم، وأبرز المقدور المحتم، فتسارع الناس لبيعة

ولى عهده المولى عبد العزيز وغسل المترجم وكفن وجعل فى تابوت، وحمل إلى
رباط الفتح حيث مضجعه الآن بضريح جده السلطان سيدى محمد بن عبد الله،
وطير الإعلام بذلك للحواضر والبوادي، فوصل الخبر لمكناس وفاس يوم الثلاثاء
سابع الشهر، وفى الساعة الحادية عشرة من يوم عرفة دفن حيث أشير، رحمه الله
رحمة واسعة آمين





إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف
ابن زيلان و أحمد الرحيني بن محمد السجلماسي
تتبعه
الدكتور علي عسبر

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت: ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١

فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧ ص.ب: ٢١ توزيع الظاهر

E-mail: alsakafa_alDinaya@hotmail.com

- ٥٣٩ / ١ - ٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلي .
- ٥٣٩ / ١ - ٨٤ - أحمد بن العالم القادري .
- ٥٤٠ / ١ - ٨٥ - أحمد بن الصديق التواتي .
- ٥٤١ / ١ - ٨٦ - أحمد بن العربي الأمراني .
- ١١ / ٢ - ٨٧ - إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل .
- ١٩ / ٢ بحث فى أول من ضرب السكة قبل الإسلام وبعده
وأول من ضرب السكة المركنة
- ٢٧ / ٢ - ٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور .
- ٣٠ / ٢ - ٨٩ - إدريس بن السلطان سليمان .
- ٣٢ / ٢ - ٩٠ - إدريس بن التهامي أجانا .
- ٣٥ / ٢ - ٩١ - إدريس بن الطيب منون .
- ٣٦ / ٢ - ٩٢ - إدريس بن الطيب بوعشرين .
- ٣٨ / ٢ - ٩٣ - إدريس بن أحمد بن مسامح .
- ٣٩ / ٢ - ٩٤ - إدريس بن أحمد الخطابي .
- ٣٩ / ٢ - ٩٥ - إدريس بن أحمد البخارى .
- ٣٩ / ٢ - ٩٦ - إدريس بن المكى البخارى .
- ٤٠ / ٢ - ٩٧ - إدريس بن حفيد برادة .
- ٤١ / ٢ - ٩٨ - إدريس بن القائد محمد الفيضى .
- ٤١ / ٢ - ٩٩ - إدريس بن اليزيد المقرئ .
- ٤٢ / ٢ - ١٠٠ - إدريس بن إدريس الوزير الأديب .
- ٥٢ / ٢ - ١٠١ - إدريس بن بوعزة الميسورى .
- ٥٣ / ٢ - ١٠٢ - إدريس الأمراني .

| الجزء والصفحة | رقم الترجمة |
|---------------|---------------------------------------|
| ٦٢/٢ | ١٠٣ - الأمين العطار . |
| ٦٣/٢ | ١٠٤ - إسماعيل الحسنى السلطان . |
| ٩٠ /٢ | وفى الترجمة استطراد فى تاريخ المهديّة |
| ٩١/٢ | والعرايش |
| ٩١/٢ | وأصيلة |
| ٩٢/٢ | وطنجة |
| ٩٥/٢ | ١٠٥ - أيويس المفتى . |
| | (حرف الباء) |
| ٩٧/٢ | ١٠٦ - بوسلهام بن المؤذن الخلطى . |
| ٩٨/٢ | ١٠٧ - بوعزة بن العربى الفشار . |
| ١٠٠ /١ | ١٠٨ - بلقاسم بصرى . |
| ١٠١/٢ | ١٠٩ - بوبكر المراكشى المفتى . |
| | (حرف التاء) |
| ١٠٣/٢ | ١١٠ - التهامى بن عبد العزيز المرى . |
| ١٠٣/٢ | ١١١ - التهامى الغياثى . |
| ١٠٣/٢ | ١١٢ - التهامى الحمادى المطيرى . |
| ١١٧/٢ | ١١٣ - التهامى بن المهدي المزوار . |
| ١٣٢/٢ | ١١٤ - التهامى بن الطيب أمغار . |
| ١٣٣/٢ | ١١٥ - التهامى أجانا . |
| ١٣٣/٢ | ١١٦ - التهامى البورى . |
| ١٣٤/٢ | ١١٧ - التهامى بن الحداد . |

(حرف الجيم)

- ١٣٧/٢ - ١١٨ - الجيلانى بن الهاشمى .
 ١٣٧/٢ - ١١٩ - الجيلانى بن حم البخارى .
 ١٣٨/٢ - ١٢٠ - الجيلانى المدعو القصعة البخارى .
 ١٣٩/٢ - ١٢١ - الجيلانى بن عزوز الرحالى .
 ١٤١/٢ - ١٢٢ - الجيلانى بن الباشا حم بن الجيلانى البخارى .

(حرف الحاء)

- ١٤٥/٢ - ١٢٣ - السلطان مولاي الحسن .
 وفى ترجمته من المباحث والتراجم :
 ١٥٣/٢ بيعته وحوادث سنة ١٢٩٠
 ١٦٢/٢ كيف كان تأهبه للحركة
 ١٦٥/٢ قضية ابن المدنى بنيس
 ١٧٧/٢ ثورة المولى سليمان الكبير
 ١٨٤/٢ حوادث سنة ١٢٩١ و ثورة دباغى فاس
 ١٨٥/٢ ثورة بوعزى الهبرى
 ١٨٨/٢ حوادث سنة ١٢٩٣
 ١٩١/٢ واقعة غيائة وخروج السلطان لتازا ووجدة
 ١٩٣/٢ القبض على ابن البشير
 ٢٠٠/٢ حوادث سنة ١٢٩٤
 ٢٠٩/٢ عمل المولد النبوى
 ٢١٤/٢ حوادث سنة ١٢٩٥
 ٢٣٣/٢ حوادث سنة ١٢٩٦

| | |
|---------|---|
| ٢٣٥ / ٢ | حوادث سنة ١٢٩٧ |
| ٢٣٦ / ٢ | حوادث سنة ١٢٩٨ |
| ٢٤٧ / ٢ | حوادث سنة ١٢٩٩ وحركة موسى الأولى |
| ٢٥٩ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠٠ ونصيحته الدينية |
| ٢٧٨ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠١ ومسألة ماء وادي فاس |
| ٢٨٣ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠٢ |
| ٢٨٤ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠٣ وحركة سوس الثانية |
| ٢٩١ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠٤ |
| ٢٩٢ / ٢ | حوادث سنة ١٣٠٥ وحركة بني مجيلد |
| ٢٩٨ / ٢ | واقعة آيت شخمان |
| ٣٠٢ / ٢ | حكم البغاة المحاربين |
| ٣٠٥ / ٢ | حوادث ١٣٠٦ و ١٣٠٧ وحركة الريف وتطوان وطنجة |
| ٣٠٨ / ٢ | حوادث ١٣٠٨ |
| ٣١١ / ٢ | حركة تافيلالت |
| ٣٢٢ / ٢ | عدد الحركات الحسنية |
| ٣٢٤ / ٢ | علائقة السياسية والسفارة الزيدية للدول الأربع الكلام على بقية علائقه السياسية: |
| ٣٧٨ / ٢ | مع فرنسا |
| ٣٩٠ / ٢ | مع إسبانيا |
| ٤١٨ / ٢ | مع إيطاليا |
| ٤٢١ / ٢ | مع إنجلترا: |
| ٤٢٤ / ٢ | مع ألمانيا: |

- ٤٢٧/٢ مع الدولة العثمانية
- ٤٣١/٢ مع البرتغال
- ٤٣٣/٢ مع أمريكا والبلجيك
- ٤٣٤/٢ مع البابا
- ٤٣٥/٢ ذيل فى وثائق تتعلق بقضايا مع نواب تلك الدول
- ٤٧٩/٢ مؤتمر مدريد ووفقه
- ٥٠٦/٢ ضربه السكة الحسنية
- ٥٣٩/٢ اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها
- ٥٤٣/٢ سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية
- ٥٤٩/٢ قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة المغربية
- ٥٦٩/٢ الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية واهتمامه بالاطلاع على المخترعات العصرية وما كان على عهده بالعدائر والهواتر السلطانية
- ٥٨٤/٢ استعداده البحرى
- ٥٩٠/٢ ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته
- ٦٠٦/٢ كيفية ترتيب الملاقاة
- ٦٠٦/٢ كيفية تعمير المشور
- ٦٠٧/٢ الهيئة الرسمية وما تتألف منه
- ٦٠٨/٢ قواد الجيش العامل

- ٦٠٨/٢ قواد الحناطى البرانيين
- ٦٠٨/٢ قواد الحناطى الداخلىين
- ٦١١/٢ ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه
- ٦١٢/٢ اللباس الرسمى
- ٦١٣/٢ كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن
- ٦١٣/٢ كيفية ورود سفراء الدول على السلطان
- ٦١٣/٢ كيفية دخول ممثلى الدول من السفر
- ٦١٤/٢ كيفية ملاقاتة الأجنب مع السلطان
- ٦١٤/٢ كيفية تقديم هديته للسلطان
- ٦١٥/٢ زيارة السلطان للأولياء
- ٦١٥/٢ حركة السلطان من بلد إلى أخرى
- ٦١٦/٢ كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيش
- ٦١٧/٢ كيفية خروج السلطان يوم السفر
- ٦١٧/٢ كيفية نهوض السلطان من المحلة
- ٦١٨/٢ كيفية مسير السلطان فى السفر
- ٦١٨/٢ كيفية دخول السلطان للمحلة
- ٦١٨/٢ خروجه للأحكام فى السفر
- ٦١٩/٢ كيفية تموين المحلة
- ٦٢٠ /٢ كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة
- ٦٢٠ /٢ كيفية وصول الجنب السلطانى إلى المحل المقصود
- ٦٢٢ /٢ العادة فى الولاثم السلطانية
- ٦٢٢ /٢ كيفية العقيقة
- ٦٢٣ /٢ نزهة شعبانة

- ٦٢٣/٢ العادة فى الجنائز
- ٦٢٣/٢ بيان تموين الدار العالية بمكناس مياومة ومشاهرة ومسانهة
- ٦٢٧/٢ مشيخته
- ٦٢٨/٢ بناءاته
- ٦٢٨/٢ ما خلفه من الأولاد
- ٦٣١/٢ الشريفات من نسائه
- ٦٣١/٢ الحرائر منهن
- ٦٣١/٢ المطلقات منهن
- ٦٣١/٢ وفاته
- ٩/٣ ١٢٤ - الحسن بن عثمان الوئشريسى .
- ١٠/٣ ١٢٥ - الحسن بن عطية .
- ١٢/٣ ١٢٦ - الحسن بن محمد السهلى الشهير بأمكراز .
- ١٣/٣ ١٢٧ - الحسن بن أحمد بن حرزوز .
- ١٥/٣ ١٢٨ - حسن بن أحمد المكناسى .
- ١٥/٣ ١٢٩ - الحسن بن رحال .
- ١٧/٣ ١٣٠ - حمادى بن عبد الواحد الحمادى .
- ١٩/٣ ١٣١ - الحسن بن مبارك السوسى .
- ٢٠/٣ ١٣٢ - الحارث بن المفضل الحسناوى .
- ٢٠/٣ ١٣٣ - الحسن بن المهدي العلوى .
- ٢٢/٣ ١٣٤ - الحسين بن الحسن العلوى .
- (حرف الخاء)
- ٢٣/٣ ١٣٥ - الخياط الزرهونى .
- ٢٥/٣ ١٣٦ - الخياط الخياطى .